

# مدخل إلى الفلسفة

تأليف: وليم جيمس إيرل

ترجمة: محمد مصطفى

مراجعة: يحيى طريف الخولي

962

تعتبر دراسة الفلسفة مغامرة فكرية - بتأمل نقدى فى المفاهيم المحيرة وما يفضى إليه هذا التأمل من أسئلة مثيرة: ما هو الواقع؟ كيف لنا أن نكتسب المعرفة؟ ما هى الأخلاقية؟... إلخ.

وهذا الكتاب - الذى يدرس على نطاق واسع فى جامعات أمريكا - هو محاولة مثمرة نحسبها غير مسبوقة لتطبيق منهاج التحليل المنطقى لتوضيح المعالم الكبرى لعالم الفلسفة ذاته. إنه أشبه بدليل سياحى مزود بخرائط مبينة، تأخذ بيد الطلاب المبتدئين أو القراء العاديين الراغبين فى استطلاع هذا العالم اللجى المثير، ويخشون متاهاته وإشكالياته. لكنه بخلاف الدليل السياحى، لا تنتهى مهمته بانتهاء الرحلة ليترك السائح متأهباً للرحيل: بل ينتهى الكتاب تاركاً القارئ على إلف بعالم الفلسفة، يدرك ميادينه الكبرى ودروبه الرئيسية، ومتشوقاً لاستئناف المسير.

المشروع القومي للترجمة

# مدخل إلى الفلسفة

« مزود بمعجم فلسفى معاصر »

( المجلد الأول )

تأليف : وليم جيمس إيرل

ترجمة : عادل مصطفى

مراجعة : يمنى طريف الخولى





المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٩٦٢

- مدخل إلى الفلسفة « مزود بمعجم فلسفى معاصر »

- وليم جيمس إيرل

- عادل مصطفى

- يمنى طريف الخولى

- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كاملة لكتاب :

## ***Introduction to Philosophy***

**By : William James Earle**

**Copyright © 1992 by McGraw - Hill, Inc.**

**All Rights Reserved**

**© Arabic edition Copyright 2005**

**by The Supreme Council of Culture**

---

**حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة**

**شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤**

**El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo**

**Tel. : 7352396 Fax : 7358084 E-Mail : asfour @ onebox. com**

---

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

## المحتويات

7	..... تصدير الترجمة العربية
11	..... مقدمة
	<b>الفصل الأول :</b>
13	..... طبيعة الفلسفة
	<b>الفصل الثاني :</b>
37	..... الإبستمولوجيا
	<b>الفصل الثالث :</b>
71	..... فلسفة العلم
	<b>الفصل الرابع :</b>
127	..... الميتافيزيقا
	<b>الفصل الخامس :</b>
173	..... فلسفة العقل
	<b>الفصل السادس :</b>
211	..... فلسفة اللغة
	<b>الفصل السابع :</b>
253	..... الأخلاق : الفلسفة الاجتماعية والسياسية
	<b>الفصل الثامن :</b>
295	..... فلسفة الدين
	<b>الفصل التاسع :</b>
333	..... علم الجمال
367	..... معجم



## تصدير الترجمة العربية

لا تزال الفلسفة عالماً محاطاً بالغموض والرغبة، تضاريسه قد تبدو مستغلقة أمام القارئ العام، واقتحامه ليس بالأمر اليسير. وفي الآن نفسه تظل الفلسفة دائماً أفقا يراود كل عقلية راغبة في التوقف هنيهة أمام التساؤلات الكبرى في الحضارة الإنسانية والوجود البشري. ويأتى هذا الكتاب - كما يتجلى من عنوانه - مدخلاً مواتياً ومرشداً مثالياً، يأخذ بيد القارئ العام وأيضاً - بل قبلاً - طالب الفلسفة الذى يستهل طريقه. وخطوة إثر خطوة تتكشف معالم هذا العالم الثرى المثير، وتتفتح خباياه. فكيف تأتى هذا المدخل الهادى الحادى، والكاشف المضى؟

فى الإجابة عن هذا السؤال نجد أن المؤلف وليم جيمس إيرل - وهو من كبار أساتذة الفلسفة الشغوفين بالتدريس فى الفصول الدراسية التمهيديّة - يؤكد فى أكثر من موضع من مقالاته ودراساته العديدة أن الفلسفة، بجميع مستوياتها تجتمع على هدف واحد، وهو زيادة الوضوح ذهنى بشتى الوسائل الممكنة. وليس يعنى هذا ببساطة إلا أن وليم جيمس إيرل فيلسوف تحليلى، وهذا الكتاب مدخل تحليلى للفلسفة.

ولنلاحظ أنه منذ أواسط القرن العشرين قد جرى عُرف فلسفى على نعت ذلك القرن بعصر التحليل. ذلك أن التحليل المنطقى واللغوى بأئمتيه العظام - برتراند رسل وجورج إيلوارد مور ولودفيج فيتجنشتين، ومدارسه العديدة كالوضعية المنطقية والتحليل اللغوى فى كمبريدج وتحليل اللغة الجارية فى أكسفورد.... هذا التحليل المنطقى اللغوى قد عدّ بمثابة ثورة القرن العشرين الفلسفية المناظرة لثورته الفيزيائية العظمى التى تفجرت بفعل النسبية والكوانتم. ولما لا يكون التحليل المنطقى ثورة وقد كان رافضاً للوضع القائم؛ فأتى عالم الفلسفة بانتقابة جنرية سواء فى المنهج = (أسلوب البحث الفلسفى)

أو في المذهب = (مضمون البحث ومشكلاته وأطروحاته) ... رأوا أن الإشكاليات الفلسفية تعود إلى سبب غاية في البساطة هو محاولة الإجابة على الأسئلة دون أن نتبين على وجه دقيق حقيقة السؤال الذي نحاول الإجابة عليه، وإذا فعلنا ذلك لانحلت معظم هذه الإشكاليات. وعمل التيار التحليلي على أن يتحلى بروح العلم فعزف عن بناء المذاهب الشامخة كمحصلة لعبقرية فرد فريد، واتجه إلى التفقيد والجهد الجمعي التعاوني، جاعلاً وظيفة الفلسفة هي أن تتسلح بالمنطق لتتكب على التحليل المنطقي للعبارات والقضايا والمفاهيم فتزيدها وضوحاً وتزيل عنها اللبس والغموض، وتكشف عما بها من مفارقات أو تجاوزات للعالم التجريبي. فهكذا تأخذ الفلسفة بالإحكام الصارم للعقل العلمي وتوجيه الأنظار إلى الواقع، وتلتزم الدقة البالغة في استخدام الألفاظ والعبارات.

وبطبيعة الحال وصل المد التحليلي إلى المكتبة العربية، أساساً بفعل أستاذ الجيل زكي نجيب محمود ثم رجيل من التلاميذ وجمع غفير من تلاميذ التلاميذ... وكما هو معروف، ارتفع عبر أرجاء عالم الفلسفة وطيس المناقشات الحامية حول هذا التحليل المنطقي كمناهج فلسفي يدور مداراً لغويّاً صرفاً ليعنى بالمفاهيم والقضايا والعبارات، خصوصاً وأنه قد تطرفت بعض مدارس وأرادت ما أنكره الرائد العظيم برتراند رسل نفسه.. أرادت قصر الفلسفة بأسرها على التحليل، واستئصال كل ما عداه من عالم التفلسف، وتجريد هذا العالم من آفاقه الرحبية المتجاوزة للمبحث المعرفي؛ وبالتالي شنوا حملة ضارية على المباحث المعيارية في الأخلاق والجمال، وحملة أكثر ضراوة على ربيبة الفلسفة المدللة - أي الميتافيزيقا. كل هذا بغية الحسم والوضوح المعرفي الذي يأتي به التحليل المنطقي!

ومهما قيل في مناقشة المدارس التحليلية، في تقريظها أو في الهجوم عليها، في تطرفها أو في اعتدالها... فيما تلاها من مناهج فلسفية أخرى تواصل مسيرتها أو تنقضها... تظل المكتبة الفلسفية، خصوصاً الأنجلو-أمريكية عامرة بمحاولات عديدة مديدة ومثمرة أحياناً في تطبيق المنهج التحليلي على كبريات وصغريات المشكلات الفلسفية، ويظل أحد البتة لا يجادل في قدرة المنهج التحليلي على إضفاء الوضوح والنصوع على المفاهيم، ووضع النقاط على الحروف.

وعلى كثرة محاولات تطبيق الفلسفة التحليلية من أجل إضفاء الوضوح على هذا المفهوم أو ذاك، هذه القضية أو تلك.... ينفرد هذا الكتاب بمحاولة سديدة ومثمرة نحسبها غير مسبوقة، ألا وهي تطبيق منهاج التحليل المنطقي لتوضيح المعالم الكبرى لعالم الفلسفة ذاته. فكانت محاولة موفقة، أشبه بدليل سياحي مزود بخرائط مَبينة، تأخذ بيد الغرباء سواء من الطلاب المبتدئين أو القراء العاديين الراغبين في استطلاع هذا العالم اللجى المثير، ويخشون متاهاته وإشكالياته. لكنه بخلاف الدليل السياحي، لا تنتهى مهمته بانتهاء الرحلة ليترك السائح متأهباً للرحيل؛ بل ينتهى الكتاب تاركاً القارئ على إلفِ بعالم الفلسفة، يدرك ميدانيه الكبرى ودروبه الرئيسية، ومتشوقاً لاستئناف المسير والخوض فى الدروب الجانبية والأزقة والحوارى وسائر طرقاته التى تظل بلا نهاية، ليس من الضرورى أن تفضى إلى نهاية حاسمة وحسبك متعة الطريق، صياغة السؤال أهم من طرح الإجابة، وتنضيد المشكلة أهم من حلها، لتظل الفلسفة دائماً - من أية زاوية - هى الأفق الرحيب للعقل البشرى الذى يستثيره ويستحث خطاه، و لا يدعه يلتقط الأنفاس إلا ليوصل المسير بعزم أمضى وبصيرة أنفذ.

ولا غرو أن يعد هذا الكتاب من أوسع كتب تدريس الفلسفة انتشاراً فى جامعات العالم الغربى، فقد أجاد فى استثمار إيجابيات منهج التحليل المنطقي للتعريف بالفلسفة.. إيجابيات الوضوح والإيضاح والقدرة على إلقاء الضوء الكثيف، ويتحمل بدقة وصرامة المسئولية العسيرة إزاء كل مفهوم مركزى من مفاهيم فعل التفلسف - الذى هو فى كل حال فعل ينصب أساساً على المفاهيم - ليلقى على المفهوم الضوء التحليلي الكثيف.. ضوء التفكيك والتبسيط والتعيين والتحديد والتنضيد. وعلى كثرة ما اشتهر به عالم الفلسفة من غموض وإبهام، يبدو فى هذا الكتاب عالماً شديداً الجلاء ذا حدود محددة كأبلغ ما يكون التحديد. وأيضاً من مزايا هذا الكتاب أن كل فصل من فصوله مكتفٍ بذاته إلى حد كبير، بحيث يجوز للقارئ أن يبدأ بالفصل الذى يروق له، وألا يتقيد فى قراءته بترتيب الفصول.

ومن الناحية الأخرى لا بد أن يحمل الكتاب أيضاً بعض انعكاسات التحليل غير الإيجابية تماماً. أبسطها الانحياز الواضح للتيار التحليلي دون سواه من تيارات الفلسفة المعاصرة، فيحظى فلاسفة التحليل المنطقي أكثر من سواهم بعرض تفصيلي

لرؤاهم ويكون الاهتمام الأكبر بالمشاكل التي شغلتهم. هذا المنطلق التحليلي يجعلنا لا نندهش من أسلوب عرضه لفلسفة الدين، أو البرود البادئ إزاء علم الجمال، أو الحياد الجامد في عرض فلسفة الأخلاق. ولما كنا نفترض أن القارئ رشيد ذو عقلية قادرة على التقنين والتمحيص والقبول والرفض، وإلا انتفت الغاية من هذا الكتاب ومن الفلسفة بجملتها؛ فقد حرصنا على أن تأتي ترجمة الكتاب بأسره دقيقة مطابقة - نصاً وروحاً - بون حذف أو إضافة كلمة واحدة إلى المتن، وإن كنا قد زدناه بالعديد من الهوامش والحواشى الشارحة أو المكملة أو الناقدة أو الناقضة، تحقيقاً لفائدة قصوى للقارئ العربى.

وأخيراً نلاحظ أن تلك السمة التحليلية جعلت الكتاب مدخلاً شديداً للحدائث والراهنية. ويتجلى هذا فيما ذُيِّل به من معجم فلسفى مختصر، حفل بالحديث والمستجد من مصطلحات الفلسفة على العموم ومصطلحات الفلسفة التحليلية على الخصوص، والحق أن المعجم الفلسفى هو درة هذا الكتاب والإضافة الحقيقية فيه. ولعل نقلنا إياه إلى المكتبة العربية يمثل بدوره إضافة حقيقية للجهود الحثيثة فى المكتبة العربية لطرح مقدمات ومداخل للفلسفة.. إضافة نرجوها مثمرة مجدية لقارئ الفلسفة على العموم، والطلاب منهم على الخصوص. وبالله قصد السبيل.

يمنى طريف الخولى

## مقدمة

### إلى دارس الفلسفة

تَعِدُكَ دراسةُ الفلسفة بمغامرة فكرية - بتأمل نقدي في المفاهيم المُحيرة وما يفضي إليه هذا التأمل من أسئلة مثيرة: ما هو الواقع؟ كيف لنا أن نكتسب المعرفة؟ ما هي الأخلاقية؟ إنْ هذا إلا بضعة من تلك الأسئلة المُحيرة.

يفسّر لك الفصل الأول (طبيعة الفلسفة) لماذا تختلف الفلسفة عن الفيزياء والكيمياء والرياضيات. فالعلوم الطبيعية والرياضيات تتمتع بدرجة عالية من الاتفاق بين الخبيرين بها حول ما تكونه الحقائق أو الإجابات الصحيحة وحول ما يجب أن يعد أفضل النظريات في هذه المجالات. أما في مجال الفلسفة فيتضاعل هذا الاتفاق عن ذلك بدرجة كبيرة. وإنما يكتسب خبراء الفلسفة لقبهم كخبراء لأنهم يجيدون فهم الأسئلة والمشكلات الفلسفية، ويقدرّون على تمييز الآراء المتصارعة ونقدها؛ ولأنهم يستطيعون، في النهاية، أن يزيّدوا فهمنا للتصورات التي تتركز عليها أعمق المشكلات المحيرة.

وما ينبغ النوابغ من طلاب الفلسفة، في حقيقة الأمر، إلا لأنهم يتعلمون أن يشاركوا في هذا النشاط. وما أرجوه أن يكون هذا الكتاب عوناً لك على أن تحنو حنوّهم؛ على أن تضع نصب عينيك أنك لا يمكنك أن تتفوق في فصل دراسي في الفلسفة، وربما لا يمكنك حتى اجتيازها، بحفظ قائمة من الإجابات الصحيحة؛ إذ لا وجود لمثل هذه القائمة!

استخدم هذا الكتاب إذن كأداة أو مصدر لفهم هموم الفلاسفة وتأملاتهم، وتمعن أي حجج أو تحليلات تصادفها في قراءاتك ودراساتك. استخدم هذا الكتاب كمرشد لك إلى عالم جديد ومثير من الفكر الدائر حول الأسئلة الأساسية للحياة.

وليم جيمس إيرل

١٩٩٢



## الفصل الأول

### طبيعة الفلسفة

#### مدخل

للفلسفة تاريخ معقد منذ نشأتها في اليونان القديمة. غير أن طابعها المميز كان دائماً هو التأمل النقدي في التقاليد الثقافية الموروثة، وتوخي الوضوح النظري عن طريق تحليل ما غمض واعتاص من الأسئلة والتصورات والحجج. وفي هذا الفصل سنقدم الفلسفة للقارئ بالنظر إلى طبيعتها التصورية، شارحين منهاجها التي تستخدمها في تحليل المفاهيم والتصورات، مع توصيف الميادين الرئيسية للبحث الفلسفي.

### أصول الفلسفة

#### أصل الكلمة

تأتي لفظة فلسفة من كلمتين يونانيتين: الأولى هي 'فيليا' *philia* وتعني الحب أو الصداقة، والثانية هي 'صوفيا' *Sophia* وتعني الحكمة. فالفلسفة إذن من جهة الأصل اللغوي تعني 'محبة الحكمة'<sup>(١)</sup>. وثمة ملاحظتان بشأن هذا الأصل اللغوي يجب أن تأخذهما بعين الاعتبار. فأولاً يجب أن تفتن، كما بين كثير من الفلاسفة الأقدمين،

(١) جدير بالذكر أن الفلسفة الفرنسية المعاصرة أشارت إلى أن الفلسفة الراهنة باتت تعني "صداقة المفاهيم".

إلى أن حُبَّكَ الشيءَ لا يعنى بالضرورة أنك تملكه. الحب هنا ينبغى أن يفهم بمعنى يتضمن الرغبة فى 'أو' التوق إلى: إذا كون المرء فيلسوفاً يتضمن أنه يسعى إلى الحكمة، وليس بالضرورة أنه يستحوذ عليها. والملاحظة الثانية هى أن الحكمة هنا تستعمل كلفظة جامعة تشمل كل بحث فكري دءوب فى أى مجال من المجالات، وتشمل الأخلاقية - فهمها وممارستها، وغرس كل مستنير من الآراء والاتجاهات، يهدى إلى حياة مفعمة بالسعادة والرضا.

### طاليس والفلاسفة السابقون على سقراط

من المتفق عليه أن هناك رجالا يدعى طاليس هو أبو الفلسفة الغربية. نشط طاليس حوالى سنة ٥٨٥ قبل الميلاد (وإن كانت تواريخ حياته غير معروفة على وجه الدقة). والحق أننا لا نعرف عن طاليس إلا أنه كان مهتماً بالفلك، وأنه تنبأ بكسوف الشمس تنبؤاً صادقاً، وأنه قال إن كل الموجودات مصنوعة من الماء. من الواضح إذن أنه لا بد قد طرح على نفسه سؤالاً: مم صنعت الأشياء؟ ورغم أن إجابته كانت خاطئة فقد كان سؤالاً وجيهاً للغاية. ولسوف تتولى العلوم الطبيعية فيما بعد مثل هذه الأسئلة، إلا أن الفلسفة التقليدية النظرية فى بداياتها الأولى كانت تأخذ على عاتقها كل تلك المسائل الخاصة بالطبيعة وتلك الخاصة بحياة الإنسان. فالحق أن مختلف أفرع المعرفة الدراسية المنفصلة تطورت بتدرج شديد وبتاريخ متأخر كثيراً عن بدايات الفلسفة.

كان طاليس واحداً من زمرة صغيرة نسبياً من الفلاسفة تُعرف على الجملة بالفلاسفة السابقين على سقراط (أو القبل سقراطيين) Presocratics. كان أولئك الفلاسفة مهتمين بجوانب من العالم الطبيعي تمثلها أدق تمثيل هذه العينة من ماثور الأسئلة القبل سقراطية: لماذا تتلألأ النجوم؟ لماذا يتنامى القمر ويتضاءل؟ لماذا تقوم الشمس برحلتها اليومية عبر سماء الأرض؟ كيف بدأت الحياة؟ هل الكون أبدي؟ ومن الواجب أن نشير إلى أن السابقين على سقراط وإن لن يقدموا إجابات صائبة عن هذه الأسئلة فقد كان لهم فضل طرحها. والواقع أن ابتكار الأسئلة المثيرة والمثمرة والحافزة للفكر، سيظل دائماً من أهم وظائف الفلسفة.

ورغم أن العلوم الطبيعية قد تولت أخيراً مهمة الإجابة عن الأسئلة التي طرحها السابقون على سقراط إلا أن لدينا ثلاثة أسباب تجعلنا نعتبر هذه الأسئلة أسئلة فلسفية على الأصالة: (١) فهي أسئلة تقتضى البحث والاستقصاء لا الإذعان للتقاليد. (٢) وهي تتطلب شروحا مصوغة في حدود غير فائقة للطبيعة أى غير أسطورية. (٣) إن إجابات هذه الأسئلة يُنتظر منها أن تكون مستندة إلى دليل أو إلى حجة معقولة.

ظل السابقون على سقراط يقدمون نقداً متصلاً للتفسيرات الأسطورية للظواهر الطبيعية، تلك التفسيرات التي كانت سائدة في مجتمعاتهم في ذلك الوقت. فهم لم يركنوا إلى فكرة أن الأرض والشمس والنجوم والظواهر الطبيعية الأخرى هي آلهة أو إلهات، بل قدموا للطبيعة تفسيرات لا تتجاوز الطبيعة، تفسيرات تقبل النقاش العقلي لا التوكيد الدوجماتيقي<sup>(٢)</sup>.

وأخيراً يجب أن نشير إلى أن السابقين على سقراط، رغم ولعهم بالعالم الطبيعي وقدرتهم على ملاحظة بعض سماتهم اللافتة، لم يقوموا بملاحظات منهجية ولم يُجروا أية تجارب علمية.

## سقراط

وينفس الروح النقدية واستقلالية العقل اللتين تناول بهما سابقوه الظواهر الطبيعية، تناول سقراط (٤٧٠ - ٣٩٩ ق.م) الحياة الإنسانية. وما هي بعض الأسئلة السقراطية النموذجية: ما هي التقوى؟ ما هي الميزة التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات؟ ما هو نوع الحياة الجدير بالإنسان أن يحياها؟ هل يمكن للفضيلة أن تُعلم؟ هل هناك أكثر من فضيلة واحدة؟ ما هي العدالة.... لم يضطلع سقراط نفسه بكتابة

(٢) الدوجماتيكية هي الإيقانية القطعية، نسبة إلى دوجما dogma وهي الاعتقاد اليقيني القاطع الذي لا يقبل نقاشاً أو جدلاً أو رأياً آخر، وبالتالي لا يقبل تصويهاً أو تعديلاً أو تطويراً، ويظل ثابتاً متعامياً عن أية متغيرات. (المراجعة)

أى شىء، بل كرس حياته بالأحرى لمناقشة أسئلة من هذا القبيل مع شخصيات هامة فى مجتمعه. أما تصورنا عن سقراط فهو مستمد من محاورات ديجها تلميذه الشهير أفلاطون (٤٢٩-٣٤٨ ق.م.). وهى فى الواقع مسرحيات تُقدم سقراط كبطل لها. وكثير من هذه المحاورات يركز على أسئلة فى صيغة "ما هو س؟" حيث تمثل س فكرة ما من الأفكار الرواغة التى يصعب على المرء تثبيتها ناهيك عن إيضاحها.

وبذلك يكون سقراط هو أول فيلسوف يقوم بالتركيز على التصورات المُحيرة (التصور أو المفهوم concept هو المصطلح الفلسفى المتعارف عليه لكلمة فكرة idea) ويحاول إيضاحها. فتركز المحاورة المعروفة باسم "المأدبة" Symposium مثلاً على مفهوم الحب. وقد كان بوسع قدماء الإغريق، مثلما هو بوسعنا الآن، أن يتحدثوا عن الحب بسهولة ويسر. إلا أنهم - مثلنا أيضاً - لم يستطيعوا تعريفه بوضوح ودقة؛ فدون ذلك جهد فلسفى جهيد.

### الحقائق والمفاهيم

إن الفلسفة فرع معرفى يدور حول المفاهيم كأحرى من أن يدور حول الوقائع. فالواقعة fact هى حقيقة عن العالم قائمة على أساس الملاحظة observation . هناك وقائع الحياة اليومية، وهناك وقائع تاريخية، ووقائع علمية. غير أن لهم ما توسم به الوقائع من كل نوع هو أنها يجب أن تكون صادقة وأن تكون قائمة على الملاحظة (فإن يلاحظ observing تعنى أن يتفحص ليرى إن كان شىء ما هو فى الحقيقة كذلك). ولنلاحظ أيضاً أن ما نعهده واقعة حقيقية فى وقت ما قد نكتشف فيما بعد أنه ليس واقعة حقيقية على الإطلاق. ومع ذلك فإن هذه "الواقعة الحقيقية عن الوقائع" غير ذات صلة بما نحن فيه الآن من التركيز على التفرقة الاستقرائية بين الوقائع والمفاهيم.

ولا توجد فى اللغة الإنجليزية مرادفات قريبة من كلمة concept (مفهوم) سوى كلمة idea (فكرة) وكلمة notion (تصور). غير أنه من السهل أن نبين ما يقصده الفلاسفة عندما يتحدثون عن المفاهيم. فكون كولبس هو مكتشف أمريكا فهذه واقعة حقيقية (أو قل مكتشفها هو ليف إريكسون إن كان حقاً قد وصل إليها قبله!). وفى كلتا

الحالتين فإن الواقعة تشتمل على مفهوم "الاكتشاف". الوقائع تُعرف، أما المفاهيم فتُفهم. أنت لا تستطيع أن تفهم واقعة أن كولبس (أو أريكسون) هو مكتشف أمريكا ما لم تفهم مفهوم الاكتشاف. (وعندما نمعن في استجلاء مفهوم الاكتشاف، فربما يعن لنا أن ننكر على كلا الرجلين وعلى أى أجنبى اكتشاف أمريكا؛ فقد كان هناك على أية حال أعداد ضخمة من الأمريكيين الأصليين على علمٍ بأمريكا قبل أن يطأها أول أوربى بزمَن طويل).

فإذا كنت ناطقاً بالإنجليزية ولديك فى مفرداتك كلمة *discovery* (اكتشاف)، فإن فهمك لمفهوم الاكتشاف معادل عملياً لفهمك لفظة *discovery*. غير أنه ليس ضرورياً أن نفهم هذه اللفظة بالذات. الناطق بالفرنسية مثلاً لديه مفهوم الاكتشاف نفسه إلا أنه يربطه بلفظة *découverte*.

أغلب المفاهيم لا تستلزم أى فحص فلسفى. فإذا كانت لدينا على سبيل المثال أية مصاعب بشأن كلمة "منضدة" أو "كرسى" فإن أى معجم لغوى كفىل بحلها. وعلى الرغم من ذلك تبقى هناك كلمات كثيرة تجرى على ألسنتنا - ويتفق أن تكون من أهم ما نستعمل من كلمات - تظل تحيرنا حتى بعد أن نكشف عن معناها فى المعجم، والمثال على ذلك كلمات من قبيل الحرية والديمقراطية والحب والأخلاق. بطبيعة الحال، هذه كلمات بوسع معظم الناس أن يستعملوها فى مجرى حياتهم الدارجة. ولكى يكون ذلك ممكناً، يُفترض أن يكون مستخدمو هذه الكلمات على دراية ولو جزئية بالمفاهيم التى تعبر عنها.

فإذا سألنا أنفسنا: ماذا نعنى بكلمة "حرية" على وجه التحديد؟ بعبارة أخرى: فى أية ظروف على وجه الدقة يكون من الملائم القول إن فلاناً حر؟ إننا قد نجد أنفسنا عاجزين عن الإجابة عن هذا السؤال بشكل مرضٍ، إننا غير قادرين على تقديم توصيف واضح ومتسق عن الحرية. وهذا دليل على أننا لم نملك زمام ذلك المفهوم - مفهوم الحرية - إلا بشكل جزئى. ومن مهام الفلسفة أن تعيننا على التمكن التام من المفهوم بدلاً من التمكن الجزئى، مستخدمين فى ذلك تحليل المفاهيم كأداة أساسية.

## تحليل المفاهيم

### التحليل بلغة الشروط الضرورية والكافية

عندما يتحدث الفلاسفة عن تحليل المفاهيم، فإنهم فى واقع الأمر يستخدمون استعارة بلاغية مستقاة من الكيمياء. فالمفاهيم الفكرية الأعقد يمكن أن تُفتت إلى مكوناتها من الأفكار الأبسط، شأنها فى ذلك شأن المركبات الكيميائية. وهذا بالتحديد ما يقوم به تحليل المفاهيم. وبالطبع لا يمكننا أن نحلل كل مفاهيمنا دفعة واحدة. وغاية ما نستطيعه هو أن نستخدم المفاهيم المفهومة أكثر لنا كي تعيننا على فهم التصورات الأكثر تعقيداً.

وسوف نقوم بإيضاح آلية التحليل بلغة الشروط الضرورية والكافية، بادئين بتناول مفهوم غير ملزم فلسفياً، وهو مفهوم "الأعزب". تحليل هذا المفهوم ينبئنا على وجه الدقة بالأشياء التى تجعل من شخص ما شخصاً "أعزب". ويتم ذلك بذكر الظروف المحددة التى يحق فى ظلها أن نقول عن شخص ما إنه أعزب. والطريقة المتفق عليها فى هذا الصدد تبدو كالاتى :

س أعزب إذا وفقط إذا كان :

(١) س إنسان؛

(٢) س متزوج؛

(٣) س ذكر؛

(٤) س بالغ؛ و

(٥) س ليس قسيساً ولا هو غير مؤهل للاختيار كزوج.

وفيما يلى تعليقات شارحة :

● س هو ما يسمى "متغيراً" - وبالتحديد أكثر "متغيراً اسمياً" `name-variable` ، ويمكن أن يحل محله أى اسم. وهو يتيح لنا أن نتحدث عن أعزب وعن كل العزاب.

فإذا اتفق أنك نفكر في "زيد" وتريد تمحيص الفرضية القائلة بأنه أعزب، فبوسعك أن تستبدل "زيداً" بالرمز س في النقاط من (١) إلى (٥).

● النقاط (١) و (٢) و (٣) و (٤) و (٥) كلها شروط ضرورية لكي يكون الشخص أعزب. الشرط الضروري **necessary condition** لأي شيء هو الشرط الذي يتعين أن يُستوفى لكي يكون لديك ذلك الشيء. (وأيضاً يُقال عن الشروط أحياناً أنها ما يوفى بها أو ما يتحقق. فإذا قلنا إن الأكسجين شرط ضروري للنار فإن ذلك يعنى أنه لا يمكن أن تكون نار حيث لا يوجد أكسجين. وفي حدود مثالنا الحالى نقول إن أى شيء لا يفي بالشرط رقم (١) سواء أكان مستوفياً بعض أو كل الشروط الأخرى أم لم يكن (قد يكون المذكور على سبيل المثال ذكر غوريلا) فهو مُستبعد ألياً من فئة العزاب. ويصدق الشيء نفسه تماماً بالنسبة لبقية الشروط.

إن الشروط الخمسة المدرجة في القائمة، كلا منها على حدة، ليست ضرورية فحسب: عند التحليل يدعى أيضاً أنها كافية **sufficient** بأخذها مجتمعة أو بأخذها كرزمة واحدة إن شئت التعبير. أنها تكون معاً شرطاً كافياً مركباً لحال كون المرء "أعزب". وهذا يعنى أن أى شيء يفي بالشروط الخمسة جميعاً يندرج ألياً في فئة "العزاب". وليس ثمة شيء يجب أن يُستدرك: إذا كان هذا التحليل لمفهوم العزوبة صحيحاً، فلا يوجد أى شرط آخر يتعين استيفاؤه.

قد يعترض المرء بطبيعة الحال على صفة الضرورة في أى من الشروط المذكورة، فإذا كنت مثلاً تعتقد أن القساوسة ينضوون تحت مفهوم "الأعزب"، فقد يعن لك أن تحذف الشرط الخامس. وإذا كنت بالمثل لا تعتبر المطلقين والأرامل عزاباً، فربما تميل إلى أن تستبدل بالشرط الثانى صيغة أكثر تشدداً مثل "س لم يتزوج قط". فالهم هنا - وهذا ليس سؤالاً فلسفياً - هو كيف تُستعمل كلمة **bachelor** في اللغة الإنجليزية الأمريكية المعاصرة.

هناك أكثر من اعتبار يجب ألا يفوتنا ونحن أخذون في التمرس بالتفكير بلغة الشروط الضرورية والكافية. أولاً: لا يتحتم أن يكون الشرط الضرورى شرطاً كافياً.

الأكسجين شرط ضروري للنار، لكنه ليس شرطاً كافياً إذ أن هناك أشياء أخرى يجب أن تتوافر لكي تكون النار. ثانياً: الشرط الكافي لشيء ما لا يتحتم أن يكون ضرورياً. تخيل فصلاً دراسياً يؤخذ فيه متوسط درجات ثلاثة امتحانات ليكون الدرجة النهائية للطالب. الحصول على تقدير جيد في كل الاختبارات هو شرط كافٍ للحصول على جيد كتقدير عام، غير أن الحصول على جيد جداً في أحد الامتحانات، وعلى جيد في امتحان آخر، وعلى مقبول في الامتحان الثالث سيؤدي إلى التقدير العام نفسه، أي أنه يشكل شرطاً كافياً آخر (لكن ليس شرطاً ضرورياً) للحصول على التقدير العام جيد.

### تعريف التحليل بواسطة الشروط الضرورية والشروط الكافية

والآن نستطيع أن نعرف التحليل كما يلي: أن نقدم تحليلاً لعبارة ما هو أن نكشف الشروط الضرورية والكافية لصدق العبارة قيد التحليل في أوضح وأجلى صورة ممكنة. ولنلاحظ أننا هنا نتحدث عن تحليل عبارة وليس عن تحليل مفهوم؛ ذلك لأن تحليلنا لمفهوم ما يصبح واضحاً جلياً بقدر ما نسلط من ضوء على العبارات المفتاحية التي تشتمل على هذا المفهوم. مثال ذلك أن المقاربة التحليلية لتفهم المفاهيم لا يعينها إكمال الفراغات في "الحرية هي .....". بل تضع المسألة في هذه الصيغة "س حرٌّ إذا وفقط إذا كان.....". ويتحدث الفلاسفة أيضاً عن الشروط الضرورية والكافية لتطبيق مفهوم ما. وعليه يمكن أن نمضي في السؤال مثلاً عن الشروط الواجب توافرها لكي ينطبق مفهوم الحرية على س. فإذا انطبق مفهوم ما على س، أمكننا القول أيضاً إن س يندرج تحت هذا المفهوم.

ويتألف كل تحليل من جزئين: الأول هو المحلل *analysandum* أو الشيء المطلوب تحليله، والثاني هو المحلل *analysans* أو ما يقوم بفعل التحليل. وفي مثالنا المذكور يكون المحلل هو "س أعزب"، و المحلل هو قائمة الشروط الضرورية والكافية من (١) إلى (٥).

## متطلبات التحليل الناجح

ثمة ثلاثة شروط رئيسية يجب توافرها في أى تحليل ناجح: (١) يجب أن يعنى كل من المحلل و المحلل الشئ نفسه. (٢) يجب أن يكون كل من المحلل و المحلل متماثلين في قيمة الصدق. (٣) يجب أن يكون المحلل أكثر وضوحاً (أو أقل تضليلاً) من المحلل. وفي حالة عدم استيفاء هذا الشرط الثالث فقد يبقى التحليل صحيحاً فيما قطع من شوط، إلا أنه يُعتبر تحليلاً غير كاشف أو غير مضى.

وحيث أن التحليلات تُقدّم عادةً في صورة تخطيطية ذات متغيرات مناسبة كما في "س أعزب"، فإن الشرط الثانى من شروط التحليل الناجح ينطبق فقط عندما تحل القيمة نفسها - زيد، عمرو، طارق.... - محل المتغير في كل مرة. فالحقيقة أن "س أعزب" ليست عبارة statement ، ومن ثم فهي تفتقد قيمة الصدق (قيمة الصدق truth-value مصطلح فنى يستعمل لى يشير إلى القيمتين : صادق وكاذب). بينما "زيد أعزب" المكوّنة بإحلال القيمة "زيد" محل المتغير "س" هي عبارة، ولها قيمة صدق. بتعبير آخر هي إما صادقة أو كاذبة.

ولاحظ أن الشرطين (١) و (٢) للتحليل الناجح ليسا منفصلين انفصالا تاماً، لأنه إذا كانت هناك عبارتان تعنيان الشئ نفسه تماماً (١)، فلا بد أن يكون لهما قيمة الصدق نفسها (٢)، بمعنى أنه إما أن تكون كلتاهما صادقة أو كلتاهما كاذبة. فسواء كنت تعرف خالتى أو لا تعرفها فإننا لابد نعرف أنه إذا صدقت عبارة "خالتى بخيلة" فإن عبارة "أخت والدتى بخيلة" هي أيضاً صادقة. وتعرف - للسبب نفسه - أنه إذا كذبت أى من العبارتين فكلتاهما كاذبة ( وذلك بالطبع شئ واضح تماماً).

## الأمثلة المضادة

الفلسفة نشاط نقدى لا يكل. وعندما يتقدم بعض الفلاسفة بتحليلات - مهما تكن واعدة - تتعرض لأشد ضروب التمحيص. ويمكن لهذا التمحيص أن يؤدي إلى نتيجتين رئيسيتين: فقد يعن لأحد المنتقدين أن يقدم مثلاً مضاداً يدحض صفة الضرورة

فى واحد أو أكثر من الشروط المدرجة فى المحلل analysans . وقد يسع آخر أن يقدم مثلاً يجعل جملة الشروط مجتمعة شيئاً غير كاف. (المثال المضاد counterexample مصطلح فنى يبين أن دعوى ما هى كاذبة).

### الأمثلة المضادة للضرورة

يدعى التحليل أن حزمة الشروط المدرجة فى قائمة المحلل analysans هى شرط ضرورى. فإذا أردت أن تدحض هذا الادعاء فعليك أن تقدم مثلاً يخل بواحد أو أكثر من الشروط الضرورية المدرجة فى المحلل رغم كونه مثلاً أصيلاً للشيء المحلل analysandum . وطالما أن تحليلنا الذى نحن بصدده عن مفهوم العزوبة هو تحليل صحيح، فلا توجد أمثلة مضادة للضرورة فى كل من شروطه الخمسة. (ولا ننسى أن مفهوم الأعزب ليس مثاراً للحيرة فى حقيقة الأمر، وما وقع اختيارنا عليه إلا لأنه يوضح التفاصيل الأساسية للتحليل بسهولة ويسر).

### الأمثلة المضادة للكفاية

يدعى التحليل أن حزمة الشروط المكونة للمحلل analysans هى شرط كافٍ. فإذا أردت أن تدحض هذه الدعوى فعليك أن تقدم مثلاً يفى بكل تلك الشروط المدرجة فى المحلل analysans برغم أنه ليس مثلاً أصيلاً للشيء المحلل analysandum . إن تحليلنا للشخص الأعزب يمكن أن يستخدم لتوضيح فكرة المثال المضاد لدعوى كفاية مجموعة معينة من الشروط. ففى المناقشات الدراسية الحقيقية حول تصور الأعزب يتوقف الطلاب عادة بعد إدراج الشروط الأربعة الأولى بدعوى أنها كافية وأن كل من يفى بهذه الشروط الأربعة يكون أعزب بداهةً. غير أنه يحدث دائماً أن طالبا ما يطرح بعد ذلك فكرة القس الكاثوليكي - ذلك المثال الممتاز المضاد لكفاية الشروط الأربعة الأولى. فالقساوسة الكاثوليك يفون بالشروط الأربعة الأولى ولكن من الخطأ أن نصنفهم كعزاب.

(ونكرر أن هذا مجرد مثال، فإذا كان الناطقون بالإنجليزية الآن يعدون القساوسة عزاباً - وهو شيء ممكن وإن كان مشكوكاً فيه - فبالإمكان تقديم مثال آخر للوصول إلى نفس الهدف).

## التحليل بلغة المعايير

مضى زمن كان الاعتقاد السائد فيه أن كل مفهوم يجب أن يحلل بلغة الشروط الضرورية والكافية، إن أمكن تحليله أصلاً. غير أن هذا الاعتقاد لم يعد سائداً اليوم. فعلى الرغم مما يتمتع به التحليل بلغة الشروط الضرورية والكافية من دقة وإبانة، فإن هناك مفاهيم لها أهميتها الفلسفية ولكنها ببساطة لا تخضع لهذا النمط من التحليل، بينما يمكن استيضاح كثير منها باستخدام "المعايير".

## تعريف المعيار

يمكننا تعريف المعيار *criterion* (والجمع: معايير *criteria*) بأنه كل عامل *factor* ذي صلة بالمعنى وليس في الوقت نفسه شرطاً ضرورياً أو كافياً. افترض مثلاً أننا نحاول استيضاح مفهوم "الحياة السعيدة" (وهو ليس مثلاً مصطنعاً، فقد اهتم الفلاسفة منذ سقراط حتى يومنا هذا بمفهوم السعادة. كما أن البشر من غير الفلاسفة المحترفين هم أصحاب مصلحة في استيضاح أى أشكال الحياة يمكن أن تعد سعيدة بحق). على سبيل المثال: هل إنجاب أبناء مهيئين له أية صلة بالسعادة في الحياة؟ إننا نشعر بالتأكيد أن هناك صلة ما، غير أننا ندرك أن وجود أبناء مهيئين ليس بالشرط الضروري ولا الكافي للحياة السعيدة. الصلة التي نحن بصددتها الآن يقال عنها، بشكل عام، صلة معيارية *criterial*.

إذن نحن في تحليلنا لمفهوم الحياة السعيدة نكون بصدد عدد من المعايير وليس مجموعة من الشروط الضرورية والكافية. وبصياغة مجردة نقول إن كل معيار له 'نس'

يمنحنا سبباً قوياً للاعتقاد بأن 'س' متحقق. ومع ذلك يجب أن يقيّد السبب القوي بجملة مثل "مع تساوى باقى الأشياء". فالشخص الذى لديه أبناء مهذبون لكنه بخلاف ذلك فى عذاب مقيم من الألم والمرض - ليس بالمرشح الجيد لتطبيق المفهوم الذى نحن بصددده.

## الرابطة المعيارية

تؤسس الروابط المعيارية **crierial connections** ، شأنها شأن الشروط الضرورية والكافية، بواسطة التناول التحليلي للمفاهيم، وليس بمعانيات الواقع ولا معطيات الملاحظة. لنفترض على سبيل المثال أننا وجدنا الأفراد نوى المستوى المعين من السكر بالدم سعداء بنسبة ٩٩٪ من الحالات. فمهما يكن الأمر، لا يجعل ذلك من هذه النسبة من سكر الدم معياراً لسعادة المرء. إنه ليس جزءاً مما نعنيه بالحياة السعيدة ونفهمه منها - ليس شيئاً متأصلاً فى مفهوم السعادة.

ومن الأفضل أن ننظر إلى الروابط المعيارية بوصفها جزءاً من تصنيف كلى للروابط. ويمكن تصنيف الروابط بين خواص الأشياء سواء واجهناها أو تفكرنا فيها كما يلى :

### • روابط المفاهيم **conceptual connections** ، وهى التى

- تتولى الفلسفة دراستها؛

- ويتولى التحليل توضيحها؛

- وتدخل فى بنية لغتنا

روابط المفاهيم هذه إما أن تكون

- روابط ضرورية

وهى التى يستحيل ألا تكون صحيحة

(مثل الصلة بين كون المرء أعزب وكونه ذكراً)

وإما

- روابط معيارية

وهى التى يجوز ألا تصح

(مثل الصلة بين امتلاك حياة سعيدة وامتلاك أبناء مهذبين)

### • روابط عرضية contingent connections

- لا تتولى الفلسفة دراستها؛

- ولا يتولى التحليل توضيحها؛

- ولا هى داخلة فى بنية لغتنا.

كلمة 'عَرَضِيّ' contingent هنا تعنى ببساطة غير مفهومي أو غير تصوري **unconceptual** . ومادمت الروابط العرضية غير تصورية، فلن يجدى أى تأمل تصوري مهما كثر فى إخبارنا بأى شئ عنها. وبالتالي فعلينا أن نكتشفها عن طريق ملاحظة العالم الخارجى.

### المناهج الفلسفية الأخرى

يمكن اعتبار معظم الجهود التى قام بها الفلاسفة فى الماضى ولا يزالون يقومون بها فى الحاضر شكلاً من أشكال التحليل، سواء من خلال الشروط الضرورية والكافية أو من خلال المعايير. غير أن هناك منهجين آخرين يستحقان منا وقفة قصيرة. فكلاهما ذو أهمية تاريخية، وكلاهما مازال يستحوذ على اهتمام كثيرين من الفلاسفة إلى يومنا هذا. إنهما منج الشك والمنهج الفينومينولوجى.

## منهج الشك

### الشك الديكارتي

يرتبط منهج الشك بالفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (1596- 1650) ، R. Descartes ، بل إن الشك المنهجي الذي دعا إليه ديكارت يوسم في الأغلب باسم "الشك الديكارتي". يقول ديكارت إن أول شيء يجب أن نبدأ به عندما نشرع في التفكير فلسفياً، أي عندما نتفلسف، هو أن نشك في كل شيء لا يرقى إلى اليقين المطلق. عندئذ سوف نجد أن معظم الاعتقادات التي اكتسبناها عن أبنائنا ومعلمينا مصادفةً (إن لم يكن بعدم اكتراث) هي اعتقادات لا ترقى إلى مرتبة اليقين المطلق. ويواصل ديكارت استدلاله قائلاً إن هذا ليس بالأمر المستغرب مادامنا قد اكتسبنا كثيراً من هذه الاعتقادات قبل أن نصبح قادرين على أن نخضعها للتحقيق العقلي.

### الاعتقاد الذي لا يقبل الشك

عندما نكبر نجد أنفسنا مثقلين بخليط من الاعتقادات الصادقة والكاذبة. إن بإمكاننا عن طريق ممارسة الشك المنهجي أن ننأى بأنفسنا عن هذا الخليط كله لكي نبدأ بداية فكرية جديدة مؤسسة عقلياً على أرضية أكثر صلابة. وتتكون هذه القاعدة الصلبة من الاعتقادات التي لا يمكن أن نشك فيها. وهي الاعتقادات التي يمكن أن نعتبرها "لا تقبل الشك indubitable".

### تقييم<sup>(٢)</sup> الشك الديكارتي

من المؤكد أن ممارسة الشك الديكارتي طريقة فعالة في تناول مجموعة من الاعتقادات التقليدية، وربما في التغلب على ميلنا إلى التشبث بها والتشيع لها دون تفكير. على أن هناك اعتراضين يوجهان دائماً ضد منهج الشك :

(٢) أجل تقويم هي الأصوب لكن مجمع اللغة العربية أقر استعمال الصيغة "تقييم" لتعني تحديد قيمة وتأمين، بينما تعني "تقويم" الإصلاح والتعديل. وصار هذا هو الشائع المستعمل وبالتالي الدال، وقد أخذنا به على أساس أن الشائع الدال أفضل من الصواب المهجور. (المراجعة)

● الاعتراض الأول : ليس من البين أننا بإمكاننا أن نقرر ببساطة التوقف عن الاعتقاد. وقد يقال، رداً على هذا الاعتراض، إن ديكارت قد زودنا بحجج مولدة للشك - حجج من شأنها أن تجعلنا نكف عن اعتقاداتنا المألوفة. والحجج الرئيسية الثلاث لديكارت هي :

(١) الحجة المستمدة من خداع الحواس: فما دامت حواسنا تخدعنا أحياناً فنحن لا نستطيع أن نثق بها ثقة كاملة.

(٢) الحجة المستمدة من الأحلام: و مفادها أنه ليس لدينا برهان حاسم على أن ما نراه الآن ليس حلمًا.

(٣) حجة الشيطان الماكر: ومؤداها أننا لا نستطيع أن نستبعد احتمال أن يكون هناك شيطان ماكر يتلاعب بعقولنا.

● الاعتراض الثاني: ليس من البين أنه ليس هناك أية اعتقادات لا تقبل الشك ، بقطع الصلة عن غيرها، يمكن أن نجعل منها قاعدة تؤسس عليها المعرفة اليقينية. بالتأكيد، هناك أشياء لا أستطيع أن أشك فيها (والشيء نفسه صحيح بالنسبة لأي شخص آخر). فإذا كان هذا نقداً سديداً، وكان الشك الديكارتي لا يؤدي إلى اعتقادات راسخة (وقائمة على أساس متين) فإنه يبقى طريقة مفيدة نحرر بها أنفسنا مما ألفناه من ثقتنا الساذجة (أو ثقتنا قبل الفلسفية).

## المنهج الفينومينولوجي

### الفينومينولوجيا

على الرغم من أن مصطلح "فينومينولوجيا" قد ورد استعماله بالعديد من المعاني المتباينة، فإنه يستعمل في الأكثر لوصف حركة فلسفية مرتبطة بإدموند هوسرل Edmund Husserl (1859-1938). فبدلاً من أن نصف العالم من حولنا بلغة الحس المشترك أو بلغة العلم، تحاول الفينومينولوجيا أن تصف حياتنا الداخلية - خبرتنا الذاتية، أو كما يسميها الفينومينولوجيون "خبرتنا المعيشة". ويتم ذلك باستخدام المنهج الفينومينولوجي.

## ملاحظة الوعي دون فروض مسبقة

يناف المنهج الفينومينولوجي من تفحص الفرد لوعيه بدقة وبلا فروض مسبقة **presuppositionless** . المصطلح المفتاحي في هذا التعريف هو " بلا فروض مسبقة". إن ملاحظتنا بصفة عامة (سواء لأنفسنا أو للعالم من حولنا) هي نتاج تفاعل عاملين: (١) ذلك الذي هناك ونحن بصدد، و (٢) المقولات **categories** التي وفقاً لها ننظم ملاحظتنا ونصنفها. وفي العادة، تتشكل ملاحظتنا وفقاً لنظرياتنا. صفوة القول إن ملاحظتنا، عادةً، تفترض مسبقاً مقولاتنا ونظرياتنا. ومن المفترض حين نستخدم المنهج الفينومينولوجي أننا نعلق مقولاتنا والتزاماتنا النظرية ونصف ما سيظهر لنا. (كلمة **phenomenon** ، أى ظاهرة، مشتقة من الكلمة اليونانية **phainesthai** ، بمعنى يظهر).

## تقييم المنهج الفينومينولوجي

رغم أن وصف الملاحظة المحضة أو المبرأة من الفروض المسبقة هو مثال أثار اهتمام كثيرين من فلاسفة القرن العشرين، فإنه يبقى من غير الواضح ما إذا كان بالإمكان ممارستها بالفعل. زد على ذلك الصعوبة الأخرى التالية: الملاحظة الفينومينولوجية للوعي تبدو قريبة الشبه للغاية بالملاحظة السيكولوجية للذات المعروفة بـ "الاستبطان **introspection**". فمن خلال الاستبطان نصبح على دراية بالمكونات الخاصة لأذهاننا، تلك المكونات التي استقرت بها لأننا بحكم سيرتنا الذاتية الخاصة قد تعرضنا لأعراف ثقافية معينة وتعليم معين وما إلى ذلك. غير أن الملاحظة الفينومينولوجية تفترض أنها تكشف البنيات الضرورية **necessary structures** للوعي أو الماهيات **essence** . فهل ثمة يا ترى أية بنيات ضرورية يمكن التقاطها بالوصف المحض بخلاف مكونات عقولنا المعتمدة على مصادفات حياتية وعوارض تاريخية؟ إن هذا يظل غير واضح. وربما كان من الملامح الضرورية للوعي بعض بنيات معينة شديدة العمومية وذات صلة بالطابع الزمني لخبرتنا، كالندم والاستباق والتوقع على سبيل المثال.

## المناهج والخوارزميات :

ثمة تعليق يجب أن نقدمه هنا. وهو تعليق ينطبق على كل المناهج الفلسفية، لكنه مفيد بصفة خاصة فى تقييم المنهج الفينومينولوجى. إن معظم الناس يصادفون فى البدء مناهج (أو طرائق لفعل شىء ما) هى فى الحقيقة تنتمى لفرع شديد الخصوصية من المناهج يعرف بالخوارزميات أو الحساب الرمزى algorithm . المنهج الخوارزمى أو طريقة الحساب الرمزى مجموعة من القواعد المتدرجة إذا ما أُتبعَت خطوة خطوة على الوجه الصحيح تؤدي دائماً وأبداً إلى إجابة محددة أو حل دقيق. إن الخوارزميات، بعبارة أخرى، هى مناهج مضمونة لا تخفق بأية حال. فالعمليات الحسابية الأساسية من جمع وطرح وضرب وقسمة هى من هذا الصنف (خوارزميات). وحيث أن تطبيق الخوارزميات، لأى مناهج الحساب الرمزى لا يتطلب إبداعاً أو حكماً، فليس من المستغرب أن تكون هذه المناهج هى بعينها التى يمكن برمجة الكمبيوتر لكى يؤديها.

من الفاحية الأخرى، ليس هناك منهج فلسفى هو لوغاريتمى الطابع. مناهج التحليل، سواء بلغة الشروط الضرورية والكافية أو بلغة المعايير، تتطلب أحكاماً عما هو محورى بالنسبة للمفاهيم، وما هو غير محورى فى كل خطوة من خطوات التطبيق. أما عن الطريقة الفينومينولوجية، فهى من جهتها تتطلب شيئاً أقرب إلى فن واحد من الروائيين العظام - مثل بروسست أو جيمس - لكى تؤتى نتائج ذات شأن. ولقد كان الظن السائد فى يوم من الأيام أن الطبيعة اللا حسابية، أى اللا خوارزمية للفلسفة هى الفارق الحاسم بينها وبين العلوم الطبيعية. غير أننا نعلم اليوم أنه حتى فى العلوم الطبيعية ليس هناك نظرية أو اكتشاف هام نتج عن تطبيق منهج حسابى أى خوارزمى. (انظر مناقشة العلم فى الفصل الثالث).

## المجالات الرئيسية للفلسفة

تنقسم الفلسفة إلى عدة فروع، يمكن تعريف كل فرع منها فى حدود الأسئلة التى يحاول الإجابة عليها. وسوف نحاول فى هذا الفصل أن نقدم الملامح الأساسية لكل فرع منها، فيما عدا المنطق. فقد جرى العرف على أن يدرس المنطق، وهو البحث

المنهجى لكل أنماط الحجج، فى مقرر دراسى منفصل. على أية حال سوف نقوم بتعريف أى مصطلح أو مفهوم منطقى يعرض لنا طوال هذا الكتاب كلما احتجنا إلى ذلك فى فهم المادة المعروضة.

ومن الضرورى أن نشير إلى أن أى نشاط بشرى يتضمن مفاهيم محيرة يمكن أن يولد تأملاً فلسفياً. فحيثما يوجد نشاط ذو أهمية نظرية - ولنرمز إليه بالرمز س - فنتمّ مجال لـ " فلسفة س "؛ مثلاً يوجد الآن فرع حديث للفلسفة يسمى فلسفة القانون. ومثل هذه الأفرع المولدة يمكن النظر إليها باعتبارها امتدادات للأفرع التقليدية الكبرى للفلسفة. فمن المناسب على سبيل المثال أن ينضوى فرع مثل فلسفة القانون تحت مجال الفلسفة الاجتماعية والسياسية.

## الإبستمولوجيا

يمكن أن نعرف الإبستمولوجيا، وتسمى أيضاً نظرية المعرفة، فى حدود سؤالين مفتاحيين. هما: (١) ما هى المعرفة؟ و (٢) كيف يكتسب البشر المعرفة؟ إن تناول هذين السؤالين يتضمن تحليل مفاهيم من قبيل الاعتقاد belief والصدق truth والتبرير justification . كيف يمكننى التيقن من أن اعتقاداتى صادقة؟ إننى أعرف أن الناس أحيانا ما يعتقدون أشياء دون أسباب وجيهة، دون دليل حقيقى. إذن ما الذى ينبغى أن يعد أسباباً وجيهة أو أدلة حقيقية بالنسبة لمختلف ضروب الاعتقاد؟ إن أهمية هذه الأسئلة التى تطرحها الإبستمولوجيا تتخطى المجال الأكاديمى مادام كل نشاط عملى نقوم به يتكى بالضرورة على معرفةٍ أو، إن شئت الدقة، على ما نعتقد أنه معرفة.

## فلسفة العلم

تعرف فلسفة العلم فى حدود السؤال المفتاحى: ما الذى يفسر هذا النجاح الباهر للعلم؟ لقد حققت الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا، ولا تزال تحقق، تقدماً مستمراً فى كشف ملامح هذا العالم بصورة تزداد دقة يوماً بعد يوم. إن هذه العلوم تزودنا بمعلومات دقيقة. وهذه المعلومات تمنحنا فيما تمنح أساساً للتكنولوجيا الحديثة. ليس هذا فحسب، إنها تمدنا أيضاً بتفسيرات مقنعة فكرياً لقطاع عريض من الظواهر الطبيعية.

كلمة "علم" تشير بشكل عام إلى العلوم الطبيعية، أى العلوم التى تتناول الظواهر الفيزيكية القابلة للقياس الموضوعى، كما هو حال الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا. غير أن هناك أيضاً علومًا "إنسانية" أو "اجتماعية" مثل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والأنثروبولوجيا؛ فإن أيًا منها لم يحقق حتى اليوم النجاح الذى حققته العلوم الطبيعية، وفلسفة العلم تبحث عن سبب ذلك. ربما كان هناك شيء ينفرد به البشر من شأنه أن يجعل سلوكهم غير قابل للتنبؤ من حيث المبدأ. وفى الفصل الثالث من هذا الكتاب نعرض محاولتين لمعالجة هذه الصعوبة : الأولى مفادها أن العلوم الإنسانية قد تساعدنا على فهم السلوك الإنسانى على الرغم من استحالة التنبؤ بمجرى سلوك فرد بعينه بشكل مفصل. والثانية مؤداها أن التنبؤ الإحصائى بالسلوك الإنسانى الإجمالى ممكن، بل كاشف أيضاً ومفيد عملياً، حتى لو استحال التنبؤ بالسلوك الفردى.

## الميتافيزيقا

تعرف الميتافيزيقا، التى تسمى أيضاً الأنطولوجيا، فى حدود السؤال التالى: ما الذى يوجد؟ قد يبدو هذا السؤال بسيطاً، لكنها بساطة خادعة. لأن هذا السؤال يتضمن تقابلاً هو أكثر التقابلات التى عرضت للفكر البشرى أساسيةً وشمولاً، وهو التقابل بين المظهر appearance والواقع reality . إننا نستمد صورة الواقع إلى حد كبير من العلوم. فلولا العلوم الطبيعية ما كنا لنعلم شيئاً عن الإلكترونات والثقوب السوداء والكواركات<sup>(٤)</sup>..... الخ. فما حاجتنا إذن إلى الميتافيزيقا؟ الإجابة عن ذلك ببساطة شديدة هى أننا لا نضمن أن كل ما هو حقيقى فى هذا الوجود يصب بالضرورة فى مخزون أحد العلوم. هل الله موجود؟ هل لدى نفس؟ هل الملائكة كائنات حقيقية؟

(٤) الكوارك quark هو أحد الجسيمات الأولية التى يعتقد أنها الوحدات البنائية الأولى للمادة. ورغم أن الفيزياء الحديثة لم تتحقق من وجود هذا الجسيم على وجه اليقين بالتجربة العملية، إلا أن وجوده أمر راسخ لأنه الأساس البنائى النظرى الأوحى المحتمل لجسيمات أولية أخرى تثبت وجودها بالتجربة العملية مثل الهادرونات التى تعتبر المكونات الأساسية لبروتونات النواة.

(المترجم) McGraw-Hill Encyclopedia of Physics, 2nd edition, 1993. P. 1123-1129.

تلك أسئلة راودت عقول المتأملين من البشر وستظل تراودهم، بينما يقف العلم دونها مكتوف الأيدي.

وهناك مبحث ميتافيزيقي آخر ذو أهمية، يبحث وجود الموضوعات المجردة abstract object : مثلا الأعداد والفئات والمفاهيم والقضايا. إن السؤال الذي يسترعى النظر هنا هو: هل لهذه الأشياء وجود مستقل عن تفكير الإنسان؟ هب أنه ليس هناك أية كائنات بشرية كيما تفكر في هذه المجردات: هل ستظل الأعداد والفئات والمفاهيم والقضايا موجودة؟ إن طبيعة الحقيقة الرياضية هي أحد المباحث الرئيسية لفروع من فروع الفلسفة يُسمى فلسفة الرياضيات.

## فلسفة العقل

يمكن تعريف فلسفة العقل philosophy of mind ، وتُسمى أحيانا علم النفس الفلسفي، في حدود الأسئلة الأساسية التالية : (١) ما هي طبيعة العقل the mental ؟ (٢) كيف ينبغي أن نفهم حدودا من قبيل القصد والرغبة والاعتقاد والعاطفة واللذة والألم؟ (٣) كيف يمكن أن تتدخل تلك الحدود التي تشكل توصيف حياتنا العقلية في تفسير الفعل البشري (لاحظ أن بعض جوانب هذه الأسئلة تدخل أيضا في نطاق الميتافيزيقا). هناك أيضا فلسفة علم النفس وهي مبحث يتناول بالتأمل النظريات الفعلية والجهود البحثية لعلماء النفس المعاصرين، وقد يلقي بعض الضوء أيضا على مسائل تدخل عادة ضمن فلسفة العقل.

## فلسفة اللغة

تبحث فلسفة اللغة في المسائل التالية : (١) ما هي طبيعة الرابطة بين الفكر واللغة؟ (٢) ما الذي يجعل العبارات التي نستخدمها ذات معنى؟ (٣) كم نوعاً من المعاني هناك؟ (٤) كيف يمكننا أن نستخدم تتقاً ضئيلة من الواقع لتشير إلى العالم الكائن خارج اللغة؟ (٥) هل قدرتنا على استعمال اللغة هي قدرة فطرية؟ وإلى أي حد؟

## علم الأخلاق

يُعرف علم الأخلاق Ethics ، ويسمى أيضا الفلسفة الخلقية، في حدود الأسئلة التالية: (١) ما هي الأخلاقية morality ؟ (٢) على أي أساس نصنف أفعالنا تحت مقولات المباح خُلُقياً وغير المباح والمُلزم أو الواجب؟ (٣) ما مدى الصلة بين الأخلاقية والدين؟ (٤) وما مدى الصلة بين الأخلاقية والشرعية القانونية؟

إن الأسئلة الخلقية أو قد تطرح نفسها علينا مباشرة كأسئلة عملية وملحة بدرجة أو بأخرى عما ينبغي فعله أو ينبغي تجنبه هنا والآن، أو أنها قد يغلب على هذا أن تخامرنا بوصفها أسئلة تأملية حول تصنيفاتنا الأخلاقية – معناها ومغزاها، مسوغاتها.. قد تُسمى الأسئلة العلمية أسئلة الدرجة الأولى first-order questions ، بينما تُسمى الأسئلة الأعمق في التأمل أسئلة الدرجة الثانية أو الميتا أسئلة أو الأسئلة البعيدة . meta-question

## الفلسفة الاجتماعية والسياسية

قد تُعالج الفلسفة الاجتماعية والسياسية كوحدة واحدة (وبهذا تُسمى الفلسفة السوسيوسياسية sociopolitical philosophy)، وتُعرف في حدود الأسئلة الأساسية التالية: (١) ما مدى ارتباط مسائل الأخلاق الشخصية بوجودنا كأعضاء في تجمعات أكبر مثل العائلات والبلدان؟ (٢) ما هو الفرق الذي يترتب على كونى مواطن فى دولة؟ (٣) من أين تتأتى الدولة؟ ومن أين تواتيها سلطتها؟ (٤) هل ينبغي علينا إطاعة قوانين البلاد؟ ولماذا؟ (٥) متى ينبغي أن تتغير قوانين البلاد؟ إن الفلسفة الاجتماعية والسياسية تقدم لنا السياق الطبيعى للأخلاق، الذى فيه ننظر مسألة ما هو نوع الحياة التى ينبغي أن نصبو إليها بحق. وهنا يبرز سؤال : ما هى العلاقة الكائنة بين الحياة المرغوبة لشخص ما والحيوات المرغوبة للآخرين من حوله؟ هل هى علاقة تنافس؟ هل هى علاقة تعاون أم علاقة عدم اكتراث؟

## فلسفة الدين

تُعرَّف فلسفة الدين فى حدود الأسئلة الأساسية الآتية: (١) هل اللغة الدينية معنى معرفى؟ (٢) كيف نفصل القول بين الإيمان والإلحاد واللا أدريّة؟ (٣) هل يمكن البرهنة على وجود أو عدم وجود الرب<sup>(٤)</sup>؟ (٤) هل الإيمان الدينى لا علاقة له بالعقل؟ من الواضح أن الأسئلة تنتمى أيضاً إلى الميتافيزيقا مادامت تلامس قضية وجود الرب. على أن السؤال حول وجود الرب يتأتى مع فلسفة الدين بطريقة مختلفة إلى حد ما، ذلك أن وجود الرب جانب مما يمكن أن نسميه "الصورة الدينية للعالم". إذن، هل هذه الصورة ككل ذات معنى معرفى؟ هل يمكن مثلاً أن نطرح تحليلاً متسقاً مترابطاً لمفهوم الألوهية؟ هل ثمة ما يدفعنا إلى البحث فيما إذا كانت الصورة الدينية للعالم صورة صحيحة؟

ولابد أن نذكر هاهنا موضوعين من مواضيع فلسفة الدين لهما أهميتهما. الأول هو أنه من الناحية التاريخية ترتبط الصورة الدينية للعالم ارتباطاً وثيقاً بمعنى الحياة الإنسانية؛ وإذا لم تكن هذه الصورة صحيحة، فهل ثمة أساس آخر يضيف المعنى على الحياة الإنسانية؟ أما الموضوع الثانى فهو أن ثمة شداً وجذباً، إن لم يكن تنافر تام، بين أن تكون اللغة الدينية صحيحة وبين وجود الشر فى العالم. وهذا ما يعرف عادةً بـ"مشكلة الشر". هذا التوتر، وربما التنافر، يتأتى من أن الغالبية العظمى من المتدينين يؤمنون بالرب بوصفه ذا قدرة شاملة وخير شامل. وهكذا فإن الرب قادر على استئصال الشر من جنوره - ويُفترض أيضاً أنه يشاء ذلك.

## علم الجمال

يُعرَّف علم الجمال aesthetic، الذى يشمل أيضاً فلسفة الفن، فى حدود الأسئلة المحورية التالية: (١) ما هو الجمال؟ (٢) ما الذى يجعل الشئ عملاً فنياً؟ (٣) لماذا تعد الأعمال الفنية شديدة الأهمية؟ (٤) هل الأحكام التى تصدرها بشأن ما يُعد حقاً عملاً

(٤) ورد "الرب" وليست لفظة الجلالة "الله"، لأن لفظة الجلالة "الله" ارتباطاً بالدين الإسلامى، والرب أكثر ارتباطاً بالسياق الغربى المسيحى الذى يتحدث فى إطاره المؤلف. (المراجعة).

فنياً وبشأن القيمة النسبية لمختلف الأعمال الفنية هي أحكام موضوعية أم أحكام ذاتية؟

لقد دأبنا في موروثنا الثقافى على اعتبار الأعمال الفنية أكثر من مجرد مصادر للمتعة. وذلك لسبب وحيد: إذ يُقال إننا نتعلم من الأعمال الفنية شيئاً ما عن أنفسنا وعن العالم. فكيف يتأتى ذلك؟ إن الحرب والسلام لتولستوى على سبيل المثال تُصنف كرواية.. كنوع من القصص الخيالى fiction أكثر مما هي كتاب فى التاريخ أو علم الاجتماع أو علم النفس. فكيف يمكن لرواية أدبية أن تعلمنا شيئاً عن العالم؟

## مجل

الفلسفة هي المبحث الأكاديمى الوحيد الذى يعنى بوضوح المفاهيم ويجعله محور اهتمامه وبؤرة تركيزه. ومن ذلك أن النموذج التعليمى الشائع يقدمها لنا فى صورة التقدم من الجهل إلى المعرفة. غير أن التقدم فى الفلسفة لا يمكن أن نتصوره بهذه الطريقة. التقدم فى الفلسفة هو التقدم من التمكن الجزئى من المفاهيم إلى التقدم الشامل، من الخلط إلى الوضوح، من تخبط المفاهيم إلى التفهم التام لها. هذا على أن نسلم بأن التمكن الكامل والتفهم التام للمفاهيم المحورية الكبرى إنما هو مطلب مثالى لا يسعنا أن نطمح إلى بلوغه. كل ما نأمله فى سعيينا تجاهه أن نحقق شيئاً من التقدم. ومثل هذا التقدم فى مجال الفلسفة لا يتم إلا كرحلة فردية وكدح شخصى. صحيح أن هناك سبلا كثيرة يمكن أن تجعل من الفلسفة جهداً مشتركاً ومهمة جماعية، شأنها فى ذلك شأن العلم، إلا أنه على كل شخص فى النهاية أن يفهم لنفسه، وألا يكل إلى غيره أن يفهم نيابة عنه ( أفهم لى ذلك من فضلك - هو نموذج لطلب مستحيل!).

تتم عملية توضيح المفاهيم أو تبيانها فى مجال الفلسفة عن طريق نوعين من تحليل المفاهيم: (١) التحليل بواسطة الشروط الضرورية والكافية. (٢) التحليل بواسطة المعايير. يُضاف إلى ذلك بعض المناهج الأخرى التى لا تخلو من فائدة، مثل منهج الشك والمنهج الفينومينولوجى.

يمكننا تعريف كل مبحث من المباحث الفلسفية الكبرى فى حدود عدد قليل من التساؤلات المحورية. وهى تساؤلات تنصب على المفاهيم كأحرى من أن تنصب على الحقائق والوقائع. أو لنقل بعبارة أخرى إن بإمكاننا أن نعرف المجالات الأساسية للفلسفة فى حدود المفاهيم العسيرة المختلطة التى تسعى إلى توضيحها، وهى عينها المفاهيم التى تنتج المشكلات وتؤدى إليها. وعلى الرغم مما لهذه الطريقة فى تعريف أفرع الفلسفة من فائدة، فإننا لا يجب أن ننظر إلى الخطوط الممدودة بين المجالات المختلفة على أنها فواصل صارمة. فقد يتقاطع مبحث أحد المفاهيم مثلاً مع حدود كل من الميتافيزيقا وفلسفة العقل وفلسفة اللغة. والحق أن كثيراً من العمل المعاصر الجارى فى الفلسفة والأكثر إثارة وتشويقاً هو عمل عابر للحدود بهذا المعنى.

## الفصل الثانى

### الإبستمولوجيا

#### مدخل

يقدم لنا هذا الفصل تحليلاً فلسفياً كاشفاً لمفهوم المعرفة knowledge . والمعرفة، كما يكشف عرضنا، يمكن أن نفهمها فى حدود الاعتقاد belief والصدق truth والتبرير justification . إن كل فكرة من الأفكار الواردة فى المحلل هى عبارة عن "س يعرف أن ق" وتحتاج بدورها إلى التحليل، ومن ثم أخذنا نبحت فى طبيعة الاعتقاد وطبيعة الصدق وطبيعة التبرير.

إن المعرفة لمثال جيد لمفهوم نمتلكه جميعاً ونستخدمه من دون أن نستطيع معظمنا من غير الفلاسفة تفسيره بوضوح. زد على هذا أن المعرفة هى أساس كل تخطيط أو فعل، مما يجعل استجلاءنا لشروط المعرفة الحقيقية شيئاً على جانب كبير من الأهمية العملية.

#### أصل الكلمة

تأتى كلمة إبستمولوجيا من كلمتين يونانيتين: إبستميه *épistème* وتعنى معرفة، ولوجوس *logos* وتعنى دراسة كذا (أو نظرية كذا). وفى اللغة الإنجليزية يستعمل تعبير 'نظرية المعرفة' *theory of knowledge* بالتعاضد مع كلمة

إبستمولوجيا<sup>(١)</sup> (أى يجوز استعمال أحدهما مكان الآخر). وقد كانت كلمة إبستميه épistème فى العالم القديم تقابل كلمة بوكسا doxa وتعنى الاعتقاد، إلا أنه الاعتقاد بمعنى "مجرد الظن"، أى معنى يقصر عن أن يكون معرفة أصيلة. وبلغة هذه المقابلة القديمة يمكننا أن نضع السؤال الجوهرى للإبستمولوجيا على هذا النحو: كيف يمكن للدوكسا أن تتحول إلى إبستميه؟

## المعرفة

### التحليل القياسى للمعرفة

يعتبر مفهوم المعرفة مرشحاً مثالياً لتطبيق التحليل الفلسفى. فهو أولاً مصطلح ليس بالغريب ولا هو مصطلح فنى متخصص. بإمكاننا جميعاً أن نستعمل الاسم 'معرفة' ومختلف أشكال الفعل 'يعرف'، بل نحن نستعملها فعلاً بكثرة وبطريقة صحيحة تماماً. وفى مجرى حياتنا العادية كثيراً ما نرفض ادعاءات الأشخاص الذين يفتون فى كل شىء، وكثيراً ما يكون رفضنا لتلك الادعاءات وجيهاً وله ما يسوغه ( وفى الواقع يجب الاعتراف بأنه ما من أحد منا مبرأ من المبالغة فى تقدير معرفته وإلمامه بالأشياء، وهذا داء يستلزم الكثير من العلاج الفلسفى). ومهما يكن الأمر، نحن لا نملك من فورنا منطوقاً واضحاً ودقيقاً لما عسى أن ينطوى عليه مفهوم المعرفة.

(١) على الرغم من أن حديث المؤلف مناسب تماماً لدخل مبسط فى الفلسفة، إلا أننا يجب أن نلفت نظر القارئ إلى أن مفهوم الإبستمولوجيا فى أغلب الخطاب الفلسفى المعاصر قد تعقد كثيراً بحيث لم تعد الكلمة تعنى ما كانت تعنيه فى الماضى، أى لم تعد هى نظرية المعرفة التقليدية. فهذه الأخيرة تهتم بجميع ألوان المعارف دون تخصيص، أى بقدرتنا العارفة أياً كان موضوع المعرفة. بينما اختصت الإبستمولوجيا الآن بصنف خاص من المعرفة هو المعرفة العلمية. وربما زاد الأمر تعقيداً إذا عرفنا أنه لم تعد هناك إبستمولوجيا عامة. فالإبستمولوجيا هى نظرية الإنتاج النوعى للمفاهيم العلمية: أى النظرية التى تهتم بتشكيل نظريات كل علم على حدة. وبذلك يتعذر الحديث عن "الإبستمولوجيا" باللف ولام التعريف، لكى ينتقل إلى "إبستمولوجيات جهوية" على حد قول جاستون باشلار: إبستمولوجيا الرياضيات، إبستمولوجيا العلوم الطبيعية أو الحيوية أو الإنسانية.... الخ يقول باشلار فى كتابه "فلسفة لا": "فى اعتقادنا أن مهام فلسفة العلوم تطرح فى مستوى كل مفهوم على حدة: فكل افتراض وكل نقطة، كل تجربة وكل معادلة تتطلب فلسفتها الخاصة". (المترجم)

من حسن الحظ أن الفلاسفة قد طوروا تحليلاً لمفهوم المعرفة يحظى هذه الأيام بقبول عريض. وطبقاً لهذا الوصف القياسي، تكون المعرفة هي الاعتقاد الصادق المبرر. ويمكن التعبير عن هذا بشكل تحليلي واضح كما يلي :

س يعرف أن ق إذا وفقط إذا كان :

(١) س "يعتقد" أن ق؛

(٢) من "الصادق" أن ق؛

(٣) س لديه ما "يبرر" اعتقاده أن ق (إذا كان س يعتقد أن ق)

على سبيل المثال، أعرف أن  $٢ + ٢ = ٤$ ، في حالة ما إذا كنت (أو فقط عندما) أعتقد أن  $٢ + ٢ = ٤$ ؛ والحق أن  $٢ + ٢ = ٤$ ، ولديّ مبرر لاعتقادي أن  $٢ + ٢ = ٤$ . وبالمثل أنت تعرف أن الكلب في الفناء الخلفي فقط في حالة ما إذا كنت تعتقد أن الكلب في الفناء الخلفي، وكان ذلك هو المكان الذي يوجد فيه الكلب. ، وكان لديك ما يبرر اعتقادك.

إذا طبقاً للتحليل القياسي هناك ثلاثة شروط ضرورية للمعرفة: (١) شرط الاعتقاد، (٢) شرط الصدق، (٣) شرط التبرير. ولا يمكن لمن أخل بأحد هذه الشروط أن يعرف أن ق. وأيضاً يدعى التحليل القياسي أن هذه الشروط الثلاثة كافية حين تؤخذ مجتمعة - أي أنه ليس ثمة متطلب آخر يجب توافره لكي تكون معرفة.

### التمييز بين 'معرفة أن' و 'معرفة كيف'

إن التحليل القياسي للمعرفة هو تحليل لـ "معرفة أن كذا". غير أنه يجب التمييز بعناية بين "معرفة أن..." و "معرفة كيف...". فأن تعرف كيف تقود دراجة، أو كيف تخبز كعكة الأناناس المقلوبة، أو كيف نقف على أيدينا - فتلك هي معرفة كيف، أو المعرفة بوصفها مقدرة. ونحن عادة ما نعجز عن أن نعبر عنها بالألفاظ؛ فمثل تلك المعرفة يتم تعليمها بأن أريك لا بأن أقول لك.

ويطلق على المعرفة حين نعى بها 'معرفة أن': "معرفة قضوية"<sup>(٢)</sup> [نسبة إلى قضية] propositional knowledge والحقيقة أن ق في كل من 'يعتقد أن ق' و 'يعرف أن ق' تسمى متغير قضوى propositional variable . ومن المفترض عادة أن المعرفة القضوية، بخلاف 'معرفة كيف'، يمكن التعبير عنها باللفظ تعبيراً تاماً.

وقبل أن نواصل تحليل المعرفة، نحتاج إلى وقفة نقول بها شيئاً عن القضايا.

## الجمال التقريرية والعبارات والقضايا

تقتضى فكرة "القضية" أن نتدرج إليها فى مراحل عديدة، وكبداية يجب أن نلاحظ أن كل الجمل اللغوية التى نستعملها يمكن أن تنقسم إلى جمل تحمل 'قيم صدق'، وأخرى لا تحمل 'قيم صدق'. انظر فى ذلك هذه الجمل :

(٢) بدت أفضل الصيغ هى النسبة إلى كلمة 'قضية'، أى 'قضوى'، وهى الترجمة الحرفية للصفة propositional الإنجليزية. وقد نجحنا زمناً فى التهرب من ١٥ ت النسبة المستقلة بالجوء إلى الإضافة، فترجمنا مثلاً propositional function إلى 'دالة قضوية' وليس 'دالة قضوية'. إلا أن الإضافة لا تسعفنا البتة فى ترجمة المصطلحات الأحدث مثل propositional attitude أى 'المواقف القضوية'، وهى مصطلحات شاعت كثيراً فى الفلسفة الجديدة وتواتر استعمالها وبخاصة فى مبحث 'فلسفة العقل'، ودخلت فى سياقات عديدة يستحيل فيها التعبير بالإضافة. وقد حاول بعض الأساتذة المعنيين بالترجمة حل هذه المشكلة بالتخلص من لفظة 'قضية' ذاتها! فترجم د. محمد عنانى (المصطلحات الأدبية الجديدة) مثل مصطلح propositional acts إلى 'أفعال إخبارية'، كما ترجم مطاع صفدى (ما هى: الفلسفة: جيل دولوز - فليكس غتارى) كلمة propositionnel الفرنسية إلى 'حمل' (استدلالي) وشفع ذلك بحاشية توضح ما يقصد إليه. وفى المقابل نجد بعض المناطقة مثل د. محمد قاسم ساروا فى اعتماد مصطلحات 'القضوى' و 'القضوية'. وهذا هو الموقف السليم، إذ أنى لا أرى ما يدعو إلى تنكب لفظة فلسفية عديدة الإلف بالغة الأهمية مثل لفظة 'قضية' اكتسبها المعجم العربى وامتلكها امتلاكاً، وأرى أن نتجه إليها مباشرة وننسب نسبة قياسية فنقول 'قضوى' وأدعو المترجمين والكتاب إلى استخدام هذه الصفة كلما لزم الأمر وحكم السياق: أسوة بكلمة 'خلوى' نسبة إلى 'خلية' وأموى' نسبة إلى 'أمية'، وكثير من الكلمات الدارجة مثل فروى وعلوى ونبوى وسنوى وشفوى، والكلمات البيولوجية مثل حيوى ورنوى وكلوى ونوى وعصوى، والكلمات السياسية مثل وحدوى وسلطوى ونخبوى. وعسى أن يتكفل الاستعمال والإلف بتخفيف النبوة عن لفظة 'قضوى' كما فعل من قبل بإزاء مصطلحات فلسفية أخرى من مثل 'جهوى' modal و 'ماموى' .... (المترجم)

(١) كم عمرك؟

(٢) ما أحلى الشباب!

(٣) اغلق الباب.

(٤) زيد طوله ٢,٨٥٢ قدماً.

إن الجمل الثلاث الأولى، وعلى التوالي استفهامية وتعجبية وطلبية، لا هي صادقة ولا كاذبة. ولا معنى لأن تسأل فور نطق أى منها : "هل هذا صادق؟" (وتستطيع أن تثبت ذلك لنفسك بتجربة ذهنية بسيطة). ومن الجدير بالملاحظة أن كل الجمل الاستفهامية والتعجبية والطلبية تفترض أن هناك شيئاً ما صحيحاً، أو قل إنها تحمل افتراضات مسبقة *presupposition* صادقة أو كاذبة.

أما بالنسبة للجمل التقريرية، مثل "زيد طوله ٢,٨٥٢ قدماً" فمن المعقول تماماً أن تسأل بعد النطق بها: "هل ذلك صحيح؟". من الواضح أن هذه الجملة إما صادقة وإما كاذبة، ونحن نفهم ذلك حتى لو اتفق أننا لا نعرف إن كانت حقاً صادقة أم كاذبة.

وقد اتُفقَ على أن تسمى هذه الجمل التي تحمل قيم صدق مثل "زيد طوله ٢,٨٥٢ قدماً" باسم العبارات. ومفهوم العبارة له أهمية كبيرة في المنطق، لأن مكونات الحجج يجب أن تكون عبارات. ومع هذا قد يسأل سائل: ما فائدة العبارة *statement* كمصطلح فنى في المنطق، مادام لدينا بالفعل مصطلح الجملة التقريرية *declarative sentence* المأخوذ من النحو؟ وحقيقة الأمر أننا نحتاج إلى مصطلح "عبارة" لأنه ليس كل الجمل التقريرية عبارات. جملة من قبيل "بعض الأعداد الخضراء كسولة" على الرغم من أنها جملة تقريرية، ليست صادقة ولا كاذبة، ومن ثم فهي ليست عبارة. ولكي نصدق مثل هذه الجملة علينا أن نعتقد لجنوننا أن هناك أعداداً خضراء بل وأن بعضها كسول! ولكي نكذبها فعلياً أن نعتقد، أيضاً لجنوننا، أنه لا كسل في الأعداد الخضراء، أى أن هناك بعض الأعداد يتسم بالخضرة غير أنه من الخطأ أن نرمى أياً منها بالكسل! والحق أن "بعض الأعداد الخضراء كسولة" هي مثال جيد للعبارة الزائفة أو شبه

العبارة pseudo-statement ، التي أحيانا ما تبدو وكأنها عبارة (فقط لكونها تقريرية من الناحية النحوية) ولكن سرعان ما يتكشف زيفها، فهي ليست عبارة، لأنها تفتقر إلى قيمة صدق.

وعلى الرغم من أن العبارات هي على وجه التحديد ما نضعه مكان 'ق' في تعبيرات مثل 'يعتقد أن ق' و 'يعرف أن ق'، فإننا يجب أن نعلم أن التعبيرات والعبارات والقضايا ليست شيئا واحداً. العبارة ترمز إلى القضية التي تعبر عنها، بالطريقة نفسها التي ترمز بها كلمة 'اكتشاف' لمفهوم الاكتشاف. ولا ننسى أن هناك كلمات أخرى غير كلمة 'اكتشاف' تفيد المفهوم نفسه (كلمات بعدد لغات الأرض) مثل كلمة discovery وكلمة découverte وكلمة Entdeckung. وينسحب الشيء نفسه على العبارات، فجملة "إنها تمطر" تفيد قضية إنها تمطر، شأنها في ذلك شأن الجملة الإنجليزية "It is raining" والجملة الفرنسية "Il fait pluir" والجملة الألمانية "Es regnet" ، فكلها تفيد القضية ذاتها، وهي أن السماء تمطر.

إذن اعتقادك أن السماء تمطر هو شيء مختلف عن اعتقادك أن الجملة العربية "السماء تمطر" صادقة. ورغم أنك إن كنت من الناطقين بالعربية فربما ضمنت الاعتقادين: الاعتقاد بصدق الجملة واعتقادك عن الطقس. والناطق باللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية (بافتراض أنه لا يعرف غير لغة واحدة) قد يضمر الاعتقاد نفسه عن الطقس دون أن تكون لديه أية فكرة عما عساه أن يكون صادقا من الجمل العربية. إن الاعتقاد حول الطقس غير الاعتقاد حول الكلمات، وهذا هو الذي يُمكن الناس من أن يعتقدوا الشيء نفسه على اختلاف لغاتهم.

ربما تكون هذه الملاحظات كافية لكي توضح لنا أن القضايا والعبارات ليست بالشيء الواحد. العبارات هي دائماً عبارات في لغة معينة. وقد يصادف الطلاب الكلمتين 'قضية' و'عبارة' تستعملان كمترادفين وبخاصة في الكتب القديمة. ولذا لزم التنويه بأن الاستعمال الحديث لكلمة 'عبارة' يربطها بلغة معينة، ويجب أن يقر ذلك في أذهاننا ما دامت العبارة هي نوع من الجمل (الجمل التي تحمل قيمة صدق)

والجمل هي دائماً وأبداً جمل من لغة بعينها. أما القضية فتعرفُ بشكل أكثر تجريداً، وبمعزل تام عن اللغات الخاصة. القضية هي ما تقرره (ما تقضى به العبارة). فعبارة "السماء تمطر" تقرر أن السمااء تمطر. وعبارة "It is raining" تقرر أن السمااء تمطر، وكذلك عبارة "Il fait pluie" وعبارة "Es regent" نحن إذن تلزمنا عبارات تنتمي إلى لغات بعينها كيما نعبر عن أو (نقرر) قضايا، غير أن هذا الذي يُعبر عنه أو يُقرر لا ينتمي إلى لغة بعينها<sup>(٢)</sup>.

### المواقف القضية

كثير من الأفعال في الإنجليزية تأخذ في صيغة المفعول تعبيرات من الصورة "that p" أن ق، وبالإمكان تعميم ذلك على باقى اللغات. ويقال عن هذه الأفعال إنها تعبر عن مواقف قضية propositional attitude. فعندما يعتقد الناس أن ق، أو يشكون فى أن ق، أو ينكرون أن ق، أو يخشون أن ق، أو يتمنون أن ق، وهلم جراً... فإننا ننسب إليهم الموقف القضى. ويندرج البحث الفصل فى هذه المواقف القضية ضمن فلسفة العقل. يعيننا هنا هنا مسألة "يعتقد أن ق" لأنه الموقف القضى الذى يعد جزء من تحليل المعرفة.

(٢) هناك وجهة حديثة فى الرأى يطلق عليها "عدم التحديد فى الترجمة" أو "عدم تحديد الترجمة" - indeter- minacy of translation ، بمعنى أنه ليس هناك شىء من قبيل الترجمة الصحيحة جذرياً من لغة إلى لغة أخرى. وقد تزعم الفيلسوف الأمريكى ويلارد كواين (1908-2000) W. V. Quine هذا الرأى وكشف عنه فى كتابه (الكلمة والشىء). من شأن هذا المذهب أن ينفى هوية القضايا أو ينفى وجود معايير سديدة لبوية القضايا. لقد دأب الفلاسفة على أن يعتبروا الصدق/الكذب صفة للقضايا، وأن الجمل اللغوية لا توصف بالصدق أو الكذب إلا من حيث هي معبرة عن قضايا. غير أننا لا نعدم الآن من يقول إن القضايا هي الظلال غير اليقينية لما هو معطى بالتجربة. وليس معطى بالتجربة غير منطوقات لفظية utterances ترد فى سياقات محددة. إن مذهب عدم تحدد الترجمة له متضمنات لغوية وسيكولوجية هامة. وهو يعد صيغة من صيغ الشك الحديث فى وجود معنى محدد، والذى بات سمة مميزة لاتجاهات ما بعد الحداثة postmodernism (المترجم).

## الاعتقاد

### الاعتقاد بوصفه شرطاً ضرورياً للمعرفة

ينص الشرط رقم (١) فى التحليل القياسى للمعرفة على أننا لا يمكننا أن نعرف شيئاً لا نعتقده. أو بعبارة أخرى، لا يمكن أن تكون لدينا معرفة من دون اعتقاد (بينما يمكن بالتأكيد أن تكون لدينا اعتقادات لا ترقى إلى أن تكون معرفة). إن ما يشكل معرفة هو بالتحديد تلك الطائفة من الاعتقادات التى تتصف بأنها صادقة ومبررة معاً. ورغم أن هذه طريقة طبيعية تماماً فى النظر إلى المعرفة، فهى لم تسلم من النقد.

### الأمثلة المضادة المزعومة لضرورة الشرط (١)

يدعى التحليل القياسى أن الشرط (١) ضرورى. وقد أثارت هذه الضرورة محاولات لتقديم أمثلة مضادة<sup>(٤)</sup> على شاكلة الأمثلة التالية :

● إننى أعرف أن التدخين يسبب السرطان، ولكنى لا أعتقد ذلك.

● أعرف أنى سأمت فى يوم من الأيام، ولكنى لا أعتقد ذلك.

● أعرف أن والدى قد تضاجعا مرة واحدة على الأقل.

لا شك أنه يرد على السنة الناس مثل هذه الأقوال، لكن العبرة هنا بما يعنونه بالفعل؛ فهل هم يعنون حرفياً أنهم لا يعتقدون فى شىء، يقولون إنهم يعرفونه؟ إن ما نسأل عنه فى الواقع هو - بصيغة تخطيطية - ما إذا كانت "معرفة أن ق مع عدم

(٤) المثال المضاد counter example, counter-instance . هو مثال يدحض دعوى ما عن موضوع ما. أو بعبارة أخرى ، هو حالة معينة تبين أن تعميماً ما أو مبدأ عاماً هو فى الحقيقة كاذب. إن "غراباً أبيض" على سبيل المثال هو مثال مضاد للتعميم "كل الغربان سوداء". ومن الحق أن شطراً كبيراً من العمل الفلسفى ينطلق من عملية إيجاد أمثلة مضادة، كما سوف نكتين فى أكثر من موضع فى هذا الكتاب. كما أن الأمثلة المضادة لها استخدامات هامة فى المنطق، سواء فيما يتعلق بدحض صيغ بعض الحجج أو فى إثبات صوابها. ولها أيضاً استخدام شبيه بهذا فى مناهج البحث العلمى. (المترجم)

الاعتقاد أن قـ شيئاً ممكناً منطقياً (يكون الشيء ممكناً منطقياً فقط إذا لم يكن منطوياً على تناقض). ويقدر ما تعيننا الأمثلة الثلاثة المزعومة، فربما يكون قائلها لا يعنى بعبارة "لا أعتقد ذلك" أكثر من "إننى لا أستطيع أن أتصور ذلك بوضوح" أو "لا أستطيع مواجهة ذلك" أو "لا أملك دفعا لهذا الأمر" وذلك لا يتناقض إطلاقاً مع اعتقادهم إياه. ونحن حين نبرز هذه النقطة فإنما نستخدم مفهوم الاعتقاد. ولكن كيف يجب أن نحلل مفهوم الاعتقاد؟

### تحليل الاعتقاد

على الرغم من أن كل منا، نحن البالغين المتحدثين باللغة، تدخل كلمة 'اعتقاد' فى ذخيرته من المفردات، فإن المفهوم المتصل بها عسير للغاية. ومن اليسير أن نقدم هذا التوضيح المبدئى: إن علينا أن نميز بين الاعتقاد كموقف قضوى، أى 'الاعتقاد أن'، وبين الاعتقاد كقناعة أو ثقة، أى 'الاعتقاد فى'. ونحن فى سياقنا هذا لا يعيننا المفهوم المتضمن فى 'الاعتقاد فى'، من قبيل الاعتقاد فى الديمقراطية والاعتقاد فى أسلوب الحياة الأمريكية والاعتقاد فى حق الانتخاب لبالغى السابعة عشرة، والاعتقاد فى السيناتور س، أو ما شئت.

هناك تحليلاً لـ 'يعتقد أن' :

س يعتقد أن ق إذا وفقط إذا كان

س يرى أن ق صادقة

فالتحليل الكافى ينبغى أن يفسر لنا كيف يرتبط الاعتقاد بالرغبة والفعل. ومثل هذا المشروع التفسيرى هو من بين الاهتمامات الأساسية لفلسفة العقل. وفيه يُنظر إلى ما يفترض أنه اعتقادات شخص ما بوصفه جزءاً داخلاً فى تفسير مترابط لأفعال هذا الشخص. إلا أن تحليلنا المبدئى هذا يساعدنا على أن نكشف تهافت الأمثلة المزعومة المضادة للضرورة فى الشرط (١).

إن أى مثال مضاد لضرورة الشرط (١) للمعرفة قد يريدنا أن نقر موقفاً يقول فيه شخص ما "إننى أعرف أن ق ولكنى لا أرى من الحق أن ق" دون أن يقع فى البطلان. فلو أن شخصاً قال "إننى أعرف أننى ذهبت إلى السينما ليلة أمس، لكنى لا أرى أننى فعلت ذلك"، فالأغلب أننا لن نرميه باضطراب عقلى، وإن كان ذلك ممكناً، بل سنفتراض أنه يستعمل كلمة "أعرف" وأرى" استعمالاً غير صحيح. فلندع لعلم النفس مهمة وصف الحالات الشاذة للعقل بما فيها الحالات الشديدة الاختلاط. أما الفلسفة بوصفها مبحثاً قائماً على تحليل المفاهيم، فليس بوسعها إلا أن تنفى إمكان أن نصف حالة عقلية أو نفسية بأنها حالة "معرفة بلا اعتقاد". إن تعبير "معرفة بلا اعتقاد" لا يقول شيئاً أكثر مما يقول تعبير من قبيل "المثلث رباعى الزوايا" أو "الدائرة المربعة".

## الصدق

### الصدق<sup>(٥)</sup> شرط ضرورى للمعرفة

يخبرنا الشرط رقم (٢) فى التحليل القياسى للمعرفة أننا لا يمكننا أن نعرف ما ليس بحق - وإن تكن هناك كثير من الحقائق التى لا نعرفها (ومن الجائز حقاً أن تكون هناك أشياء تند عن كل معرفة). ومهمتنا الأولى هنا هى أن نقر لماذا يعد الشرط (٢) شرطاً ضرورياً للمعرفة.

(٥) مصطلح Truth له مقابلان عربيان هما : الصدق والحقيقة. بديهي أنهما متداخلان. قد يجوز أحيانا إتاحة الحرية للمفاضلة بينهما، واستعمال ما يحبذه المترجم منهما. لكن فى المنطق وما يتصل به من نظرية المعرفة - وهو موضوع هذه الصفحات - لا بد من استعمال "الصدق" لأن مدار الحديث هو صدق القضية أو التقرير أو العبارة، خصوصاً وأن الصدق هنا يقابل الكذب. وفى مواضع فلسفية أخرى، لاسيما الميتافيزيقا، يجب استخدام مصطلح "الحقيقة". ولكن، أوليس الهدف من الصدق فى قضايا المعرفة هو بلوغ شىء من الحقيقة والاقتراب منها. ربما كانت الترجمة الوافية لمصطلح truth الهام جداً والمحورى فى الفلسفة هى "الصدق/الحقيقة" (وهذا ما فعلته فى ترجمتى لكتاب كارل بوبر "أسطورة الإطار" الصادر فى سلسلة عالم المعرفة، ٢٠٠٣) فأحيانا يحتاج السياق إلى دلالتى الكلمتين العربيتين كليهما. (المراجعة)

الشرط (٢) شرط ضروري للمعرفة لأن هناك التزاما بضرورته متأصلا في استعمالنا لمصطلح 'معرفة' (وما يتصل به من مصطلحات)، وبالمثل في فكرتنا عن المعرفة. ضرورة الشرط رقم (٢) تنظم استعمالنا لكلمة 'معرفة' وما يتصل بها؛ حتى ولو لم نكن على دراية كاملة بذلك. فتحليل المفهوم، كما قلنا آنفاً، يبرز للنور ما هو ضمنى قابع في ممارساتنا الفعلية التي كثيراً ما تتسم بالعفوية التامة.

هب إنك قد عهد إليك بمهمة كتابة مقال عن العصور الوسطى. إنك عندئذ قد تكتب : 'في العصور الوسطى كان الناس يعتقدون أن الأرض مسطحة'. وافترض أن س من الناس قد جعل يقول إنك تغش في أوراق اللعب، أو حتى يقول إنه 'يعرف' أنك تغش في أوراق اللعب. فلو أنك رددت بقولك: 'س يعرف أنني أغش في الأوراق' لما كنت واصفاً قوله بحيدة، بل كنت - على العكس - مصدقاً لرأيه ومعتزفاً أنك تغش.

وبنفس القياس يمكن القول إنه من المستحيل القول إن شخصاً ما يعرف أن ق دون أن يتضمن ذلك أن ق صادقة. قولنا 'س يعرف أن ق' هو في واقع الأمر بمثابة قولنا 'س يعتقد شيئاً وهذا الشيء حق وصدق'، بحيث إنك لو كتبت 'في العصور الوسطى كان الناس يعرفون أن الأرض مسطحة' لافترض القارئ أنك تعتقد أيضاً أن الأرض مسطحة. (وينسحب ذلك على مثال الغش في الأوراق السالف ذكره).

إن لنا في الاستعمال اللغوي الدارج لدليلاً على أن الصدق متأصل في مفهوم المعرفة. ونعني بالاستعمال الدارج ما يراه الناطقون باللغة المستعملة عامةً لائقاً أو غير لائق. على أننا لا نعول على الاستخدام اللغوي وحده. فعلى الرغم من أن وصفنا الحالي للمعرفة ينسجم مع الاستعمال المعتاد، وهو زيادة خير، فإنه يساعدنا على أن نتفهم أشياء كثيرة تتخطى مسألة التعبير الإنجليزي الصحيح. فهو يساعدنا بصفة خاصة على فهم تطور العلم.

الصدق داخل بالفعل في بناء مفهوم المعرفة. يتمثل ذلك أيضاً في هذه الحقيقة : إنك لا يمكنك أن تقول 'س يعرف، خطأ، أن ق' ويكون لقولك معنى مفيد. ولكن بوسعك أن تقول 'س يعتقد، خطأ، أن ق' ويكون قولك معقولاً وربما صادقاً. إننا بالطبع لا نقدم

ضماناً بأن أحداً لن يقول "س يعرف، خطأ، أن ق"، غير أنها تبدو ناشزة، إذ تنطوى على تناقض، وذلك كافٍ وحده لصرف الناس عن قولها فى الأعم الأغلب.

وليس هناك شك فى أن الناس كثيراً جداً ما يظنون أنهم يعرفون شيئاً ما فى حين أنهم لا يعرفونه. والتوصيف الصحيح لهذه الحال ليس على الإطلاق "أنهم يعرفون خطأ". أهل العصور الوسطى الذين كانوا يقولون: "نحن نعرف أن الأرض مسطحة" يجب أن يوسموا بالأحرى بارتكاب خطأين متواشجين: فخطوهم الأول يتصل بشكل الأرض؛ إذ ظنوها مسطحة، وهى ليست ولم تكن كذلك. وخطوهم الثانى يتصل بفكرتهم عن مخزونهم المعرفى؛ فقد ظنوه يضم بنداً عن شكل الأرض، وهو ظن باطل.

وقل مثل ذلك فى كل حالة يحسب فيها الناس أنهم يعرفون ما ليس بمقدورهم أن يعرفوه لأنه باطل وكاذب. فحالما يقول س من الناس "أنا أعرف أن ق" بينما ق كاذبة، فإنه واقع فى خطأين: الخطأ الأول خطأ عن نفسه وعما لديه من معرفة (فقد بالغ درجة فى تقدير نصيبه من المعرفة). والخطأ الثانى خطأ عن ق. تصور معى طفلاً ساذجاً يتعلم الحساب لتوه، وهو مبتهج بأنه 'يعرف' أن  $(2 + 2 = 5)$ . إنه واقع بالضرورة فى خطأين: خطأ عن معرفته (إذ هى أقل مما يظن)، وخطأ عما تساويه  $2 + 2$ .

### ليس هناك رابطة سحرية بين المعرفة والصدق/الحقيقة

"مادمت تعرف شيئاً ما، فلا بد أن يكون هذا الشئ حقيقة/صدق". عندما يسمع الناس هذا المبدأ لأول مرة، يتخيلون أحياناً أنهم منحو ضمانة سحرية تعقد لهم عقداً وثيقاً بين قولهم "أنا أعرف أن ق" (أو اعتقادهم بإخلاص أنهم يعرفون أن ق) وبين صدق ق وكونها حقيقة. إن هذا لحجر عثرة يعيق ويعطل طريق الوصل الفعلى بين المعرفة والحقيقة/الصدق رغم كل شئ. فهو يعاكس اتجاه هذا الوصل على طول الخط، من حيث إنه إذا ثبت يوماً أن ق كاذبة، لتبين أنك لا تعرف أن ق، مهما يكن قولك أو اعتقادك.

## الأمثلة المضادة المزعومة لضرورة الشرط (٢)

ما من مثال مضاد مقترح لضرورة الشرط (٢) للمعرفة (شرط الصدق) إلا ويتكشف عن كونه مثلاً مضاداً لمبادئ من مثل "إذا قال س إنه يعرف أن ق، إذن ق" أو "إذا اعتقد أنه يعرف أن ق، إذن ق". وهى مبادئ باطلة، وبالطبع عرضة لأن تعطى أمثلة مضادة لها.

ليس هناك أمثلة مضادة لـ "إذا كان س يعرف أن ق، إذن ق". وليس هذا بالشىء العجيب. فنحن ببساطة نرفض أن نعد أى شىء معرفة أصلاً ما لم يكن حقاً. وهذا ما يجعل المعرفة صعبة المنال فى كثير من الأحيان ويجعل تحصيلها إنجازاً يعتد به. وهو أيضاً ما يفسر لماذا يكون ادعاء المعرفة أحياناً - بل كثيراً - ادعاءً كاذباً. بل يجب أن نضيف أيضاً أننا حين نأبى أن نعتبر كل ما ليس صادقاً أو حقيقياً معرفة، فإننا لا نتعسف ولا ننهج نهجاً تحكيمياً، بل نبقى مخلصين لمفهوم المعرفة من شأنه أن يلعب دوراً محورياً فى حياتنا الفكرية.

وأحياناً ما نسمع رغم الاعتبارات السابقة تأكيدات من هذا القبيل: إن الناس فى العصور الوسطى كانوا يعرفون فعلاً أن الأرض مسطحة، لقد كانت تبدو مسطحة لعامة الخلق، لقد كان الخبراء الثقات يعتقدون أنها مسطحة، لذا كان الاعتقاد بسطحية الأرض عرفاً مسلماً به. كل ذلك قد يكون صحيحاً، غير أنه خارج عن الموضوع. فقد يكون مقبولاً للناس فى العصور الوسطى أن يعتقدوا أن الأرض مسطحة، غير أن الاعتقاد المقبول ليس هو المعرفة.

## نظريات الصدق

كنا نستند فى معرض بحثنا لمسألة ضرورة الشرط (٢) من شروط المعرفة على أن لكل منا فكرة ما عما يعنيه بكلمة 'صدق/حقيقة' truth وما يلحق بها. فلكل منا باع طويل فى تقييم العبارات من حيث صدقها أو كذبها. ومع ذلك يظل السؤال "ما هى الحقيقة/الصدق؟"

مضرب المثل فى إثارة حيرة الفلاسفة. وما يزالون مختلفين فيما بينهم حول الوصف الصحيح لمفهوم الحقيقة / الصدق. ومن الجلى الواضح (والمتفق عليه بعامة) أن كلمة 'الصدق' حين نسم بها العبارات والقضايا غير كلمة الصدق حين تدخل فى تعبيرات من قبيل 'صديق صادق'. ونحن فى بحثنا الحالى لا تعنينا الأحوال التى تستعمل فيها كلمة 'حقيقى' / صادق كمرادف لكلمة 'أصيل genuine' وضد كلمة 'زائف fake' أو شبيهه غير حقيقى pseudo ، بل يعنينا فحسب الصدق القضى أى المنسوب للقضايا propositional truth وسوف نعرض الآن لأهم النظريات التى تتناول مفهوم الصدق. بهذا المعنى، أى من حيث هو صفة للقضايا.

## نظرية اللا نظرية

هذا العنوان الذى يبدو مفارقة غريبة على السمع، يناسب الآراء الفلسفية التى تنكر حاجتنا أصلاً إلى أية نظرية للصدق. وهذه الآراء الفلسفية يجب ألا تختلط فى أذهاننا بوجهة النظر غير الفلسفية التى تنكر حاجتنا إلى تجشم عناء تحليل مفهوم الصدق ما دامت قدرتنا العادية على استعمال كلمة 'صادق' وملحقاتها جيدة بما فيه الكفاية. إننا نعنى بهذه 'اللا نظرية' نظرية فلسفية عن الصدق مفادها الأساسى أن: ق صادقة تعنى فحسب أن ق.

وعلى ذلك فإن ['السماء تمطر' صادقة] تعنى فحسب أن السمااء تمطر، فنحن نفهم أن ['السمااء تمطر' صادقة] فقط حالماً (أو عندما) نفهم أن السمااء تمطر. وتسمى 'نظرية اللا نظرية' أحياناً 'نظرية الاختفاء'<sup>(٦)</sup> فى الصدق. وتسمى أيضاً - بطريقة مضللة إلى حد ما - 'نظرية نزع علامات التنصيص فى الصدق'<sup>(٧)</sup>

(٦) يطلق اسم 'نظرية الاختفاء' disappearance theory أو التلاشى أو الزوال أو التوارى على أية نظرية توهم بأنها تقدم بياناً وصفياً وتفسيرياً لظاهرة ما، بينما هى تفضى فى حقيقة الأمر إلى أن هذه النظرية لا وجود لها. (المترجم)

بمعنى أن العبارة المحصورة بين فواصل التنصيص حين تأتي مشفوعة بكلمة 'صادقة' هي مكافئة تماماً للعبارة الأصلية وحدها وبدون علامات تنصيص. مثال ذلك :

"إنها تمطر ثلجاً" صادقة

تكافئ

إنها تمطر ثلجاً

الصعود السيمانطيقى : semantic ascent وتلحق بنظرية اللا نظرية (أو الاختفاء أو نزع علامات التنصيص) فكرة أن الصدق وسيلة أو أداة للصعود السيمانطيقى. وصفة "سيمانطيقى" تعنى "العلاقة بين الكلمات والعالم". أو لنقل العلاقة بين حديثنا وما يتناوله هذا الحديث". فثمة علاقة دلالية بين "إنها تمطر" وبين الطقس، بمقتضاها تكون "إنها تمطر" إما صادقة وإما كاذبة. فمفهوم الصدق ببساطة يتيح لنا أن نتحدث عن حديثنا عن العالم<sup>(٨)</sup> (عن الطقس في حالتنا هذه).

(٧) تعتبر نظرية "نزع علامات التنصيص" disquotational view of truth (أو نزع علامات الاقتباس أو الاستشهاد) صيغة من صيغ نظرية "الفائض اللفظى فى الصدق" redundancy theory of truth التى قال بها فريجة ورامزى، ومفادها أن عبارة "إنه من الصدق أن ق" ليست أكثر ولا أقل من ق وحدها. أو بتعبير آخر "إن ق صادقة" لا تزيد شيئاً على ق. ذلك أن المحمول 'صادقة' لا مفاد له ولا يعبر عن مفهوم عميق أو تفسيرى يستحق أن نفرد له مبحثاً فلسفياً، أى أنه لا يعدو أن يكون فائضاً لفظياً. من هنا سميت النظرية "نظرية الفائض اللفظى". (المترجم)

(٨) تستخدم كلمة "ميثا" اليونانية، وتعنى "بعد أو وراء"، لتشير إلى "حديث عن حديث" أو "خطاب عن خطاب". فالميثا أخلاق metaethics مثلاً هي خطاب حول الخطاب الأخلاقى، والميثا تاريخ metahistory هو خطاب جامع حول التاريخ يسبغ المعنى على سجله الغفل ويضفى النظام على أحداثه المتناثرة. والميثا لغة metalanguage هي لغة تتحدث عن لغة. ويقال للأخيرة أى اللغة التى هي موضوع الحديث "اللغة الموضوعية أو اللغة الشينية object language". وقد كان ألفرد تارسكى (1901- 1983) A. Tarski هو أول من وضع هذا التمييز بين اللغة والميثا لغة، أو اللغة الموضوعية الشينية واللغة البعدية. حين كان بمعرض الحديث عن "المفارقات السيمانطيقية" الشهيرة. إذ خلص إلى أننا لكي نتناول الصدق والكذب فى اللغة الموضوعية يتحتم علينا أن نصعد درجة - إلى ميثا لغة، وهكذا فى تراتب هرمى. وقد تعرض مصطلح "ميثا لغة" مؤخراً للابتذال كثيراً وأسيى استخدامه لكى ينسحب على أى خطاب يتناول أقوالاً أخرى (كالخطاب النقدى مثلاً) وإن كان مصوغاً باللغة نفسها التى صيغت بها هذه الأقوال. (المترجم)

ومصطلح صعود ascent هو الكلمة المناسبة لو أننا رسمنا هذه الفكرة كما يلي :

المستوى (٣) حديثنا عن حديثنا عن الطقس

المستوى (٢) حديثنا عن الطقس

المستوى (١) الطقس

## نظرية التناظر

تعد نظرية التناظر correspondence theory أقدم نظريات الصدق وأكثرها شهرة وأقربها إلى الموقف الطبيعي. ومؤدى نظرية التناظر :

إن عبارة ما تكون صادقة إذا وفقط إذا كانت متناظرة مع الواقع

عبارة "السماء تمطر" تصدق فقط عندما تتناظر مع ذلك الشطر الذي تعنيه من الواقع. (وهما يجدر بنا ملاحظة أنه حتى نظرية اللا نظرية قد تعتبر نظرية تناظر بشكل ضمنى، من حيث إن دعوى أن ما تقوله العبارة مُعرّاة من علامات الاقتباس هي أيضا كذلك). غير أن نظرية التناظر، من بين جميع النظريات الممكنة للصدق، هي التي تتصل مباشرة بفكرة أن الصدق خاصية موضوعية objective للعبارات. (وكلمة "موضوعية" هنا تعنى "مستقلة عن الذهن"). فقد يكون لدى ناطق عبارة من قبيل "السماء تمطر" مختلف الدواعى النفسية المعقدة. قد يكون راغباً بقوله هذا تضليل شخص ما أو مضايقته أو إحباطه. وقد يكون لقوله عدا ذلك أسباب وجيهة وقد لا يكون. إلا أن عبارة "السماء تمطر"، باعتبار المعنى السيمانطيقى [أى دلالة الألفاظ]، تبقى عبارة إما صادقة وإما كاذبة.

إن ما يحدد نصيب العبارة من حيث الصدق أو الكذب هو أمر لا علاقة له بقائل العبارة من حيث سيكولوجيته ووافعه وأدلتها<sup>(٩)</sup>. فالذى يحدد قيمة الصدق فى عبارة "السماء تمطر" هو فقط الطقس المحلى - وهو شىء كائن هناك، ومستقل تماماً عن

(٩) على ذكر الشخص ووافعه السيكلوجية، يجمل أن نذكر هنا أن من المغالطات المنطقية الشهيرة مغالطة يطلق عليها "الحجة الشخصية" أو "الحجة الموجهة إلى شخص القائل" (حرفياً: الحجة الموجهة ضد إنسان argumentum ad hominem) وهي تنتمى إلى طائفة المغالطات غير الصورية informal fallacies ، =

الذهن. أجل، قد يتوقف ما تعنيه عبارة "السماء تمطر" على البشر من حيث إن اللغة اختراع بشري تراكمى ينطوى على تاريخ وعرف ومواضعة، والذي كان من الممكن على كل حال أن يأتى بشكل مختلف. غير أن جملة "السماء تمطر" بمجرد أن تعطى معنى سيمانطيقياً (دلاليا) محددًا لا يعود أمر صدقها أو كذبها متوقفاً على البشر.

## المواضعة العفوية الدلالية :

تفيد المواضعة العفوية الدلالية أن الكلمات التى نستعملها كان من الممكن أن تعنى شيئاً آخر (أو أن تصير بها الأمور إلى أن تعنى شيئاً آخر). وهذا أمر لا ينبغى أن يلتبس بلا موضوعية أو ذاتية الصدق/الحقيقة. إن "ذاتية الصدق" هو فى الواقع تناقض فى استعمال المصطلحات. فمهما أكثر الناس من قول "إن من الصدق/الحقيقة عندى أن ق" فإن الصدق/الحقيقة يظل أمراً غير شخصى وغير منسوب إلى الشخص مثلاً يُنسب الاعتقاد والألم والرغبة وما إلى ذلك. أما أن يقول شخص ما "إن ق صادقة عندى"، فإن ذلك يجب أن يعنى إما "إنى أعتقد أن ق" وإما "إن ق صادقة عنى". (ليس من الحقيقة/الصدق 'عندى' أن ثمر العليق ألد طعماً من الفراولة وإن تكن هذه حقيقة 'عنى' بمعنى أنى أفضل العليق على الفراولة.) وإنه لمن محاسن نظرية التناظر أنها تساعدنا على تجنب هذا الخلط.

صعوبات خاصة بنظرية التناظر : هناك صعوبتان قد واجهتا نظرية التناظر. الأولى تفيد أن نظرية التناظر تمثل صورة مضللة ومفرطة التبسيط للطريقة التى نقرر

= أى تلك التى لا صلة لها بالصواب الصورى فى استخلاص النتائج من المقدمات المعطاة. وأنت تقع فى هذه المغالطة حين تقوم فى معرض الجدل بمهاجمة شخص الخصم بدلاً من مهاجمة حجته، فيبدو كأن حجته قد دمغت وأصيبت. والحق أنك قد تسدد سهام النقد إلى شخص الخصم (بواعث ودوافعه، صدقه وإخلاصه، أهوائه وأغراضه، ذكائه وفهمه....) فتصيبه وتصميه، وحجته بعد حية ترزق! فهى بوصفها حجة تبقى سالمة لم يصبها أذى وإن حامت حولها الشكوك لحظة واكتنفها الريب. مثل هذه الطريقة فى تفنيد الخصم قد تكون مجدية مشروعة فى بعض الأصعدة: كالشهادة القضائية والسياسة الحزبية والتحليل السيكلوجى، إلا أنها على صعيد الفلسفة والمنطق غير مجدية وغير مشروعة. (ومن الطريف أن هذه المغالطة تنطبق أيضاً فى الحالة العكسية، وإن يكن ذلك أقل وروداً: أى حين تريد أن توازر حجة الشخص وتدعمها عن طريق مدحه وإطرانه.) ( المترجم)

بها صدق العبارات وكذبها. فنحن فى واقع الأمر لا نضاهى عباراتنا بالواقع الخارجى واحدة تلو الأخرى، ولا ذلك فى إمكاننا. فحتى حين أقرر رفض عبارة بسيطة مثل "السماء تمطر" فإنما أتخذ هذا القرار بالقياس إلى خلفية معقدة من الاعتقاد. فأنا أطرح عبارة "السماء تمطر" لأنها لا تنسجم مع عدد من العبارات الأخرى التى اعتقد صدقها مثل عبارة "لو أن السماء تمطر وأنا بالخارج فإننى أبطل فوراً" وعبارة "إننى بالخارج" وعبارة "إننى لا أبطل... وهكذا.

والصعوبة الثانية التى واجهت نظرية التناظر هى أنها تعمل بواسطة فكرة صورية تماماً وغير إجرائية عن مضاهاة ق بالواقع والنظر فى مدى تناظرها معه. غير أن هذه المضاهاة ليست بالشىء الذى يمكن تنفيذه فعليا - إنها ليست إجراء أى ليست شيئاً يمكن تعليمه وتعلمه ووضع موضع الممارسة. فالذى نتعلمه حقا هو حشد هائل من الإجراءات التى ترشدنا وتوجهنا، بطرق عديدة وشديدة التعقيد، فى قبول العبارات أو رفضها.

وقد ترتب على هذا النقد لنظرية التناظر نظريتان أخريان فى الصدق. هما نظرية التساوق والنظرية البرجماتية. وهناك فى الواقع صيغ متعددة لكل من هاتين النظريتين (كما هو الحال بالنسبة لنظرية التناظر) بحيث يمكننا الحديث عن عشرين آخرين من نظريات الصدق. وقد ينظر لهذه النظريات فى بعض الأحيان بوصفها منافسات لنظرية التناظر. وقد ينظر إليها أحيانا أخرى بوصفها مكملات لنظرية التناظر - وذلك هو اتجاه التعددية النظرية الذى يرى إمكان ضم مختلف نظريات الصدق معاً: لتنتج صورة للصدق/ الحقيقة ناطقة وثرية وعلى درجة ملائمة من التعقيد.

## نظرية التساوق

لم تحظ نظرية التساوق coherence بالقبول العريض الذى حظيت به نظرية التناظر، رغم أنها لم تعد مؤيدين لها من الفلاسفة البارزين<sup>(١٠)</sup>. ووفقاً لنظرية التساوق.

(١٠) الفلسفة عن بكرة أبيها تنقسم بشكل بارز إلى تيارين أساسيين متقابلين، فضلاً عن التجاوز والتلاقع بينهما، هما تيار المثالية الذى يرى أسبقية الفكر على الوجود، وتيار التجريبية الذى يرى أسبقية الوجود أو الواقع على الفكر. معيار التساوق أو الترابط فى تفسير طبيعة الصدق أكثر تمثيلاً للتيار المثالى، =

تكون العبارة صادقة إذا كانت - وفقط إذا كانت - متساوقة مع جميع العبارات الصادقة.

و "متساوقة مع" تعنى متسقة مع. تكون العبارتين متسقتين فقط عندما يمكن أن تصدقا معاً في نفس الوقت. ويمكن أن تصدق العبارتان معاً في نفس الوقت فقط عندما يكون صدقهما معاً لا ينطوى على تناقض.

وعلىنا أن نتبين بوضوح أن الاتساق يلعب دوراً كبيراً في قبول العبارات أو رفضها. فإذا أفضى إلى شخص ما أن البولترجيست (وهي أشباح يعتقد البعض أنها قادرة على تحريك الأشياء) هي التي بعثت بحثي، فإنني لن أتردد في رفض رأيه، لا شيء إلا لأنه لا ينسجم أو لا يتساق مع جملة ما أعتقد به. نظرية التساوق إذاً تضع يدها بالفعل على شيء هام في ممارساتنا المعرفية. غير أن هذا لا يعنى أنها أفضل نظريات الصدق جميعاً. فهناك في الواقع صعوبتان تواجهان هذه النظرية لا بد من ذكرهما. وهما صعوبتان بينهما علاقة متبادلة :

**الصعوبة الأولى :** من المستحسن أن نعتبر التساوق شرطاً ضرورياً للصدق بدلاً من أن نعتبره شرطاً كافياً. وبعبارة أخرى يمكننا أن نقول إن العبارات التي لا تتساوق مع بعضها البعض بالفعل يجب أن تستبعد ألياً من فئة الحقائق الصادقة، غير أن العبارات التي تتساوق مع بعضها البعض لا تندرج ألياً ضمن فئة الحقائق الصادقة. فكما يبين مثال البولترجيست، نحن نستخدم الفشل في التساوق من أجل غربلة الحقائق المرشحة. ولكن قد تبقى هناك حقائق مرشحة عديدة (ابنى بعثر بحثي، كلبى بعثر بحثي.... إلخ) لا يمكننا الاختيار بينها بالاستناد إلى اعتبارات التساوق وحدها.

= ومعيار التناظر أكثر تمثيلاً للتيار التجريبي. مع التساوق لا يتوقف الصدق على شيء خارج الذهن، ولا يحتاج إلا لقوانين المنطق، لذا يمكن أن تمثل القضية الصادقة جزءاً من النظام المتكامل الذي هو الحقيقة بآلف ولام العهد، إذ لا يبالي هذا المعيار بالواقع ومتغيراته لذا كان أقرب إلى التيار المثالي. أما معيار التناظر، فيجعل الصدق تناظراً مع واقعة في العالم التجريبي، لذا كان ضرورياً للإبستمولوجيا التجريبية، وهو أكثر المعايير فعالية. ويكاد يكون الإجابة الفلسفية الرسمية عن السؤال: ما هو الصدق؟ مادام يعطى تمثيلاً كافياً للمعرفة التجريبية وللحوار الدائم بين العقل والواقع. (المراجعة).

**الصعوبة الثانية :** إننا حين نستخدم معيار التساوق فى عملية الغربلة تلك فنحن لا نختبر - ولا يمكننا أن نختبر - تساوق العبارة مع كل العبارات الصادقة. لا أحد بحوزته كل العبارات الصادقة (اللهم إلا الله العليم بكل شىء). التحقق من أن ق تتساوق مع كل العبارات الصادقة هو مساو فى الاستحالة الإجرائية للتحقق من تناظرها مع الواقع. إن ما نفعله فى حقيقة الأمر هو أننا نمحص الحقائق المرشحة لنرى مدى اتساقها مع مجموعة العبارات التى نقبلها كحقائق، أو لنقلها ببساطة أكثر: لنرى مدى اتساقها مع اعتقاداتنا. ومن الوجيه تماماً أن نتفحص الاعتقادات المرشحة لنرى مدى اتساقها مع مخزوننا من الاعتقادات إذا كانت ثقتنا فى هذه الاعتقادات لها ما يبررها. بيد أننا لا نزن بحال أن ثقتنا المبررة فى ذخيرتنا المتراكمة من الاعتقادات يمكن أن تستند إلى اعتبارات التساوق وحدها.

## النظرية البرجماتية

وفقا للنظرية البرجماتية للصدق pragmatic theory of truth ، فإنه :

تكون العبارة ق صادقة إذا وفقط إذا كان

الاعتقاد بأن ق برجماتياً

ومن السهل أن نقول إن كلمة "برجماتي" تعنى "مفيد". ولكنه هذا سيردى ببساطة إلى السؤال: ماذا يعنيه قولنا إن اعتقادا ما هو مفيد؟ وعلى الرغم من أن بعض الشروح الرائجة قد وحدت بين ما هو مفيد وما هو مجد بالنسبة لشخص بعينه - أى هو أيما شىء يجعله ناجحاً أو سعيداً - فلم تكن هذه هى الفكرة التى قدمها البرجماتيون الجادون المولعون بالبحث عن نظرية للصدق/الحقيقة.

الاعتقادات بوصفها خرائط : يبدأ البرجماتيون الجادون بفكرة أنه يجب أن ننظر إلى اعتقاد ما كخريطة نقود سفيتنا وفقاً لها على حد تعبير فرانك رامزى. وكل خريطة تعتبر خريطة جيدة بقدر ما تساعدنا على أن نثّل إلى حيث نريد بكفاءة معقولة. قد يبدو هذا ترجيحاً عن الفكرة السالفة عن المجدى بالنسبة لشخص بعينه. إلا أن تقييمنا

للخرائط لا تشوبه عوارض نزوية أو اعتسافية أو مقحمة أو ذاتية. وهو ما تريده هذه الفكرة أن يكون بالنسبة للاعتقادات. إن من أهداف هذه الموازنة بين الاعتقادات والخرائط هو التأكيد على أن للاعتقادات وظائف عملية. هذه الوظائف العملية هي ما يرى البرجماتيون أن نظرية التناظر أغفلته. فنظرية التناظر هي نظرية مشاهدة أو 'متفرجة' عن الصدق، بينما البرجماتية نظرية 'ممثلة' أو 'مشاركة'. (كلمة 'برجماتي' مشتقة من الكلمة اليونانية pragmatikos وتعني 'متضلع في الأمور' أو 'عملي'، وهي بدورها مشتقة من 'pragma' بمعنى 'عمل' أو 'فعل').

### البرجماتية ومسألة صدق العبارات وكذبها :

تتشارك التفسيرات العديدة لمصطلح 'برجماتي' في افتراض أن صفة 'برجماتي' هي صفة للاعتقادات وليست صفة مباشرة للعبارات نفسها. غير أننا نريد بالفعل للعبارات نفسها أن تكون صادقة أو كاذبة. وقد نصل إلى ذلك هكذا : إننا نقول إن عبارة ما هي صادقة فقط في حالة ما إذا كان من شأن الاعتقاد بها أن يكون برجماتيا. وهو قول يسمح لعبارة لم يتفق لأحد قط الاعتقاد بها أن تكون صادقة.

إن هذا في حد ذاته لا يضمن لنا أن الصدق صفة موضوعية. والحق أن النظرية البرجماتية كثيراً ما أتهمت بأنها تضحي بموضوعية الصدق/الحقيقة من حيث إن ما يتفق أن يكون برجماتيا للشخص (س) أن يعتقده، وليكن العبارة ق، قد لا يكون برجماتيا لشخص آخر (ص). وقد يرد البرجماتي على ذلك الرد التالي: نعم قد يكون الاعتقاد أن ق برجماتيا لـ (س) وغير برجماتي لـ (ص). ولكن مسألة أنه من البرجماتي لـ (س) أن يعتقد أن ق، لا شأن لها بمحتويات ذهن س أي بما يفكر فيه س. فكون (اعتقاد س أن ق) برجماتيا له هو شيء مستقل تماماً عن الذهن، أي موضوعي. وقل الشيء نفسه بالنسبة لـ (ص)؛ فإنه من الموضوعي أن نقول إنه غير برجماتي لـ (ص) أن يعتقد أن ق. قد يرد البرجماتي بكل ذلك، غير أنه يظل من العسير علينا أن نفهم كيف لا ينتهي الأمر بعبارة واحدة، بحسب هذا الوصف، إلى أن تكون صادقة وكاذبة في آن واحد!

**تقييم البرجماتية :** من حق البرجماتيين بالتأكيد أن يبرزوا الطابع العملي للصدق والمعرفة والقدرات المعرفية للإنسان. إلا أن هذا لا يعنى بحد ذاته أن البرجماتية هي أفضل نظريات الصدق قاطبة. فحينما يقول البرجماتى إن عبارة ما صادقة لأن الاعتقاد بها برجماتى، فإن لصاحب نظرية التناظر - مع قبوله للطابع البرجماتى للاعتقادات الصادقة - أن يدعى أن الاعتقاد فى عبارة ما إنما يكون برجماتياً لأنها عبارة صادقة لا أكثر. وحين يقول البرجماتى إن الخريطة هي تمثيل دقيق للواقع لأن بإمكاننا أن نستخدمها فى القيادة، فإن لصاحب نظرية التناظر أن يقول: إن بوسعنا أن نستخدمها فى القيادة لأنها تمثيل دقيق للواقع. إن البرجماتى يرى أن السبيل الوحيد لفحص ما إذا كان اعتقاد ما يتناظر مع الواقع هو أن نسترشد به ونقود، ونرى كيف سينجح المرء. بينما يذهب التناظرى إلى أن رؤية كيف سينجح المرء يجب أن تتضمن إنتاج تمثّل صادق للواقع.

وكما هو الحال فى كثير من المواقف التى يحاول فيها الفلاسفة تفسير أكثر مفاهيمنا أوليةً، نجد هنا أن الحجج والحجج المضادة تتوالد فى تشكيلات دياكتيكية معقدة (ديالكتيكي dialectical تعنى "خاص بسلسلة من الحجج المتعارضة")<sup>(١١)</sup>. إن هذا يبين لنا، على أقل تقدير، كيف أنه من الصعب علينا فهم التصورات الأساسية حتى لو كان ذلك تصوراً مألوفاً مثل "الصدق". فعسى أن نكون فى استعراضنا لجملة الجدل قد تعلمنا أنه ليس هناك جواب مختصر ومعسول للسؤال القائل: ما الحقيقة/الصدق؟

## نظرية إمكانية الإقرار

نظرية إمكانية الإقرار assertibility هي أحدث نظرية عن الصدق. فيها من روح البرجماتية وإن لم ترتبط بها تاريخياً. وهى نظرية تحاول أن تفسر ممارستنا المعرفية

(١١) ليس تماماً، فالمعنى المحرفى المقصود فلسفياً من مصطلح الديالكتيك هو الانتقال من القضية إلى نقيضها، وقد يتبع هذا الانتقال إلى ما يتجاوزهما معاً، مصطلح دياكتيك يعود إلى كلمة إغريقية تعنى حدين أو طرفين. (المراجعة)

الأساسية في حدود إمكانية الإقرار (أو الإقرارية المسوّغة، أو الإقرار الذي له ما يبرره).  
ووفقاً لهذه النظرية تكون :

العبرة س صادقة إذا وفقط إذا كان من الممكن إقرار س

ولنبداً بلمحة عن المصطلح. إن كلمة إقرار assertion تعنى نفس ما تعنيه كلمة عبارة statement . وكلمة assertible تعنى "جدير بأن يقرر". وتكون العبارة جديرة بالإقرار فقط عندما يكون إقرارها مسوّغاً أو مبرراً. وفيما يلي تفسير، من وجهة نظر النظرية الإقرارية في الصدق، لما يجرى عندما يعتزم شخص ما أن يقيم إقراراً.

إن معظم الناس في معظم الأحيان لا يشاءون أن يتفوهوا بعبارة "إنها تمطر" ما لم تكن السماء في الحقيقة تمطر. فنحن على وجه الدقة لا نقرر أو نقول إن السماء تمطر إلا بعد أن نتفحص الأمر ونرى إن كانت عبارتتنا مناظرة للواقع. قد يشتمل هذا التفحص في مثالنا الحال على أشياء مثل النظر من النافذة لرؤية هل تمطر السماء أو لا تمطر. إن صاحب نظرية الإقرار سوف يسلم بأن هذا هو الوصف الصحيح لمجريات الأمور حين توصف على مستوى معين من التجريد (هو المستوى التجريدي ذاته الذي تصح عنده نظرية التناظر ولا شك). إلا أننا عندما نصف الأمر بمصطلحات عينية أكثر، نجد أن كل ما فعلناه قبيل إقرارنا إن السماء تمطر هو أننا جمعنا أدلة كافية في الأحوال العادية لإقرارنا.

### الإجرائية operationality :

إن ما يميز نظرية إمكانية الإقرار تمييزاً حاسماً عن نظرية التناظر هو تلك الدعوى الإضافية بأن جُمع الأدلة وما شابه ذلك هو كل ما نملك فعله على الإطلاق. فلكل عبارة من العبارات اختبار ملائم لها (أو مجموعة اختبارات) يمكننا إجراؤه بالفعل. فإذا أتت هذه الاختبارات موجبة فإن إقرارنا يكون سالماً من النقد. بذلك تزعم نظرية إمكانية الإقرار أن الميزة التي تفوق بها نظرية التناظر هي طابعها الإجرائي التام : إمكانية الإقرار، بالنسبة لعبارة ما، تُعرّف دائماً في حدود الاختبارات التي يمكننا أن نجريها بالفعل أو نضعها موضع الفعالية. بينما لا تحدثنا نظرية التناظر،

التي تحثنا على التأكد من صدق إقرارتنا، عن أى اختبار، فهي - أى نظرية التناظر - غير إجرائية . ذلك أن "التأكد من صدق إقراراتنا" ليس وصفة وليس طريقة إجراء يمكن إتباعها مادام لا يعين لنا طرائق ولا يحدد إجراءات. ولصاحب نظرية التناظر أن يرد على ذلك بأن نظريته لم تُصنع لكي تقدم وصفات يمكن إتباعها لإقرار الصدق. إلا أن هذا على وجه التحديد هو ما يجعل نظرية التناظر فى نظر صاحب نظرية الإقرار نظرية محدودة القدرة على تقرير الصدق برغم صحتها الصورية.

### صعوبة تواجه نظرية إمكانية الإقرار :

ثمة صعوبة كبرى تواجه نظرية إمكانية الإقرار، وهى ببساطة أن "صادق" لا تعنى "جدير بالإقرار" assertible ويمكن توضيح ذلك بما يسمى حجة السؤال المفتوح أو المعلق open-question argument : إن بإمكاننا أن نسأل السؤال التالى ويكون لكلامنا معنى: س جديرة بالإقرار ولكن هل س صادقة؟، أو لنقل بعبارة أخرى إننا حتى لو سلّمنا بأن س جديرة بالإقرار فسوف يظل السؤال عن صدق س سؤالاً مفتوحاً (أى لم يتم حسمه). وما كان له أن يكون سؤالاً مفتوحاً لو أن "جدير بالإقرار" و "صادق" مترادفان تماماً. إن حجة السؤال المفتوح<sup>(١٢)</sup>، التى تلزم النظريات البرجماتية أيضاً، هى حجة مقنعة. وعلى أصحاب نظرية الإقرار ألا يوحّدوا بين الصدق وجدارة الإقرار. وليس يعنى ذلك أن نرفض نظرية الإقرار تمام الرفض؛ فهى تسهم إسهاماً هاماً فى فهمنا للصدق ما دمنا نفسر جدارة الإقرار كنظير إجرائى للصدق (الإضاءة الحقيقية التى تقدمها نظرية الإقرار هى أنها تبين لنا لماذا يحتاج الصدق إلى نظير إجرائى).

(١٢) حجة السؤال المفتوح هى حجة استخدمها جورج إيوارد مور G. Moore فى كتابه "مبادئ علم الأخلاق Principia Ethica - ١٩٠٣" ليبين أنك لا يمكن أن تعرف حداً تقيميّاً بوصفه مكافئاً للسمات التى نستخدمها كمعيار لتطبيقه. افترض مثلاً أنك تقدّر وتجل جميع (وفقاً) الأشياء التى تجلب السعادة. إن ذلك يبقى شيئاً مختلفاً عما تعنيه كلمة "خير" إذ تلفظ بها. وأية ذلك أنك، حتى لو كان هذا هو معيارك للخير، بمقدورك أن تتبين أنك تستطيع أن تسأل هل جميع (وفقاً) الأشياء التى تجلب السعادة هى أشياء خيرة، ويكون لسؤالك معنى إنه سؤال وجيه أو "مفتوح" يرى مور أنه ما كان ليتأتى لو أن الحدين كانا يعنيان نفس الشيء. (المترجم)

وإلى جانب الصعوبة الكبرى السالفة الذكر، هناك صعوبتان مزعومتان تواجهان نظرية إمكانية الإقرار في الصدق. أولاً: يدعى البعض أن نظرية إمكانية الإقرار هي نظرية إجماع اجتماعي 'social consensus' في الصدق. إن جماعتنا الاجتماعية هي، ببساطة، التي تحدد أي الاختبارات يتعين أن تأتي موجبة لكي تسلم إقراراتنا من النقد؛ فالاختبارات المتفق عليها بين الجماعة هي التي يعتد بها بون غيرها. إلا أن هذه الحجة تكشف عن سوء فهم لنظرية إمكانية الإقرار، فصلاحيات الاختبار ليست قائمة على إجماع الجماعة الاجتماعية بل على صلة هذه الاختبارات بمحتوى الإقرارات. هذا المحتوى هو الذي يقرر، وليس الجماعة، أي أن الاختبارات هي التي يعتد بها. ومن المفترض أن الصلة بين اختبار معين وإقرار معين هي شيء يمكن تفسيره والبرهنة عليه.

ثانياً : قد يدعى البعض أن نظرية إمكانية الإقرار تجعل من المستحيل أن نقرر شيئاً كاذباً ويكون لدينا ما يبرر ذلك، بينما يخبرنا الحس المشترك أن الناس يكون لديهم في بعض الأحيان على الأقل ما يبرر إقرار شيء هو في الحقيقة كاذب. ولنا مرة أخرى في إقرار أهل العصور الوسطى لسطحية الأرض مثال على ذلك. والرد على هذا الانتقاد نتركه لحجة السؤال المفتوح فما يزال لديها ما تقوله: إن سطحية الأرض كان يمكن إقرارها ويمكن تبرير هذا الإقرار ولكن هل كانت صادقة وحقيقية؟ لو أن تعريف "الصدق" هو "الجدير بالإقرار والمبرر إقراره" لكان الإقرار المبرر لشيء كاذب هو أمر مستبعد بحكم التعريف. إننا نعتمد على الاختبارات التي يحملنا اجتيازها على تبرير إقراراتنا، غير أننا نعرف أنه ليست هناك اختبارات تتسم بالكمال. فما يزال من الوارد والممكن أن تجتاز س جميع الاختبارات التي في حوزتنا - والتي من المعقول أن نعلها قاطعة في تحديد وضع س من حيث الصدق - وتبقى مع ذلك كاذبة.

## التبرير

### التبرير كشرط ضروري للمعرفة

ينبئنا الشرط (٣) في التحليل القياسي للمعرفة أننا لا يمكن أن نعرف ما نعتقد بدون تبرير. وأول شيء يجب أن نوضحه هو أن شرط التبرير منفصل عن شرط الصدق؛ فانت بإمكانك أن تستوفى الشرط (٢) من دون أن تستوفى الشرط (٣). بعبارة أخرى، من الممكن أن تعتقد شيئاً ما، ويكون هذا الشيء صادقاً حقيقياً، دون أن يكون لديك بعد تبرير لاعتقادك. ويمكنك أيضاً أن تستوفى الشرط (٢) من دون أن تستوفى الشرط (٣)، بعبارة أخرى من الممكن أن يكون لديك ما يبرر اعتقادك بشيء هو باطل. بطبيعة الحال، يتفق لك كثيراً جداً أن تعتقد شيئاً حقيقياً وله مبرره (أو تعتقد شيئاً باطلاً ولا مبرر له) وهو الاحتمال الأكثر وضوحاً. إنما نريد هنا أن نشير إلى أن الأمثلة التي يتخذ فيها الصدق/الحقيقة والتبرير طرقاً منفصلة هي أيضاً ممكنة.

### لماذا يُعتبر التبرير ضرورياً للمعرفة

لماذا لا يكون الاعتقاد الصادق كافياً للمعرفة؟ أبسط إجابة عن ذلك أن التبرير متأصل في مفهوم المعرفة الذي نستخدمه في واقع الأمر. وهي إجابة صحيحة لا غبار عليها. ولكن هناك تفسيراً للسبب الذي يجعل تصورنا للمعرفة ما هو عليه، أي متضمناً تلك الشروط الثلاثة التي اتفقنا على أنها تحدد مفهوم المعرفة. إن الهدف من تسمية شيء ما معرفة هو أن يشير إلى أننا نستطيع الاعتماد عليه، أي أن نكون واثقين جداً - إن لم نكن موقنين - بصحته. فما أن نصف شيئاً على أنه معرفة حتى يأخذنا نزوع إلى استخدامه كأساس للتخطيط والفعل، بأقصى درجة ممكنة من الأمان والاطمئنان.

ورغم أن الاعتقادات الناجمة عن التخمينات الموفقة أو التحيزات أو التي نصل إليها بلا منطق أو دليل، قد يتصادف أن تكون صادقة/ فنحن لا يمكننا بحال الثقة في أنها ستكون كذلك. فما كان للاعتقادات الصادقة بالمصادفة أن تحملنا على اليقين بأنها غاية المعرفة. إن المشاعر الحدسية والتخمينات و آحاسيس القلب وما إليها، رغم لجوئنا إليها أحياناً، هي ببساطة شديدة الخطر، والتعويل عليها يشبه المقامرة. على عكس المعرفة، التي ينطوي استخدامها على أدنى حد من المجازفة.

### طبيعة التبرير

إن التبرير الذي نعنيه بصدد حديثنا هذا هو التبرير المتصل بالاعتقادات، والذي كثيراً ما يطلق عليه 'تبرير الدوكسا'. قد يكون للقرارات مبرراتها، وكذلك للأفعال والخطط والقواعد وربما المشاعر. غير أن معنى التبرير في كل هذه الحالات غير معناه حين نتحدث عن تبرير الاعتقاد. ويستند تحليلنا لتبرير الاعتقاد إلى فكرتنا المعتادة التي بموجبها يكون للشخص ما يبرر اعتقاده بشيء ما فقط عندما يكون لدى هذا الشخص أسباب عقلية وجيهة *good reasons* لاعتقاده. وعلى الرغم من أن كلمة 'reason' تعني أحياناً 'علة مسببة' *cause* كما في جملة 'لم تجر سيارتي بسبب *reason* نفاذ البنزين' فإنها *reason* هنا لا تعني علة مسببة. فقد يسبب لي المنوم المغناطيسي أن أعتقد أن ميكى ماوس هو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية. ولكن على الرغم من أن هذه القصة السببية قد تمنحني عذراً في الاعتقاد بشيء عبثي كهذا، فهي لا تمنحني أسباباً عقلية وجيهة لاعتقادي. إن الأسباب العقلية ذات القوة التبريرية يجب أن تفهم، على الأقل بالنسبة لأغلب اعتقاداتنا، بوصفها الأسباب التي تمتلك دليلاً كافياً<sup>(١٢)</sup>.

(١٢) ثمة معالجة للفارق بين الأسباب العقلية *reasons* و الأسباب أو العلل الطبيعية *causes* بمزيد من التفصيل في الفصل القادم، حين التعرض للعلوم الاجتماعية والمشكلات الخاصة بتفسير السلوك الإنساني. (المترجم)

## تحليل مبررات الاعتقاد

بناء على الفكرة القائلة إن التبرير يتوقف على توافر "أسباب عقلية وجيهة" نقدم التحليل التالي لتبرير 'الدوكسا' أى 'الظن' :

س لديه ما يبرر اعتقاده أن ق، إذا وفقط إذا كان

أيما شخص كامل العقل مُبراً من الهوى والمصلحة يُعطى الدليل على أن ق، يقع له الاعتقاد أن ق.

إن هذا تحليل للتبرير مبني على مسلك الإنسان وهو في أحسن حالاته. ولكن البشر الحقيقيين وهم بصدد تكوين معتقداتهم كثيرا ما لا يكونون في أحسن حالاتهم، فقد يكونوا مندفعين أو غير مباليين أو مشتتتين، وقد يكونوا ثملين أو مخدرين وما إلى ذلك، وقد يكونوا واقعين تحت سيطرة انفعالات من قبيل الغيرة أو الغضب، مما يشوش وعيهم ويحد قدرتهم على إقامة الدليل. ونكرر أننا عندما يكون لدينا مصلحة قوية في صدق عبارة معينة أو كذبها فإننا قد نميل إلى التشويه المتعمد أو التفكير الآمل أو خداع النفس وخلافه. وقد يكون لدينا قصور فكري محض في إقامة الدليل. ومن ثم لا يستقيم لنا تبريرُ لاعتقادنا إلا في غياب هذه العوامل السلبية. قد تبدو هذه حالة شديدة الندرة، ولكن في الظاهر فقط؛ فنحن في معظم الحالات نكون قادرين أثناء عملية تكوين الاعتقاد على تجنب هذه العوامل السلبية، وبالتالي يأتي اعتقادنا مبرراً. كما في حالة اعتقادنا أن السماء تمطر عندما ننظر من النافذة ونلاحظ الطقس، أو اعتقادنا أن الكلب في الفناء الخلفي عندما نسمع نباحه المميز آتيا من المكان الصحيح.

## نسبية الدليل

حين يقول التحليل السابق أن س لديه مبرر، فإن ذلك يجب أن يفهم بالنسبة إلى الدليل الذي عند س. ولا غرو، فالشخص س الذي يملك أدلة كثيرة على ق هو فقط الذي يُبرر له الاعتقاد أن ق، بينما لا مبرر للشخص ص الذي لا يملك دليلا على ق أن

يعتقد أن ق. وثمة صعوبة خفية بعض الشيء علينا أن نذكرها: إننا نحكم للشخص س بأنه يملك أو لا يملك مبرراً بناء على الدليل الذى عنده. ولكن هناك بالتأكيد حالات يبدو فيها س مسئولاً عن كم الأدلة التى حصلها، كبيراً كان أم صغيراً. فهل يمكن أن نقر بعقلانية س فى تأسيس اعتقاداته إذا كانت أدلته ضئيلة وكان مسئولاً عن ضآلتها؟

إن حالات "خداع النفس self-deception" تشبه ذلك. وهى حالات يعتمد فيها الشخص أن يخفى أو يتغاضى عن الأدلة الكثيرة الماثلة حوله والتى كان بإمكانه أن يأخذ بها لو أراد. مثل هذه الحالات من تكوين الاعتقاد القائم على خداع النفس لا ينبغي بالتأكيد أن نعدّها مبررة<sup>(١٤)</sup>.

(١٤) هناك حيلة عقلية شائعة يقال لها العقلنة rationalization وهى شكل من أشكال التبرير. وكان إرنست جونز هو أول من أدخل هذا المصطلح إلى مجال علم النفس. وتعنى هذه الحيلة التبريرية أننا كثيراً ما نسلك استجابة لدوافع لا شعورية لا نعيها، ثم نقدم مبررات عقلية لفعالنا لا صلة لها بدوافعنا الحقيقية. وذلك لأن هذه الدوافع مرفوضة من جانب ذاتنا الواعية، فنحن "كبتها" وننفيها من ساحة الشعور. ونقدم بدلاً منها أسباباً عقلية مقبولة تحفظ لنا ماء الوجه واعتبار الذات، ونعتقد فى هذه الأسباب البديلة الزائفة اعتقاداً صادقاً حقيقياً. ومن الأشكال الطريفة للتبرير شكل يعرف بآلية "العنب المر أو الحصرم"، حين ينتقص المرء هدفاً معيناً ويحط من شأنه لا لشيء إلا لأنه يصبو إليه فى قرارة نفسه ويعجز مع ذلك عن بلوغه (لقصور قدرته أو لوجود عوائق تحول بينه وبين هدفه).

ولآلية التبرير السيكلوجية متضمنات إبستمولوجية لا يمكن إغفالها، من حيث إنها تفتح بعداً جديداً فى المعرفة هو البعد اللا شعورى. "إن شطراً كبيراً من الأمور يقع من وراء ظهر المرء" كما يقول فرويد. ومن ثم يجب ألا نأخذ اليقين العقلى الظاهر على علاته ونسلم به تسليمياً. ولا بد أن ندعمه بمعايير أخرى، لا يكون لهوى النفس ودينامياتها أية صلة بها. فالآلية "التبرير" مثلاً هى لا شعورية بحكم التعريف، ونحن لا ندركها ولا نعيها. وإنما يستدل عليها المحلل النفسى من خلال منطق الأحداث ولغة اللا شعور، ومن خلال ما يصاحبها عادة من انفعال زائد مريب ندافع به عن تحيزاتنا اللا معقولة وأسبابنا العقلية الواهية، ونعوض بها ضعفها الظاهر وقصورها المنطقى. ربما كان هذا حلاً معقولاً من خارج حقل الفلسفة، لتلك المشكلة الفلسفية التى تعرف أحياناً باسم "مفارقة خداع النفس" paradox of self-deception ، والتى تعنى أن خداع النفس مفهوم متناقضاً، إذ أنه يتطلب فاعلاً agent، يعرف الحقيقة ويخفيها عن فاعل آخر - الأمر الذى يبدو مستحيلًا داخل فاعل منفرد، مادام الفاعل لا بد أن يعرف الحقيقة كيما يبدأ فى تمويهها على نفسه! (المترجم)

## التبرير اللا دليلى

رغم أن تقييم الاعتقاد بنسبته إلى الدليل هو الأمر المعقول فى معظم الأحيان، فهناك بعض الاعتقادات الشديدة الأهمية تند عن هذا المقياس. فما هو دليلى الذى أستند إليه للاعتقاد بأن المثلث له ثلاثة أضلاع، أو بأن  $2 + 2 = 4$  ، أو بأنى أعانى من الألم؟ إننى بالتاكيد مبرر فى اعتقادى بذلك، ولكن هذا الاعتقاد لا يبدو مستندا إلى دليل، مما يوحي بوجود شىء من قبيل "التبرير اللا دليلى" (أو المبرر الذى لا ينبنى على دليل). مثل هذا الصنف من التبرير قد نحصر ماهيته فى التحليل التالى :

س لديه ما يبرر اعتقاده أن ق، إذا وفقط إذا كان

لا مجال هناك لانتقاد س فى اكتساب هذا الاعتقاد

يعدنا هذا التحليل بوصف شامل للتبرير. فهو مثل التحليل الأول، يغطى الحالات التى يكون فيها التبرير ذا صلة بتكوين الاعتقاد، أى الحالات التى يكون فيها الشخص هدفا للنقد إذا لم يملك دليلا كافياً أو صحيحاً أو كان تناوله للدليل معيباً. ولكن هذا التحليل يغطى أيضا حالات التبرير اللا دليلى، أى الحالات التى يكون فيها الدليل خارجاً عن الموضوع. فقد يكون للشخص أسباب وجيهة للاعتقاد أن المثلثات ثلاثية الأضلاع، أو أن  $2 + 2 = 4$  ، أو أنه يعانى من الألم، وإذا كانت أسبابه من الصنف الصحيح فهو بمنأى عن النقد أو غير مستهدف للنقد.

والاستهداف للنقد لا يتوقف بالضرورة على وجود انتقاد فعلى يقدمه شخص ما. فقد يرتكب الناس أخطاء فى عملية تكوين الاعتقاد، يفوتهم أو يفوت الآخرين ملاحظتها. وقد يوجه الناس انتقادات لا محل لها، حيث لا وجود لأى خطأ من أى نوع. الاستهداف للنقد إذا مسألة موضوعية، تتوقف على محتوى الاعتقاد وعلى الأسباب العقلية وراء اعتقاده، وليست مسألة "إجماع اجتماعى". يبقى لنا بالطبع أن نرجع إلى أهل الاختصاص، فإذا كنا مهتمين مثلاً بمسألة ما إذا كان لأحد علماء الرياضيات مبرر فى اعتقاد رياضياتى معين، فلنا أن نستشير علماء رياضيات آخرين، من حيث إنهم الأكثر درية على اكتشاف ضروب الخطأ التى يتعرض لها المرء وهو بصدد تكوين اعتقاد رياضياتى.

## المعرفة وشروطها

رأينا فى التحليل القياسى للمعرفة أن على المرء استيفاء الشروط (١) و (٢) و (٣) كيما تكون لديه معرفة. ولا يتم ذلك إلا إذا كان يعتقد شيئاً، وكان هذا الشيء حقاً، وكان لديه تبرير لهذا الاعتقاد. فإذا كان شخصاً يعتقد شيئاً وكان هذا الشيء باطلاً، ولم يكن لدى الشخص تبرير لاعتقاده، فمن الجلى أنه ليس لديه معرفة (من ذلك أن يخمن تخميناً محظوظاً، أو يعتقد بناء على خرافة أو تحيز شيئاً ما اتفق له أن يكون صادقاً وحقيقياً).

وأخيراً قد يعتقد الشخص شيئاً باطلاً ولديه رغم ذلك ما يبرر اعتقاده. وهنا أيضاً يخفق فى أن يكون لديه معرفة. وهناك أيضاً أمثلة لتلك الحالة التى يكون للناس فيها أسباب وجيهة لاعتقاد شيء هو فى الحقيقة باطل. فقد كان للناس فى العصور الوسطى، فى حدود أدلتهم المتاحة، كل مبرر فى الاعتقاد بأن الأرض مسطحة. كانوا إذن يعتقدون شيئاً باطلاً له مبرراته.

## أمثلة جتير المضادة

هناك اتفاق عام على أن كل شرط من شروط المعرفة الثلاثة التى ناقشناها فى هذا الفصل هو شرط ضرورى. إلا أن كفاية الشروط الثلاثة مجتمعة كرزمة يبقى محل سؤال. فهل هناك احتمال أن يستوفى شخص الشروط الثلاثة جميعاً ثم لا نقدم له معرفة؟ لقد قدم الفيلسوف الأمريكى إدموند جتير E. Gettier (ولد العام ١٩٢٧) مؤخراً أمثلة مضادة لكفاية الشروط الثلاثة التى تشكل التحليل القياسى للمعرفة. وأصبحت هذه الأمثلة وأشباهاها تُعرف بأمثلة جتير المضادة **Gettier Counterexample**.

ولننظر فى أحد هذه الأمثلة. هَبْ أنتى أنظر من نافذة منزلى فأرى ما يأخذه أى عاقل مأخذ المطر الساقط، فيقع لى الاعتقاد أن السماء تمطر فعلاً. إلا أن ما أراه ليس مطراً حقيقياً فى واقع الأمر، بل هو مطر المؤثرات الخاصة الذى أعده طاقم سينمائى.

هذا المطر الزائف أت من رشاشات تحت سقف مؤقت. إلا أن السماء تمطر بالفعل في الوقت نفسه، ولو لم يكن هذا السقف المؤقت لهطل المطر الحقيقي مكان المطر السينمائي الذي أراه. إننى فى هذه الحالة أعتقد أن السماء تمطر، ولدى تبريرى لهذا الاعتقاد. ومع ذلك يبدو مستغرباً أن أقول إننى "أعرف" أن السماء تمطر. إن كون اعتقادى صادقاً فى هذه الظروف الخاصة التى يفترضها جتير فى هذا المثال يبدو مسألة مصادفة بحتة. ودليلى على كل حال يبدو قاصراً بشكل ما: لقد وقع لى الاعتقاد بأن السماء تمطر من خلال الاعتقاد الباطل أن المادة التى تسقط خارج النافذة هى مطر حقيقى.

ليس هناك إجماع بين الفلاسفة على الكيفية التى نتناول بها أمثلة جتير المضادة. فهل إمكانية إقامة مثل هذه الأمثلة تعنى أن التحليل القياسى غير مكتمل؟ لا، ليس بالضرورة. فقد تؤخذ أمثلة جتير المضادة كبيان على أن أحكامنا الخاصة بالتبرير، شأنها شأن معظم أحكامنا، غير معصومة أى عرضة للخطأ fallible أو قابلة للتصويب corrigible. فالشخص الذى يحكم أن السماء تمطر فى الظروف المذكورة للتو، إنما يصل إلى اعتقاده بطريق معقول. فإذا ما ثبت أن عملية تكوينه الاعتقاد على وجاقتها تستند إلى افتراض باطل (هو أن الذى هناك مطر حقيقى) فعندئذٍ يثبت أنه لا مبرر لاعتقاده، لأنه بعد كل شيء لا يستوفى الشرط (٣)، وعليه فليس من المستغرب أنه لا يعرف أن السماء تمطر.

### اعتبارات خاصة بمفهوم المعرفة

ثمة ملاحظة نهائية عن المعرفة، هى أن مفهومها الواحد يضم معاً ثلاثة اعتبارات مختلفة بعضها عن بعض تمام الاختلاف. الاعتبار الأول يتعلق بالشخص العارف وبالذى يعتقده. الاعتبار الثانى يتصل بما هو صادق بالفعل، وهو أمر لا علاقة له بالبتة بما يعتقد العارف (أو الراغب فى المعرفة) وأسبابه العقلية لاعتقاده - وجيهة أم باطلة، وافية أم قاصرة، وهو أمر لا علاقة له بآرائه الخاصة عن نوعية هذه الأسباب.

## مجمال

رأينا أن مفهوم المعرفة يمكن تحليله في حدود الاعتقاد والصدق والتبرير، وأن كلاً من هذه الحدود شرط ضروري للمعرفة، وأن لنا أن نعتبرها شرطاً كافياً حين تؤخذ مجتمعة، على الرغم من أمثلة جدير المضادة.

وينطبق تحليل المعرفة على صنف من الاعتقاد هو "الاعتقاد أن" (الاعتقاد بوصفه موقفاً قضوياً)، وليس "الاعتقاد في" (الاعتقاد بوصفه ثقة أو قناعة). فكوني أعتقد أن ق يتضمن أنني "أرى أن ق صادقة". وقد قادنا هذا إلى شرح مفهوم الصدق/الحقيقة.

والمعنى الذي يعنينا هنا من معاني الصدق هو صدق القضايا. ومن ثم فقد استعرضنا النظريات الرئيسية للصدق: نظرية اللا نظرية ونظرية التناظر ونظرية التساوق والنظرية البرجماتية ونظرية إمكانية الإقرار. ورأينا أن كل واحدة من هذه النظريات تضيف شيئاً إلى فهمنا لمفهوم الصدق.

وخلصنا إلى أن مبرر الاعتقاد بشيء ما هو أن يكون لدى المرء أسباب عقلية وجيهة لهذا الاعتقاد. وهو في معظم حالات الاعتقاد يعنى امتلاكه ما يكفي من الأدلة من النوع الصائب. ويعنى في جميع حالات الاعتقاد أن يصل إلى اعتقاده (وهو ما يسمى بعملية تكوين الاعتقاد belief formation) بطريقة لا تستهدف النقد.



## الفصل الثالث

### فلسفة العلم

#### مدخل

يبدأ هذا الفصل بلمحة عن فلسفة الشك (الارتيابية) أو الرأي القائل بامتناع أى معرفة على بنى البشر حتى وهم فى أفضل أحوالهم. وعلى الرغم من أن أغلب الناس اليوم، بما فيهم معظم الفلاسفة، يسلمون ببطالان مذهب الشك، فإننا لا نعدم الفائدة حين ندرسه؛ على الأقل لكى نقف على الأسباب التى دعت بعض الفلاسفة فى الماضى إلى الشك.

ويعتبر المذهبان العقلى والتجريبي هما أهم المصادر المعرفية المتعلقة بمصادر المعرفة. المذهب العقلى يعتبر العقل أو الفكر هو المصدر الرئيسى للمعرفة. بينما يرى المذهب التجريبي أن مصدر المعرفة هو التجربة.

ومنذ القرن السابع عشر حتى يوم الناس هذا، صار العلم هو المنبع الأساسى للمعرفة الجديدة. وسوف نكرس هذا الفصل لعرض محاولات الفلسفة فى فهم العلم، وعرض بعض المشاكل العامة التى أدت إليها هذه المحاولات. (إن جهودنا لفهم العلم يجب أن تعود علينا بفوائد، من بينها أن تساعدنا فى الإجابة على هذا السؤال: لماذا نجح العلم هذا النجاح الباهر؟) وسوف نبحث أيضا فى أوجه الاختلاف بين العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء، والعلوم الاجتماعية مثل علم الاجتماع وعلم الاقتصاد. وسوف ننظر فى النهاية فى مسألة هل هناك أنواع هامة من المعرفة لا تمت للعلم ولا تتصل به.

## مذهب الشك

### أصل الكلمة

تأتى الكلمات الحديثة: الارتياحية أو مذهب الشك skepticism ، وشكاك skeptic ، وشكى skeptical - تأتى جميعها من الكلمة الإغريقية القديمة skeptikos ، التى يمكن أن نترجمها إلى: متسائل أو مستعلم inquiring . أصل الكلمة إذن لا يعنى أكثر من ذلك الشخص الذى ما فتئ يسأل ويلتمس الإجابات ولم يصل بعد إلى اعتقادات راسخة. لقد كان قدامى الشكاك يميزون أنفسهم عن "الدوجمائيين dogmatists" - وهم أولئك الذين وصلوا إلى آراء ثابتة أو عقائد إيقانية قاطعة dogma . وتشير كلمة دوجما dogma فى الإنجليزية الحديثة إلى اعتقاد مبرم إلزامى بشأن نظام ما، وهو اعتقاد دينى فى الأعم الأغلب. بشكل عام، يُنظر إلى الدوجمائيين كأناس يتسم تشيعهم لاعتقاد ما بالتصلب واللاعقلانية. وبذلك ترى أن الاستعمال الإنجليزي الحديث قد ابتعد عن التمييز القديم بين الشكاك الذى يعلق الحكم والدوجمائي الذى يلتزم بالاعتقاد<sup>(١)</sup>.

(١) للغة تغيرات عديدة منها التغير الصوتى والتغير النحوى والتغير الدلالى أو السيمانطيقى. والتغير السيمانطيقى له أنواع عديدة منها ما يعرف باسم الانحدار السيمانطيقى semantic deterioration أو الزرابة pejoration ، وهو تغير يلحق بمعنى اللفظة فيكسبها دلالة سلبية. مثال ذلك ما حدث لكلمة "notorious" التى كانت فى الأصل تعنى "مشهور"، ثم انحدرت دلالتها وصارت تعنى "مُشْهُرٌ به" أى مشهور بشئ قبيح. ويندرج التغير الذى حدث لكلمة dogmatic فى هذا الصنف. فبعد أن كانت تعنى فى الأصل "نو اعتقاد راسخ" صارت تعنى "نويقين جازم متصلب لا يقبل نقاشاً أو تعديلاً أو تطويراً". الانحدار السيمانطيقى تقابله ظاهرة "التحسن السيمانطيقى" amelioration حيث تكتسب اللفظة دلالة إيجابية أو يزايلها ما كان لها فى الأصل من دلالة سلبية. مثال ذلك كلمة أى وزير، فقد كانت قديماً تعنى "خادم" (وما تزال تستعمل كفعل بمعنى يسعف أو يعين أو يقدم خدمة)، وكذلك كلمة nice أى لطيف، فقد كانت قديماً تعنى "غبى أو أحمق". والأمثلة كثيرة تعز على الحصر. (المترجم) ويمكن أن نجد أمامنا مثالا حيا على هذا فى كلمة (الزمالك) كاسم لأرقى أحياء القاهرة، وهى فى الأصل جمع (الزمالك) أى العشة الحقيرة، وفى المقابل حى (بولاق) الشعبى وكلمة بولاق فى الأصل تحريف لنطق فرنسى يعنى البحيرة الجميلة.

## تعريف مذهب الشك

حين ننظر إلى أصل الكلمة قد يسبق إلى توقعنا أن مذهب الشك هو اسم لمرحلة مؤقتة أو موقف مبدئي قد يتركه المرء إذا ما حظى في النهاية بالأجوبة الشافية عن أسئلة محورية معينة. غير أن الأمر عكس ذلك. فقد تصلبت النزعة الشكية إلى موقف فلسفي ثابت. فمذهب الشك يرى أن البشر يفتقرون إلى المعرفة. وفي حين يقف الشكاك الأكثر اتساقاً عند هذا الإقرار المجرد، فإن معظم الشكاك في واقع الأمر يعتبرون المعرفة شيئاً مستحيلاً.

## الشك الكلي والشك الجزئي

يذهب صاحب الشك الكلي إلى أن البشر يفتقرون إلى المعرفة جميعاً، أي أن كل دعوى تفيد معرفة شيء ما، هي دعوى باطلة من دون استثناء. ويذهب صاحب الشك الجزئي إلى أن البشر يفتقرون إلى المعرفة في نطاقات بعينها أو في موضوعات معينة. بعض الناس يدعون معرفة المستقبل، والبعض يقف من ذلك موقف الشك. وبعض الناس يدعون معرفة الله والحياة الأخرى، والبعض شكاك في هذا. بعض الناس يدعى معرفة الأخلاقية أو الفضيلة، وبعضهم في شك من ذلك.... وهلم جرا. ولا بد للشك الجزئي من أن يدعم نفسه بحجج تتعلق بمسألة إمكان المعرفة في ذلك النطاق الخاص. وقد يأتى بعض الشكاك الجزئيون بحجج وجيهة تؤيد شكهم، حتى لو افتقر الشك الكلي إلى أية حجة تدعمه.

## حجج الشك الكلي

قدم الشكاك الأقدمون والمحدثون كثيراً من الحجج لتحطيم ثقتنا المعرفية المألوفة. وتفعل هذه الحجج فعلها دائماً بالتداخل والتراكم. وفيما يلي ثلاث من أهم الحجج المولدة للشك :

**حجة المعيار :** فنحن لا نستطيع أن نميز بين الصدق والكذب من دون معيار أو قاعدة. وبطبيعة الحال، يتعين أن يكون هذا المعيار صادقاً. وبذلك نكون أمام أحد أمرين:

إما أننا لا نملك سبباً للاعتقاد في صدق هذا المعيار، وإما أن علينا أن نأتى بمعيار ثانٍ ليضمن لنا صدقه. وما فعلنا بذلك إلا أن أعدنا المشكلة برمتها كرة أخرى (بصدد المعيار الثانى هذه المرة). ولسنا بحاجة إلى كثير عناء لنذكر أننا قد دخلنا بذلك فى تراجع لا نهائى *infinite regress* ، أى دخلنا فى سلسلة من الخطوات كل منها يتطلب منطقياً خطوة تالية، وهكذا إلى غير نهاية.

**حجة الدليل :** تفيد هذه الحجة أننا نظل غير موقنين بصدق عبارة ما مهما يكن دليلنا عليها. فاحتمال كذب العبارة قائم دائماً، لأن دليلنا على صدق العبارة - أو ما نعتبره دليلاً - قد يكون مضللاً تماماً.

**حجة التوازن :** مفاد حجة التوازن أنه مهما نأت من حجج مؤيدة لعبارة ما، فإن هناك دائماً احتمالاً لأن يعثر المرء على حجج مضادة (أو يؤسسها إن كان ماهراً)، وبذلك تكون الحجج المؤيدة والمضادة فى توازن يجعل الشخص العقلانى يعلق حكمه، إذ لا يجد سبباً لأن يعتقد فى صدق العبارة أوجه مما يجد لاعتقاده فى عكسها.

### تقييم حجج الشك

تضىء لنا كل حجة من حجج الشك جانباً من مفهوم المعرفة، بيد أن أياً منها لا يقنعنا بالضرورة أن المعرفة شىء مستحيل. ولنفحص الآن هذه الحجج الواحدة تلو الأخرى.

**تقييم حجة المعيار :** ليس صحيحاً ما تدعيه هذه الحجة من أننا نعتمد على معيار وحيد عندما نقرر أى من العبارات نقبل. فنحن حين نبني أحكامنا عن صدق العبارات المنفردة أو كذبها، إنما نعتمد على عدد وفير من العبارات الأخرى نسلم بصحتها. هذه العبارات المسلم بها تشكل لنا "خلفية من الفروض" كلما أخذنا فى إقامة حكم. صحيح أننا بمضى حياتنا المعرفية قد يعن لنا فى مناسبة ما أن نعدل أو نرفض مفردة كانت حتى ذلك الحين فرضاً خلفياً، إلا أن ذلك لا يدعونا إلى فقدان الثقة المعرفية فقداناً تاماً، بل علينا أن نعصم أنفسنا من اليأس والانهازامية بشىء من التواضع والتجريب،

وبإدراك واقعي مفاده أن هناك على الأغلب مجالاً للتحسن المعرفي. بل هذا في الحقيقة هو الحاصل في كل الأحوال تقريباً.

**تقييم حجة الدليل :** على الرغم من صحة كل المقدمات في هذه الحجة، فإنها لا تدعم الدعوى القائلة إننا لا نملك معرفة. تفيد هذه الحجة أنه مهما يكن لدينا من دليل يريد عبارة ما، فإنه يظل من المحتمل منطقياً أنها عبارة كاذبة. وهذا يعني أن الأمر لا ينطوي على تناقض إذا ما ثبت أن العبارة المعطاة كاذبة حتى ولو كانت مدعومة بأقوى الأدلة. ومن أجل تقريب هذه الفكرة، كثيراً ما لجأ الفلاسفة إلى وضع احتمالات بعيدة، منها ذلك المثال الشهير عن "حالة المخ في الراقود"<sup>(٢)</sup> : لو أنني مخ في راقود (ولنقل إنني حُفِظْتُ حياً بعد حادث دمر بقية جسدي) وكان كل شيء معداً ومنظماً

(٢) الراقود هو وسط حافظ للحياة. ويعد "المخ في الراقود" the brain in the vat مثالاً نموذجياً لما يطلق عليه "تجارب الفكر" "thought experiment". وتجارب الفكر بدورها أداة منهجية فعالة فلسفياً وعلمياً. وإذا كنا في التجربة العلمية العادية نحدث بالفعل مسلسلاً من الأحداث، فنحن في تجربة الفكر مدعوون إلى تخيل مسلسل. وبوسعنا عندئذ أن نتبين أن نتيجة ما سوف تترتب أو أن وصفاً ما هو الملانم، أو أن عجزنا عن توصيف الموقف يحمل في حد ذاته نتائج معينة. وقد لعبت تجارب الفكر دوراً كبيراً في تطور الفيزياء.

من تجارب الفكر الشهيرة تجربة "غرفة اللغة الصينية". التي ابتكرها الفيلسوف الأمريكي ج. سيرل العام ١٩٨٠ لكي يدحض دعوى "الذكاء الصناعي الفائق" التي تقول إن الحواسيب المبرمجة جيداً لديها فهم وحالات معرفية وأن برامجها يمكن أن تساعدنا في تفسير المعرفة البشرية. ومن تراثنا الفلسفي الإسلامي نذكر تجربة ابن سينا الشهيرة المعروفة باسم "حجة الإنسان المعلق في الفضاء"، لإثبات وجود النفس وجوهريتها وبالتالي خلودها، إذ يدعونا ابن سينا إلى تخيل إنسان كامل النضج يأتى إلى الوجود فجأة وهو معلق في الفضاء معصوب العينين.... إلخ بحيث لا يكون لديه إحساسات من أى نوع، غير أنه لا شك يظل لديه الوعي والدراية بوجوده وبنفسه. وبهذه الحجة استبق ابن سينا الكوجيتو الديكارتي بقرون. ولعل تأملات ديكارت في كتابه "المقال في المنهج" كلها تجارب فكر، ومن أشهرها تجربة الشيطان الخبيث malin génie الذي يعبت بعقولنا ويرينا الباطل حقاً (ولا يخفى أن حالة المخ في الراقود هي صورة حديثة لتجربة الشيطان الخبيث لديكارت). ومن تجارب الفكر الشهيرة في العصر الحديث تجربة "آينشتين - بوبولسكى - روزين" عام ١٩٣٥ لإثبات أن ميكانيكا الكوانتم لا تقدم وصفاً كاملاً للواقع الفيزيائي، وتجربة "قطة شرودنجر" عام ١٩٣٥ التي يحاول فيها هذا الفيزيائي النمساوي أن يثبت الطبيعة الغريبة لعالم الكوانتم وصعوبة تصور مفاهيم عدم التعيين الخاصة بهذا العالم حين تُنقل إلى عالم الأشياء اليومية المألوفة.

بحيث يستقبل جهازى العصبى المنبهات الصحيحة، فسوف تكون لدى كل الخبرات أياً كان نوعها. فحين أصدر أحكاماً مبنية على خبرتى، وأنا فى هذا الوضع، كأن أحكم بأنى جالس أذاكر أو أنتى أضغط مفاتيح معالج الكلمات... إلخ، فإن هذه الأحكام تحتمل الكذب والبطلان.

ثمة قولان يجب أن يقالا عن هذا المثل وأشباهه. ما تقول هذه الأمثلة أنه ممكن منطقياً هو فعلاً ممكن منطقياً. ولكن وجود الإمكان المنطقى فى شىء لا نجد سبباً للاعتقاد بأنه هو القائم حقاً، يجب ألا ينال من ثقتنا المعرفية.

إن ما يجب أن تفعله حجة الشك الثانية فى واقع الأمر هو أنها تمنح المبرر الشخصى مكانة عالية زائدة وغير واقعية معاً. فبمقتضى هذه الحجة فإن س من الأشخاص لديه مبرر لاعتقاده أن ق، إذا وفقط إذا كان غير ممكن منطقياً (بالنظر إلى الدليل الذى لدى س) لـ ق أن تكون كاذبة. إن مفهومنا الفعلى للمعرفة يسمح لنا أن نميز بين المواقف التى يعرف فيها الشخص شيئاً ما، والمواقف التى لا يملك فيها معرفة مهما تكن دعاواه. هذه القدرة على التمييز هى التى نجعل مفهومنا للمعرفة ذا نفع لنا. ونحن نفقدها حالما نتقبل معايير للمعرفة لا يتم استيفاؤها أبداً.

إننا فى أفضل الأحوال نصل إلى الاعتقاد بأشياء عديدة تستند إلى دليل من النوع الذى من شأنه أن يحمل أى شخص عاقل على أن يعتنق نفس الاعتقادات. وفى مثل هذه الأحوال يحق لنا أن نقول إننا نعرف الأشياء التى نعتقد بها. ويحق لنا أيضاً، فى أفضل الأحوال، القول إننا على يقين. ولكن هل يحق لنا القول إننا على يقين مطلق؟ لا، ليس تماماً. إذ حتى فى أفضل الأحوال قد يتكشف لنا أننا على خطأ.

= ليس هناك اتفاق معقود بين الفلاسفة على الشرعية المنهجية لتجارب الفكر، سواء كبديل للتجارب الواقعية أو كأداة يعتمد عليها فى إدراك الإمكانيات. وقد رأى توماس كون أن تجارب الفكر تكثر فى مرحلة "الأزمة العلمية التى تتراكم فيها الشذوذات" وتضعف النموذج الإرشادى للعلم القياسى. وهو يعترف بأهميتها، لكنه يتساءل: كيف تأتى لها مثل هذه التأثيرات الهامة على الرغم من أنها تتعامل مع مواقف لن تُفحص فى العمل وأحياناً تقتضى مواقف لا يمكن أن تفحص ولا يمكن أن تحدث فى الطبيعة. ومهما يكن من شىء فإن تجارب الفكر كانت وما تزال تستخدم بنجاح كبير ولا سيما فى الفيزياء الحديثة. (المترجم)

ونكرر إن إدراكنا لذلك يجب ألا يثير أزمة في ثقتنا المعرفية. فدعاوى المعرفة إنما هي "غير معصومة fallible" (أي أنها قابلة للخطأ)، وبالتالي - ولحسن الحظ - هي "قابلة للتصويب corrigible". مرة ثانية نكرر إننا نملك معرفة عندما نكون على يقين منها بقدر ما أتيح للبشر من يقين<sup>(٢)</sup>.

**تقييم حجة التوازن :** قد ننظر إلى هذه الحجة كصيغة فلسفية للملاحظة المبتذلة التي تفيد "أن لكل رواية وجهين". إن كلا من الحجة والملاحظة المبتذلة يمسك بشيء صحيح. ففي معظم الأحيان، خاصة فيما يتعلق بالأمور المعقدة أو الخلافية أو غير التامة الوضوح، تكون هناك حجج مع وحجج ضد. حجة التوازن تذكرنا بأننا يجب ألا نتخذ حكماً قبل أن نسمع حجج الجانبين. (وهي تذكيرة مفيدة جداً). غير أنها تبقى مستندة إلى شيء غير صحيح. فليس حقاً أن حجج الجانبين يجب أن تكون متساوية في السداد والإقناع والأهمية. فرغم الاحتمال الحقيقي لوجود وجهين لكل رواية، فإن أحدهما في كثير من الأحيان يستحق، لأسباب منطقية وجيهة، أن تكون له الغلبة.

(٢) يُنسب إلى الفيلسوف الأمريكي تشارلز ساندرز بيرس (1839-1914) C.S. Pierce مذهب يطلق عليه مذهب اللا معصومية fallibilism . وهو يعنى بذلك أنه ليس من الضروري أن تكون الاعتقادات يقينية أو مبنية على اليقين ، فإن لنا أن نقنع أحياناً باعتقاداتنا في الظروف التي نتشوف فيها لدليل جديد يدفعنا إلى مراجعة رأينا غير أنه قد يوافقنا في أوانه. وفي الحق أن علينا - مادام هذا هو حالنا دائماً - أن نعتصم بهذه الروح ونتذرع بهذا الموقف وإلا وقعنا في الارتياحية. وبذلك يعد هذا الموقف منزلة بين منزلتين، ويفرغ له مكاناً وسطاً بين موقفين كليهما معيب: الموقف الدوجماتيقي والموقف الشكي. (المترجم)

وجدير بالذكر أن المعالجة الفلسفية للا معصومية أو القابلية للخطأ أو للتكذيب falsifiability وبالتالي القابلية للتصويب.. نقول إن المعالجة الفلسفية لهذه الفكرة بلغت أوج ذراها مع كارل بوبر (1902- 1994) K. Popper الذي جعل القابلية للتكذيب الخاصة المنطقية الميزة للمعرفة العلمية، أو معيار العلم وسر تقدمه المستمر، وعلى أساسها قدم أقوى وأنضج معالجة فلسفية لمنطق النظرية العلمية. (المراجعة)

## مفارقة المذهب الشكى

تقع المفارقة paradox عندما نشعر أننا مدفوعون لأن نقول شيئاً ما، قائماً على حجة أو على وضوح الحس المشترك، ونشعر في الوقت نفسه أنه لا يمكن أن يكون صحيحاً. فالشكاك الكلى (وليس الشكاك الجزئى) يقع فى مفارقة نوضحها كما يلى: حين يقرر الشكاك الكلى أن البشر لا يعرفون شيئاً، يبدو كمن يدعى أنه "يعرف" أن البشر لا يعرفون شيئاً. بيد أن هذا لا يمكن أن يكون صحيحاً؛ فإذا كان البشر بالفعل لا يعرفون شيئاً، فالشكاك إذن لا يمكن أن يعرف أن البشر لا يعرفون شيئاً.

لقد حاول أحد مشاهير الشكاك القدامى، هو ديوجين (٤١٢ - ٣٢٤ ق.م.) أن يتفادى مفارقة الشككية هذه بطريقة فريدة من نوعها. فبعد أن قضى سنين عمره يقول إن البشر لا يعرفون شيئاً وأنه ليس هناك فى الحقيقة شىء يستحق أن يقال، أدرك ديوجين أخيراً أنه كان يزعم معرفة شىء واحد على الأقل، وأن أفعاله كانت تفصح عن اعتقاده بأنه يجدر القول على الأقل أن لا شىء يستحق أن يقال! عندها تبنى ديوجين سياسة الصمت التام. وعاش بقية عمره على قمة نصب تذكارى فى الميدان العام لإحدى المدن، حيث ألف مواطنوها أن يشيروا إلى ديوجين بوصفه الشكاك الوحيد المتسق مع ذاته. لقد استطاع ديوجين أن يبين ما لم يستطع أن يقر بمعرفته أو يدعيها: قد يكون المذهب الشكى حقاً (وقد كان ديوجين يراه حقاً) ولكن، إن كان حقاً، فلن يمكن لأحد أن يعرف أنه حق.

## العقلانية

### أصل الكلمة

تأتى كلمة "العقلانية rationalism" من الكلمة اللاتينية ratio وتعنى "العقل reason". وكلمة reason لها فى الإنجليزية عدد من المعانى المتباينة، يجب أن تفهم فى سياقنا الحالى كإشارة إلى ملكة من ملكات الذهن البشرى أو قوة من قواه. والعقل reason بهذا المعنى يسمى أيضاً الفكر intellect. وكما هو الحال بالنسبة لكثير من المصطلحات

الفلسفية الأساسية، تُستعمل كلمة عقل *reason* فى كل حال تقريباً بشكل تقابلى. والتقابل العامل هنا هو بين العقل وإدراك الحواس (أو الخبرة الحسية). ويمكننا الحصول على فكرة مبدئية عما تعنيه ملكة العقل حين ننطلق من الأمثلة التالية :

(١) إننا قد نتلقى كلمات إحدى النكات (أى نسمعها أو نقرأها) بحواسنا، ولكننا لا نتفوه بها أو نعى مغزاها إلا بعقلنا.

(٢) قد نتعرف على المثلثات بالنظر إلى صورتها مرسومة على السبورة أو مطبوعة فى الكتب. ولكن إدراك أن المثلثات يجب أن يكون لها ثلاثة أضلاع، هو شىء نفهمه بعقلنا.

(٣) قد نقرأ تعريف العدد الأصم فى أحد المعاجم، أو يخبرنا مدرس بما يعنيه العدد الأصم (هو عدد صحيح لا ينقسم بغير باقى إلا على نفسه أو على واحد). ولكن فقط باستعمال عقلنا يمكننا أن ندرك أن ٢ هو حتماً العدد الزوجى الأصم الوحيد.

### تعريف العقلانية

يذهب الفيلسوف العقلانى إلى أن العقل هو مصدر كل المعرفة البشرية. (وثمة أيضاً صورة أقل تشدداً من العقلانية ترى أن العقل هو المصدر الرئيسى للمعرفة، أو أن العقل هو مصدر النمط الأهم من المعرفة).

### العقلانية والرياضيات

ليس من قبيل المصادفة أن معظم العقلانيين من الفلاسفة، بما فيهم أفلاطون (٤٢٨-٣٤٧) وديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠) كانوا رياضيين أيضاً. فالمذهب العقلى ينظر إلى الرياضيات بوصفها نموذج المعرفة ومثالها المحتذى. فعلى الرغم من وجود أنواع كثيرة من الحقائق الرياضية فإنها تشترك جميعاً فى سمة عامة غاية عى الأهمية: هى أنها "حقائق ضرورية *necessary truths*". الحقائق الضرورية ليست حقائق بالمصادفة أو الاتفاق. إنها حتماً حقيقية، ولا يسعها إلا أن تكون حقيقية، ولا توجد حالات أو ظروف يمكن أن تجعلها كاذبة.

## ٢ + ٢ = ٤ كمثال للحقيقة الضرورية

انظر إلى المعادلة الرياضية الأولية جداً:  $٢ + ٢ = ٤$ ، قد تكون أنت وأنا قد تعلمنا ذلك بأن عُرِضت علينا أشياء من قبيل جميع قالبين وقالبين آخرين. إلا أن العقلانيين عن صواب يقيمون الحجة على أن  $٢ + ٢ = ٤$  لا تتوقف على مثل هذه الخبرات. إنها ليست تعميمات من خبراتنا بتجميع الأشياء أو ضمها سوياً؛ فهي لو كانت تعميماً من الخبرة لكانت عرضة للتصحيح القائم على خبرة تالية (هكذا يُحتمل أن يكون شخص ما قد وضع هذا التعميم المعقول "كل المعادن صلبة في درجة حرارة الحجرة" قبل أن يعرف الزئبق). نقول بعبارة أخرى إنه لو كانت  $٢ + ٢ = ٤$  تعميماً من الخبرة لكانت "قابلة للتصويب" *corrigible*، لكننا لا نعتبر  $٢ + ٢ = ٤$  قابلة للتصويب.

ولنضرب مثلاً لتوضيح ذلك: ليست كل التجميعات إضافية في الخبرة الواقعية. فحين نخلط ليترين<sup>(٤)</sup> من الكحول النقي وليترين من الماء لا نحصل على أربعة ليترات من السائل، بل أقل من ذلك قليلاً (وهناك تفسير وجيه تماماً لذلك: الجزيئات المختلفة الحجم تنزلق بين بعضها البعض بطريقة تشبه إلى حد كبير ما تفعله حبيبات الرمل والرخام على المستوى الماكروسكوبي أو العياني). ولكننا لن نعتبر حالة الكحول/الماء أو حالة الرمل/الرخام كشواهد على أن هناك خللاً في علم الحساب. إن  $٢ + ٢ = ٤$  ليست تنبؤاً عما نحصل عليه عندما تجمع الأشياء أو نخلطها أو ما شئت.  $٢ + ٢ = ٤$  هي عن الأعداد. وما تقوله عن الأعداد هو صادق بالضرورة.

## تقييم العقلانية

إن وصف الفيلسوف العقلاني للحقائق الرياضية هو أفضل كثيراً من توصيفات سواه المتنافسة التي تقوم على الخبرة، فهو وصف يطلعنا على كنهها ويفسر لنا سر ضرورتها وعدم قبولها للتصويب، غير أن هذا لا يعني بحال أن العقلانية هي أفضل

(٤) يستعمل المؤلف معيار الكوارت quart وهو يساوي ربع جالون، فنقلناها في العربية إلى اللتر للتبسيط.

وجهات النظر جميعاً وأكثرها إحاطة بجميع جوانب حياتنا المعرفية. لأنه ليس من الصواب كما يدعى العقلانيون أن كل الحقائق إما أن تكون مثل كل الحقائق الضرورية للرياضيات أو ينبغى أن تكون مثلها. إن ما تفعله العقلانية في حقيقة الأمر هو أنها تستبدل بالشرط الثانى فى تحليل المعرفة (إن من الحق أن ق) هذا الشرط القوى بدرجة غير واقعية: إن من الحق "بالضرورة" أن ق. ويرمز لكلمة الضرورة فى البحوث المعاصرة عن الحقيقة الضرورية بالرمز "□" (□ هو واحد من عدد صغير مما يُسمى بالعوامل الجهوية modal operators). وعن طريق إضافة الوضع الجهوى<sup>(٥)</sup> □ = ٢ + ٢ = ٤، يمكن أن نكتبها هكذا : □ = ٢ + ٢ = ٧ .

هناك بعض من الحقائق التى نعرفها، لديها بالفعل هذا الوضع الجهوى المشار إليه بالعلامة "□" ولكن ثمة أشياء كثيرة نعرفها لا تمتلك هذا الوضع الجهوى الذى يشير إليه عامل الضرورة هذا. مَبَّ أن الكلب فى الفناء الخلفى. فإذا كنت أعتقد أن الكلب فى الفناء الخلفى وكان لدى أسباب صحيحة لاعتقادى، فأنا إذن أعرف أن الكلب فى الفناء الخلفى. بيد أن العبارة الآتية كاذبة : "الكلب فى الفناء الخلفى". فحتى لو كان الكلب فى الفناء الخلفى، ليس صحيحاً أنه يجب أن يكون فى الفناء الخلفى. وحتى لو كان احتمال أن الكلب فى الفناء الخلفى عالياً جداً (لأنه دائماً هناك، أو لأنه محبوس داخل سياج.... إلخ) فإنه يبقى هناك احتمال حدوث شيء ما - زلزال على سبيل المثال - من شأنه أن يجعل الكلب فى مكان آخر. وفى كل حال، لا يمكن أن يكون وجود الكلب

(٥) الجهة modality هى نسبة المحمول إلى الموضوع من جهة الضرورة أو الإمكان أو الامتناع. لا يخلو المحمول فى القضية من أن تكون نسبته إلى الموضوع نسبة الضرورى الوجود فى نفس الأمر، أو نسبة ما ليس ضرورياً لا وجوده ولا عدمه، أو نسبة ضرورى العدم. جميع مواد القضايا فى هذه: مادة واجبة، ومادة ممكنة، ومادة ممتنعة... الجهات ثلاث: واجب ويدل على دوام الوجود، وممتنع ويدل على دوام العدم، وممكن ويدل على لا دوام وجود ولا عدم. (ابن سينا، النجاة، ص ١٧) ويرجع الأصل فى هذا التقسيم إلى أرسطو القائل: كل مقدمة إما أن تكون مطلقة وإما اضطرارية وإما ممكنة. والجهة عند كانط هى إحدى المقولات الأربع التى تنقسم لها الأحكام. ومن حيث الجهة تنقسم الأحكام إلى: أحكام تقريرية assertoric وأحكام ضرورية apodictic وأحكام إشكالية problematic. ويقابل هذه الأحكام الثلاثة مقولات ثلاث تسمى مقولات الجهة: وجود ولا وجود، ضرورة وحدث، إمكان وامتناع. (المترجم)

فى الفناء الخلفى حقيقةً ضروريةً، لأنه ليس من الحقيقة الضرورية فى شىء أن هذا الكلب المعين الذى نتحدث عنه قد أتى إلى الوجود من الأساس!

## ”القبلى” و”التحلىلى” و”التركيبى”

ثمة ثلاثة مصطلحات شائعة الاستعمال، سوف تساعد فى شرح الفارق بين العقلانية واللاعقلانية :

**القبلى APriori :** هذا التعبير اللاتينى يعنى حرفياً ”أول” أو ”سابق”. ولكنه فى مباحث العقلانية صار يعنى ”سابق على التجربة” أو ”مستقل عن التجربة” وغير معتمد عليها. ويعتقد العقلانيون يقيناً بوجود شىء من قبيل المعرفة القبلىة. ولكن اللاعقلانيين يعتقدون ذلك أيضاً. لذا يلزم لكى نميز العقلانيين عن اللاعقلانيين أن نعرض لمفهوم ”الحقيقة التحلىلىة” أو ”العبارة التحلىلىة”.

**٢ – التحلىلى Analytic :** تكون العبارة تحلىلىة (والحقيقة التى تعبر عنها أيضاً تحلىلىة) إذا وفقط إذا كانت صادقة بحكم التعريف. ومن أمثلة العبارات التحلىلىة ”العزاب غير متزوجين”، ”المثلثات لها ثلاثة أضلاع”.

**٣ – التركيبى Synthetic :** الحقيقة التركيبية هى أى حقيقة تتصف بأنها ليست حقيقة بحكم التعريف. عبارة ”الكلب فى الفناء الخلفى” تقرر حقيقة تركيبية (حين تكون صادقة)؛ لأنها حقيقة ليست مترتبة على تعريف الكلب أو الفناء الخلفى أو أية كلمة أخرى فى جملة ”الكلب فى الفناء الخلفى”.

يتفق العقلانيون واللاعقلانيون على أن الحقائق التحلىلىة تُعرف بشكل قبلى. فكون العبارة ”العزاب غير متزوجين” صادقة هو شىء يفهمه أى شخص يفقه العبارة. ومن يظن أنه من الضروري القيام بمسح شامل للعزاب ليكشف إن كانوا غير متزوجين، فهو يزرع تحت خطأ فادح فى الفهم. ورغم ذلك يعتقد العقلانيون – والعقلانيون فقط – أن لدينا معرفة قبلية بالحقائق التركيبية. وهم فى العادة لا يدعون معرفة قبلية بأشياء مثل ”الكلب فى الفناء الخلفى”، بل هم يميلون إلى ازدراء مثل هذه المعرفة ويرونها لا تستحق اسم المعرفة.

من أمثلة الأشياء التي قد يدعى العقلاني أنه قد يعرفها "قبلياً" أن كل حدث له علة. وعلينا أن نحذر الخلط بينها وبين الحقيقة التحليلية "أن لكل معلول علة" (٦). فإذا كنا نعرف فعلاً وبشكل قبلي أن كل حدث له علة، أو بعبارة أخرى أن كل حدث هو معلول، أمكن أن يكون هذا مثلاً للمعرفة القبلية التركيبية (٧).

## المذهب العقلي والواقع الرياضي

يعتبر الفلاسفة اللاعقلانيون حقائق الرياضيات "حقائق بحكم التعريف" (أو محصلات consequences لمثل هذه الحقائق). ويرون أن معرفتنا لها هي من قبيل المعرفة القبلية للحقائق التحليلية. وعلى هذا فإن  $٢ + ٢ = ٤$  صادقة بسبب تعريفات ٢، ٤، +، =.

(٦) يمكن أن نعرف التحليلي والتركيبى بتعبير آخر فنقول: إن القضية التحليلية هي قضية لا يضيف محمولها شيئاً إلى موضوعها، بل هو جزء من تعريفه أو ماهيته. بينما القضية التركيبية هي قضية يضيف محمولها شيئاً غير متضمن في الموضوع، وغير داخل في تعريفه أو ماهيته. فعبارة "كل معلول له علة" هي عبارة تحليلية لأن العلة داخلية في معنى المعلول وجزء من تعريفه، ومن ثم لم تضاف إليه شيئاً ليس منه. في حين أن "كل حدث له علة" هي عبارة تركيبية لأن العلة ليست جزءاً من معنى الحدث وليست داخلية في تعريفه، بل تضاف إليه شيئاً ليس منه، وتخبرنا عنه خبراً ليس متضمناً فيه، ومن الممكن إنكارها دون الوقوع في تناقض ذاتي لفظي. (المترجم)

(٧) يعتبر إيمانويل كانط (1724-1804) I. Kant أهم الفلاسفة القائلين بوجود أحكام قبلية وتركيبية synthetic a priori في أن واحد معاً. وكان الهدف العام من كتابه "نقد العقل الخالص" هو إثبات كيف تكون الأحكام التركيبية القبلية ممكنة. أما الهدف الخاص فهو إمكان قيام الرياضة، لأن القضايا الرياضية في رأيه قبلية تركيبية. والمثل الذي يضربه مستمد من الحساب وهو حاصل جمع الخمسة والسبعة (صدى لمثال أفلاطون في محاوره ثياتيتوس). فالقضية  $٥ + ٧ = ١٢$  هي عند كانط قضية قبلية (لأنها غير مستمدة من التجربة)، غير أنها أيضاً تركيبية لأن مفهوم ١٢ ليس متضمناً في ٥، ٧، +. وعلى ذلك يرى كانط أن الرياضيات قبلية تركيبية. وقد تعرض هذا الرأي إلى انتقادات ساحقة من جانب الفلاسفة التحليليين والوضعيين المناطقة وغيرهم من المعنيين بأسس الرياضيات، وانعقد ما يقرب من الإجماع على الطبيعة التحليلية الخالصة للرياضيات. أما المثال الهام الآخر للأحكام التركيبية القبلية عند كانط فهو مبدأ السببية أو العلية. فهي قبلية لأنها - كما قال هيوم - غير مستمدة من التجربة. غير أنها أيضاً تركيبية لأننا يمكن أن ننكرها دون أن نقع في تناقض ذاتي لفظي. ومع ذلك فهي عنده مبدأ تركيبى قبلي يستحيل بدونه قيام المعرفة. (المترجم)

وفى المقابل يعتبر العقلانيون الحقائق الرياضية حقائق تركيبية. فالحقائق الرياضية عندهم تتحدث عن عالم منفصل ومستقل ولا يمكن رده إلى غيره، هو الواقع الرياضى الذى يمكن للبشر حين يستعملون العقل فى صورته الخالصة أن يجولوا فيه ويأتوا باكتشافات عنه.

## الفطرية innateness

يعتقد كثيرون من العقلانيين - وإن لم يكن ذلك جزءاً من مذهبهم - أن فى المعرفة البشرية جانباً فطرياً (أو خلقياً). وما يجعل افتراض الفطرية innateness جذاباً هو أنه يبدو من المعقول أن الإنسان يلزم أن يكون عارفاً بشيء ما كيما يتعلم شيئاً ما. بينما يبدو البدء من الصفر ثم تعلم كل شيء من التجربة أمراً لا يستسيغه العقل. إن اللغوى المعاصر نوام تشومسكى N. Chomsky (ولد عام ١٩٢٨) له جهود لإثبات ذلك فى المجال الهام - مجال اللغة.

ربما لا يصدق أننا ولدنا مزودين بمعرفة بمعنى "معرفة قضايا"، إلا أنه من السائغ عقلاً أن نزعّم أن دماغنا وجهازنا العصبى مركبان منذ الولادة بطريقة تمنحنا ضرباً من المعرفة المتأصلة من نوع "معرفة كيف". وأحياناً ما يجرى تشبيه الخبرة بالكتابة على لوح إردواز غفل أو "صفحة بيضاء". وترتبط هذه الصورة للذهن البشرى كلوح فارغ خلو من الأفكار والمبادئ الفطرية بالتجريبيين الإنجليز الكلاسيكيين، وبخاصة جون لوك (1632-1704) J. Lock<sup>(٨)</sup>.

(٨) جدير بالذكر أن الفيلسوف التجريبى كارل بوبر يرفض بالطبع الفطرية، ويرى أن القول بأفكار يولد بها الذهن البشرى إنما هو خلف محال، لكنه يرفض رأى التجريبيين المتطرفين أمثال جون لوك الذين يرون الذهن يولد صفحة بيضاء تخطها التجربة. ويرى بوبر الذهن يولد مزوداً بمجموعة من النزوعات والتوقعات الفطرية، التى قد تتغير وتتعدل مع تطور الكائن الحى، وقد تكون على درجة كبيرة من الاختلاف والتعقيد، وهى تتحد فيما بينها لخلق ملكات الإنسان: النزوع إلى الحب.. إلى العطف.. إلى مناظرة الحركات.. إلى أن نتحكم فى هذه الحركات المناظرة ونصححها، وأن، نستعملها ونتواصل عن طريقها.. والاحتياج إلى لغة نتسلم بواسطتها الأوامر والطلبات والتحذيرات، والنزوع إلى تأويل العبارات الوصفية، =

## التجريبية

### أصل الكلمة

تأتى كلمة "التجريبية" empiricism من الكلمة اليونانية emperia وتعنى الخبرة. وعلى الرغم من أن كلمة الخبرة experience تستعمل فى الإنجليزية بطرق متباينة (حتى أنها تسمح لنا بالتحدث عن حدس أو إدراك باطنى خالص بوصفه خبرة) فإن كلمة الخبرة experience حين تأتى بمعرض الحديث عن التجريبية تعنى دائماً الخبرة الحسية، أى التجربة التى تعتمد أساساً على عمل واحدة أو أكثر من حواسنا الخمس.

### تعريف التجريبية

يذهب الفيلسوف التجريبي إلى أن الخبرة هى مصدر المعرفة البشرية. (هناك أيضاً صور من التجريبية أقل تطرفاً ترى أن التجربة هى المصدر الرئيسى للمعرفة، أو أن التجربة مصدر النمط الأهم من المعرفة).

### التجريبية والملاحظة

ينطلق التجريبيون من فكرة معقولة للغاية، هى أن معرفة العالم يجب أن تتأسس على ملاحظة العالم<sup>(٩)</sup>. فإذا أردت أن أعرف مثلاً إن كان الكلب فى الفناء الخلفى،

= وإلى استعمالها وإلى وضعها. هذه التوقعات سابقة منطقياً وزمانياً - لأنها سابقة وراثياً وجينياً - على تلقى أية خبرة حسية، وبالطبع على أى تجريب. [انظر كتابنا: فلسفة كارل بوبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ٢٠٠٣، ص ١٣٠ وما بعدها] وقد بات من المعتمد الآن رفض تصور العقل كصفحة بيضاء تخطها التجربة، وهذا ما سيشير إليه المؤلف فى المتن (المراجعة).

(٩) من الواضح أن مؤلف الكتاب فيلسوف تحليلي وبالتالي تجريبي، من هنا تلقاه يعرض فرض التجريبية وكأنه الأمر الواقع، ولكن المسألة ليست بمثل هذه البساطة وليس السؤال المطروح عاليه هو غايتها، ثمة سؤال آخر أبعد: هل هذا العالم المحسوس من حولنا هو كل ما فى الأمر، أم أن هناك مستويات وأبعاد =

فلن يجدينى الفكر فتياً مهما طال تأملى. إنما اكتشف ذلك بضرب من الملاحظة، هى فى أعم الأحوال أن أنظر ببساطة فأرى الكلب فى الفناء. على أن باقى الحواس أيضاً قد تلعب دوراً فى ملاحظتى.

## كيف تعمل حواسنا

رغم أننا فى العادة نسلّم بحواسنا ولا نلقى إليها بالاً، فإن التجريبيين - باعتمادهم على العلم - يقدمون لنا تفسيراً لكيفية عمل الحواس. وبذلك يكشفون لنا لماذا يتأتى لهذه الحواس أن تمدنا بمعرفة عن العالم. ولنرسم الآن مخططاً تفسيرياً لحاسة لعلها من أهم الأشكال الحسية من حيث كمية وكيفية المعلومات التى تقدمها - ألا وهى حاسة البصر. فعندما أرى الكلب فى الفناء، فإن العملية تبدأ بضوء منعكس من سطح جسم الكلب. ثم تتعقد المسألة بعض الشيء. ومع ذلك يمكن تلخيصها فى أن عدسة العين تركز الضوء على الشبكية ومنها ترسل الخلايا المستقبلية للضوء منبهات إلى العصب البصرى. لقد تحولت الطاقة الضوئية فى هذه العملية إلى إشارات كهروكيميائية معقدة الشكل، يحملها العصب البصرى إلى الدماغ حيث يتم فك شفرتها - بطريقة لم تُفهم بعد فهماً تاماً - وتنتج الخبرة البصرية المناسبة. الإبصار إذن يمنحنا معلومات - هى هنا مكان وجود الكلب - لأن الكلب "يسبب" تجربة الإبصار.

ويرى التجريبي أن العقلانى الذى يظن أن بإمكان العقل أن يفضى بنا إلى معرفة جوهرية بالعالم باستخدام الفكر الخالص، إنما يريدنا أن نؤمن بما يشبه المعجزة. بينما يقدم التجريبي - والحق يقال - تفسيراً مصوغاً بلغة عمليات مألوفة ومفهومة فى جملتها على أقل تقدير، ورغم أن التجريبي يضع يده على شئ صحيح عن الكيفية التى تحدث بها الخبرة الحسية، فإن أمامه مشكلات يبقى عليه أن يتناولها.

= أخرى للوجود، لعلها الأهم والأخطر، لن تجدى معها الملاحظة الحسية وتحتاج لمناهج أخرى؟ لا ينكر المؤلف أن التجريبية ككل رؤية أو رأى فلسفى. يقابله الرؤية الأخرى أو الرأى الآخر. (المراجعة)

## الإحساس والإدراك الحسى

يقال أحياناً، اعتراضاً على المذهب التجريبي، إننا لا نرى فى واقع الأمر موضوعات محددة مثل القطط والكلاب والموائد والكراسى. فكل ما يقدمه البصر، وليكن فى حالة الكلب، هو بقعة سمراء تتحرك وتطوف فى مجالنا البصرى. ما تمدنا به حواسنا هو إحساسات خالصة (بقع ملونة، أصوات... إلخ) يقال لها أحياناً المعطيات الحسية *sense data or sensa*. ومن هذه المعطيات نستدل نحن على العالم المعتاد أو "نشيدته".

غير أن حواسنا لا تعمل فى الواقع بمعزل عن بقية جهازنا العصبى. فنحن نرى الكلب بالفعل لأن "الإدراك الحسى *perception*" غير مقتصر على التسجيل الفوتوغرافى، بل يتضمن أيضاً كل قدراتنا على التمييز والتصنيف. ليست عيونى هى التى ترى، بل "أنا" الذى يرى، مستخدماً العينين زائد الدماغ، وقد جرت العادة على ادخار مصطلح "الإدراك الحسى" لمعنى الرؤية الذكية والسمع الذكى... إلخ. "الإحساس *sensation*" إذن هو عامل واحد، وواحد فقط، من عوامل "الإدراك الحسى *perception*".

## التجريبية الساذجة

يعترف التجريبيون المعاصرون بعامة أن الخبرة الحسية هى عامل واحد فقط من عوامل إنتاج المعرفة الجوهرية. يُنظر إلى الخبرة الحسية إذن بوصفها شرطاً ضرورياً، وليس شرطاً كافياً، لمثل هذه المعرفة. وأيضاً تخلوا بشكل عام عن تشبيه اللوح الفارغ أو الصفحة البيضاء، واعترفوا بالعقل (الذهن/الفكر) كشريك إيجابى فى إنتاج المعرفة. إن وجهة النظر التى تقول إننا متلقون سلبيون للمعلومات، وأن المعرفة تنشأ فقط كلما فتحنا أعينا ونظرنا إلى العالم من حولنا - هذه الوجهة من النظر أصبحت اليوم مرفوضة بشكل عام، باعتبارها "تجريبية ساذجة" (كلمة ساذجة *naive* هنا هى مصطلح ازدرائى، كثيراً ما يستعمل فى المجادلات للغض من شأن الآراء التى تعتبر تبسيطية - أى الآراء التى تغفل عن جانب من الأمر لدقته وتعقده).

## التجريبية المنطقية

على الرغم من أن بعض التجريبيين، بما فيهم جون استيوارت مل J.S. Mill (1806-1873)، قد حاولوا أن يفسروا حتى الحقائق الضرورية في المنطق والرياضيات كتعميمات للخبرة الحسية، فإن التجريبيين المعاصرين يضعون دائماً حداً صارماً بين الحقائق التحليلية – التي هي قبلية ومستقلة تماماً عن التجربة – والحقائق غير التحليلية، والتي تعتمد حتماً على التجربة والملاحظة (انظر تعريف "قبلي" و "تحليلي" فيما سبق من هذا الفصل).

## البعدي

مصطلح "بعدي A Posteriori" هو ضد المصطلح "قبلي A Priori" وهو في اللاتينية يعنى ببساطة كلمة بعد على وجه التقريب. غير أنه في معرض مباحث العقلانية والتجريبية يعنى دائماً : متوقف على خبرات معينة أو ملاحظات أو تجارب. بوسعنا الآن أن نصوغ موقف التجريبيين المناطقة المعاصرين كما يلي: كل معرفة "غير تحليلية" أو كانت "تركيبية" أو "جوهرية"، هي بالضرورة بعديّة.

## المعرفة بالاتصال المباشر والمعرفة بالوصف<sup>(١٠)</sup>

في معرض بحثهم للدور الذي تضطلع به الخبرة في الحياة المعرفية للإنسان، ميز الفلاسفة في أحوال كثيرة بين تلك الأشياء التي نعيها بشكل مباشر (أو نستقيها من المصدر الأول، وهي "المعرفة بالاتصال المباشر knowledge by acquaintance")

(١٠) يرتبط هذا التعبير، أو هذان المصطلحان بالفيلسوف التحليلي الأكبر برتراند رسل B. Russell (1872-1970)، ولكنه في كتابه "مشكلات الفلسفة - ١٩١٢" قام بتحليله إلى مستوى أعمق وأكثر أولية. فباتت المعرفة بالاتصال المباشر هي إدراك المعطيات الحسية الأولية، والمعرفة بالوصف هي الاستدلال من هذه المعطيات على الكيان الفيزيقي المستدل عليه من تلك المعطيات. (المراجعة)

وتلك الأشياء التي نعرفها بطريقة غير مباشرة أو بالرواية (المعرفة بالوصف - knowl- edge by description). وهذا التمييز في أحسن أحواله تمييز نسبي وغير دقيق، لأن مفهوم الوعي المباشر يصعب تفسيره بمصطلحات محددة غير مقارنة: فهو دائماً حال كون المرء أقرب درايةً بشيء منه بشيء آخر. ومن الطريف أن نلاحظ أن بعض الأشياء يبدو أنه يتطلب اتصالاً مباشراً كيما يُعرف حق المعرفة، من ذلك مثلاً معرفة الألوان والأعمال الفنية. بينما هناك أشياء أخرى تمكن معرفتها بدرجات مختلفة من الكفاءة إما بالاتصال المباشر أو بالوصف. والمثال الجيد هنا هو معرفة غيرنا من الناس. وبعد، هناك أشياء كثيرة نعتقد بوجودها ولكننا لسنا (ولا يمكننا أن نكون) على معرفة مباشرة بها ومن الأمثلة الواضحة على ذلك الإلكترونات والفيروسات.

## العلم

### أصل الكلمة

تأتي كلمة "العلم science" من الكلمة اللاتينية scientia وتعني معرفة knowledge<sup>(٣٠)</sup>. وقد كانت كلمة science تُستعمل في يوم من الأيام لتغطي كل أصناف المعرفة. أما الآن فقد تغير الأمر. (يجب أن نضيف هنا أن كلمة "صوفيا" في اليونانية القديمة كانت بالمثل تغطي كل صنوف المعرفة، بما فيها تلك المعرفة المرتبطة بالعلم بمعناه الحديث.

(١١) أما في اللغة العربية، فكما تخبرنا المعاجم المختلفة، نجد أن كلمة "علم" مشتقة أصلاً من "العلم والعلامة"، وفي أصلها البعيد من الحسى: العلم أى الحناء، لما يترك من أثر باللون. والعلامة ما يُترك في الشيء مما يعرف به، ومن هذا العلم لما يُعرف به الشيء أو الشخص. كعلم الطريق وعلّم الجيش (الراية)، وسمى الجبل علماً لذلك. ومنه علمت الشيء أى عرفت علامته وما يميزه ونقيضه الجهل. وتكون بعد ذلك المعانى الخاصة والاصطلاحية في "العلم". والعلم هو الإدراك مطلقاً، ويطلق على التعقل، وعلى حصول صورة الشيء في الذهن، وعلى الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وإدراك المسائل عن دليل، أو الملكة الحاصلة عن كل هذا. وهو مرادف للمعرفة لكنه متميز عنها فنقول الله يعلم وعليم ولا نقول يعرف وعارف، إنه معرفة ذات شأن أعلى. على أية حال نجد مصطلح "العلم" في العربية أوسع في دلالاته من نظيره الإنجليزي واللاتيني. (المراجعة)

وحتى زمن قريب كانت كلمة فلسفة ذاتها تشير فيما تشير إلى ما نعهده الآن جزءاً من العلم؛ فشخص مثل إسحق نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧) الذي نعتبره الآن عالم فيزياء بالدرجة الأولى، كان يُدعى في زمنه "فيلسوفاً طبيعياً".

## تعريف العلم

معظمنا لديه فكرة تقريبية عما يكونه العلم، بل وبوسعه أن يقدم لنا توصيفاً فيما يشبه القائمة: "أشياء مثل الفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء، ويمكن إضافة أشياء من قبيل علم النفس والاقتصاد والاجتماع". وعلى الرغم من ذلك، لا توجد طريقة بسيطة لتعريف العلم.. ومن المؤكد أنه لا توجد سمة واحدة ولا حتى مجموعة صغيرة من السمات تشترك فيها العلوم جميعاً. لقد حاول فلاسفة العلم منذ بداية القرن العشرين وحتى الخمسينيات منه أن يستخلصوا مفهوماً مجرداً يضم كل العلوم. غير أنهم اليوم يميلون إلى اعتبار مفهوم العلم "مفهوم تشابه أسرى"<sup>(١٢)</sup>، ينطبق بفضل عديد من مجالات التشابه المتداخلة من ناحية أو أخرى. وتبحث هذه المقاربة المعاصرة موضوع العلم من حيث عوامل أربعة متداخلة هي على التوالي: ممارسة العلم، وتاريخه، ووجوده كمؤسسة، ومنهجه.

## العلم بوصفه ممارسة

كانت فلسفة العلم في السابق تنظر إلى العلم بوصفه مجموعة لمعارف عليها أن تبحث لها عن تعريف (مجرد قدر الإمكان) في حدود من مفردات اللغة أو مادة الموضوعات التي تتناولها تلك المعارف. أما الآن فتركز المقاربات المعاصرة على العلم بوصفه شيئاً "يفعله" البشر - ممارسة بشرية. قد يبدو هذا تعريفاً دائرياً خالصاً،

(١٢) التشابه الأسرى family-resemblance هو الظاهرة التي أكدها فتجنشتين في كتاباته المتأخرة. ومفادها أن الأشياء التي يشير إليها حد من الحدود قد ترتبط معاً لا بخاصية مشتركة واحدة، بل بشبكة من التشابهات، كشأن الأشخاص الذين تشترك وجوههم في ملامح مميزة لأسرة معينة. وقد أصبح مفهوم "التشابه الأسرى" يعنى كل مفهوم يضم مجموعة من الأشياء والموضوعات وينطبق عليها، لا بفضل سمة فريدة عامة، بل لوجود تشابهات بينها عديدة ومتداخلة جزئياً مع بعضها البعض. (المترجم)

مادام علينا أن نمضى ونعرف العالم بأنه شخص يفعل العلم. غير أن الأمر خلاف ذلك، فليس هناك فى الحقيقة صعوبة تذكر فى تبين العلماء وتمييزهم من بين عامة البشر. وبوسعنا إذا تبيناهم بأن نقوم بدراسات مفصلة حول ما يفعلونه.

## صلة العلم بالتاريخ

العلم له تاريخ معقد وطويل. وينعقد الاتفاق اليوم على أننا لا نستطيع فهم طبيعة العلم المعاصر من دون دراسة تاريخه، مما يتضمن عملياً دراسة تاريخ علوم جزئية كثيرة. فالورقة الرابعة فى تفهم العلم المعاصر هى أن ننظر فى نموه التاريخى. وبالمثل حين نفهم العلاقة بين علمين من العلوم، نجد أن خير مقاربة لذلك هى النظر فى صلاتهما التاريخية. ومن المهم على كل حال أن نضع فى اعتبارنا أن الفلاسفة عندما يتحدثون عن فهم علم من العلوم، إنما يتحدثون عما يفهمه شخص غير متخصص وغير مساهم فيه، مما يكفل النظر فى مكان ذلك العلم فى المجال الكلى للأنشطة الفكرية البشرية. أى أنهم لا يتحدثون عن ذلك النوع من الفهم الكائن لدى المساهم فى العلم والداخل فى حلقاته. فذلك شىء مقصور على العلماء ذاتهم.

## العلم بوصفه مؤسسة

فى مجرى بحثنا فى العلم بوصفه ممارسة تاريخية متنامية لا يمكننا أن نغفل أن جميع العلوم قد نزعت شيئاً فشيئاً إلى أن تكون مؤسسة. رجل العلم رغم كل شىء ليس مفكراً منعزلاً، بل هو مشارك فى قسم علمى بجامعة أو كلية، أو فى مركز أبحاث. وله زملاء فى التخصص يتبادل معهم المعلومات بشكل رسمى وغير رسمى، ويشترك معهم فى التجريب والبحث. وأيضاً لكل فرع علمى ما يُسمى "المجمع المحجوب" وهو مجموع العلماء أينما كان موقعهم، الذين يعتبرون أنفسهم مضطلعين بنفس النوع من العلم. يبقى أعضاء هذا المجمع غير المنظور على صلة من خلال الهاتف والرسائل وتبادل مخطوطات أبحاثهم، والمشاركة فى الدوريات العلمية نفسها وقراءتها<sup>(١٢)</sup>.

(١٢) وأيضاً دخلت الآن وسيلة التواصل الجبارة، أى شبكة الاتصالات العالمية (الإنترنت). (المراجعة)

**الأبحاث العلمية :** الأبحاث العلمية هي الناتج الأخير الأعم للنشاط العلمي مهما تكن نواتجه الأخرى. وبالإضافة إلى التداول غير الرسمي السابق على النشر، تُرسل هذه الأبحاث إلى الدوريات الخاصة المناسبة لها، لكي تمر بعملية تقييم تسمى "مراجعة النظراء"<sup>(١٤)</sup>، ثم يتم نشر ما تحكم الدوريات بأنه ذو قيمة. وتتحدد أهمية المقال بمدى تواتره بعد ذلك في أعمال زملاء التخصص مستشهدين به وراجعين إليه.

ولا يمكن للمرء إدراك التنوع الهائل في العمل العلمي إلا حين يضطلع بالفعل على قطاع عريض من الأوراق العلمية. والأفضل من هذا الزيارة الفعلية للمختبرات ومثيلاتها من منشآت البحث العلمي. أما الطالب الذي لا يتيسر له ذلك ويريد أن يعي ما وصل إليه العلم المعاصر، فد تفيده نظرة إلى التنوع الهائل للمقالات العلمية بمجلة "ساينس"- ذلك الإصدار الأسبوعي للجمعية الأمريكية للتقدم العلمي، والمتوافر في معظم المكتبات.

**نظريات الإجماع والتضافر في الممارسة العلمية :** يقال أحيانا أن الحكم بما يعد ذا قيمة علمية لا يعتمد على شيء سوى الموافقة والإجماع. هذا ما تقوله نظريات الإجماع **consensus theories** ، وتقول إن العلماء فعلا ينشدون الإجماع. غير أنهم يصلون إلى هذا الإجماع بتقديم حجج مقنعة عقليا لدعم وجهات نظرهم. وتذهب نظريات التضافر **conspiracy theory** ، التي قد تعتبر صيغاً غير ديمقراطية لنظريات الإجماع، إلى أنه في كل حقل علمي هناك دائما قلة من الشخصيات البارزة القوية تقوم بدور حارس البوابة، وتتحكم في منافذ الدوريات والوظائف والاعتمادات الخاصة بتمويل البحوث العلمية.

ونحن نقول أجل حقاً إن العلماء يميلون، كقاعدة، إلى إعلاء شأن البارزين الثقّات منهم وأخذهم بكثير من الجدية والاهتمام، وأن العلم لا يفوق سواه من الأنشطة

(١٤) مراجعة النظراء **peer review** هي مراجعة وتقييم وتحكيم الأبحاث والأوراق العلمية المقدمة من العلماء والأساتذة للنشر في الدوريات العلمية أو المؤتمرات أو الحصول على منح للأبحاث وما إليه، تميزاً عن مراجعة وتقييم الأبحاث المقدمة من الطلبة والباحثين للحصول على درجات علمية وشهادات عليا. (المراجعة)

البشرية فى الحصانة ضد "سماسرة النفوذ" الذين يتلذذون ببسط سلطانهم. ومع ذلك فحين ننظر فى الطريقة التى تقوم عليها المؤسسة العلمية، ندرك أنه ما من فرد أو جماعة يمكنه أو يمكنها تعزيز أو رعاية نتاج علم "ردىء" حتى لو شاء هذا الفرد أو هذه الجماعة ذلك (حقاً لقد استخدمت الحكومات الشمولية نفوذها أحياناً لتغيير المسار الطبيعى لعملية البحث العلمى أو التدخل فيها إذا لزم الأمر، ولمن هذا لا يجب أن يبعث الشك فى العلم كما هو قائم فى مؤسساته المعتادة). إن الناتج العلمى لا بد أن يُنشر، وبالتالي لا بد أن يُعرض للفحص والتمحيص من قبل أفراد يهتمهم ويعزز وظيفتهم أن يكشفوا أية أخطاء أو أوجه قصور. هكذا تكون الأشكال المؤسساتية للعلم هى التى تضمن أمانة ممارسيه، وهى تحقق ذلك بأن تعتمد على التنافس البشرى المعتاد وألا تسمح لأى دافع آخر بأن يعلو عليه (بل لا يدفعنا كل هذا أن ننكر أن كثيرين من العلماء ليس لهم من دافع غير الاستطلاع المنزه عن الهوى والتكرس المخلص لحل المشكلات فقط من أجل حل المشكلات).

## التعددية المنهجية

كانت مباحث العلم فى الماضى تميل إلى تأكيد أهمية ما كان يُسمى بالمنهج العلمى. ثم تكشف الأمور عن عدم وجود منهج واحد تشارك فيه جميع العلوم. صحيح أن جميع العلماء يجب أن يتحلوا بالمنطق السليم والعناية والدقة فى تمحيص النتائج، ويجب أن يلتمسوا دائماً أفضل التفسيرات، وأن يسجلوا ما إذا كانت تنبؤاتهم العديدة قد ثبتت صحتها.... وهلم جراً؛ إلا أن هذه الإرشادات العامة، التى تنطبق على كثير من الأنشطة الفكرية غير العلمية على كل حال، لا تبلغ أن تكون منهجاً علمياً. هناك بالأحرى طرائق عديدة وإجراءات وتقنيات موجودة على شتى مستويات الخصوصية والتفصيل: تقنيات لصباغة الشرائح الزجاجية، وإجراءات لتشريح قرن أمون من دماغ الضفدع، وسائل لجعل محلول مفرط التشبع يتبلور. مثل هذه التقنيات والإجراءات والوسائل لا غنى عنها للتقدم اليومى للعلم.

وفضلاً عن ذلك، ليس هناك أية تقنية للتوصل إلى نظريات علمية جديدة. في الوقت الواحد في العلم الواحد هناك احتمال ظهور مقاربات واعدة، وحدوس معقولة، وتجارب يحتمل أن تؤدي إلى نتائج مثيرة. إلا أن أياً من ذلك لا يقدم وصفاً مضمونة لعمل علمي ناجح.

## أهداف العلم

رغم أن العلماء الأفراد قد لا يهدفون إلى شيء أعلى من تقدمهم المهني، أو سيرهم المالي أو حصولهم على جائزة نوبل، فإن السبيل الوحيد الذي يمكنهم به أن يأملوا في ذلك هو أن يسهموا في تقدم العلم ذاته. وهذا يعنى أساساً أن يكتشفوا شيئاً عن الطبيعة لم يكن معروفاً من قبل. (ولا ننسى أن مجرد وضع تفسير جديد لظاهرة مألوفة ينطوي على اكتشاف شيء عن الظاهرة لم يكن معروفاً من قبل). وقد جرى العرف على التمييز بين "العلم البحت pure science" وهو الذي يهتم بالمعرفة من أجل المعرفة وبغض النظر عما إذا كانت ستفضي فيما بعد إلى تطبيقات عملية، وبين "العلم التطبيقي applied science" الذي يضطلع بالاستخدامات العملية/التقنية/الهندسية للمعرفة (ويجب أن نضيف أن كثيراً من الأعمال العلمية التي أنجزت بوحى العلم البحت قد تبين فيما بعد أهميتها العملية الكبرى). أما عن هدف العلم البحت فيمكننا أن نصفه بأنه خلق معرفة جديدة.

## الملاحظة، الوصف، النظرية

كان أصحاب التجريبية الساذجة - وأشهرهم فرنسيس بيكون F. Bacon (١٥٦١-١٦٢٦) - يظنون أنه على عكس الفلاسفة الذين يتأملون الطبيعة ويلفون خيالات كسولة، فإن ما يجعل العلم علماً هو أن العلماء يلاحظون الطبيعة ويجمعون ملاحظاتهم ليكونوا بها صورة صادقة للأشياء : مركباً من الوقائع وليس من شيء غير الوقائع. المشكلة الكامنة في هذه النظرة هي أن هناك ما لا نهاية له من الملاحظات

التي يمكن أن نلاحظها ونسجلها. الأمر الذي يجعل الوصف الصادق للطبيعة طويلاً لا آخر له، ومضجراً كدليل التليفون. مثلاً بإمكان المرء أن يشرع في وصف هيئة كل حبة رمل على شاطئ معين، لكن لا أحد ولا حتى سيكون نفسه يمكن أن يتصور كيف تكون مهمة العلم إذا سار بهذه الطريقة.

وعلى الرغم من ذلك كان على العلماء أنفسهم (وكذلك مراقبة العلم من الفلاسفة) أن ينفقوا ربحاً من الزمن حتى يدركوا بوضوح أن الملاحظة، لكي تكون ذات معنى، يجب أن تسترشد بنظرية. وقد ظل كثير من الناس يصرون على أن الملاحظات يجب أن تأتي أولاً، وبعدها وبناء عليها يمكن للنظريات أن تنشأ. ولكن ما يحدث في عامة الأحوال هو أن نظرية ما هي التي تخبر العالم على وجه التحديد أي الملاحظات هي الجديرة بأن يقوم بها. أضف إلى ذلك أن النظرية بطبيعة الحال تمتد العالم أيضاً بالمفردات اللغوية التي يصف بها ملاحظاته. إن الأشياء والأحداث والمواقف التجريبية وما شابه، لها ما لا ينتهي من الخواص القابلة للملاحظة والوصف. إن النظريات هي التي تحدد للعالم أي هذه الخواص هي التي تعنيه وتتصل بموضوعه خلال وحدة محددة من العمل العلمي.

## النظرية والتفسير

من جهة الأصل اللغوي تأتي كلمة "نظرية" *theory* من الكلمة اللاتينية *theoria* التي تعني "النظر معاً" أو "الرؤية سوياً" (ولعل مفهوم النظرية ممثل لمفهوم "تشابه أسرى" قدر ما يمثله العلم ذاته). وقد يكون من حسن الحظ أو من سوءه أن كلمة نظرية تستعمل متداخلة مع مصطلحات مثل "الفرض" *hypothesis* و "القانون" *law* و "النموذج" *model* غير أن بإمكاننا أن نغامر بالتعريف التالي كأقرب شيء إلى مفهوم النظرية: "النظرية هي مجموعة من المبادئ العامة التي تفسر قطاعاً من الظواهر الملاحظة". قد يلاحظ المرء مثلاً أن الدببة القطبية بيضاء، بياض الدببة القطبية ظاهرة، ثم أن خاصية كونها دببة قطبية وخاصية كونها بيضاء هما خاصيتان متضايقتان تجريبياً *empirically correlated*. كل ذلك حسن وجميل ولكنه ليس تفسيراً. إنه مجرد وصف (هكذا حال العالم). أما التفسير فتأتي به نظرية الانتخاب الطبيعي التي فسرت

سر بياض الدبة بين كثير مما فسرتة : الدبة البيضاء لها من بياضها ميزة ترشحها للبقاء وأفضلية على منافسيها في عالمها الجليدي الأبيض.

إن امتلاك نظرية هو شيء بالغ النفع، ويمكننا أن نفهم ذلك من حيث :  
(١) إرساء الارتباطات التجريبية في اطرادات قانونية. و (٢) تمكيننا من وضع تنبؤات ذكية.

## الارتباط التجريبي والاطراد القانوني

يقال للخاصيتين أ و ب إنهما مرتبطتان تجريبياً (أو إمبيريقياً) empirically cor-related في حالة إن كان أى شيء يلاحظ امتلاكه للخاصية أ (كونه دُباً قطبياً مثلاً) يلاحظ أيضاً أنه يمتلك الخاصية ب (كونه أبيض). (في بعض الأحيان وبخاصة في العلوم الاجتماعية، يقال لخاصيتين إنهما ترتبطان ارتباطاً موجباً<sup>(١٥)</sup> إذا لوحظ حدوثهما معاً، ليس بالضرورة في كل الأحيان، بل تكفى ملاحظة حدوثهما في أحيان أكثر مما يمكن أن تبرره الصدفة المحضة.

إن عبارة "كل الدبة القطبية بيضاء" هي عبارة نصل إليها بالاستقراء induction . ويمكننا وضع الحجة الاستقرائية المتضمنة هنا كما يلي :

كل الدبة القطبية التي لوحظت بيضاء

إذن كل الدبة القطبية بيضاء

(١٥) الارتباط الموجب أو الطردى هو الارتباط الذي تكون فيه كل زيادة في متغير ما مصحوبة بزيادة في متغير آخر في أغلب الأحوال، والعكس بالعكس، ويكون معامل الارتباط في هذه الحالة موجبا ويتراوح بين الصفر و + ١ . ويقابله الارتباط السالب أو العكسى الذي تكون فيه كل زيادة في متغير ما مصحوبة بنقص في متغير آخر في أغلب الأحوال، والعكس بالعكس، ويكون معامل الارتباط في هذه الحالة سالبا ويتراوح بين الصفر و - ١ . من أمثلة الارتباط الموجب، ذلك الارتباط بين الذكاء والتحصيل الدراسي. ومن أمثلة الارتباط السلبي الارتباط بين المرض العقلى والتحصيل الدراسي. وكلما ارتبط معامل الارتباط من الصفر دلّ ذلك على أن العلاقة بين المتغيرين علاقة ضعيفة لا وزن لها. (المترجم)

تعتمد جميع الحجج الاستقرائية، كما فى هذا المثال، على "مقدمات premises" تقرر حقائق عن "عينة" ما أو "فئة تحتية" من ضمن فئة أكبر، لكى تؤسس حقيقة عن "جميع" أعضاء الفئة الأكبر. ومن المسلم به عامة أن الحجج الاستقرائية هى فى حد ذاتها ضعيفة نوعاً ما، إذ تنطوى على شىء أشبه بوثبة إيمان. إلا أن هناك احتياطين يمكن اتخاذهما لمواجهة هذا الضعف الكامن فى الحجة الاستقرائية: الأول أن نحاول التأكد من أن العينة المختارة هى عينة عادلة أو عينة "ممثلة" (فى حالة العلوم الاجتماعية، والتي تعتمد على النتائج المحصلة من أخذ عينات من رأى العام بطرق معقدة، تطورت "نظرية التمثيل" تطوراً كبيراً واستوت فى صورة إحصائية مفصلة).

والشىء الثانى الذى يمكن اتخاذه للتغلب على ضعف الحجج الاستقرائية (والمخاطر الكامنة فى مجرد الارتباط التجريبي)، وهو أفضل كثيراً من سابقه، هى أن نكتشف "أطراداً قانونياً nomic regularity" يدعم الارتباط التجريبي. وتأتى كلمة nomic من الكلمة اليونانية nomos<sup>(١٦)</sup> التى تعنى القانون (وهى مثل كلمة law الإنجليزية يمكن أن تفيد معنى قانون الطبيعة أو قانون البلاد). ويتحدث فلاسفة العلم عن "الضرورة القانونية nomic necessity" وهى أضعف من الضرورة المنطقية لكنها أقوى بكثير من مجرد الارتباط. الارتباط وحده لا يخبرنا إلا بأن هناك خواص معينة يتفق أنها تحدث معاً، ولكن لا يتعين ولا يتوجب عليها ذلك. أما الضرورة القانونية، حيثما انطبقت، فتبين لنا لماذا يتعين على الخواص التى نلاحظ ترافقها أن تترافق معاً. وعلى ذلك نجد أن الدببة القطبية يجب أن تكون بيضاء، إذا كان أصحاب نظرية التطور على حق. وحتى إذا كان وجوب بياضها ليس بقانون طبيعى فإن كونها بيضاء هو نتيجة مباشرة لقوانين الطبيعة (ويمناسبة ذكر هذه نقول إنها صميم القوانين الطبيعية ذاتها، التى نتجت عنها نظرية التطور!). حين نفهم الآن لماذا يجب أن تكون الدببة القطبية بيضاء (وهو لأن ذلك ضرورة قانونية) فلا يجب أن نقلق لما عساه أن يكون عليه الدب القادم فى رتل الملاحظة، والذى قد لا يكون أبيض.

(١٦) هى كلمة ناموس المعربة التى انتقلت من اليونانية إلى العربية عن طريق اللغة السريانية. (على عبد الواحد، فقه اللغة)

رھط من الناس (على أن العلماء منهم قليلون) يرون أن نظرية التطور غير صحيحة (أو أنها قد یثبت بطلانها يوماً ما). واعتباراً لهؤلاء دعونا نقدم مثلاً للضرورة القانونية لا خلاف عليه مطلقاً : الخواص الفيزيائية/القانونية لأي عنصر تفسر كضرورة قانونية على أساس التركيب الذري للعنصر، ولا معنى مطلقاً، إن لم يكن خلافاً قانونياً، اختبار مزيد من عينات الحديد والرصاص والصوديوم لنرى هل لديها الخواص الفيزيائية/القانونية القياسية. فإذا كنا بإزاء عينة من الحديد فلا بد أن تكون لها خواص الحديد. وكذلك الأمر بالنسبة للرصاص والصوديوم.

## التنبؤ

أن المزايا الكبرى للنظريات، فضلاً عن التفسير، أنها تتيح لنا وضع تنبؤات predictions . وقد كان بوسع البشر، حتى قبل نشأة العلم<sup>(١٧)</sup>، وضع بعض التنبؤات : اطراد الليل والنهار وأطوار القمر وتتابع المواسم – كل ذلك كان يسمح لهم بدرجة ما من التنبؤ منذ زمن موغل في القدم. إلا أن العلم بطبيعة الحال قد وسع كثيراً من مجال قدراتهم التنبؤية.

وبالإضافة إلى ذلك، تُعتبر القدرة التنبؤية بشكل عام معياراً للعلم الجيد (هناك بالطبع علوم مثل الجيولوجيا وعلم الآثار هي أساساً منبئة عن الماضي retrodictive ، أي تعيد بناء الماضي على أساس الدليل الحاضر). ولنأخذ حالة نظرية التطور: إن نظرية التطور لا تقتصر على تفسير أحوال مثل بياض الدببة القطبية، ولكنها أيضاً

(١٧) هذا تعبير غريب ومثير للجدل، لأنه يصعب تحديد متى بدأ العلم. إنه أقدم عهداً من التاريخ، فالمعطيات الأساسية التي يرسو عليها تأملها الإنسان وأسلافه لعشرات الآلاف من السنين، وقبل أن تخرع الكتابة. ولما كانت رموز الأعداد قد اخترعت قبل الكتابة أمكننا القول إن العلم متأصل في صلب أقدم مناحي الإنجاز الإنساني. (ج. كراوثر، قصة العلم، ترجمة يمنى الخولى وبنوى عبد الفتاح، ص ١٧ وما بعدها) وحين نتقدم قليلاً في مسيرة الحضارة نجد الميراث العلمي الواضح المعالم للحضارات الشرقية القديمة وعلى رأسها الحضارة الفرعونية والحضارة البابلية.. فمتى بدأ العلم بالضبط فإذا لم يكن يقصد العلم الغربى والعلم في الحضارة الغربية، وهذا هو الأرجح. (المراجعة)

تتنبأ بصلاحية كائنات لبيئتها على وجه العموم. فحيثما جدَّ تغير في البيئة بشكل يهدد البقاء، فيوسع نظرية التطور أن تتنبأ بحدوث تغير في الكائنات. وحيث أن التطور عملية بطيئة دائماً فهو يند عادة عن الملاحظة. وعلى الرغم من ذلك، لدينا حالة لافتة للغاية من حالات التطور داخل الذاكرة الحية، حيث لوحظت في الشمال الصناعي من إنجلترا أن صنفاً من الفراش قد أخذ لونه في القتامة حين أخذت البيئة في القتامة بفعل سخام المصانع. وهذا بالضبط ما تتنبأ به نظرية التطور.

على أن النجاح التنبؤي يتفاوت من علم لآخر. الفلك مثلاً يعطينا تنبؤات شديدة الدقة عن مواقع النجوم والكواكب، وكسوف الشمس وخسوف القمر، والظواهر الدورية مثل مذنّب هالي. أما علم الأرصاد الجوية، وهو علم الطقس فقد عهد فيه الإخفاق وبخاصة في التكهّن طويل المدى، رغم أنه مؤسس على علمين شديدي الصلابة والقدرة التنبؤية، وهما الفيزياء والكيمياء. وعلى ذكر الطقس نقول إننا لا نجهل أى شىء تقريباً في الأمر، بل إننا نعرف في حدود الرياضيات الخاصة بأنظمة الطقس المعقدة - لماذا يصعب التنبؤ بالطقس<sup>(١٨)</sup>.

### القابلية للتكذيب<sup>(١٩)</sup>

نحن نسلم عادة بأن التنبؤ شىء حسن، وأنه يمنحنا أفضلية بقاء كبرى تجعلنا نفوق أعضاء الأنواع الأخرى من الكائنات الحية. إلا أن ذلك لا يفسر تماماً أهمية التنبؤ بالنسبة لرجال العلم البحث كمقابل للعلم التطبيقى. إن التنبؤات الصحيحة

(١٨) هذا ما يكشف عنه علم الشواش Chaos الذى يدرس المنظومات شديدة التعقيد كثيرة المتغيرات، ويعمل على نمذجة الأشكال غير النظامية، نشأ هذا العلم عن الرياضيات، ويستفيد من المنطق والإحصاء، ويرتبط بعلوم طبيعية واجتماعية عديدة. (المراجعة)

(١٩) كثيرون من فلاسفة العلم والمعرفة التجريبية السابقين توقفوا عند دلالة التكذيب falsification والقابلية للتكذيب falsifiability ، لكن المعروف أنها ترتبط على وجه الخصوص باسم كارل بوبر وهو أهم فلاسفة العلم في القرن العشرين والمفرد العلم في نظرية المنهج العلمى. وقد جعل القابلية للتكذيب هى المعيار =

هى المحك الذى تُختبر به نظريات العلم البحت. فإذا تعذر اختبار نظرية ما لعقمها من التنبؤات القابلة للاختبار، ظلت عديمة القيمة. وتؤكد التوصيفات التقليدية على أهمية تأييد confirmation النظرية أو إثباتها بالملاحظة والتجربة. وهى طريقة مشروعة فى تناول المسألة ما دمنا نضع نصب أعيننا أن "مؤيدة" تعنى فى الواقع غير "مُكذبة".

**التأييد والتكذيب :** يمكننا أن نفسر العلاقات المنطقية بين "التأييد" و "التكذيب" كما يلى (وسوف نستخدم ارتباطاً تجريبياً بدلاً من نظرية حقيقية توخيا للتبسيط):  
تتنبأ النظرية القائلة إن كل الدببة القطبية يجب أن تكون بيضاء، بأن الدب الذى سأراه فى المرة القادمة سيكون أبيض. فلنفترض إذن أن الدب القادم كان بالفعل أبيض. قد أقول عندئذٍ إن هذا يؤيد النظرية. ولكن الحقيقة أن هذا لا يُعد تأسيساً نهائياً للنظرية، ما دام هناك احتمال على كل حال لأن يأتى الدب التالى لهذا غير أبيض. ولو صدق هذا وأتى الدب التالى غير أبيض فإن هذه الملاحظة بمفردها كافية لتكذيب النظرية تكذيباً حاسماً ونهائياً. هكذا نرى أن تأييد النظريات لا يتأتى دفعةً واحدة بل تربو ثقتنا فيها رويدا رويداً، أما التكذيب فقد يجهز عليها فى انقضاضة واحدة مهلكة.

**مفارقة التأييد :** توضع لنا هذه المفارقة، وتسمى أيضاً "مفارقة الغربان"، التعقد الكامن فى منطق التأييد: إن التعميم "جميع الغربان سوداء" مكافئ منطقياً لـ "جميع الأشياء غير السوداء ليست غرباناً". وحيث أن الدليل الذى يدعم عبارة يدعم أيضاً العبارات التى تكافئها منطقياً، فإن وجود دب قطبى ما (وهو ليس أسود وليس غراباً) يجب أن يدعم التعميم القائل إن كل الغربان سوداء!! وهى مفارقة تتجنبها الآراء المنادية بالتكذيب كمعيار أساسى للعلم. فوجود دب قطبى أبيض لا يمكن أن يكذب التعميم المذكور، بعكس وجود غراب أبيض.

= الذى يميز العلم، وعلى أساسها طرح معالجته المنهجية الشاملة والسديدة للبنية المنطقية النظرية العلمية. على أية حال خطوط التكذيب الواردة فى متن الكتاب مأخوذة جميعها من فلسفة كارل بوبر، ولاحقاً سوف يعود إليه المؤلف صراحة وهو يعرج على تطبيقات معيار القابلية للتكذيب عند كارل بوبر. [راجع الباب الثالث من: معنى الخولى، فلسفة كارل بوبر: منهج العلم.. منطق العلم، ص ٢٢٣-٥١٤] . وقارن: د. عادل مصطفى، كارل بوبر: مائة عام من التنوير ونصرة العقل، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٩-٦١. (المراجعة)

**التفسير الأمثل :** يلاحظ دارسو تاريخ العلم أن العلماء قلما يتخلون عن النظريات على أساس مُكذّب وحيد. وهذا تصرف صائب؛ فقد يكون العالم على قدر من الثقة بنظرية معينة - ثقة لها مبررها العقلي التام - بحيث يكون من الحمق حقاً أن يتخلى عنها لأول مُكذّب ظاهر. فقد يكون هناك خطأ في هذه الملاحظة المفردة، أو يكون هناك خطأ في إجراء التجربة. إن العلماء في الحياة الفعلية بشر، قد ينال من تركيزهم خُمار (\*) عابر أو شجار مع الزوجة، وقد يكون هناك خطأ في أسماء المواد الكيماوية، أو قدر عالق بالأنية الزجاجية.... إلخ.

ورغم كل ما قيل يبقى صحيحاً أنه على العالم دائماً أن يلتمس "التفسير الأمثل best explanation" لما حدث. وهو التفسير الذى يضع اعتباراً لعوامل مثل البساطة والكفاءة والاتفاق التفسيري الكلى. وفي الحالة التى عن فيها مُكذّب ظاهر لا يتعين أن يكون التفسير هو أن النظرية الأصلية كانت مخطئة. وقد اصطلح على تسمية الوقائع التى لا تتفق مع الضرورة القانونية القائمة على النظرية بـ "الشذوذات anomalies" فإذا حدث أن تجمعت شذوذات ضد نظرية راسخة، فقد يأخذ العلماء بداية في تأويل هذا الشذوذ في حدود النظرية. أما إذا بقيت الشذوذات على عنادها وتمنعها، فها هنا قد يبدأون في البحث عن نظرية جديدة أفضل من الأولى يرجى لمثلها ألا تقتصر على تفسير كل ما فسرتة سابقتها، بل أن تبين أيضاً أن ما كان يبدو شذوذاً من وجهة النظر القديمة هو مُطَرّد قانونياً على كل حال.

**النماذج الإرشادية والعلم القياسى والثورات العلمية :** يكثر استعمال مصطلح النموذج الإرشادى (أو الباراديم paradigm) فى المباحث المعاصرة التى يقوم بها فلاسفة العلم ومؤرخوه حول العلم وتاريخه (وتأتى هذه الكلمة من الكلمة اليونانية paradeigma وتعنى مثال أو نموذج يحتذى pattern) . وقد أدخل توماس كون (1922-1996) T. Kuhn هذا المصطلح إلى البحث المعاصر. ويعنى به "تلك المجموعة الكلية من النظريات والعادات الذهنية والمهارات والقدرات الفكرية والتقنية التى تحدد، حين تؤخذ معاً،

(\*) الخُمار hangover هو الصداع الناجم عن احتساء خمر. (المراجعة)

طريقة ممارسة علم ما فى وقت بذاته". وعليه فإن "العلم العادى normal science" هو العلم الذى يقام تحت هيمنة النموذج الإرشادى السائد. فالنموذج هو الذى يقترح المشكلات المطلوب حلها، وهو الذى يضع المعايير للعلم العادى (أو الروتينى بدرجة أو بأخرى).

وعندما يتراكم ما يكفى من الشذوذات ضد نموذج قائم، يحدث ما يسمى ثورة علمية، وهى تنطوى على إحلال نموذج إرشادى محل الآخر. ورغم ذىوع هذه المصطلحات التى أدخلها كون، فليس هناك اتفاق عام حول أوجه التشابه بين الثورات العلمية والثورات السياسية. وهناك بعد كل شىء سؤالان متداخلان ما يزالان قيد البحث النشط. السؤال الأول: إلى أى مدى يعد تاريخ العلم تاريخ وثبات وطفرات ومساراً غير متصل؟ والسؤال الثانى: ما هو حجم اللا معقولية التى ينطوى عليها الانتقال من نموذج إرشادى إلى سواه؟

**القابلية للتكذيب والعلم الزائف:** يتصف العلم الأصيل بأنه قابل للتكذيب. وقد نوه الكثيرون - بنبرة بلغت أوجها عند السير كارل بوبر K. Popper (١٩٠٢ - ١٩٩٤) - إلى أن هناك أنظمة فكرية معينة تنتحل صفة العلم، علينا أن نرفضها ونعدها شبه علم أو "علمًا زائفًا pseudo-science"، وذلك لأنها لا تسفر عن تنبؤات قابلة للتكذيب (شبه س أو س الزائف هو أى شىء يبدو كما لو كان س، لكنه يتكشف عن غير ذلك). والنظامان الفكرى اللذان ذكرهما بوبر كمثالين للعلم الزائف هما الماركسية والتحليل النفسى الفرويدى الكلاسيكى. فلو أنهما علما حقيقيان لكان بإمكانهما تحديد ما عساه أن يعد تكذيباً أو تفنيدياً لهما (للعلوم الأصيلة كثير من حالات التكذيب بالقوة أو بالإمكان potential لا بالفعل). لكن لا الماركسية ولا التحليل النفسى الفرويدى قد اجتاز اختبار التكذيب فى رأى بوبر<sup>(٢٠)</sup>. (يجب أن نشير إلى أن كثيرين يختلفون معه بشدة فى هذا الرأى).

(٢٠) قول المؤلف هذا غير دقيق، فهو يعنى أن حكم منطق التكذيب واحد على كلتا النظريتين الفرويدية والماركسية، وليس الأمر هكذا. تبعاً لمنطق التكذيب البوبرى نظرية التحليل النفسى ليست نظرية علمية أو هى علم زائف للسبب المذكور. أما الماركسية فوضعها مختلف، فقد كانت كما طرحها ماركس نظرية علمية تعطى تنبؤات تاريخية تجعلها قابلة للتكذيب، وبالتالي فهى فى أصلها نظرية علمية، لكن هذه التنبؤات لم تحدث، أى أن وقائع التاريخ كذبت النظرية، وبدلاً من التعامل المنهجى مع الماركسية بوصفها =

ومهما يكن الحكم النهائي على الماركسية وعلى التحليل النفسى الفرويدى، فإن الجدير بالملاحظة أن كلا من الفلاسفة وعامة الناس كثيراً ما يزعمون أشياء تبدو أنها حقائق عن العالم، إلا أنها فى الواقع غير قابلة للتكذيب. مثلاً، قد يدعى البعض أن كل فعل إنسانى هو فعل أنانى، والذين يقولون بهذا لن يقبلوا فى العادة الأمثلة المضادة العادية (مثل تطوع الناس للخدمة فى المستشفيات) ولن يقبلوا أى دليل يمكن أن يكذب رأيهم فى الطبيعة البشرية. وسوف يردون على أى مثال مضاد، مثلاً بهذه الطريقة: مادامت فاطمة تساعد المرضى فى المستشفيات بمحض إرادتها، إذن مساعدة المرضى بالضرورة شيء تريد أن تفعله - وفعلك لأى شيء تريد أن تفعله هو فعل أنانى!

إن الدعوى التى تسمح برفض كل الأمثلة المضادة (أو المكذبات) المحتملة بهذه الطريقة هى شبه دعوى أو دعوى زائفة<sup>(٢١)</sup>. والواقع أن إقامة مثل هذه الدعوى هو شيء يشبه إلى حد بعيد ممارسة العلم الردىء.

## الحدود النظرية والكائنات النظرية

تحتوى جميع النظريات العلمية المعاصرة تقريباً على حدود تشير إلى كيانات لا يمكن ملاحظتها مباشرة. ويطلق على هذه الحدود اسم 'الحدود النظرية' **theoretical terms**. ويطلق على المفردات التى تشير إليها اسم 'الكائنات النظرية' **theoretical entities**. إن أحداً من البشر لم يرَ فى حياته إلكترونات، أو كان له أى نوع من الخبرة المباشرة أو معرفه بالإلكترونات عن طريق الالتقاء المباشر. وعلى الرغم من ذلك تشير النظرية الفيزيائية المعاصرة بثقة إلى الإلكترونات.

= فكذا، راح أنصارها يرفضون هذا الحكم ويلوون عنق الوقائع التاريخية وعنق النظرية على السواء، مما جعلها تفقد صورتها العلمية وتتحول على يد أتباع ماركس على عقيدة بوجماتيقية مقواة. (المراجعة)

(٢١) هذا ما تكفل بوير بمواجهته منطقياً ومنهجياً تحت عنوان 'مواجهة التحصين ضد التكذيب. (انظر: فلسفة كارل بوير، ص ٣٦٥-٣٧٤) (المراجعة)

ربما بدا هذا غريباً بالنسبة للتجريبى الساذج الذى يظن أن العلم مجرد تنسيق وتنظيم للخبرة الحسية. لكن لا غرابة فى الأمر إذا تذكرنا أن العلم لا يفترض فيه أن يقدم مجرد وصف لخبراتنا بل أن يقدم تفسيراً لها أيضاً. فحين تشير الفيزياء المعاصرة إلى الإلكترونات فإنما تفعل ذلك لأن النظرية التى تفسر الظواهر الملاحظة أفضل تفسير هى نظرية تلعب فيها الإلكترونات دوراً هاماً. بوسع العلماء على سبيل المثال أن يشاهدوا فى المختبر خطأ من قطيرات الماء داخل غرفة الضباب لويلسون. فلماذا يظهر هذا الخط؟ ما الذى سببه؟ إن أفضل تفسير لذلك (باعتبار ظروف معينة) هو أن خط القطيرات قد رسبه مرور أحد الإلكترونات. وأخيراً لا يفوتنا أن نذكر أن بعض الكيانات التى جرى افتراض وجودها من قبل على أساس نظرى تماماً قد أمكن فيما بعد ملاحظتها. مثال ذلك طائفة معينة من الذرات المفردة، وكذلك الكائنات العضوية المجهرية.

## وضع الكيانات النظرية

يختلف فلاسفة العلم فيما بينهم حول وضع الكيانات النظرية. فهل يوجد حقاً إلكترونات؟ هل هى موجودة فعلاً بالمعنى الذى توجد به قوالب القرميد والصخور والموائد والكراسى؟ إن أجزاء الأشياء الواقعية هى بطبيعة الحال واقعية. ولكن السؤال هو: هل علينا اعتبار الإلكترونات كأجزاء أو مكونات للأشياء العينية كالطوب والصخور؟ ثمة إجابات كثيرة عن هذا السؤال قد طرحت، منها ما قدمه مفكرون كبار، لكنها جميعاً تندرج تحت مقولتين كبيرتين: الأدوات/البرجماتية والواقعية.

**الأدواتية/البرجماتية :** الغرض الرئيسى للنظرية العلمية وفقاً لهذا الرأى (وهو فى الواقع نطاق كامل من الآراء) هو وضع التنبؤات. ورغم أن النظريات قد تشير إلى كيانات عديدة - رغم فتنته النفسية - يعد أمراً ثانوياً بشكلٍ ما إذا ما قورن بالمعادلات الرياضية التى هى فى الواقع أساس التنبؤات. ولعلها تسمية

ملائمة أن يقال لهذه الوجهة من النظر 'الأداتية' instrumentalism من حيث إنها تصور النظرية العلمية كأداة instrument ، رياضية بالدرجة الأساس، لإنتاج التنبؤات. وملائمه أيضاً أن نسميها 'برجماتية' pragmatism لأنها تؤكد على استعمال النظرية في إنتاج تنبؤات<sup>(٢٢)</sup>.

ورغم ما تمتعت به الآراء الأداتية/البرجماتية من رواج في وقت من الأوقات، فإن قليلاً فقط من فلاسفة العلم المعاصرين (ولا أحد تقريباً من العلماء) يعتقد في احتمال صحة أى شيء في نطاق هذا الرأي<sup>(٢٣)</sup>.

(٢٢) من أشهر تمثيلات الأداتية المضادة للواقعية تفسير ليكانيك الكوانتم يقال له تفسير كوبنهاجن<sup>٢٤</sup>، قال به عالم الفيزياء الشهير نيلز بور Niels Bohr (١٨٨٥ - ١٩٦٢) ، وأثار جدلاً طويلاً بينه وبين أينشتاين. يرى بور أنه ليس هناك واقع عميق هو واقع الكوانتم، وليس هناك عالم من الإلكترونات والفوتونات... إلخ: فميكانيكا الكوانتم تقدم لنا بناءً صورياً يتيح لنا استخدامه أن نتحكم ونتنبأ بالأحداث التي نصفها بلغة الحياة اليومية أو بلغة الفيزياء الكلاسيكية. إلا أنه يظل من الضلال واللامعنى أن نسلم ونصادر بواقع كوانتم يناظر الوصف. إن مشكلات مثل مشكلة 'ثنائية الموجة/الجسيم' أو مشكلة 'قطة شرودنجر' لتومى - فى رأى بور - إلى أنه ليس هناك واقع حقيقى وراء ملاحظتنا. (المترجم)

(٢٣) أجل يميل معظم فلاسفة العلم إلى الواقعية، لأنهم لا يستطيعون إغفال الدلالة الأنطولوجية للنظريات العلمية. ولكن غير صحيح إطلاقاً أنه لا أحد من العلماء يعتقد في صحة الأداتية. وهذا الخطأ يكرره المؤلف مجدداً في الصفحة التالية فيقول إن جميع العلماء واقعيون. لقد أشار الهامش السابق توا إلى تفسير كوبنهاجن الأداتى، وهو تفسير جماعة من ألمع الفيزيائيين الشبان - آنذاك - وفرسان الكوانتم من جنسيات شتى، منهم فيرنر هايزنبرج صاحب مبدأ اللا تعين الشهير، وبول ديراك الذى اكتشف بالمعادلات الرياضية ضديدات الجسيمات الأولية ولم يتمكن العلم من التحقق التجريبي من وجودها إلا بعد هذا بسنوات، ويؤمنهم جميعاً نيلز بور. كانوا قد ذهبوا قبل الحرب العالمية الثانية إلى كوبنهاجن فى منح دراسية على نفقة المليونير روكفلر، ليعملوا سورياً. وفى كتابه (المشكلات الفلسفية للعلوم النووية) يصف هايزنبرج أيام دائرة كوبنهاجن بأنها أمتع أيام عمره.

على العموم، فإنه بفضل هيلمان نيلز بور أخذ كثير من الفيزيائيين بالأداتية. فضلاً عن أنها تيار هام في فلسفة العلم يضم فلاسفة عتاة أمثال بوانكاريه وبيرر دوهيم وستيفن تولمان وبريدجمان. وفى أيامنا هذه التى تلقب بعصر الحاسوب وثورة المعلومات علا شأن الأداتية بفضل الأهمية المتزايدة لبرامج الحاسوب. راجع كتابنا: فلسفة العلم فى القرن العشرين: الأصول.. الحصاد.. الآفاق المستقبلية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر، ٢٠٠٠. ص ص ٢٠٨-٢٢٥. (المراجعة)

**الواقعية realism :** تستعمل كلمة واقعية في الفلسفة بعدة معانٍ لا يربط بينها رابط متين<sup>(٢٤)</sup> إلا أن ما يعنينا هنا هو فقط الواقعية العلمية التي ترى أن الكيانات التي تطلبها نظرية علمية ناجحة (أي راسخة) هي كيانات واقعية. ومن ثم توجد الإلكترونات في الواقع، بل هي موجودة بالمعنى نفسه الذي توجد به قوالب القرميد والصخور والموائد والكراسي. وجميع العلماء العاملين تقريباً يأخذون بالواقعية العلمية، وكذلك معظم فلاسفة العلم. أما الحجج المؤيدة للواقعية فكثيرة. وسنعرض الآن لثلاث من هذه الحجج هي من الأهمية بمكان في المباحث الفلسفية المعاصرة في العلم :

١ - **الميكروبات والميكروسكوبات :** شهد تاريخ العلم في إحدى مراحل تأملات نظرية حول وجود كائنات عضوية غير مرئية في عديد من المواد والأماكن، من حيث أن

(٢٤) الواقعية بالمعنى الدارج هي نزعة تعطي للوقائع الخارجية العينية أولوية على المدركات الذهنية. أما في مجال الفلسفة فإن لكلمة واقعية معاني متعددة يجب على الدارس أن يفتن لها، لاختلافها البين وتفاوتها الواضح الذي يصل أحيانا إلى حد التناقض :

في مشكلة الوجود : هناك الواقعية الميتافيزيقية وهي مذهب يسلم بوجود حقائق خارجة عن الذهن، أو يرى أن الوجود متمايز عن العقل ولا يتوقف على الإدراك أو الوعي. وهو ما يقابل المثالية Idealism التي ترد الوجود كله إلى العقل أو الفكر.

وهناك واقعية ساذجة naïve realism تأخذ الواقع على علته وتسلم به تسليماً وتتصور العالم على نحو ما يرى ويلمس. ولدى كل منا قدر منها. وتقابلها الواقعية النقدية critical ، وهي لا تقبل العالم الخارجي كما هو، بل تخضعه لعمل ذهني.

ويطلق أيضاً الواقعية أحيانا على مذهب أفلاطون القائل بأن المثل موجودة في عالمها وجوداً حقيقياً مطلقاً. في مشكلة المعرفة : هي الرأي القائل إن للكيانات والمعاني وجوداً موضوعياً أو خارجاً على العقل، وترجع إلى نظرية المثل الأفلاطونية. وتقابلها الاسمية nominalism التي ترى أن الكليات مجرد أسماء موجودة وجوداً عقلياً فقط، وهي أداة مريحة نصنعها لكي تتيح لنا التعامل مع فئات الأشياء التي نصادفها في تجربتنا.

وهناك الواقعية الرياضية التي ترى أن الحقائق الرياضية لا يخلقها العالم وإنما يكتشفها، وأنها متحققة في العالم الخارجي على نحو تحقق الأشياء الحسية.

وهناك الواقعية في الفن : وهي المذهب القائل إن الفن مرتبط بالواقع وصفاً ونقداً ومحاكاة. ويقابل السيريالية surrealism التي تذهب إلى ما فوق الواقع وتعول على إبراز الأحوال اللا شعورية. (المترجم)

وجود هذه الكيانات قد يفسر ظواهر معينة معروفة. وكان أنطون فان ليفنهوك (١٦٣٢-١٧٢٣)، وهو عالم هاوٍ وصانع عدسات، هو أول من أعلن مشاهدته لمثل هذه المخلوقات الدقيقة. فقد شاهد ما أسماه 'حيوانات' في قطرة من ماء المطر، مستخدماً مجهرًا (ميكروسكوبًا) بدائيًا وحيد العدسة. ثم ظهرت فيما بعد ميكروسكوبات أفضل دعمت هذه الملاحظات ووسعت مداها ونقحتها.

إذن قبل ظهور الميكروسكوبات كان ما نسميه الآن ميكروبات مجرد كيانات نظرية. وهذا يعنى من وجهة النظر الواقعية أن الميكروبات كانت دائماً هناك، فى الواقع، فى العالم، فى البركة - تماماً كوجود زنابق الماء والصفادع. كل ما فى الأمر أننا لم نكن نملك 'منفذاً إدراكياً حسيّاً' إليها. إذاً الذى كان دائماً هناك هو الآن مرئى مُشاهد. ومع تطور أنواع أفضل وأحدث من الميكروسكوبات، كالميكروسكوبات الإلكترونية والصوتية، أمكننا الآن ملاحظة كائنات أخرى كانت من قبل مفترضة على أساس نظرى (ويمكن أن يقال الشئ نفسه بالنسبة لتطور التلسكوبات، بما فيها التلسكوبات الإشعاعية).

ونحن إذ نورد مثال الرؤية المجهرية والميكروسكوبات، فلسبنا نعى بذلك أننا يجب أن نذهب مذهبا واقعياً تجاه أى شئ يخمن بوجوده من يخمن، أو يؤمل فى وجوده من يؤمل. فكثير من دعاوى 'لأبد أن كذا وكذا موجود هناك' هى دعاوى باطلة. كل ما يريد هذا المثال أن يبينه هو أن على من ينكر واقعية كيانات لدينا أسباب وجيهة للاعتقاد بوجودها (من دون أن نملك فى الوقت الراهن ملاحظتها) أن يبين لنا بالدليل لماذا تختلف هذه الحالة عن حالة الميكروبات والميكروسكوبات من حيث المبدأ.

## ٢ - الظواهر الصناعية والظواهر الطبيعية : تُعرّف الظاهرة الصناعية artifact

بأنها شئ من صنع الإنسان. وقد دأب العلماء أثناء قيامهم بالتجارب على استعمال هذا المصطلح ليشير إلى أثر أو معلول ما ناتج عن الموقف التجريبي نفسه. (وهنا تستعمل artifact كمقابل لأية ظواهر واقعية real قد تكتشفها التجربة). إن مفهوم التجربة كوسيلة اكتشاف هو فى حد ذاته مفهوم يعكس نظرة واقعية إلى المشروع العلمى.

وهذه المقابلة بين الظواهر الصناعية والظواهر الواقعية هي الأخرى ليست برهانا على الواقعية، بل هي بالأحرى حجة تفيد أن الواقعية تفوق الآراء المقابلة لها من حيث الانطباق والملاءمة لهذه المقابلة القابعة في صميم الممارسة العلمية الفعلية.

٣ - **الحجة المستمدة من التفسير الأفضل :** ولعل أقوى حجج الواقعية العلمية هي أيضاً أكثرها بساطة. إنها حجة التفسير الأفضل. ومفادها أن أفضل التفسيرات - أى أكثرها قبولا ومعقولية وإقناعاً - لكون العالم يتصرف كما لو كانت الكيانات التى تفترضها النظريات العلمية موجودة، هو أن هذه الكيانات موجودة فعلاً. وإنه لمن قبيل المعجزة أن نظرية تفترض وجود الإلكترونات تنجح كل هذا النجاح فى توليد تنبؤات صائبة عن العالم، ولا يكون العالم حقاً وصدقاً مكوناً من أشياء مثل الإلكترونات.

### التحميل النظرى واللامقايسة

تترتب على الصورة المتطورة للعلم، والتى تؤكد على أهمية النظريات، نتيجة غريبة، اللغة التى تستعمل لى تجسد الملاحظات وتصف النتائج التجريبية هي ذاتها شئ تحده نظرية معينة وتقدر له شكله وصفته مقدماً. فتوصف اللغة التى يستخدمها عالم ملتزم بنظرية معينة بأنها لغة 'محملة بالنظرية theory-laden'. ولو كان الأمر كذلك لبدا أنه لا سبيل إلى مقارنة نظريتين علميتين إحداهما بالأخرى. فللنظرية أ مفرداتها اللغوية التى تحدد لها ما تتحدث عنه، والنظرية ب لها مفرداتها التى تعنى أن النظرية ب تتحدث عن شئ آخر. وعلى هذا تتعذر المقارنة المباشرة بين النظرية أ والنظرية ب. المقارنة المباشرة لا تجوز إلا إذا كانت النظريتان تتحدثان بشكل وافٍ عن الشئ نفسه.

تبعاً لهذا الرأى، يقال عن النظريتين أن بينهما لامقايسة incommensurable (أى لا يمكن قياسهما بنفس المعيار أو المقياس. إلا أن العلماء (ومعظم فلاسفة العلم)، وبالرغم من القلق المتعلق باللامقايسة، يرون أن العلم يحقق تقدماً فعلياً، مما يعنى بداهة أن النظريات اللاحقة يمكن أن تقارن بالنظريات السابقة على كل حال.

ويمكن أن نفسر هذا الإمكان بأن العالمين السابق واللاحق، على الرغم من التزامهما بنظريات مختلفة، يشتركان في استعمال مفردات كثيرة خارجة عن النظرية. ومن ثم، من الممكن أن يكونا، برغم اللا مقايضة، يتحدثان عن العالم نفسه.

## العلية causality

نحن نفهم الأشياء بأن نكتشف عللها. هذه الفكرة التي ترد في الزمان إلى أرسطو (٢٨٤-٣٢٢ ق. م.) على أقل تقدير، هي فكرة ضاربة برسوخ في نظرة الحس المشترك إلى العالم. فهل يتفق العلم مع هذه النظرة، أي هل يُفسر العالم عن طريق البحث عن علل الظواهر الطبيعية؟ تميل الفلسفات العلمية التي تؤكد على الترابط التجريبي (وقد تطلق كلمة الوضعية *positivism* كعنوان غامض لهذا الفصيل من الآراء) إلى الاعتقاد بأن مفهوم العلية لا يمت في الحقيقة إلى العلم، وأن أي عبارة تتخذ صيغة 'أ' علة 'ب' هي عبارة تند عن أي دليل أو بيئة.

ولعل ديفيد هيوم D. Hume (١٧١١ - ١٧٧٦) هو أشهر داعية إلى هذه الوجهة من النظر. ومثاله في ذلك هو أيضا مشهور: لو أن كرة بلياردو ارتطمت بكرة ثانية، والتي بدأت عندئذ في الحركة، فقد يعن لنا القول إن الكرة الأولى 'علة سببت' *caused* تحرك الكرة الثانية. غير أن كل ما 'يحق' لنا أن نقوله هو أن حركة الكرة الثانية 'جاءت بعد' حركة الكرة الأولى. وعندما نلاحظ أن هذا الشيء يتفق له أن يحدث في مناسبات جد كثيرة، تتكون لدينا عادة أن نتوقع حركة الكرة الثانية، لكن حركة الكرة الثانية ليست ضرورية في حقيقة الأمر.

إن وصف هيوم لكرات البلياردو، وكذلك كل الأوصاف الوضعية للعلم التي تلت ذلك، تعفى النظرية ببساطة من مهمة التفسير. فإذا كانت الميكانيكا الكلاسيكية تفسر لنا حركة الكرة الثانية حين تُعطى لها حركة الكرة الأولى، فإن علينا أن نفهم ذلك في حدود الضرورة القانونية لا المنطقية. ليس 'مستحيلاً منطقياً' ألا تتحرك الكرة الثانية حين تصدمها الأولى بطريقة معينة، لكنه 'مستحيل قانونياً' *nomically impossible*.

العلل إذن تحدد النتائج بضرورة قانونية. ويتضمن المفهوم القياسى للعلية أنه بإعطاء مجموعة من الشروط المبدئية مضاف إليها كل القوانين الطبيعية، فليس ثمة إلا نتيجة واحدة ممكنة. (هناك تخفيف ممكن لهذا الرأي نعرض له فى الفقرة التالية).

### مبدأ اللا تعين The Uncertainty Principle<sup>(٢٥)</sup>

رغم أن جزءاً كبيراً من العلم المعتاد ينطلق على أساس النظرة الحتمية العلية للطبيعة، فقد شهد القرن العشرون تطورات فى الفيزياء تتحدى هذه النظرة<sup>(٢٦)</sup> فى عام ١٩٢٧ طرح فيرنر هيزنبرج W. Heisenberg (١٩٠١ - ١٩٧٦) ما أصبح يعرف باسم مبدأ اللاتعين لهيزنبرج وينص على أن : من المتعذر أن نحدد على وجه اليقين موقع جسيم دون ذرى (إلكترون على سبيل المثال) وكمية حركته فى آن واحد، إذ أن عملية تحديد أحدهما يؤثر دائماً على الآخر. ويمكن بعبارة أخرى القول إن المتغيرين اللذين يحددان كلا من موقع جسيم وكمية حركته لا يمكن أن يأخذ كلاهما قيمة محددة فى وقت واحد.

وتقتضينا الحصافة الفكرية أن نعترف بأن فهم ما يعنيه هذا المبدأ ربما يتعذر على غير عالم فيزيائى متضلع فى دقائق ميكانيكا الكوانتم. إلا أنه يُفسر فى كثير من الأحيان، من قبل الفيزيائيين وغير الفيزيائيين، كمبدأ يجعل الطبيعة بشكل ما لا حتمية فى صميمها. إننا لا نملك أن نلزم الطبيعة بتحديد موقفها، على الأقل فى المستوى دون الذرى، كما كنا نظن منذ زمن طويل. وإذا كان لمبدأ هيزنبرج أن يمنحنا استبصاراً جوهرياً بالطبيعة (ينكر أينشتاين ذلك بعكس معظم الفيزيائيين المعاصرين) فالاحتمال probability إذن وليس الضرورة، هو فى القلب من الأشياء.

(٢٥) Uncertainty Principle معناها الحرفى مبدأ اللا يقين ولا ندري لماذا أورد المؤلف هذه الصيغة لمبدأ هيزنبرج الخطير، والتى عزف عنها المجتمع العلمى لما تحمله من شبهة ذاتية تفصله الظاهرة وتربطه بالذات العارفة، فضلاً عن اشتغاله بإشكاليات إبستمولوجية شتى. الاسم المعتمد والشائع لمبدأ هيزنبرج الآن هو Indeterminacy Principle أى مبدأ اللا تعين. (المراجعة)

(٢٦) انظر فى تفصيل هذا : ديمنى طريف الخولى، فلسفة العلم من الحتمية إلى اللا حتمية، ط٢ ، دار قباء القاهرة، ٢٠٠٠ .

## العلوم الاجتماعية

### هل العلوم الاجتماعية ممكنة؟

يطرح أحياناً تساؤل حول ما إذا كانت العلوم الاجتماعية *social sciences* (أو الإنسانية *human* كما تسمى أحياناً) ممكنة. حقا لقد ألفنا فكرة أن يدرس البشر الطبيعة. ولكن هل يمكن أن يدرس البشر أنفسهم؟ ربما تكون أفضل طريقة للإجابة على هذا السؤال هو أن نشير إلى العلوم الإنسانية المزدهرة بالفعل: علم النفس والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد. فمن المؤكد أن ما هو واقع لا بد أن يكون ممكناً.

قد يكون هذا جواباً سهلاً للغاية. ورغم ذلك فما أدرانا أن ما يبدو علماً وما ينتحل صفة العلم لا يتكشف في النهاية عن علم زائف أو شبه علم؟ فهل بوسع علماء النفس حقا أن يتنبأوا بالسلوك الإنساني؟ هل يستطيع الأنثروبولوجيون أن يفسروا لنا تباين العادات؟ هل بمقدور علم الاجتماع أن يخبرنا عن المجتمع بأى شيء لا نعرفه أصلاً من قراءتنا للروايات الهامة؟ هل يملك علم الاقتصاد أن يفعل أى شيء؟ قد يتصور البعض أن هذه أسئلة إنشائية تبتغى التأثير الخطابى أكثر مما تنشد الجواب. ومع ذلك كل منها فى الحقيقة جدير برد مفصل قائم على مسح شامل للمجال المعنى. على أنه يكفي هنا أن نعرض لبضع مسائل أساسية.

### لم لا

ما دام مفهوم العلم هو مفهوم تشابه أسرى يضم تحت جناحيه كثيراً جداً من الأساليب والممارسات المعرفية المتباينة تماماً (حتى داخل نطاق العلوم الطبيعية)، فماذا يمنع أن نمد هذا المفهوم ليشمل العلوم الاجتماعية (أو الإنسانية)؟ والحق أنه ليس للعلم كما أكدنا آنفاً، إلا متطلب أساسى واحد: هو بناء نظريات، شريطة ألا ننسى أن النظرية العلمية لا تستحق هذه الصفة إلا إذا كانت تفسر قطاعاً ما من الواقع، وأنه لا نظرية تستحق أن يؤبه لها كنظرية علمية ما لم تكن قابلة للاختبار.

## التفسير والتنبؤ

فى ميدان العلوم الطبيعية يسير التفسير والتنبؤ جنباً إلى جنب. ويصدق هذا حتى على العلوم الأقل تنبؤاً (أى العلوم التاريخية أو الاسترجاعية المنبئة عن الماضى retrodictive) مثل الجيولوجيا. فهل على العلوم الاجتماعية أن تكف عن محاولة التنبؤ، وأن تقنع بتفسير الوقائع بعد أن يتم وقوعها؟ الجواب أن معظم علماء العلوم الاجتماعية لا يريدون التنازل عن التنبؤ. إنهم مهومون بتقديم شىء أكثر من مجرد وصف مقنع تاريخياً للجماعات البشرية المختلفة. وليس معنى هذا أنهم يتوقعون لمباحثهم المعرفية أن تنمو على طريقة الفيزياء، أى أن يصير العلم الاجتماعى الوافى بالمراد والتام التنبؤ علماً إحصائى الطابع بالضرورة. والحق أن الشىء الحاسم فى أمر العلم ليس هو أن ينتج قوانين من صيغة إذا كان أ، إذن يكون ب بالتأكيد أو إذا كان أ ربما يكون ب، وإنما أن يستطيع تفسير العلاقة بين أ و ب فى حدود نظرية مرضية.

## الاختيار

حين يتساءل كثيرون من الناس عن إمكان قيام شىء من قبيل العلم الاجتماعى، تكون فى خلفيتهم الذهنية تلك الفكرة القائلة إن السلوك الإنسانى هو نتيجة اختيار. ونحن نعبر أحياناً عن هذه الفكرة بقولنا إن البشر أحرار أو يملكون حرية الإرادة. (انظر شرحاً أكثر تفصيلاً لمسألة الحرية الإنسانية فى الفصل الرابع تحت عنوان 'حرية الإرادة بوصفها مشكلة ميتافيزيقية'). ثمة بالتأكيد توتر ظاهر بين فكرة وجود تفسير على (والذى يبين لماذا كان حتماً على شىء ما أن يحدث) وفكرة الاختيار (والتي توحي بأنه كان هناك بديل واحد على الأقل ممكن).

إحدى الطرق التى يمكن أن نعالج بها هذا التوتر هى أن نقول إن نظرتنا إلى أنفسنا على أننا نملك اختيارات - بمعنى مسالك عليّة بديلة حقاً تتفرع متباعدة لحظة الاختيار - هى ببساطة وهم من الأوهام. وقد نعالج هذا التوتر بطريقة أخرى فنقر بوجود الاختيار، ونرفض فى الوقت نفسه أن يتطلب الاختيار بدائل من شأنها أن تنتهك

الحتمية العلية بأى شكل من الأشكال. ولا يلوح فى الأفق إجماع وطيد بين الفلاسفة حول كيفية التوفيق بين التفسير العلى وبين حرية الاختيار، أو - إذا تعذر التوفيق - حول مسألة أى من الطرفين يجب أن نتخلى عنه: الحتمية أم الحرية<sup>(٢٧)</sup>.

## التنبؤ والسيكولوجيا الشعبية

يطلق مصطلح 'السيكولوجيا الشعبية' folk psychology على النظرية التى نشترك فيها جميعاً (حتى لو لم نكن من العلماء) ونستخدمها فى فهم سلوك الناس من حولنا والتنبؤ به. وهى فى معظمها مضمرة أو غير صريحة، بعكس النظرية العلمية المكتملة النضج. إلا أن أكثر ما يلفت النظر إلى السيكولوجيا الشعبية هو نجاحها الواقعى الكبير. فعلى الرغم من أننا كثيراً ما نقول إن السلوك الإنسانى غير قابل للتنبؤ، فإن أغلب تنبؤاتنا التى نرسلها بادئ الرأى بفهمنا السيكولوجى الشعبى يثبت فى النهاية أنها صحيحة.

افترض أنك أقمت حفلاً. المحتمل أن أغلب من دعوتهم سوف يحضرون. فرغم أن كل مدعو على حدة يمكن أن يقرر (أى يختار ألا يحضر)، وأن واحداً أو اثنين على الأرجح سوف يختاران ألا يحضرا، فإن غالبية الأشخاص سوف يحضرون (وبذلك يصدق تنبؤك). أو تأمل فى أمر الملايين العديدة من الناس الذين يستخدمون نظام النقل لمدينة نيويورك. قد يتفق عَرَضاً أن مخبولاً سقط تحت القطار، ويتصادف أن يكون الضحية هو الرجل الذى يصرف التذاكر! كل ذلك لا يمنع أن معظم الأيام تجرى على السنن وأن معظم الناس فيها يتصرفون بطريقة قابلة للتنبؤ تماماً. ولو لم يفعلوا لاستحال أن يكون لدينا نظام نقل.

(٢٧) إذا أخذنا فى الاعتبار أن العلية اهتزت كثيراً فى الفيزياء المعاصرة، وأن الحتمية الكلاسيكية انهارت، كما أشار المؤلف نفسه أنفاً: أدركنا أنه ليس صحيحاً ما يدعيه من استحالة حل هذا المعضل القائم بين الحرية الإنسانية والتفسير العلمى. وهناك محاولات كثيرة ناضجة، نذكر منها نظريات وليم جيمس وأرثر هولى كومبتون وكارل بوبر. انظر فى تفصيل هذا، كتابنا الحرية الإنسانية والعلم : مشكلة فلسفية. دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٩٠. ص ص ١٥١-٢٠٥.

أما إذا كان الفلاسفة لا يتفقون جميعاً على انهيار الحتمية وانفراجة هذا المعضل، فإن الفلسفة دائماً هى الرأى والرأى الآخر، وهى بطبيعتها لا تسمح باتفاق الآراء. (المراجعة)

وقد يكون هناك أكثر من درس يستفاد من نجاح السيكولوجيا الشعبية. ولكن الدرس الأهم هنا هو أنه إذا كانت السيكولوجيا الشعبية تعمل بهذا النجاح، فما الذي يحول دون نجاح سيكولوجيا علمية؟ إن علم النفس يهدف إلى أن يكون أكثر من علم اجتماعي يتنبأ بالسلوك الفردي. وقد حقق شيئاً من النجاح في الإخبار بما 'يحتمل' أن 'يُقدم' على فعله فردٌ ما. فبالى أى مدى سوف ينجح (أو يمكنه أن ينجح) فى الإخبار بما 'يتحتم' أن يفعله فرد ما؟ هذا سؤال لم يُفصل فيه ويبقى محل بحث.

## الأسباب والعلل

من المفيد فى بعض الأحيان أن نعقد تمييزاً بين صنفين من التفسيرات الخاصة بالسلوك الإنسانى. فهناك تفسيرات تقوم على الأسباب reasons وأخرى تستند إلى العلل causes<sup>(٢٨)</sup> فلتفترض أننا بإزاء لص عادى قام بسرقة جهاز تلفزيونى.

(٢٨) من الواضح أن سبب reason هنا يعنى ما هو عقلى إنسانى من خلق الوسط البشرى، أما علة cause فهي الطبيعى أو الفيزيقي الراجع إلى بنية العالم ذاته. وهذه المقابلة الجوهرية بين السبب reason والعلة cause تثبت ما سعيينا إليه إبان إعداد رسالتنا للدكتوراه منذ عشرين عاماً مضت، وهو أن العلية أفضل من السببية كترجمة لمصطلح causality الجوهرى فى فلسفة العلم، الذى يشيع ترجمته بالسببية. وقد يترجم أحياناً بالعلية وكأنتهما مترادفتان، فى حين أن العلية - كما أكدنا - هى الصواب. وذلك لأكثر من سبب. أولاً : فى 'كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ص ١٠٣٦-٣٨ نجد علية ولا نجد سببية، حيث العلة فى اللغة اسم لعارض يتغير به وصف المحلول بحلوله، وبالضرورة لا عن اختيار. ومنه سمي المرض علة، لأن بحلوله يتغير حال المرء من القوة إلى الضعف. بينما نجد فى 'مختار الصحاح - ص ٣٠٣ أن السبب أصلاً الحبل، وأسباب السماء نواحيها. وفى (المصباح المنير - ص ٣٥٦) السبب هو فى الأصل ما يتوصل به إلى الاستعلاء، ثم استعير لكل شئ نتوصل به إلى أمر من الأمور، فقليل هذا سبب هذا، وهذا مسبب عن هذا. لم ترد 'علة' فى القرآن الكريم أبداً، بينما ورد 'سبب'. ويجمع الثقات من المفسرين على أن لفظة 'سبب' الواردة فى القرآن هى الطريق والوسيلة والحيلة، مما يؤكد الصبغة الإنسانية لمصطلح سبب، ليرتبط مصطلح علة بما هو طبيعى.

ويؤيد هذا أكثر الأصوليون، فهم يرون العلة أعم والسبب أخص. ويفرقون بينهما على أساس أن السبب هو ما يحصل الشئ عنده لا به، والعلة ما يحصل به. كما أن المعلول ينشأ عن علة بلا واسطة ولا شرط. أما السبب فيفيض إلى الشئ بواسطة أو بوسائط لذلك يتراخى الحكم عنده حتى توجد الشرائط وتتنفى الموانع. أما العلة فلا يتراخى الحكم عنها فمتى وجدت أوجبت المعلول. على كل هذا تغزو علية هى المقابل الدقيق لمصطلح causality وعلة cause. أما reason فهو سبب. (المراجعة)

إن لديه أسباباً **reasons** لسرقة ما سرق. فإذا اتفق أن سألناه: لماذا سرقت الجهاز؟ فقد يرد بأنه يعرف شخصاً يمكن أن يبيعه إياه. هناك بالطبع احتمال أن يكون الأمر أبعد من ذلك كثيراً، ولكن هكذا الحال في معظم الإدلاءات بالأسباب - أن تأتي مقتضبة أو ناقصة.

هناك شيئان في التفسير بواسطة الأسباب يجب أن نلاحظهما. أولاً : يجب أن يكون الفاعل الذي نريد تفسير فعله مدركاً لأسبابه واعياً بها، بحيث يكون 'لديه' تلك الأسباب **reasons** وثانياً علينا أن نفترض أن الفاعل الذي نحن بصدد تفسير فعله هو شخص عاقل. فعلى سبيل المثال، المتجر الذي يضع تدابير أمنية إنما يريد من هذا أن يمنح كل لص ممكن أسباباً عقلية لئلا يسرق. ولكن هذا لا يجدى إلا مع اللصوص العاقلين. أما المريض بهوس السرقة<sup>(٢٩)</sup> **kleptomania** فهو خلافاً للص العادي مدفوع إلى السرقة بقهرٍ نفسي ليس له يد فيه. فإذا ما سألناه مثلاً : لماذا سرقت تلك الأشياء الصغيرة التافهة؟ فقد يكون صادقاً كل الصدق وهو يجيب : لا أدري.. كأن شيئاً ما قد حدث لي وغلبني على أمري. في حالة هذا المريض المدفوع إلى السرقة بعلى **causes** ، نحن نميل بالطبع إلى القول إن السرقة لم تكن فعلاً 'أحدثه' بل هي بالأحرى أشبه بشيء 'حدث له'. لقد حدث له ما يحدث لي حين أسقط على السلم (بسبب قشرة موز مضاف إليها الجاذبية) فالسقوط على السلم ليس شيئاً أفعله.

ونحن بالتأكيد قد اعتدنا أن نفسر أفعال الناس بمحاولة تصور الأسباب التي دفعتهم إلى التصرف بهذه الطريقة أو تلك. وكذلك يتحدث الفلاسفة عن 'عزو' أو 'نسبة' أسباب إلى فاعلي الفعل. غير أن هذا لا يفيد إلا بقدر ما يكون هؤلاء الفاعلون عقلاء مدركين. وهو شرط قلما نلتفت إليه ونقدره حق قدره.

(٢٩) هوس السرقة **kleptomania** مرض نفسي يكون المصاب به مدفوعاً، بما يشبه الحواز، إلى سرقة أشياء تافهة الثمن والقيمة، لا هو بحاجة إليها ولا هو بعاجز عن شرائها. وكثيراً ما يلقي بها بعد ذلك أو يعيدها خلصة إلى صاحبها. بذلك يبدو هدفه هو السرقة لا المسروق! ومريض الكلبتومانيا يعرف أن السرقة جريمة ويشعر بعدما بذنب واكتئاب، لكنه يفشل في مقاومة اندفاعاتها كلما استبذت به، ويشعر بلذة عاجلة عقب فعل السرقة. وهي حالة مرضية شديدة الندرة وأغلب المصابين بها من الإناث. وقد تكون مصحوبة بالقلق العصابي أو اضطرابات التغذية مثل فقد الشهية العصبي والشره العصبي. (المترجم)

ثمة وجهتان من الرأي بين الفلاسفة بخصوص الشروط الضرورية لنجاح التفسير بالأسباب : الأولى ترى أن هذه التفسيرات لا تنجح إلا إذا كانت الأسباب عللاً ، وبذلك تدرجها فى عداد التفسيرات العلية بعامة. والثانية ترى أنه لا يمكن رد الأسباب إلى علل، ولا يشترط وجود علل لى تعمل التفسيرات بالأسباب عملها بنجاح. بعبارة أخرى، إن التفسيرات بالأسباب مستقلة مكثفة بذاتها<sup>(٣٠)</sup>.

## هل هذا هو كل ما هنالك

### الاختزال

يتهم العلم أحياناً، سواء العلم بعمومه أو العلوم الخاصة على اختلافها من طبيعية واجتماعية، بما يسمى النزعة الاختزالية أو الرديّة 'reductionism'. والنزعة الاختزالية مصطلح (ازدرائى دائماً) يطلق على وجهة من الرأي تُعتبر غير مقبولة. ولنبدأ بتعريف المصطلح الأكثر حياداً وهو الاختزال . الاختزال هو دعوة من صيغة "أ ما هو إلا ب"، ويتجسد فى الجمل الاختزالية. من أمثلة هذه الجمل: البرق ما هو إلا تفريغ كهرباء إستاتيكية، الماء ما هو إلا ذرتان من الهيدروجين وذرة واحدة من الأكسجين، الاختزال كما هو ممثل فى هذين المثالين، هو جزء أساسى داخل فى كل العلوم الأصيلة. فتعبير 'ما هو إلا' يعنى بدقة تامة 'فى هوية مع'. ومن ثم فالجمل الاختزالية تجسد

(٣٠) يفيد الرأى القائل باستقلال الأسباب العقلية أن الرابطة بين الفعل وسببه هى رابطة منطقية وليست رابطة عليّة causal : فما كان للفعل أن يكون لو لم يتخذ هويته من مكانه فى خطة قصدية للفاعل (بل سيكون مجرد جزئية سلوكية غير قابلة لأى تفسير عقلى على الإطلاق) فالأسباب والأفعال ليست أحداثاً سائبة منفصلة تمسكها العلاقات العلية أو تلصقها سوياً.

أما الرأى المضاد الذى قال به الفيلسوف الأمريكى دونالد هربرت ديفى دافيدسون D.H. Davidson (١٩٧ - ؟) فيذهب إلى أن وجود السبب هو حدث ذهنى، وما لم يرتبط هذا الحدث علماً بعملية الفعل لما أمكننا أن نقول إنه السبب العقلى الذى يؤدى الفعل من أجله. إن الأفعال قد تؤدى بباعث من سبب معين وليس بسبب آخر. ذلك أن السبب الذى يفسرها هو السبب الأقدر علماً على إثارة الفعل. (المترجم)

فى الواقع علاقات هوية identities . وقد كان اكتشاف علاقات الهوية وما يزال جانباً هاماً من جوانب البحث العلمى، تلك الهوية التى تكون أحياناً مفاجئة لنا وغير متوقعة على الإطلاق.

## النزعة الاختزالية

ربما لن يعنَ لأحد أن يجادل فى الاختزالين المذكورين فى الفقرة السابقة (اختزال البرق إلى كهرباء واختزال الماء إلى يد ٢ أ) وإنما توجه تهمة الاختزالية عندما ينقد الرأى على أن الشئ الذى تم اختزاله هو أكثر مما يحدده الاختزال. ولنتظر فى هذا المثال القديم، وهو بالفعل سابق على سقراط: لقد قال بعض الفلاسفة السابقين على سقراط إن الأرض ما هى إلا صخرة كبيرة، رغم أن الكثيرين كانوا يعبدونها فى ذلك الوقت بوصفها واحدة من الآلهة. فأما المؤمنون التقليديون فكانوا يحسون بوضوح إن هذه الدعوى هى رديّة اختزالية ومارقة معاً. غير أن الحقيقة الواقعة هى أن الأرض صخرة كبيرة (أو هى على الأقل أشبه حتماً بصخرة كبيرة منها بالهة من الآلهة) وأن العلم البدائى السابق على سقراط كان له كل الحق فى أن يعلن ذلك، سواء سرّ مواطنيه أو ساء هم.

ولعل أهم الأمثلة الحديثة على النزعة الرديّة الاختزالية هو تلك الدعوى القائلة إن البشر ما هم إلا كائنات بيولوجية، أى أنهم مجرد أنظمة فيزيائية حيوية معقدة. وهو ما اعتبره الكثيرون منطقياً على اختزال لا مسوغ له، أو بعبارة أخرى منطقياً على نزعة اختزالية رديّة. والحق أن العلم بإمكانه أن يحقق تقدماً من نون حاجة إلى أن يلزم نفسه بمواقف خلافية من قبيل ما هو إلا. بوسع البيولوجيا مثلاً أن تقول إنها تدرس الكائنات البشرية كما لو كانت أنظمة بيولوجية. بحيث تبقى مسألة ما إذا كان هناك أى شئ فاتها أن تدرسه دعوى غير داخلة ضمن البيولوجيا بل دعوى عن البيولوجيا. بذلك يظل بوسع من يعتقد دينياً أن للبشر أرواحاً أن يدرس الكائنات البشرية باعتبارها أنظمة فيزيائية حيوية. ويبقى مثل هذا الشخص بالطبع على اعتقاده بأن لديه شيئاً ما لا تبحث فيه البيولوجيا.

## مما صُنِعَ العالم - وماذا نصنع بهذا الشيء

هناك تمييز أولى كثيراً ما يغفله القائمون بمباحث الرد والاختزال العلمى. وأفضل سبيل لتوضيحه هو أيضاً من خلال الأمثلة: إن البرق هو تفريغ الكهرباء الساكنة أو الإستاتيكية. والكهرباء الإستاتيكية شىء يضطلع بدراسته فرع من الفيزياء يعرف بالكهربية الإستاتيكية. علم الأرصاد الجوية يدرس أيضاً ظاهرة البرق. ولكل من علمى الكهرباء الإستاتيكية والأرصاد الجوية مفردات نظرية معينة. ولكن هناك سؤالاً يطرح نفسه وهو: هل يمكن لهذين العلمين أن يجسدا فى مفرداتهما كل شىء نريد أن نقوله عن البرق؟ فأيا ما كان تركيب البرق وأيا ما كان دوره فى الأنظمة المناخية فإنه قد يبتث الروح فى قلوبنا، وبث الروح شىء لا يدخل فى المفردات النظرية لأى من الكهرباء الإستاتيكية أو علم الأرصاد الجوية.

وهناك مثال آخر. إن الصورة الزيتية مكونة من مواد كيميائية، وهى أية مواد تتكون منها قماشة اللوحة مضافاً إليها الأصباغ التى فرشت على القماشة وما إلى ذلك. إلا أن هذا لا يعنى أن النقد الفنى فرع من الكيمياء، أو أن المفردات اللغوية التى يتطلبها بحثنا فى الفن مثل: جميل.. قبيح.. مرسوم برعونة.. أخاذ.. مثير للحواس..... الخ، لها أية علاقة بلغة الكيمياء. ومن ثم فإن الجملة الاختزالية "الصورة الزيتية ما هى إلا كيماويات" على صحتها قد تكون مضللة إذا فهمنا منها أنها تستبعد الجمال وتقصى الخصائص الجمالية الأخرى.

## العلم الأكثر أساسية

على الرغم من حقيقة مفادها أن العلم يغطى مجالاً هائلاً من الأنشطة، المتشابهة والمختلفة، المتقاربة والمتباعدة، فإن معظم العلماء يؤيدون عملهم وفق المخطط التالى الذى يحدد كيف تتلاقى العلوم وكيف تتشابك. تتكون الكائنات البيولوجية من مواد كيميائية، فالكيمياء إذن أكثر أولية بمعنى ما من البيولوجيا. والمواد الكيميائية هى تجمعات من الذرات التى تتكون من جسيمات وقوى يضطلع بدراستها علم الفيزياء. ومن ثم الفيزياء

بمعنى ما أكثر أولية من الكيمياء. ليس هناك علم أكثر أساسية من الفيزياء. إن الفيزياء تقدم لنا بياناً مفصلاً للمكونات القصوى للكون. هذه المكونات القصوى وفقاً للنظرية الفيزيائية المعاصرة تشتمل على أربع قوى أساسية وسبعة عشر جسيماً<sup>(٣١)</sup>. وذلك كل ما هنالك. ولكن بطبيعة الحال هناك أيضاً مواد وكراسى وسحباً وأقواس قزح، وتوتر أعصاب وتخلف الطائرات النفاثة<sup>(٣٢)</sup>. فلتكن المائدة من خشب، والخشب من كيماويات، والكيماويات مما تراه الفيزياء الأساسية، فإن كل ذلك لا يعنى بحال أنه ليس ثمة مواد، أو أن كل ما نريد قوله عن المواد يمكن أن تسعفنا به المفردات النظرية للكيمياء والفيزياء.

### علاقة العلوم بعضها ببعض

إن اعتماد العلوم المختلفة بعضها على البعض هو قصة معقدة لا يتسنى أن تروى إلا فى شكل تاريخ مفصل لجميع العلوم. غير أننا نكتفى هنا بذكر مبدئين عامين: الأول أن العلم الأقل أساسية بالنسبة لآخر – الكيمياء مثلاً بالنسبة للفيزياء، أو الجيولوجيا بالنسبة للكيمياء، أو الأرصاد بالنسبة للكيمياء الفيزيائية – يظل علماً مستقلاً له نظرياته الخاصة ومعجمه النظرى وقدرته التنبؤية. والمبدأ الثانى أن العلم الأقل أساسية لا يمكنه أن يطرح دعوى متضاربة مع دعاوى علم آخر أكثر منه أساسية. فإذا حدث ذلك أو بدا أنه قد يحدث، تعين أن نرفض الدعوى المتضاربة أو نعدلها أو نثبت أنها فى حقيقة الأمر متفقة مع دعاوى العلم الأساسى.

(٣١) أصبحت جسيمات الذرة أكثر كثيراً من سبعة عشر، ثم ارتدت جميعها إلى مكون أقصى أو أكثر أساسية من جسيمات الذرة هو الكواركات والجلونات. (المراجعة)

(٣٢) تخلف الطائرات النفاثة jet-lag هو ضرب من الأرق يعترى الإنسان حين يسافر بالطائرة مسافة تخلق تفاوتاً كبيراً بين التوقيت الموضوعى للبلد الذى حل به (وهو يعتمد على دورة الأرض اليومية وتعاقب الليل والنهار) والتوقيت الذاتى (الذى يعتمد على الإيقاع اليومى للنشاط البيولوجى وتعاقب النوم واليقظة والذى يتساق مع الإيقاع اليومى وتعاقب الليل والنهار تبعاً لتوقيت الموطن الأصلى). هذا التفاوت الناجم بين التوقيت المحلى الموضوعى وبين توقيت الساعة البيولوجية الداخلية، هو مرد ذلك الأرق والضيق النفسى والإرهاق الذى قد يستمر أياماً. ويصنف الآن ضمن ما يسمى اضطراب برنامج النوم/اليقظة. (المترجم)

## الخواص المنبثقة

من الحقائق المقررة أننا قلما يتيسر لنا أن نستنبط خواص مفردات أكثر تعقيداً من خواص مكوناتها. فعلى سبيل المثال، خواص الماء كالسيولة والميوعة هي خواص لا تشبه من قريب أو من بعيد خواص الأكسجين أو الهيدروجين. مثل هذه الخواص الجديدة التي تبرز في التركيبات أو الأنظمة الأكثر تعقيداً تُسمى 'الخواص المنبثقة' emergent properties والبلورات مثال آخر، إذ أن لها كل صنف الخصائص الهندسية والبصريّة التي لا توجد في الجزئيات التي تتكون منها.

## الخواص العارضة

كل خاصية تعتمد على خاصية أخرى يقال عنها خاصية 'عارضة' supervenience أو 'لاحقة' consequential. ولا يتأتى لشئيين أن يختلفا من حيث كون الأول يمتلك خاصية عارضة لا يمتلكها الآخر، من دون أن يكونا مختلفين أيضاً في خواص أخرى. الألوان على سبيل المثال هي خواص عارضة لأنها تعتمد على خواص فيزيائية أخرى أكثر أساسية ويمكن أن تُفسر نهائياً في حدودها. فلا يتأتى مثلاً لأن يختلف شينان في اللون دون أن يكونا مختلفين أيضاً في البنية المجهرية السطحية. وقيل أيضاً - وإن يكن هذا محل خلاف - إن الخواص السيكلوجية هي خواص عارضة بالنسبة إلى خواص الفسيولوجية العصبية للكائن (أو تتبعها كما يقال أيضاً).

## الانبثاقية والعرضية

ثمة سؤال يتصل بفهمنا للعلم وعلاقته بكل ما نعتقد أننا نعرفه خارج العلم، وهو: هل جميع الخواص المنبثقة هي بالضرورة عارضة أيضاً؟ إن الشيء الذي نعرفه بالفعل هو أن العلم الراهن لا يملك أن يفسر لنا كل الخواص التي يتفق أن نتحدث عنها. فإذا كان البعض يعتقد أن العلم بمقدوره أن يوسع مجاله التفسيري بغير حد، فالبعض الآخر يشك في ذلك. وهذا موقف آخر تقتضينا الحصافة الفكرية أن نتريث فيه لنرى ما تصير إليه الأمور.

## المعرفة الخارجة عن العلم

قد يأتينا العلم بنبأ عن مكونات العالم، إلا أن كثيراً من معرفتنا المعتادة عن العالم لا شأن للعلم بها. جميع الأشياء التي أعرفها عن حياتي الخاصة وعن حياة والدي وزوجي وأولادي وأصدقائي ليست ببساطة جزءاً من الصورة العلمية الكبيرة. فأحد ملامح العلم (وهي متضمنة في كثير مما سبق) التي يجب أن نبرزها هنا هي 'عموميته' generality. تشير العبارات الكلية (أو التعميمات) إلى جميع أعضاء الفئة التي نتحدث عنها. وتتسم كل الأوصاف والقوانين العلمية الأساسية بأنها عامة أو كلية. فعندما يقول أحد العلماء على سبيل المثال إن الإلكترون يتصف بالصفة كذا أو يتصرف بالطريقة كيت، فمن العبث أن نسأله: أى إلكترون ذلك الذى نتحدث عنه على وجه التحديد؟ الإلكترون هو نمط من الموضوعات الطبيعية، وما يقوله العالم عن الإلكترون يفترض أن يكون صحيحاً بالنسبة لأي فرد وكل فرد من ذلك النمط. بل إن علما مثل الجيولوجيا التي نتحدث عن مظاهر طبيعية خاصة وجزئية مثل الجبال والأودية الضيقة إنما يتعامل مع هذه المظاهر الخاصة بوصفها أمثلة لأنماط عامة خاضعة لقوانين طبيعية.

هذا شأن العلم. أما نحن فكثير مما نعرفه ونهتم به هو أشياء جزئية وخاصة ولا يمكن ردها أو اختزالها. إن كثيراً من معرفتنا عن العالم - إن كان لنا أن نوسع مجال هذا المصطلح القياسى قليلاً - هو معرفة بالاتصال المباشر الحميم.

## الخبرة

يخطئ المرء حين يفترض، فى سياق فلسفة العلم، أن كل الهدف من امتلاك الخبرة experience هو أن تمدنا بمعطيات أساسية نشيد منها النظريات التفسيرية. فعلى الرغم من أن الخبرة تلهمنا أحياناً ببناء نظرية، وأننا أحياناً ما نستجلبها عمداً بأن ننظم التجارب مثلاً فى محاولة لاختبار النظريات، فإن الخبرة أيضاً ممتعة فى حد ذاتها.

وقد يكون أوضح مثال - وإن لم يكن الأوضح بحال - هو خبرتنا بالأعمال الفنية. فعندما أكون بصدد التأمل في مجموعة من اللوحات الزيتية لبيكاسو، فقد يبرأ موقفى من أية نظرية وأى اختبار. إن هو إلا شغفى بالمتعة الشديدة الخصوصية التى يمكن أن تقدمها لوحاته الفنية. ومن المثير أننى اكتسب أيضاً معرفة كلية غير نظرية كلما ازداد إلفى باللوحات. إنها معرفة طابع أعمال بيكاسو وسمتها فى مراحلها المختلفة. تلك المعرفة بطابع الشئ وسمته، سواء واثقنا من خبرتنا الخاصة أو من اندماج الخيال مع الأعمال الفنية، هى جزء هام وحيوى من معارفنا. وليس هذا انتقاصاً من أهمية المعرفة العلمية؛ إن هو إلا تذكير بأن ليست كل معرفة هامة هى بالضرورة معرفة علمية.

## محمل

بدأنا هذا الفصل بنظرة فى الارتيازية أو مذهب الشك الذى ينكر فى صورته الجزئية المختلفة أن يكون للبشر معرفة بموضوعات أو محالات معينة، وينكر فى صورته الكلية أو الجذرية أن يكون لهم أية معرفة على الإطلاق.

ثم عرجنا على الوجهتين الرئيسيتين من الرأى حول مصدر المعرفة، وهما: المذهب العقلى الذى يرى أن كل معرفة (أو كل المعارف الهامة على أقل تقدير) تصدر عن العقل أو الفكر، والمذهب التجريبي الذى يرى أن خبرة الحواس هى المصدر الوحيد للمعرفة (أو المصدر الأهم على أقل تقدير).

إن تأملنا فى أنفسنا يظهرنا على أن حواسنا لا تعمل بمفردها على الإطلاق. فنحن لا نسجل الخبرات الحسية تسجيلاً سلبياً. إن الخبرة الحسية عملية إدراك نشط ولبيب للعالم. ولا يسع أى وصف واقعى للمعرفة البشرية إلا أن يظهر كلا من العقل وخبرة الحواس متآزرين فى تعاون وثيق. وهو بالضبط ما رأيناه عندما انتقلنا إلى مبحث العلم، الذى يعد أهم مصادر المعرفة المستجدة جميعاً.

إن النظرات المعاصرة المتطورة للعلم لم تعد تبحث فيه عن ماهية فريدة أو طبيعة واحدة تشترك فيها جميع العلوم. فالواقع أن أفضل نظرة إلى العلم هي أن ننظر إليه بوصفه مفهوم تشابه أسرى، وذلك لأربعة أسباب رئيسية :

(١) ليس العلم مجموعة من المعارف الثابتة، إنما هو ممارسة إنسانية - شىء يفعله العلماء. وهو مثل غيره من الممارسات يسترشد بقواعد ومعايير، منها النصي الصريح والضمني المضمّر (العلماء أنفسهم دائماً ما يميزون بين العلم الجيد والعلم الرديء).

(٢) للممارسة العلمية تاريخ طويل ومعقد علينا أن ندرسه إن شئنا أن نفهم تطور العلم. وحيث أن هناك علوماً متباينة كثيرة، فإن للعلم فى واقع الأمر توارىخ عديدة وتعاليم بحثية شتى، وأحياناً ما تكون متداخلة ومتشابكة.

(٣) يقوم العلم المعاصر، بقضيه وقضيضه، على المؤسسة. العمل العلمى شىء يقوم به علماء يعملون كأعضاء فى جماعات ومؤسسات عينية كالجامعات والجمعيات العلمية. بل الأهم من ذلك أن العلماء يقومون بعملهم داخل نظم بحثية محددة.

(٤) تكشف العلوم عن تعددية منهجية هائلة. ليس هناك شىء من قبيل المنهج العلمى (بألف ولام العهد) : كل عالم يستخدم عديداً من المناهج المفصلة الخاصة به، وهى مناهج - يصممها العلماء ويعيدون تصميمها باستمرار - لتحقيق هدفٍ ما هو فى الأعم الأغلب هدف معين محدد بدقة كبيرة.

للعلم مطلب صارم : هو تشييد نظريات علمية. ولا يمكن لنظرية أن تعد نظرية علمية مقبولة ما لم تضطلع بتفسير قطاع ما من الظواهر، وأيضاً ما لم تكن قابلة للاختبار. النظريات تتيح لنا أن نتجاوز التضايف الغفل بين الملاحظات، إذ تمكّننا من تفسير ملاحظتنا وتضايفاتها بلغة الضرورة القانونية. إن العلم لا يكتفى بمجرد القول إن أ و ب يحدثان معاً: إنه يفسر لماذا يحدث أ و ب معاً، ولماذا يتوجب باعتبار قوانين الطبيعة أن يحدثا معاً.

النظريات كما رأينا تمكّن العلم أيضاً من أن يضع تنبؤات. وغنى عن القول ما لوضع التنبؤات من أهمية عملية فى أغلب الأحوال. إلا أن التنبؤات لها أهميتها حتى فى العلم البحت. التنبؤات التى تنتجها نظرية ما هى ما يجعل اختبار تلك النظرية ممكناً.

وقد كانت النظرية القديمة في اختبار النظريات تولى كل الأهمية لعملية التحقق، أى مدى التأييد التجريبي للنظريات. إلا أن النظرية الحديثة تؤكد على مبدأ القابلية للتكذيب، فالنظرية الجيدة وفق هذا الرأي هى التى تتمتع بأكبر عدد من المكذبات بالقوة (أى بالإمكان)، وليس لها أية مكذبات بالفعل.

وكثيراً ما يشيد العلم المعاصر نظريات تشير إلى كيانات لا يمكن ملاحظتها، كيانات لا نملك فى الوقت الراهن أو على الدوام أى شىء من قبيل 'المنفذ الإدراكي' إليها. الإلكترونات مثال على ذلك من الفيزياء المعاصرة: هناك وجهتان من النظر حول وجود الكيانات الغير قابلة للملاحظة كالإلكترونات، وهما: الأدوات/البرجماتية من جهة، والواقعية من الجهة الأخرى. النظرية الأدوات/البرجماتية تنكر وجود هذه الكيانات وترى أن العلم لا يرمى إلى رسم خريطة للواقع، بل إلى إنتاج تنبؤات عن طريق استعمال المعادلات الخاصة بنظرية من النظريات. أما صاحب النظرية الواقعية فى العلم فيذهب إلى أن أى كائنات تشير إليها نظريات ناجحة هى كائنات حقيقية تماماً.

ويترتب على اعتبار العلم شيئاً نظري الطابع نتيجة مفادها أن النظريات لا تتحدث فيما يبدو عن الشىء نفسه، مادام لكل نظرية لغتها الخاصة فى وصف الملاحظات والنتائج التجريبية. بعبارة أخرى، يمكننا القول إن النظريات لا يبدو أنها تتضارب على صعيد واحد و تتلاقى رؤوسها فى تناطح. يطلق على هذا الملمح المزعوم من ملامح النظريات العلمية اسم 'اللامقايضة'.

تتسم التفسيرات العلمية المعتادة فى كثير من الأحيان بأنها تفسيرات عليّة. فهل يحتاج العلم حقاً إلى مفهوم العلية؟ أما الذين يؤكدون على مفهوم التضاييف أو الترابط (ويُعرف هذا الموقف بالوضعية) فيرون أن، العلم لا يتوجب عليه أن يحدد عللاً. وأما من وجهة النظر القياسية التى ترى أن العلم يقدم تفسيراً عميقاً للظواهر السطحية، فإن التفسيرات العلمية هى تفسيرات عليّة قلباً وقالباً. على أنه من الحق أيضاً أن بعض التطورات فى الفيزياء الحديثة قد ارتأت أن الضرورة العلية (وتسمى أحياناً الحتمية العلية) لا تنسحب على البنية الصغرى للعالم الفيزيائى (وهى ذلك المستوى من الواقع الذى تضطلع بدراسته ميكانيكا الكوانتم).

وإلى جانب العلوم الطبيعية هناك علوم اجتماعية أو إنسانية يبدو أنها أخذت في الازدهار. ورغم ذلك مازال الشك يلقي بظلاله على إمكانية قيام شيء من قبيل العلم الاجتماعي أو الإنساني. والسبب الرئيسي في ذلك يرجع إلى الشعور بأن الأفعال الإنسانية، ما دامت ناجمة عن اختيار، هي أفعال غير قابلة للتنبؤ في صميمها أو من حيث المبدأ. والحق أننا حتى خارج نطاق العلم، نستخدم جميعاً ما يسمى 'علم النفس الشعبي'، فنتنبأ بسلوك الآخرين من حولنا بنجاح كبير (وإن لم يكن تاماً).

ورغم أن هناك العديد من العلوم، لكل منها بنيته النظرية المحددة ومعجمه النظري وقوته التنبؤية، فما زال لدينا سبب للنظر إلى الفيزياء بوصفها العلم الأساس. ذلك أن الكائنات البيولوجية رغم خضوعها للقوانين المحددة للبيولوجيا، مكونة من مواد كيميائية، والمواد الكيميائية رغم خضوعها للقوانين المحددة للكيمياء مكونة من قوى وجسيمات تضطلع بدراستها الفيزياء الأساسية.



## الفصل الرابع

### الميتافيزيقا

#### مدخل

يستعمل مصطلح 'الميتافيزيقا' ليعطى مجالين للبحث منفصلين على أنهما شديداً الارتباط : (١) الميتافيزيقا هي أية محاولة لتقديم توصيف منهجى للمقولات الأساسية، (٢) وهي أية محاولة منهجية للإجابة عن السؤال 'ماذا يوجد؟' (١) وسوف نرى فى هذا الفصل كيف يرتبط هذان المجالان من البحث، وسوف ننظر أيضاً فى معنى الأساسية التى تشملهما معاً.

يمكن تقسيم الفلاسفة المهتمين بالميتافيزيقا فى القرن العشرين إلى مجموعتين: المجموعة الأولى هم أولئك الفلاسفة الذين يريدون أن يتناولوا بالشرح والتوضيح تلك المقولات المستعملة بالفعل (ويسمى مبحثهم بالميتافيزيقا الوصفية *descriptive metaphysics*) والمجموعة الثانية يطرحون مقولات ومفاهيم جديدة (ويسمى مبحثهم بالميتافيزيقا المراجعة أو التنقيحية *revisionary metaphysics*).

وينبغى على كل بحث معاصر وافٍ بالقصد فى الميتافيزيقا أن ينظر فى مسألة جدواها؛ فهل للميتافيزيقا أى نفع؟ وما هو هذا النفع إن وجد؟ وتزداد أهمية هذا

(١) يصر المؤلف على هذه الصيغة لسؤال الميتافيزيقا: ماذا يوجد؟ أو بالترجمة الحرفية ماذا يوجد هناك؟ *what is there?* ، فى حين أن هناك صياغة أبسط وأكثر شيوعاً لسؤال الميتافيزيقا وهي 'ما الوجود؟'.  
(المراجعة)

السؤال فى حالة الميتافيزيقا المراجعة: فعليها أن تبين لنا لماذا تعد المراجعات التى يقوم بها العلم لتصورات الحس المشترك للعالم غير كافية. ولعل السؤال الحاسم والمحورى فى الميتافيزيقا هو: هل البيان الذى يقدمه لنا العلم عن المكونات الأساسية للعالم يغطى كل جوانب الواقع؟

وسوف نعرض أيضا فى هذا الفصل للآراء التى تريد أن تحط من قيمة وأهمية الأسئلة الميتافيزيقية، إن لم تنبذها تماماً. فإذا ما تساءلت الميتافيزيقا: "ماذا يوجد؟" فقد يأتى الرد هكذا: "كل شيء". هذا الرد يرتبط بموقف من الميتافيزيقا يسمى أحيانا "الأنطولوجيا الرخيصة"، ويسفه عن عمد كلاً من السؤال والالتزام الأنطولوجي ذاته.

وتعد مشكلة العقل والجسم أهم المشكلات الميتافيزيقية جميعاً: فهل لدينا حقاً عقول تختلف جوهرياً عن كل ما تدرسه العلوم الفيزيائية؟ يجيب الماديون بالنفى (وهم الآن يطلق عليهم بشكل عام اسم "أصحاب النزعة الفيزيائية physicalists")، ويجب الثنائون السيكونفيزيقيون أو الديكارتيون بنعم. وسوف نعرف الحجج المؤيدة والمعارضة لكل من هذين الاتجاهين.

ومن المسائل الوثيقة الصلة بمشكلة العقل والجسم مسألة الوضع الميتافيزيقي لحرية الإرادة: فهل يملك البشر قدرة على الاختيار بين بديلين أو أكثر فى أوقات بذاتها من حياتهم؟ إذا كان البشر مجرد أنظمة خاضعة لقوانين الطبيعة، كيف يتأتى أن يكون لهم إرادة حرة بالمعنى الذى نفهمه جميعاً لهذه الكلمة؟

وسوف نبحث أيضاً فى مسألة واقعية "الأشياء المجردة". فهل توجد حقاً أشياء من قبيل الأعداد والقضايا بمعزل عن التفكير الإنسانى، بحيث تبقى موجودة 'هناك' حتى لو لم يكن ثمة بشر على الإطلاق؟ ويمكن أيضاً أن نصوغ هذا السؤال كالتى: هل مجال الأشياء المجردة مجال مكتشف أم هو مجال مخترع؟

وفى النهاية سوف نلقى نظرة سريعة على مبحث حديث النشأة والنماء يطلق عليه 'الأنطولوجيا الصورية formal ontology'. الأنطولوجيا الصورية هى محاولة لتشديد نسق من المقولات أقرب إلى النسق الرياضى، يضم تعريفات وبديهيات ومبرهنات مستنبطة. وهو شيء أشبه بالهندسة الأقليدية ينطبق على الواقع بأكمله.

## أصل الكلمة

يشتق لفظ 'ميتافيزيقا' من البادئة اليونانية meta وتعني 'بعد' أو ' وراء'، والاسم phusis ويعني 'الطبيعة'. ومن الطريف أن نلاحظ أن كلمة phusis اليونانية والكلمة اللاتينية المكافئة لها تماماً natura هما الكلمتان اللتان نشق منهما التسميتين المتعاوضتين physical (فيزيائي) و natural (طبيعي)، حين نقول مثلاً 'العلوم الفيزيائية' أو 'العلوم الطبيعية'. على أننا لا نعرف على وجه اليقين كيف حدث التضام بين 'ميتا' و 'فيزيقا'. فهناك من يرى أنهما جُمعا معاً ليشيرا إلى أن الميتافيزيقا تبحث في كل ما يقع فيما بعد أو فيما وراء العالم الطبيعي. وهناك تفسير آخر يقول إن كلمة ميتافيزيقا هي، ببساطة، ذلك العنوان الذي وضعه الباحث أندرونيقوس الرودسي (نبه ذكره حوالي العام ٨٠ ق.م.) لكتابات أرسطو (التي قام بتحريرها) والتي تأتي 'بعد' مباحث أرسطو في الفيزيقا (الطبيعة).

## طبيعة الميتافيزيقا

مصطلح الميتافيزيقا - شأنه شأن مصطلح 'العلم' - لا يسمى موضوعاً متجانساً للبحث، بل بالأحرى مجموعة من الأنشطة الفكرية ذات التشابه الأسرى. ولكن من الممكن أن ندرج هذه الأنشطة تحت عنوانين رئيسيين : تحليل المقولات الأساسية، وبيان الصنوف الأساسية للأشياء.

## تحليل المقولات<sup>(٢)</sup> الأساسية

### أنساق التصنيف

يعني تصنيف موضوع ما أن نعين له طبقة أو فئة يندرج تحتها، ضمن غيره من الأشياء التي تنتمي إلى النوع أو النمط نفسه (لاحظ أن الشيء الواحد قد ينتمي إلى

(٢) أود أن يدرك القارئ مبدئياً - حتى يتم له الإدراك الكامل من خلال هذا الفصل - أن المقولات catagories هي أبنية فئوية أو تصنيفات نهائية لأحوال الوجود أو شروطه. وأنها تدل بمعنى لغوي أعم على مختلف الفئات الكبرى والأساسية والشاملة التي يمكن أن تُرد إليها الأشياء أو الخبرات. وتدل بمعنى فلسفي =

عديد من مثل هذه الفئات فى الوقت نفسه). سائر الجماعات البشرية تستخدم أنساقا معقدة من التصنيف أو التقسيم، فضلا عن أن كل لغة من اللغات البشرية تجسد مثل هذا النسق، كما يقوم الناطقون بلغة معينة بتطوير أنساق جديدة من التصنيف كيما تفى بأغراض معينة. وقد تجسد لغتان مختلفتان - كالإنجليزية والفرنسية - نفس المخطط التصنيفى تقريبا، مما يسهل الترجمة من إحدى اللغتين إلى الأخرى. فلدى الإنجليزية والفرنسية مثلا أنساق شديدة التفصيل لتصنيف الألوان، فى حين تفتقر بعض اللغات الأخرى إلى مثل هذا الثراء اللفظى فى مجال الألوان. ولا يدهشنا أن بعض لغات الأسكيمو تحتوى على كلمات تخص أصناف الجليد أكثر بكثير مما تحتويه اللغة الإنجليزية (بطبيعة الحال، ليست جميع هذه المقولات مقولات أساسية)<sup>(٣)</sup>.

وعلى الرغم من الصلة الوثيقة بين لغة معينة ونسق معين من التصنيف، فليس من المحتم أن يستخدم ناطقان بلغة واحدة النسق التصنيفى نفسه. مثلا، قد يرى شخص

= خاص على تصنيفات أساسية داخل المعرفة. (المقولات عند أرسطو عشر: الجوهر والكم والكيف والإضافة والفعل والانفعال والمكان والزمان والوضع والحالة. والمقولات عند كانط هى معانى رابطة بين الظواهر البادية فى الزمان والمكان، وهى: الكم والكيف والإضافة والجهة. وكل منها تحتوى على ثلاث مقولات، فيكون مجموعها اثنتى عشرة مقولة). المقولات إذن فئات أساسية سواء لأشياء العالم أو لصور الفكر. (المترجم)

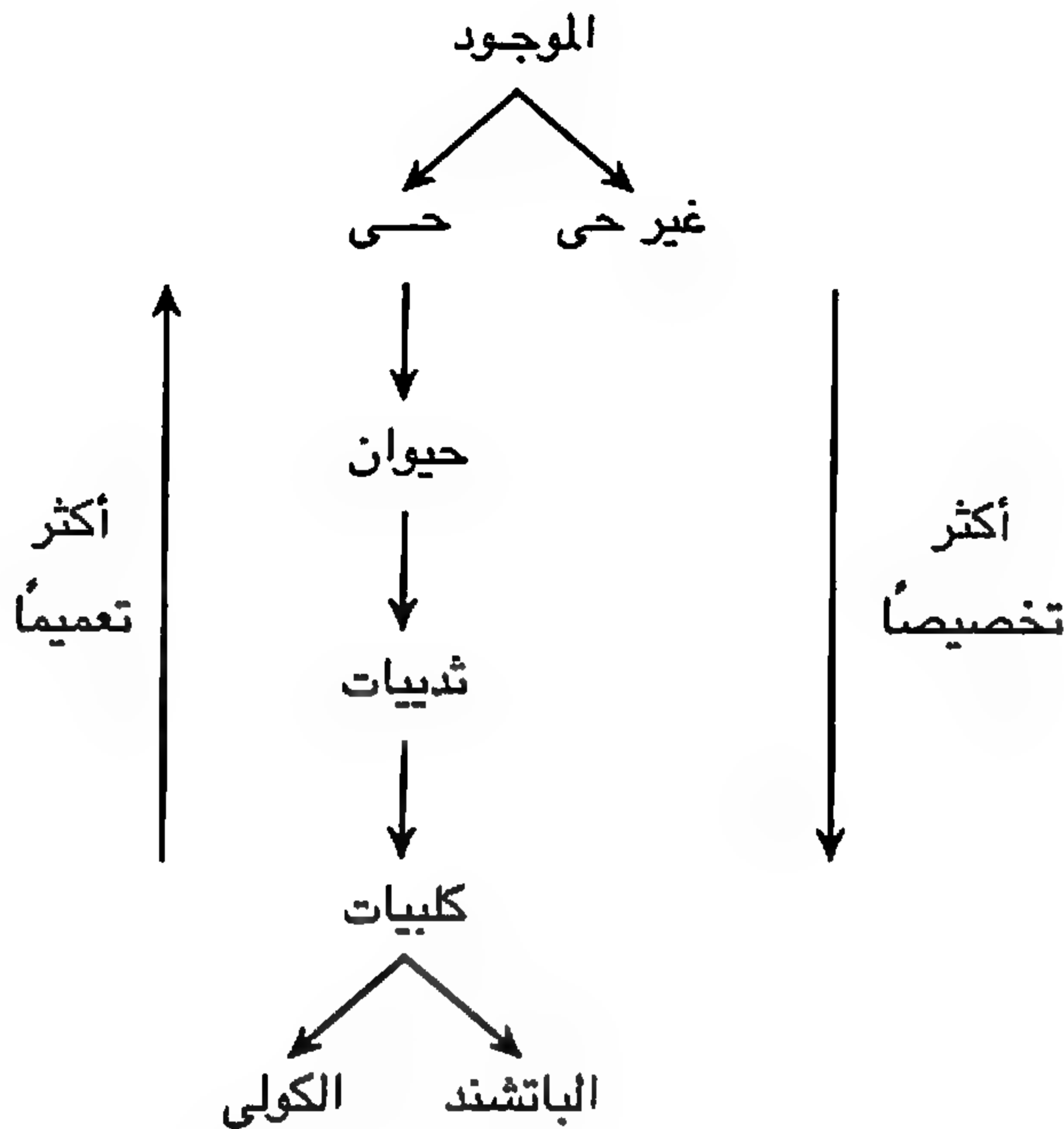
(٣) تفيد فرضية سابير/ ورف Sapir/Whorf hypothesis أن البنية الدلالية للغة التى ينطق بها المرء تحدد الطرق التى يمكنه بها تكوين تصورات عن العالم الذى يعيش فيه. بعبارة أبسط: إن لغتنا الوطنية تحدد لنا الطريقة التى ندرك بها العالم. تسمى هذه الفرضية أيضا "النسبية اللغوية"، وتسمى فى صورتها المتطرفة "الحتمية اللغوية". الفكرة الأساسية هنا ترتد فى الزمن إلى أرسطو فى كتابه "الخطابة"، وكانت محورية عند فيكو فى "العلم الجديد" ومذهبا عند همبولت وتابعيه فى القرن الثامن عشر.

ولعل أكثر الفلاسفة يتقبلون أن عملية الإدراك محملة بالنظرية، وأن نظرياتنا تعتمد على ما بحوزتنا من تصورات، وأن تكوين التصورات هو عملية تلعب فيها اللغة دوراً كبيراً وحاسماً. إلا أنه يبقى من العسير أن نتكهن أى التصورات هى المتاحة بحوزة الناس من خلال الظواهر السطحية للغة. ومهما يكن من شئ، فإن العالم الذى ندركه قائم على معايير لغوية معينة وإن لم ننتبه لذلك. نحن نجزئ العالم ونحلل الواقع وفقا لتصنيفات لغوية سيمانتية وتراكيبية تملئها علينا لغتنا القائمة فى أذهاننا. بحيث يصح القول إن المجتمعات اللغوية المختلفة تعيش فى عوالم مختلفة! وأن من شأن الصور اللغوية أن تولد أبنية فئوية (مقولات) مختلفة، وأن تؤثر بالتالى على معايير الفكر - ومن ثم على معايير السلوك - فى المجتمعات المختلفة. (المترجم)

متدين الناس إما أتقياء أو غير أتقياء، بينما لا يرى غيره من الناطقين باللغة نفسها حاجة إلى مثل هذا التصنيف الخاص. كما يجب ألا ننسى أن المصادر اللغوية فيها من المرونة أكثر مما فيها من التصلب: بوسع البشر دائماً أن يبتدعوا لفظة جديدة أو يصوغوا تعبيراً بكرةً كيما يحصر وجهاً جديداً من وجوه التشابه أو الاختلاف بدا لهم في الأفق.

## العمومية والخصوصية

معظم المقولات التي يستخدمها البشر ليست مقولات أساسية. بإمكاننا أن نوضح ذلك عن طريق التدريب التالي: امض في تصفح أحد المعاجم، واستخرج منه كل كلمة تسمى صنفاً من الكلاب. إن المرء ليتحصل لديه قائمة طويلة للغاية، بدءاً من الكلب الأفغاني حتى الكلب الذئبي (الولف). ولكن تصنيفات الكلاب ليست مقولات أساسية. ويمكن أن نوضح ذلك بالرسم التالي :



هذه الطريقة في ترتيب المقولات، والتي تعود إلى عصر أرسطو، يطلق عليها بعامة الترتيب بصيغة الجنس 'genus' و 'النوع' 'species'. وهما اللفظان اللاتينيان لكل من الفئة والفئة التحتية (أو الصنف والصنف التحتية) على التوالي. فالكولي صنف من الكلاب، والكلاب صنف من الكلبيات، والكلب صنف من الثدييات، والثدييات صنف من الحيوانات. والحيوان في النهاية صنف من الموجودات. ليس هناك جنس أعلى يكون الموجود 'being' صنفًا تحتياً له. وهي حقيقة يجسدها وصف الموجود بأنه الجنس الأعلى 'summum genus' أو - حرفياً - الفئة التي على القمة المطلقة. (وعلى الطرف الآخر من الترتيب سيكون من اليسير جدا أن نشكل أصنافاً تحتية للكولي، على سبيل المثال).

هناك مبدآن واضحا يحكمان استعمال مصطلحي 'عام' 'general' و 'خاص' 'specific':  
(١) أن الشيء الأكثر عمومية هو دائماً أقل خصوصية (والأكثر خصوصية أقل عمومية).  
(٢) باستثناء الموجود، فإن أحكامنا على الأشياء بالعمومية والخصوصية هي دائماً نسبية بيضها لبعض. مثال ذلك أن 'حيوان' خاص مقارنة بـ 'حي' و'عام' مقارنة بـ 'ثدي'. من ثم ليس هناك معنى لأن تسأل، مثلاً، هل 'ثدي' جنس أم نوع؛ فهو جنس بالنسبة لـ 'كلبي' ونوع بالنسبة لـ 'حيوان'.

### الأساسية بوصفها عمومية

من الممكن أن تعرف الأساسية 'basicness' في حدود العمومية 'generality'. فحين نكون بصدد مقولتين، فإن أكثرهما أساسية هي أكثرهما عمومية. مما يعنى بطبيعة الحال أن هناك درجات من الأساسية تناظر درجات العمومية. ترى ما هي درجة الأساسية (أو العمومية) التي تلزم إجدى المقولات لكي تكون هذه المقولة ذات أهمية بالنسبة لمبحث الميتافيزيقا؟ ربما لا تكون هناك قاعدة مطلقة بهذا الشأن. لقد اعتبر أرسطو أن الميتافيزيقا هي البحث في الوجود، أو البحث في الوجود بوصفه موجوداً (أو الوجود بما هو كذلك). وحيث أن مجال القول في الوجود بما هو موجود هو في الواقع مجال غير ذي سعة، فقد انتهى المطاف بأرسطو ذاته إلى الحديث عن مقولات أخرى أقل عمومية (أقل أساسية) من ذلك.

## الأساسية بوصفها موضوعاً للحياة

هناك مدخل آخر إلى الأساسية يستخدم فكرة موضوعاً للحياة. الموضوع كما نعلم جميعاً هو ببساطة مدار البحث أو الدراسة. تعبيرات مثل الطقس والبورصة والفيزياء الجسيمية، تشير جميعاً إلى موضوعات للبحث أو الدراسة. وبعض المفاهيم (والحدود المتصلة بها) من شأنها أن تخص موضوعاً بذاته من بين سواه من الموضوعات. مثال ذلك مفهوم 'منطقة ضغط منخفض' فهو ينتمي إلى مبحث الطقس، ويندر للغاية أن يستعمل بمعرض غيره من الموضوعات.

وهناك في المقابل مفاهيم أخرى (وما يتصل بها من حدود) تستعمل بصدد حشد من الموضوعات المختلفة). فالمنطق على سبيل المثال يوصف بأنه 'موضوع للحياة' لأن الحجج التي يبحثها المنطق يمكن أن تستعمل في سياق كل موضوعات البحث على اختلاف أنواعها وأشكالها. منها مثلاً مقولتا العلة والمعلول، فاحتمال ورودهما قائم في كل الموضوعات تقريباً. (ومن الجدير بالملاحظة أن الحياة الموضوعية هو مسألة درجات: المقولات العلية [أى العلة والمعلول] رغم أنها محايدة نسبياً، فهي لا تنطبق مثلاً على موضوعات الرياضة البحتة كالأعداد).

وكما أمعنت المقولة في أن تكون موضوعاً للحياة، كلما كانت أكثر أساسية. يتضح من ذلك أن الميتافيزيقا من حيث هي ذلك الفرع من الفلسفة المعنى بالمقولات الأساسية، تضطلع ببحث مقولات محايدة نسبياً. من ذلك مقولتا المكان والزمان، وهما مثالان للمقولات الكبرى التي هي موضوعاً محايداً. فكل شيء تقريباً هو في المكان. وإنه لسؤال ميتافيزيقي شائق حقاً أن نقول: ماذا عساه أن يوجد ولا يكون في المكان؟ وبالمثل كل شيء تقريباً هو في الزمان. وهذا يدخلنا في سؤال ميتافيزيقي آخر شائق: ما الذي يمكن أن يكون موجوداً وهو ليس في الزمان؟

المقولات من قبيل المكان والزمان والعلة والمعلول تستعمل في الحياة العادية وترد في العلم. ومهمة الميتافيزيقا أن تقدم تحليلات فلسفية تلقى الضوء على جوانب هذه المقولات ومثيالاتها.

## بيان الصنوف الأساسية للأشياء

توصف الميتافيزيقا بأنها بيان الصنوف الأساسية للأشياء. ومن هذه الوجهة للنظر يعتبر النظام الميتافيزيقي مضطرباً بتقديم إجابة شديدة العمومية عن السؤال: ماذا هنالك؟ ماذا يوجد من الصنوف الأساسية للأشياء؟ إن مهمة الميتافيزيقي هي بالطبع أكبر بكثير من مجرد وضع بيان أو قائمة؛ إذ عليه أيضاً أن يفسر لنا لماذا يعد بيانه المقترح أو قائمته أفضل من سواها. وعليه في النهاية أن يبين لنا قدر استطاعته كيف تتسع قائمته أو بيانه لكل شيء يوجد في الواقع.

ثمة علاقة وثيقة بين محاولتنا فهم المقولات الأساسية، وبين محاولتنا وضع بيانات أساسية. نحن في أمثل الحالات قد نتوقع مقولة أساسية واحدة لكل مفردة مدرجة في البيان الأساسي. ومع هذا فالذي يحدث في الممارسة أن هاتين المقاربتين للميتافيزيقا يفترقان، لأن المقولات تفسر ببساطة شديدة كاختراعات بشرية - أنساق تصنيفية تنشئها الجماعات الإنسانية المختلفة، ومن ثم فهي مدمجة إلى حد كبير في لغاتهم التي يستخدمونها. وليس ثمة ضامن أن المقولات التي تستخدمها أية جماعة من البشر تعكس بدقة صنوف الأشياء التي توجد في الواقع.

وقد نرى هذه الحقيقة في أوضح صورة عندما ننظر إلى مقولات أو تصنيفات معينة عفا عليها الزمن ولم تعد تستخدم في وقتنا الحاضر. ومنها ذلك التصنيف السيكولوجي الذي كان رائجا في يوم من الأيام، والذي يقسم البشر إلى أربعة أمزجة أو أخلاط (الصفراوى والبلغمى والدموى والسوداوى). فعلى الرغم من أن هذا التصنيف ما زال يلهم الفنانين بعض الشيء فهو لم يعد يُعتبر مطابقاً لأى رباعٍ من الأنماط النفسية الأساسية التي تكشف عنها الكائنات البشرية الحقيقية. إن بغيتنا المثالية هي مقولات وتصنيفات تمثل التشابهات والفروق الحقيقية الموجودة في العالم الواقعي بكل دقة. إلا أن ما بحوزتنا الآن، وربما على الدوام، هو نظير قاصر بعض الشيء. وعلى الرغم من أن العلم في تطوره الحثيث يرفع من جودة بياننا بشكل واضح جداً، إلا أن هناك دائماً محلاً للقلق بشأن قدرة العلم - ونعني به العلوم مجتمعة - على أن يحصر بالفعل كل ما هو موجود في هذا الوجود.

وسوف نفحص فى الأجزاء التالية بعض المفردات التى يتواتر ظهورها إلى حد ما فى البيانات الأساسية التقليدية: الجوهر والعرض، الكيانات فى الزمان والمكان، الكيانات المجردة، الموجودات الضرورية والمحكمة، الأحداث والعمليات. ويلاحظ أن كل هذه المفردات قد اعتُبرت أيضاً مقولات أساسية.

## الجوهر والعرض

**الجوهر substance** : يغلب تعريف الجوهر بأنه "ذلك الذى بإمكانه أن يوجد وجوداً مستقلاً". وليس سهل تفسير هذا التعبير، إلا أنه يؤخذ دائماً لا بمعنى أنه يمكن فعلاً أن يوجد بذاته (فالأشياء هى ما هى عليه) بل بمعنى أنه يمكن تصوُّره موجوداً بذاته ومستقلاً عن أى شىء سواه.

فلنتصور كرة حمراء على سبيل المثال. إن الكرات الحمراء، شأنها شأن جميع الأشياء، لا بد أن تكون من صنع صانع؛ وهى بهذا المعنى لا يمكن أن تعتبر موجودة بذاتها. ويمكن أن نبين ذلك بوحدة من تجربتين ذهنتين. الأولى أن نتخيل العالم وهو أخذ فى الفناء شيئاً فشيئاً. فهل ثمة استحالة أن يكون آخر شىء باقٍ هو كرة حمراء؟ لو تمعنا جيداً فى هذا لبدا أنه لا استحالة فى الأمر. والتجربة الذهنية الثانية أن نتخيل الخالق وهو يشرع فى خلق العالم - هل كان بالإمكان أن يخلق كرة حمراء واحدة ولا شىء سواها؟ هنا يجوز تماماً أن يساورنا قلقٌ بشأن حمرة الكرة. فكيف تكون حمراء وليس هناك أى ضوء؟ وكيف تكون حمراء وليس هناك مدركون يبصرون حمرتها؟ ورغم ذلك يبقى أنه لا استحالة فى أن يكون الخالق قد خلق شيئاً ما مماثلاً تماماً، جزيئاً جزيئاً، لذلك الشىء الذى نرى أنه كرة حمراء مفردة.

والآن حاول أن تجرى التجربة الذهنية نفسها بالنسبة للصفة أحمر، فهل بالإمكان أن يفنى العالم بأسره تاركاً الصفة أحمر؟ وهل بالإمكان أن يخلق الخالق الصفة أحمر ولا شىء بعدها؟ واضح أن الإجابة هى بالنفى فى كلتا الحالتين. والسبب فى ذلك بسيط: إذ من المتعين أن يوجد شىء ما - كرة.. تفاحة.. أو ما شئت من الأشياء -

لكى يكون هذا الشيء أحمر. ومن ثم فإن كرة (وليس أحمر أو حمراء) هى جوهر، أى شيء ما قادر على الوجود المستقل.

**العَرَضُ accident** : يستخدم لفظ 'عرض' كمصطلح فنى فى مجال الفلسفة. المفردات من قبيل 'أحمر' التى لا يمكن أن توجد بذاتها، يطلق عليها 'الأعراض'. هناك كلمات أخرى تستعمل بديلاً لكلمة عرض وربما تكون أكثر إلغاً، مثل الخاصة والصفة والميزة والملح. ويقال للأعراض (أو الخواص، الصفات، المميزات، الملامح) إنها تلازم الجواهر (أو تحددها أو تصدق عليها). ولا يشذ عن ذلك ولا حتى الخاصية التى لا يسع الشيء إلا أن يتصف بها. فهى الأخرى تسمى بهذا المغزى الفنى المتخصص 'عرضاً'.

**الماهية essence** : تُعرف ماهية شيء ما (أو طبيعته) بأنها ما لابد أن يكونه ذلك الشيء كيما يكون شيئاً من ذلك الصنف الذى هو عليه. على سبيل المثال، نجد أن جزءاً من ماهية حصان ما أو طبيعته أنه من الثدييات. ولكن ليس جزءاً من ماهيته أن يكون أعرج، على الرغم من أن بعض الأحصنة فى الواقع عرجاء. أى حصان هو بالضرورة ثديى، لكن لا حصان أعرج بالضرورة.

وعلى الرغم من أن كلمة 'عرض' تُستعمل فى الفقرة السابقة كمرادف لكلمة 'خاصية property'، فإننا فى مباحث الماهية أو الطبيعة قد نميز فى بعض الأحيان بين الخواص العَرَضِيَّة والخواص الماهِيَّة (essential) لاحظ أن المصطلح التقليدى خادع: فنحن نقول إن الأعراض هى ما تتحلى به الجواهر، ونقول إن هناك خواصاً ماهوية وخواصاً عرضية، ولكن كلمة عرضى هى ضد ماهوى) فقد يكون لإنسان ما خواص عرضية مثل كونه أزرق العينين، أو يزن ١٥٠ رطلاً، أو من مواليد ولاية ميسورى.. غير أن هذا الإنسان بعينه إنما يمتلك خواصاً أخرى يتعين عليه أن يمتلكها كيما يكون إنساناً أصلاً، مثل أن يكون حيواناً، وأن يكون ثديياً، وربما أيضاً أن يكون عاقلاً (وتحديد ما إذا كانت صفة ما ماهوية أم عرضية هو أمر ليس واضحاً جلياً فى جميع الأحوال. فما يزال الخلاف قائماً حول الطبيعة البشرية على سبيل المثال، حول أى من الخواص على وجه التحديد هى الخواص الضرورية كيما يكون الكائن إنساناً، وبالتالي الخواص التى يمتلكها جميع البشر).

## الجزئيات المكانية الزمانية

تتصل فكرة الجوهر اتصالاً وثيقاً بفكرة الجزئيات المكانية الزمانية. ومن أمثلة الجزئيات المكانية الزمانية الموائد والكراسى والنجوم وأقواس قزح والسحب. وقد سُميت الجزئيات المكانية الزمانية بهذا الاسم لأنها فى أية لحظة من الزمان لابد أن تكون فى محلٍ بعينه من المكان (أو إن شئت فهى دائماً فى موقع ما من المكان - الزمان). لكل جزئى من الجزئيات المكانية الزمانية تاريخه الخاص. وهذا التاريخ هو المجموع الكلى للتغيرات التى حدثت له بينما يبقى هو الشئ نفسه.

يطلق على الجزئيات المكانية الزمانية أحياناً اسم 'الأفراد' أو 'الأفراد العينية' **concrete individuals**. تتميز بعض الأفراد بصلابة حدودها بالمقارنة بغيرها، مما يجعلها سهلة التمييز عن غيرها من الأفراد سواء من الصنف نفسه أو من غيره من الصنوف. المناضد والكراسى مثلاً أفراد من هذا النوع. وهناك أفراد أخرى أقل كثيراً من حيث الصلابة وثبات الحدود، وبالتالي يصعب تمييزها عن غيرها من الأفراد. من أمثلة ذلك السحب وأقواس قزح. أما بالنسبة لموجة مفردة من موجات البحر، فيبدو من العسير اعتبارها جزئياً مكانياً زمانياً على الإطلاق.

على أية حال، لا يجمع الفلاسفة على أن كل فرد هو بمثابة جزئى مكانى زمانى. (فكون كل الجزئيات المكانية الزمانية أفراداً لا يستتبع بالضرورة أن كل الأفراد هى جزئيات مكانية زمانية). ولنضرب مثلاً لذلك بالزوايا. إن زاوية ما من الزوايا، رغم كونها فرداً، ليست جزئياً مكانياً زمانياً بحال. أو لنفترض أن العدد ٣ هو فرد من الأفراد، أى هو ذلك العدد بالذات وليس عدداً آخر. فإنه ليكون من الخطأ البين أن يسأل سائل: أين يكون موقع هذا العدد فى لحظة زمانية بعينها؟ (قد يعنّ للمرء أن يجيب على هذا السؤال بأن العدد ٣ يقع فى عالم الأعداد. غير أن هذا ليس واقعاً مكانياً بالمعنى المتعارف عليه لهذه الكلمة).

من الأجوبة التى قدمها بعض الفلاسفة عن سؤال 'ماذا هنالك؟' هذا الجواب البسيط: 'هناك الجزئيات المكانية الزمانية'. وعليه فكل ما يبدو ليس من الجزئيات

المكانية الزمانية يحب أن يُحلَّل في حدود الجزئيات المكانية الزمانية. على سبيل المثال، ليس هناك أحمر بل هناك فحسب جزئيات مكانية زمانية حمراء. وبالمثل، ليس ثمة العدد ٢، بل هناك فقط الفئة التي تضم كل الثلاثيات من الجزئيات المكانية الزمانية، وهلم جرأً.

هذه الوجهة من النظر تُسمى في بعض الأحيان المادية، لأن الجزئيات المكانية الزمانية المكانية الزمانية تبدو قريبة الشبه للغاية مما يُسمى عادة بالأشياء المادية، كما ترتبط أيضاً بالنزعة الاسمية nominalism، وهي ذلك المذهب القائل إن الجزئيات أو الموجودات الجزئية فقط لا غير هي ما يوجد في الواقع. وكلمة nominalism (اسمية) المشتقة من الكلمة اللاتينية nomen (اسم) هي كلمة ملائمة تماماً لهذا الاتجاه الفكري؛ لأن الحدود الكلية، تلك التي تنطبق على أفراد عديدة، تعتبر مجرد أسماء تستمد كل معناها من التشابهات والفروق الكائنة في الأفراد العينية<sup>(٤)</sup>.

## الجزئيات المجردة

يذهب بعض الميتافيزيقيين إلى أن الخواص التي هي من قبيل كون الشيء أحمر أو كونه مستطيلاً يمكن أن توجد في مواضع معينة من المكان - الزمان من دون أن تتلبس بجوهر أو تلازمه أو تحدده. ويطلقون على الخواص التي يتصورونها بهذه الطريقة اسم 'الجزئيات المجردة' abstract particulars. وفي المقابل يمكن عندئذ

(٤) هكذا نلاحظ أن الاسمية تعنى أن ما يوجد فقط - على سبيل المثال - هو أحمد ومحمد وزيد وعبيد... إلخ، أما اللفظ الكلي من قبيل رجل أو إنسان فمجرد أسماء لا تدل على أى وجود متعين، ويعتبر الفيلسوف الروماني بوثيوس Boetius (٤٨٠ - ٥٢٤م.) هو أول من قال بالمذهب الاسمي، ثم أقام وليم الأوكامي William of Ockham (١٢٨٥ - ١٣٤٧) فلسفته على أساسها. يقابلها المذهب الماهوي الذي يرى أن الكليات لها وجودها، وأشهر صوره الأفلاطونية التي جعلت للكليات عالماً مفارقاً هو عالم المثل، الأشد حقيقية وجوهرية من العالم الذي توجد فيه الجزئيات الزمانية المكانية أى العالم المادى المحسوس. بشكل عام يرتبط هذا المذهب بالاتجاه المثالي، بينما يرتبط المذهب الاسمي - كما أشار المؤلف عاليه - بالاتجاهات المادية والتجريبية. (المراجعة)

اعتبار 'الجزئيات العينية' concrete مثل: إحدى الكرات الحمراء، ورقة خضراء، مائدة.. كمجموعات من الجزئيات الجارية معاً (أى المتصاحبة). توصف الجزئيات المجردة الجارية معاً بأنها مترافقة. compresent كل ورقة خضراء تحتوى على شاهدها المعين الخاص بها من الأخضر. وكل شاهد من الأخضر يُسمى جزئياً محدداً لأنه يجرى تجريده (أو استخلاصه فى الفكر) من شواهد الخواص الأخرى التى تؤلف - حين تؤخذ مجتمعة - تلك الورقة الخضراء. ويطلق على الجزئيات المجردة، أو حالات الأنواع، أحياناً اسم أمثلة الكيف أو اسم الترويس<sup>(٥)</sup>.

### الموجودات الضرورية والموجودات الممكنة

يقسم بعض الميتافيزيقيين الموجودات إلى قسمين: موجودات ضرورية necessary beings ، وتُعرف بأنها الموجودات التى لا يمكن ألا توجد. والموجودات الممكنة contin-gent beings التى يمكن ألا توجد.

**الموجودات الضرورية :** إن نفى النفى فى التعريف السابق للموجودات الضرورية متعمد ومقصود. كما أن قولنا إن، الموجود ضرورى لا يمكن ألا يوجد مساو بالطبع لقولنا إنه يجب أن يوجد، أو يلزم أن يوجد. وليس هناك اتفاق عام بين الميتافيزيقيين فيما إذا كان هناك بالفعل أية موجودات ضرورية. لأوضح مثال على فكرة الموجود الضرورى هو الله. فبينما يوجد ما لا حصر له من الموجودات الممكنة، هناك كائن ضرورى فريد. على أن هناك أمثلة أخرى مرشحة للانضمام إلى فئة الموجودات الضرورية، فالأعداد وغيرها من المفردات الرياضية من حيث هى موجودة فى عالمها الخاص، أحياناً يعتبرها البعض موجودات ضرورية.

(٥) التروب trope - أى المفرد من المصطلح المذكور - هو مثل أحد الكليات فى عالم الشهادة، أى فى زمان ومكان ما، أى جزئى مجرد، وهو فى رأى البعض شئ أساسى للأنطولوجيا. (المترجم)

**الموجودات الممكنة :** يجمع كل الميتافيزيقيين تقريباً على أننا نحن وسوانا من الناس موجودات ممكنة، وكذلك جميع الموضوعات العادية التي نصادفها في هذا العالم. كل هذه الكائنات أو الموجودات كان من الممكن ألا تأتي إلى الوجود. فلو أن الأمور كانت قد جرت مجرى مختلفاً، لأمكن ألا توجد أى من هذه الموجودات على الإطلاق، بميسورنا أن نتبين ذلك حين ننظر إلى حالات معينة. أولاً : إن وجودنا ووجود الكائنات التي تحيط بنا، سواء الآخرون من الناس أو الموضوعات الفيزيائية، يعتمد على عوامل معينة واسعة النطاق في تاريخ الكون. فلو لم تكن الشمس مثلاً قد تكونت مع نظامها الخاص من الكواكب؛ لما وجدت أنا على الأرجح، ولا وجدت الطاولة التي أكتب عليها الآن دراستي هذه.

ثانياً، هناك دائماً عوامل محلية نسبياً تتحكم في وجود أشياء معينة. فقد كان بالإمكان أن تفلس الشركة التي صنعت طاولتي هذه قبل أن تصنعها، أو أن توقف صنع هذا النوع من الطاولات. وإنه لتدريب عقلي طريف وقادر على تسليط أضواء كثيفة على معنى الإمكان *contingency* أن تحاول التفكير في كل الأمور التي كان من الممكن أن تأخذ مساراً مختلفاً يؤدي إلى أنك لا تأتي إلى الوجود. من المؤكد مثلاً أنه لم يكن محتملاً أن يلتقى والداك ويتزوجا وينجبا ما أنجبا من الأبناء. إذن، كونك موجوداً يعنى أنك كنت محظوظاً بعض الشيء أو أنك وانتك ضربة حظ ميتافيزيقية! (ومن الغريب حقاً أنك لو لم تكن قد أتيت إلى الوجود لما كنت تعيش الحظ، طالما أنك لن تكون موجوداً أصلاً في هذه الحالة لكي تكون تعيش الحظ. محكم القول، إنك لو لم تكن قد أتيت إلى الوجود لما أمكن الحديث عن حالة عدم وجودك).

## الأحداث والعمليات

اعترض كثيرون من الميتافيزيقيين على تصوير الواقع بصيغة الجواهر المنفصلة وما لها من خصائص سكونية، وقالوا إن تصوير الواقع بهذه الطريقة يمدنا ببيان أساسي شديد القصور. ولكي نعالج هذا القصور فإن علينا أن نتحدث بصيغة الأحداث

و 'العمليات' *processes* ، فهي من وجهة نظرهم أكثر أساسية من الجواهر والجزئيات الزمانية المكانية.

**الأحداث :** تأتي لفظة حدث *event* من الفعل اللاتيني *eventire* ويعنى 'يحدث' أو 'يقع'. إن كون الكرة حمراء ليس حدثاً، ولكن كون الكرة تُدك تحت القدم هو حدث لأنه شيء 'يحدث' أو 'يقع'. وأن تصير الكرة حمراء، بدهنها مثلاً، هو بالمثل حدث. قد تكون الأحداث قصيرة جداً، وقد تستمر ردحا من الزمن، ولكن هناك دائماً زمناً تحدث فيه.

ليس هناك اتفاق عام حول كيفية تحليل هذا المفهوم، أى مفهوم الحدث. فهل الأحداث لا بد أن، تحدث لأفراد؟ إن بعض الأحداث بالتأكيد يحدث لأفراد. احمرار وجهي (ارتباكاً) حدث يقع لى. والعاصفة الرعدية أو تعطل المرور أيضاً حدث (ربما يتوجب أن نتصورها كتغيرات تعترى قطاعات مكانية زمانية). ويزعم البعض أيضاً أن الأحداث يجب أن تُفهم بوصفها تغييراً فى الخواص: فحمرة الارتباك مثلاً هى بضعة أشياء، من بينها تغير فى الخواص اللونية لمنطقة معينة من الوجه.

وهناك صنف شديد الخصوصية من التغيرات يطلقون عليه 'تغير كمبريدج' (٦) . تغير كمبريدج الذى لحق بـ (س) هو ذلك التغير الذى لا ينطوى على أى تبدلات فى أى خاصية من خواص (س) الأصلية الحقيقية؛ أن يصير (س) أقصر من (ص) لأن (ص) قد طالت قامته، هو مثال جيد على تغير كمبريدج. أن يصير الشيء أقصر لأن

(٦) يعزى تغير كمبريدج Cambridge change إلى ب.ت. جيتش فى كتابه 'مسائل منطقية - ١٩٧٢'. فقد كان معنى التغير عند برتراند رسل (ومن ثم فى كمبريدج) هو أن يفى الشيء فى لحظة زمانية بوصف ما لا يفى به فى لحظة أخرى. غير أن التغير المشار إليه عاليه لا يفى بهذا الشرط. فقد طالت قامة ص ولم تتبدل أى خاصية فى س ومع هذا أصبح يفى بوصف جديد وهو أنه أقصر من ص. مصطلح تغير كمبريدج يغطى مثل هذه الحالات. (المترجم)

شيئاً آخر قد نما هو صنف من التغير مختلف تماماً عن أن يصير الشيء أقصر بالانكماش.

العمليات: ليس هناك حد فاصل بحسم بين الأحداث والعمليات. وقد تُعرف العملية *process* استقرايياً بأنها سلسلة متعاقبة من الأحداث. وهناك اتجاه بارز في الميتافيزيقا يُعرف بـ 'فلسفة العملية' <sup>(٧)</sup> *process philosophy* يعد ألفرد نورث هوايتهد A.N. Whitehead (١٨٦١ - ١٩٤٧) أبرز أقطابه. وهو اتجاه يؤكد على: (١) الطابع المتغير على الدوام للعالم، فيما يسمى بالتقدم الخلاق، (٢) أن العملية طابع أساسي، بمعنى أن الأفراد ما هم إلا عمليات (أو مكونون من عمليات). وهذا يعنى - فى إعادة صياغة لفكرة وايتهد - أن صيرورة كيان ما أو تغيره هى التى تشكل ما يكونه هذا الكيان.

### الميتافيزيقا الوصفية فى مقابل الميتافيزيقا المراجعة

هناك تصنيف يمكن أن نطبقه على الفلاسفة، من سائر العصور، الذين حاولوا تفسير المقولات الأساسية أو وضع بيانات ممنهجة للصنوف الأساسية من الأشياء. وهو أن نصنفهم وفقاً لمدى ابتعادهم عن تصور الحس المشترك للعالم وعن طريقتنا العادية فى الحديث عنه. وقد أدخل ب.ف. ستراون P.F. Strawson (١٩١٩ - ؟) فى عصرنا هذا مصطلحي 'الميتافيزيقا الوصفية' و 'الميتافيزيقا المراجعة' ليعطى كلا الطرفين النقيضين من حيث البعد والقرب من الحس المشترك واللغة العادية.

(٧) يطلق أيضاً على *process philosophy* فلسفة الصيرورة، وتوضح السطور أعلاه صوابية هذا المسمى، ولكننا نرى الإبقاء على ترجمتها فلسفة العمليات للمقابلة المطلوبة فى المتن بين الحدث والعملية. (المراجعة)

## الميتافيزيقا الوصفية

ترى الميتافيزيقا الوصفية أن مهمتها هي شرح أو توضيح المقولات التي نستعملها بالفعل. هذه المقولات مدمجة في صورة الحس المشترك للعالم وفي لغتنا العادية. وتهدف الميتافيزيقا الوصفية إلى جعل مفاهيمنا العادية أكثر جلاءً وشفاءً، وذلك بأن تدفعنا إلى أن نأخذها بمزيد من التأمل والتحديد. إن الفلاسفة الذين يعتبرون الميتافيزيقا تحليلاً للمقولات الأساسية، من المرجح أن يختاروا لمهمتهم مقارنة وصفية.

## الميتافيزيقا المراجعة

تقوم الميتافيزيقا المراجعة على فرضية مفادها أن المقولات المستعملة بالفعل والمتجسدة في اللغات العادية، هي أوهى من أن تسعفنا بشيء، وأن من واجبنا أن نستبدل بها مقولات جديدة خيراً منها يضعها الفلاسفة أنفسهم. وقد أقام كثيرون من كبار الفلاسفة أنساقاً ميتافيزيقية مراجعة تهدف إلى تقديم بيان أساسي أفضل من ذلك الذي تحصره المقولات العادية.

ولا يدهشنا أن أولئك الذين يعتبرون الميتافيزيقا بياناً أساسياً للحقيقة أو الواقع، يغلب أن، يختاروا لمهمتهم مقارنة مراجعة. وذلك لأن السؤال عما يجب أن يشمل البيان الأساسي (وهو سؤال عن الواقع ذاته) لا علاقة له بالمقولات التي اتفق لها أن تكون مستعملة في المجتمع المعين الذي نشأ فيه الفيلسوف. ولعل المثال النموذجي الأشهر للميتافيزيقي المراجع هو باروخ سبينوزا B. Spinoza (١٦٢٢ - ١٦٧٧) الذي ذهب إلى أن هناك جوهرًا واحدًا قد يسمى 'الله' أو 'الطبيعة' ('deus sive natura' هو المصطلح اللاتيني الحقيقي الذي استعمله).

## جدوى الميتافيزيقا

### الميتافيزيقا والعلم

على الرغم من تاريخ الميتافيزيقا الطويل والتميز، فإنها تعرضت - خاصة في القرن العشرين - للهجوم من قبل الفلاسفة<sup>(٨)</sup> المعادين لها (أشهر جماعة من المعادين للميتافيزيقا ينتمون لحركة فلسفية تعرف بالوضعية المنطقية Logical Positivism ازدهرت في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين، وما زال بعض دعايتها نوى نفوذ وتأثير). وقد نُقِدَ هذا الهجوم على محاور عديدة، إلا أنه دائماً موصول بالنجاح المشهود الذي حققته العلوم الطبيعية. (بإزاء التحدى الذي يفرضه العلم ضد الميتافيزيقا يجب ألا يفوتنا أن العلم برغم نجاحه الواضح لا يمكن أن نعتبره الرافد الوحيد الذي يمدنا بتفسيرات للعالم).

من بين الحجج التي تهدف إلى إثبات عبثية الميتافيزيقا ولا جدواها حجة تجرى هذا المجرى: إن الميتافيزيقا لا تخرج عن أحد نهجين: فهي إما أن تلتزم بالمقولات العادية أو لا تلتزم. فإن كانت ملتزمة بالمقولات العادية فهي لا تعدو أن تكون ترديدا للملاحظات العادية المبتذلة في ثياب تنكرية غريبة. مثلاً، قولنا أن هناك جواهر وأعراضاً لا يعدو أن يكون طريقة معقدة لقولنا إننا نتحدث عن العالم مستخدمين أسماء ونعوتاً. وتأكيدنا على الأحداث والعمليات ليس أكثر من أسلوب طنان لقولنا إننا لا يمكن أن نروى أخبار الواقع بون أن نستعمل بعض الأفعال، أما إذا انصرفت

(٨) ليس هذا صحيح دائماً وخصوصاً الآن، وما هو ذا كارل بوبر من أهم فلاسفة العلم في القرن العشرين، وعدو الوضعية المنطقية الشرس. دافع عن الميتافيزيقا دفاعاً مجيداً من أجل العلم، لأنها تلهم الفروض الخصيبة للعلم وأفقها الرحيب. ويات الفيزياء في تطوراتها الراهنة المفرطة التجريد وجعلت تساؤلات الميتافيزيقا تلح على الأذهان أكثر من ذي قبل. إن الهجوم على الميتافيزيقا باسم العلم ونجاحاته هو موقف الوضعية على العموم، ويات موقف الوضعية المنطقية على الخصوص وهي من أبرز تيارات الفلسفة التحليلية التي يعتمد عليها مؤلف الكتاب. (المراجعة)

الميتافيزيقا في المقابل عن المقولات العادية فهي عندئذٍ تصبح تأملية نظرية ، ضربا من حكايات الجن والأشباح تحاول أن تنتحل صفة العلم. والميتافيزيقا التأملية مرفوضة باعتبارها علما زائفا غير عملي، أى محاولة لفض أسرار العالم من دون ملاحظة أو تجربة.

وهناك حجة أخرى لإثبات عقم الميتافيزيقا ولا جدواها، تنطبق على الميتافيزيقا المراجعة بشكل مباشر حقاً. فإذا كان العلم يضغط علينا باستمرار ويلزمنا بتغيير صورة الحس المشترك للعالم أو تصحيحها، وهى الصورة المدمجة فى مقولات الحياة اليومية ومفاهيمها، فما حاجتنا إلى المزيد من تعديل وتصويب يقترحه علينا من هم غير العلماء؟ ويستند هذا السؤال إلى فرضية مفادها أن الأمر الأرجح أن تأتي تصويبات من أجرى الملاحظات أنجع من التصويبات التى يفرضها علينا الميتافيزيقيون التأمليون.

ربما تكون الهجمات ضد الميتافيزيقا قد أفادت بعض الشيء فى التخفيف من شطط الميتافيزيقا وتجاوزها الحد فى ادعاءاتها بأنها مصدر للمعرفة عن العالم قائم على الفكر والتأمل. غير أن مثل هذه الهجمات تقوم عموما على فرضية موضع شك، وهى أن العلوم الطبيعية تقدم بياناً كاملاً وافياً تماماً عن الواقع. بوسعنا أن نلمس وجود فرضية موضع شك بالنظر فى الحجة الآتية :

العلم لا يبحث فى الأرواح؛

إذن الأرواح غير موجودة

فلتكن هناك أرواح أو لا تكن، فمن المؤكد أن هذه الحجة لا تثبت أنه ليس هناك أرواح. فهى تتكأ على مقدمة مضمرة ومصادرة على المطلوب<sup>(٩)</sup>، مفادها أن ما لا يدرسه العلم هو غير موجود. إننا نفترض فى الميتافيزيقا التى نريدها أن توفر مكانا لكل شيء

(٩) المصادرة على المطلوب question-begging (وتسمى أيضاً petitio principii) هى التسليم مسبقاً بالنتيجة المطلوب إثباتها وجعلها مقدمة من مقدمات القياس، أو هى بعبارة أخرى جعل المطلوب أو ما =

نعرفه، سواء من العلم أو التقليد الدينى أو الفن أو الحياة العادية. وإن بقي هناك احتمال لأن تكون المعرفة التى نستقيها من كل هذه المصادر لا تزيد شيئاً عن المعرفة التى يقدمها العلم بمفرده، فليس هذا بالشئ الذى يمكن أن نفترضه باختيال وتعجرف.

## الالتزام الأنطولوجى

هناك نقد موجه للميتافيزيقا أخفى وأدق بعض الشئ من النقد السابق (وهو نقد غير مستند إلى انتصارات العلوم الطبيعية)، ويمكننا أن نطرحه على النحو الآتى: أجل نعرف أنه ليس كل ما أخبر به البشر وتحدثوا عنه هو شئ حقيقى بالضرورة. إن بابا نويل والإله زيوس لا وجود لهما، ومن المؤكد أنه ليس هناك كائنات من قبيل الجريفين ووحيد القرن<sup>(١٠)</sup>. ومن المحتمل أنه لا وجود للأشباح أو للسياسى الصادق. كل ذلك لا غبار عليه. غير أننا (رغم كل هذه الغريبة والتنقية) لا نزال نستقى قائمتنا الخاصة بالأشياء الواقعية من خلال ما نجد الحديث عنه مريحاً وسهل المنال. فكلما أنسنا أسباباً وجيهة للحديث عن س من الأشياء استنتجنا أن هناك إذن س. ويستخدم الفلاسفة تعبير الالتزام الأنطولوجى<sup>(١١)</sup> *ontological commitment* ليشيروا إلى ذلك الالتزام بوجود شئ ما (كلمة *ontos* اليونانية تعنى الوجود). ولكن ماذا يحمل هذا الأمر من نذر؟

= يساويه مقدمةً للبرهنة عليه. يقول الجرجانى فى التعريفات: المصادرة على المطلوب هى أن تجعل النتيجة جزء القياس، كقولنا: الإنسان بشر، وكل بشر ضحاك، ينتج أن الإنسان ضحاك. الكبرى هاهنا والمطلوب شئ واحد، إذ البشر والإنسان مترادفان، وهو اتحاد المفهوم، فتكون الكبرى والنتيجة شيئاً واحداً. (المترجم)

(١٠) الجريفين كائن خرافى نصفه نسر ونصفه أسد. والمقصود بوحيد القرن هنا ذلك الكائن الخرافى الذى له جسم حصان وذيل أسد وقرن وحيد فى وسط جبهته. (المترجم)

(١١) يستخدم لفظ *commitment* (التزام أو تعهد) فى بعض فلسفات العقل بمعنى يختلف قليلاً من الناحية الوظيفية عن معنى الاعتقاد: التزام المرء بقضية ما يعنى أنه يعتمد على هذه القضية أو يستخدمها فى تشييد تفسير أو تنبؤ. غير أنه يفعل ذلك بروح أداتية خالصة، وبالتالي دون افتراض صدق قضيته بالضرورة. (المترجم)

ما الذى يعنيه أو ينطوى عليه مثل هذا الالتزام؟ ذلك شىء محل خلاف بين الفلاسفة، ولكن قد يبلغ شأنه عند البعض حد تخطئة الميتافيزيقا من حيث أنه يلقي بظلال من الشك على فكرة وجود مقولات أساسية أو وجود بيانات أساسية.

## الأنطولوجيا الباهظة

تولى الأنطولوجيا الباهظة أو المكلفة اهتماماً كبيراً بالالتزام الأنطولوجى وتعتبره أمراً بالغ الخطورة. سؤال مثل: "هل هناك حقاً رغبات لا شعورية؟" يتطلب من وجهة نظرها جهداً فكرياً كبيراً للإجابة عنه. والسؤال عن "ماذا هنالك؟" أو "ما الذى يوجد فى الواقع والحقيقة؟" وفقاً للأنطولوجيا الباهظة هو سؤال لا يمكن رده إلى السؤال عما نجد الحديث عنه مريحاً سهل المنال. ومن ثم فإنه من المعقول والوجيه أن نسأل كيف يمكن على الإطلاق (وليس فقط ما جدوى) أن نتحدث عما هو غير موجود.

## الأنطولوجيا الرخيصة

يشار إلى الأنطولوجيا الرخيصة فى المبحث الفلسفى المعاصر باعتبارها خطة متعمدة لخفض الأسعار. وفق للأنطولوجيا الرخيصة يعتبر السؤال مثلاً عما إذا كان هناك رغبات لا شعورية سؤالاً سهلاً للتناول، جوابه أن هناك بالفعل رغبات لا شعورية. وذلك لأنه من المفيد والمسهل لنا فى فهم السلوك الإنسانى لأن نستخدم نظريات مثل التحليل النفسى الفرويدى - نتحدث فى حدود هذه الرغبات. ولا تثريب علينا فى ذلك، ولا شىء يضطرنا إلى افتراض عدم وجود الرغبات اللا شعورية: السؤال عما إذا كان شىء ما موجوداً أو غير موجود قد لا يكون أمراً متفصل عن السؤال عن أى النظريات هى التى تمتلك قدرة تفسيرية.

## الموقف الأنطولوجى الطبيعى

فى أوائل القرن العشرين، أبدى كثيرون ممن كانوا يكتبون عن العلم قلقاً وارتياباً حول حقيقة وجود أشياء مثل الموائد والكراسى. وذهبوا إلى أن مكوناتها الدقيقة - الإلكترونات والبروتونات... إلخ - ربما تكون هى الموجودات الحقيقية. بل ربما لحق الشك بوجود الإلكترونات والبروتونات أيضاً مادام أحداً لم ير شيئاً منها قط. غير أننا فى الحقيقة لدينا أسباب وجيهة جداً لأن نتحدث عن الموائد، وأسباب وجيهة جداً لأن نتحدث عن الإلكترونات والبروتونات. أما كيف ترتبط فيما بينها هذه الأشياء العديدة التى نملك أسباباً وجيهة للحديث عنها، فذلك شىء يطول شرحه ويشمل كلا من التحليل والبحث التجريبي. هذه الوجهة من النظر التى تفيد أن أفضل حديث بالنسبة لنا هو أفضل السبل إلى ما هو حقيقى يسمى أحياناً 'الموقف الأنطولوجى الطبيعى'.

### الثنائية : مشكلة العقل والجسم

ربما تكون مشكلة العقل والجسم هى أهم المشكلات الميتافيزيقية جميعاً. وهى فى صورتها المعاصرة مشكلة وثيقة الصلة بالسؤال عما إذا كانت العلوم الطبيعية تقدم لنا وصفاً كاملاً عن الواقع. ومشكلة العقل والجسم فى الأساس هى المشكلة التى تبحث حقيقة وجود عقول غير مادية أو أنفس أو أرواح، والتى تفرض نفسها - فى صورتها الرئيسية - عندما نكون بصدد بحث طبيعة الكائنات البشرية.

والحقيقة أن مشكلة العقل والجسم تضم معاً عدداً من المسائل المعقدة غاية التعقيد. فنحن نشعر داخلنا بأن لدينا منافذ إلى عالم متميز كيفياً عندما نعى حياتنا العقلية الخاصة، أى أفكارنا ومشاعرنا ورغباتنا. فكيف يمكننا أن نربط بين هذا وبين الصورة التى يقدمها لنا العلم عن أنفسنا. إننى - من منظورى الذاتى - أرى أننى فى مركز العالم. أما من وجهة النظر العلمية فالعالم ليس له مركز. ومن ثم فإن هناك ضرباً من الوهم متأسلاً فى الطريقة التى تمر بها حياتى الخاصة فى خبرتى. إن بوسعى أن أتقبل دون أدنى مشكلة رأى العلم حين يقول إن الماء فى حقيقته يد ٢ أ.

أما حين يخبرنى أنتى كائن عضوى معقد يمكن تفسير حياته الباطنية فى حدود البيولوجيا والكيمياء والفيزياء، فهذا هنا يخامرنى شك بأن فى الأمر شيئاً هاماً تم إغفاله.

## النفس

إن ما يتم إغفاله من التوصيف العلمى، وفقاً للكثير من الآراء الدينية التقليدية، هو النفس أو الروح. فما زال كثيرون من الناس يعتقدون أن لهم أنفسهم (بل قد يعتقد البعض أنهم نفوس محضة) وأن النفس وإن تكن متصلة بالجسم بطريقة غامضة، فهى منفصلة عنه وقادرة على البقاء بعد فناء الجسد. وهؤلاء الذين يعتقدون فى وجود النفس - أو الملزمون بها انطولوجيا كما يحق لنا أن نعبر - على أساس الإيمان الدينى، من المستبعد أن يتأثروا بأى حجج فلسفية محضة مع النفس أو ضدها، أو أن يأخذوا بالتعقيدات الناجمة عن مسألة الالتزام الأنطولوجى بالنفس. أما من الوجهة الفلسفية الخالصة فيبقى التفسير الروحى لحياتنا العقلية وطبيعتها شيئاً شديداً غموضاً، وتبقى كيفية اتصال النفس برفيقها الجسد مسألة لا تقل عن ذلك إبهاماً وغموضاً.

## الثنائية

يأتى مصطلح الثنائية dualism من الكلمة اللاتينية duo ومعناها 'اثنان' أو 'ثنائى'. والثنائية هى رأى القائل إن هناك نوعين من الخامات يتكون منهما الواقع، وهما متميزان جوهرياً ومختلفان اختلافاً لا مرد له. (الخامة stuff هنا مقصود بها المادة الأولية التى صنع منها الواقع.) ويمكن للمرء أن يُعرّف الثنائية أيضاً فى حدود المقولات، فيقول إن الثنائية هى رأى القائل إننا لا يمكن أن نتحدث عن كل ما هو واقع من دون أن نستخدم مجموعتين متميزتين من المقولات لا يمكن تحليل أى منهما فى حدود الأخرى. وهناك صيغة هى الأكثر نفوذاً وتأثيراً وضعها فى القرن السابع عشر الفيلسوف رينيه ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠)، وصارت تعرف من ذلك الحين باسم الثنائية الديكارتية.

## الثنائية السيكونفزيقية

الثنائية الديكارتية هي صورة مما يعرف بالثنائية السيكونفزيقية. وتقول هذه الصورة من الثنائية إن هناك خامتين أوليتين: الأولى هي العقل أو النفس والثانية هي الجسم (أو المادة أو الفيزيقي). وعلى الرغم من أهم تطبيقات الثنائية السيكونفزيقية وأكثرها تشويقاً هو ما يتصل بالكائنات البشرية، فمن الضروري إدراك أن الثنائية السيكونفزيقية (أو لنقل الثنائية فحسب على سبيل الاختصار) هي إجابة عامة وتامة عن سؤال 'ماذا هنالك؟'. ومرة ثانية نقترح هذا التدريب الذهني لتوضيح ذلك: افترض أن الله كان قد خلق ملائكة وصخوراً لا غير، هنا أيضاً قد تكون الثنائية هي الميتافيزيقا الصحيحة لمثل هذا العالم. لأن مقولة النفس أو الروح ستكون لازمة (بالنسبة لله والملائكة) ومقولة الجسم ستكون لازمة (بالنسبة إلى الصخور). تنطبق الميتافيزيقا الثنائية إذن على هذا العالم على الرغم من خلوه من موجودات تجمع بين الجسم والنفس.

## الديكارتية

كان ديكارت وريث تقليد ديني عريق، هو الكاثوليكية الرومية، التي كانت تعلم أتباعها (ولا تزال) أن البشر لديهم روح غير مادية، وخالدة بالتاكيد. إلا أن ديكارت أراد أن يقدم أساساً فلسفياً خالصاً لهذا الاعتقاد. وأيضاً كان مهوماً بإيجاد حيز في نسقه الميتافيزيقي للصورة الجديدة للعالم التي يقدمها العلم. لقد استطاع العلم في عصر ديكارت أن يطرح لأول مرة في التاريخ نظرية فيزيائية شاملة تقدم في رزمة واحدة تفسيراً لحركة الأجرام السماوية على سطح الأرض، وحركتها قرب سطح الأرض وحركة الأجرام السماوية<sup>(١٢)</sup>. كان ديكارت متحمساً للعلم الجديد، فتقبل التفسير

(١٢) هذا غير صحيح تماماً. في عصر ديكارت كان العلم الحديث يقطع خطاه الواثقة نحو هذا، ولم يكن قد أنجزه بعد. النظرية الفيزيائية الشاملة التي تفسر الحركة على سطح الأرض وقريباً منها وحركة الأجرام السماوية، معاً أو برزمة واحدة بتعبير المؤلف، لم تكتمل إلا على يد إسحق نيوتن (١٦٤٢-١٧٢٧) =

الميكانيكى لكل أشياء الطبيعة، ما عدا شيئاً واحداً هو العقل الإنسانى. وقد تضمن ذلك رفضه للفكرة التقليدية التى ترى أن الحيوانات والنباتات لها نفوس (وإن تكن أدنى مرتبة من النفوس البشرية)، فاستبدل بها وجهة نظر جديدة تعتبر الحيوانات والنباتات مجرد آلات رخوة الأنسجة معقدة التركيب.

## حجج الثنائية

تهدف الحجج الفلسفية الخالصة من نوع الحجج التى طرحها ديكارت إلى أن تكون مصدر إقناع مستقل عن القناعة الدينية (يجب أن نضيف أن الشخص المتدين على أية حال لا يعول على الحجة العقلية، وهو ليس ملزماً بأن يتخلى عن الثنائية حتى لو أخفقت هذه الحجج). ولننظر فى حجتين هما فى الأصل من وضع ديكارت، ثم قام مفكرون لاحقون بطرحها فى صياغات عديدة.

## الحجة (١)

يمكن صياغة الحجة الأولى للثنائية كما يلى :

أنا أستطيع أن أفكر

الأجسام لا تستطيع أن تفكر

إذن أنا لست جسماً

وعلى الرغم من أن هذه الحجة قد بدت مقنعة لكثيرين من الناس، فنحن لا نتبين بوضوح ما الذى يضطرنا لقبول المقدمة الثانية. إن كلمة 'جسم' هنا وفى كل مناقشة

= وكتابه العظيم 'الأسس الرياضية للفلسفة الطبيعية - ١٦٧٨'، أى بعد وفاة ديكارت بعقود. هذا الكتاب العظيم هو الذى يمثل اكتمال الإطار العام للفيزياء الكلاسيكية، ولنسوق العلم الكلاسيكى، فى عرضه الرياضياتى الدقيق الذى يقوم على قانون الجاذبية وقوانين الحركة الثلاثة. الجدير بالذكر أن الفيلسوف الكبير ديكارت، الذى يلقب بأبى الفلسفة الحديثة، له أيضاً إسهاماته فى الفيزياء والعلم الحديث، وهو مؤسس الهندسة التحليلية. (المراجعة)

من هذا القبيل تعنى بشكل عام مجرد شيء مادي، وبطبيعة الحال لو كنا نقصد أجساماً أو أشياء مادية من نوعية أقل مرتبةً مثل الصخور والعصى، فقد يبدو واضحاً أن الأجسام لا تفكر. أما لو كنا نقصد أجساماً مثل أجسامنا، فلسنا نتبين بوضوح ما الذي يدعونا إلى الوثوق بأن الجسم لا يمكنه أن يفكر. من هذا المنطلق قام بعض المفكرين بصياغة الحجة المضادة لحجة ديكارت :

أنا جسم

أنا أستطيع أن أفكر

إذن بعض الأجسام تستطيع أن تفكر

كيف نفاضل إذن بين الحجة الديكارتية والحجة المضادة؟ ذلك شيء يصعب الاتفاق بشأنه. إن كلتا الحجتين متسقة مع نفسها. وهذه الحقيقة في حد ذاتها تدل على مدى الصعوبة في حل مثل هذه المسائل. سوف نتوقف المفاضلة بين الحجتين على حدسنا حول وضوح مقدماتها الخاصة (أو الوضوح المقارن إن شئت الدقة). أولئك الذين يرون كون الأجسام لا تفكر أكثر وضوحاً من كونهم أجساماً، من المرجح أن يقبلوا حجة ديكارت. أما الذين يرون أن كونهم أجساماً أكثر وضوحاً من كون الأجسام لا يمكنها أن تفكر، فالأرجح أن يقبلوا الحجة المضادة. لقد ذهب ديكارت إلى أن ماهية العقل هي أن يفكر. وكان مصطلحه المعتمد للعقل هو التعبير اللاتيني *res cogitans* أى شيء مفكر؛ وذهب إلى أن ماهية الجسم هي أن يكون ممتداً أو منتشر في المكان. وكان مصطلحه المعتمد للجسم هو التعبير اللاتيني *res extensa* أى شيء ممتد.

## الحجة (٢)

يمكن صياغة الحجة الثانية للثنائية كالتالي :

أنا لا يمكنني أن أشك في أن لي عقلاً

أنا يمكنني أن أشك في أن لي جسماً

إذن عقلي وجسمي ليسا شيئاً واحداً

لقد بدا لديكارت أنه مهما ذهب به الشك، فلن يكون بوسعه أن يشك في أن له عقلاً (أي أنه شيء يفكر)، إذ أن الشك ذاته شكل من أشكال التفكير. قد أعتقد أنني سائر على قدمي ثم يتبين لي أنني على خطأ، وأنتي في الحقيقة نائم أو مهلوس. ولكن لا يمكن أن أفكر أنني أفكر ثم يتبين لي أنني مخطئ. فمادمت أفكر في أنني أفكر فأنا أفكر بالفعل. لقد أدت هذه التأملات بديكارت إلى صوغ الكوجيتو الشهير: أنا أفكر إذن أنا موجود cogito ergo sum .

من الجائز ألا يكون لنا أجسام، هذه فكرة يراها معظمنا فكرة سخيفة نوعاً ما، وعلى الرغم من ذلك ذهب ديكارت فعلاً إلى أن بإمكانه أن يلقي بظلال الشك على هذا الأمر الواضح. والآن هب أننا سلمنا على سبيل الجدل بأن كلتا المقدمتين في هذه الحجة صحيحة أو على الأقل جائزة. فهل تلزم النتيجة عنهما بالضرورة؟ إن هذه الحجة تستند، فيما يفترض، إلى الفكرة التالية: إذا كان أ لديه خاصية معينة ليست لدى ب، للزم عن ذلك بالضرورة أن أ و ب ليسا في ذات هوية، أي أن أ و ب لا يمكن أن يكونا شيئاً واحداً. على هذا المبدأ تقوم الحجة الصحيحة التالية مثلاً :

القاتل لديه وشم مرساة على ساعده

كبير الخدم ليس لديه ذلك الوشم

إذن كبير الخدم ليس هو القاتل

أننا جميعاً نفهم لماذا يمتنع أن يكون كبير الخدم هو القاتل. غير أن هذا الشكل من الحجج رغم جدواه بالنسبة لأغلب الخواص العادية، فإنه لا يجدي شيئاً بالنسبة لخواص معينة منها المعرفة والاعتقاد والشك. ولنوضح ذلك بهذا المثال :

أتى على الناس حين من الدهر لم يكن أحد منهم يعلم أن النجم الذي يبدو في الصباح والنجم الذي يبدو في المساء هما الجرم السماوي نفسه، وهو كوكب الزهرة. من الجائز إذن أن يكون شخص ما قد فكر في ذلك الوقت على هذا المنوال :

أنا واثق من أنني قد شهدت نجم المساء

أنا أشك تماماً أنني قد شهدت في عمري نجم الصباح (فأنا لا أستيقظ مبكراً قط)

إذن نجم الصباح لا يمكن أن يكون هو نجم المساء

توضح لنا هذه الحجة الظاهرة البطلان أن المبدأ العام الذى يستنبط عدم الهوية من اختلاف الخواص هو مبدأ لا ينطبق ولا يجدى شيئاً إذا كانت الخواص من قبيل الاعتقاد أو الشك.

## حجج عدم الترادف

منذ زمن ديكارت حتى يومنا هذا جرى طرح حجج عديدة تناصر الثنائية، يبلغ كثير منها أن يكون صيغاً جديدة للحجة (٢). ويمكن أن نطلق عليها فى جملتها الحجج المستفادة من عدم الترادف nonsynonymy . تستند هذه الحجج إلى فكرة مفادها أن الحدود التى نستخدمها لوصف حياتنا الداخلية- شعور بالكآبة، تذكر رحلة لباريس، إحساس بالم حاد، استمتاع بمذاق الجلوى المثجة - كل هذا لا يعنى الشئ نفسه الذى تعنيه (أو ليس مترادفاً مع) الحدود التى تصف أجسامنا، كلفة الفسيولوجيا العصبية على سبيل المثال. إن هذا صحيح تماماً. ولكن لا يترتب عليه بالضرورة أن حياتنا الباطنة لا يمكن أن تكون فى ذات الهوية مع الأحداث والأحوال والمجريات الكائنة بأجسامنا. وأيضاً يمكن أن نوضح ذلك بمثال: إن كلمة 'برق' غير مترادفة مع كلمة 'تفريغ كهربائى'، وكلمة ماء غير مترادفة مع 'يد ٢ أ'، ومع ذلك البرق هو تفريغ كهربى والماء يد ٢ أ. وبالتالي لن يفوت أحداً أن يتبين بطلان الحجة التالية :

لا يمكننى الشك فى أن الماء هو الماء

يمكننى الشك فى أن الماء هو يد ٢ أ

إذن الماء ليس هو يد ٢ أ

إن الماء يلعب دوراً ما فى حياتنا وأفكارنا، بينما يلعب 'يد ٢ أ' دوراً آخر. إنهما لغويا لا يعنيان الشئ نفسه. غير أن معانى الأفكار والتعبيرات الجارية فى لغتنا ليست هى الدليل الأفضل دائماً إلى الواقع القائم من دونها. ونحن لا نقصد بذلك أن حياتنا الباطنية فى ذات الهوية مع الأحداث والحالات والمجريات الكائنة بأجسامنا. إن كل ما يعنيه ذلك أن حجج عدم الترادف حجج فاشلة غير مجدية.

## تقويم الثنائية

الثنائية لها جاذبية هائلة تعود إلى سببين رئيسيين : السبب الأول أنها تتفق مع مفهوم الحياة الإنسانية تشترك فيه عديد من الديانات. فالقول بتمايز العقل عن الجسم (أى أنهما ليس فى ذات الهوية)، يقضى على أبسط الفروض إلى إمكان بقاء العقل بعد فناء الجسم. أما القول بأن العقل فى ذات الهوية مع الجسم فيقضى بأن يكون موت الجسم هو فناء للشخص بكييته (طبعاً من المحتمل أن تنتقل مكونات ذاكرتى قبيل وفاتى إلى دماغ جديد، وهذا يعد بقاءً من نوع ما، غير أن قليلاً من الناس يمكنه أن يطمئن إلى مثل هذا الاحتمال البعيد).

السبب الثانى أن الثنائية تنسجم تماماً مع ما نحسه جميعاً من أننا، بوصفنا حالة خاصة من الموجودات، لدينا منفذ مباشر إلى عالم من الخبرة الباطنة متميز كيفياً.

وعلى الرغم من الأسباب الوجيهة التى تدعم من جاذبية الثنائية، فإن أمامها مشكلة خطيرة لابد أن تواجهها. ذلك أن الثنائية تفيد الانفصال التام بين العقل والجسم، وهذا يعنى - كما أدرك ديكارت - أن العقلى له أن يؤثر فى العقلى (فكرة تستدعى فكرة مثلاً) والأجسام لها أن تؤثر فى الأجسام (مثل انتقال الحركة بين الأجسام المتجاورة أو بين الأجزاء المتجاورة من الجسم الواحد) ولكن ليس للعقول أن تؤثر فى الأجسام ولا للأجسام أن تؤثر فى العقول، إذا أخذنا العقل والجسم بالمفهوم الثانى الدقيق الذى يفيد الانفصال التام بينهما. تلك مشكلة بالتأكيد، لأنها تجعل كثيراً من الظواهر المألوفة شديدة الغموض إن لم تكن مستحيلة تماماً.

### ولنأخذ مثالين يبرزان هذه الإشكالية :

١ - حين أريد أن أقوم لأتمشى بعض الوقت، فهذه فكرة عقلية، وفى الظروف العادية يبدو أن فكرتى العقلية تلك تؤدي إلى تحركات أجزاء من جسمى، ساقى على سبيل المثال. ولكن هذا يجب أن يكون ممتنعاً، وفقاً للثنائية.

٢ - حين الإفراط في شرب الخمر تغدو الأفكار مشوشة غائمة. ولكن هذا يتوجب ألا يحدث، وفقاً للنظرة الثنائية، مادام احتساء الخمر لا ينال إلا الجسم، ولا شأن له بالأفكار فهي عقلية لا جسمية<sup>(١٣)</sup>.

### نظرية التوازي السيكوفيزيقي<sup>(١٤)</sup>

تختلف وجهات النظر بصدد قدرة الثنائية على حل المشكلة الماثلة في التفاعل الظاهر أو التأثير المتبادل بين العقل والجسم. ومن المحاولات المقترحة لحل هذه المشكلة نظرية تسمى نظرية التوازي السيكوفيزيقي psychological parallelism ، وهي الفكرة

(١٣) حاول ديكارت أن يفسر ذلك التأثير المتبادل بين العقل والجسم، الذي هو واقعة خالصة لا سبيل إلى إنكارها. ولكن لم تسعفه مادته العلمية - التي هي في النهاية انعكاس للحالة العلمية في عصره - إلا بنظرية غير مقبولة تقول إن الغدة الصنوبرية الموجودة في منتصف المخ هي همزة الوصل بين العقل والجسم ونقطة الالتقاء أو البوابة التي تتحول عندها الأفكار غير المادية إلى تنبيه يحرك الجسم المادي. ويتم ذلك بأن تقوم النفس عند هذه البوابة بتغيير حركة ما أسماه بالأرواح الحيوية من حيث الاتجاه وليس من حيث الكم! غير أن هذه النظرية بكل ما تتضمنه من تحايل وتحوط تبدو لنا ممتنعة لأنها لا تتسق مع فكرة الجوهريين المتمايزين من جهة، ولا تتفق وقوانين الحركة من الجهة الأخرى.

وقد حاول عدد من الفلاسفة المعاصرين تقديم مذهب الثنائية مع تبادل التأثير interaction في صورة معدلة تتفق مع العلم الحديث ومع التقدم الهائل الذي أحرزته بيولوجيا العلوم العصبية. ولعل أهم هذه المحاولات وأبعدها شهرة تلك المحاولة التي قام بها سير كارل بوير بالتعاون مع سير جون إكسل J. Eccle الحائز على جائزة نوبل في بيولوجيا العلوم العصبية، وذلك في كتابهما المشترك ' النفس ودماعها The Self and its Brain- 1977 ' (المترجم)

(١٤) هناك تشبيه مشهور لتقريب فكرة الانسجام المقدر قال به جيولنكس وكذلك ليبنتز من بعده، وهو تشبيه الساعتين. من الممكن أن تتصور صانع ساعات حاذقاً يمكنه صنع ساعتين غاية في الإتقان والدقة: بحيث يظلان بمجرد بدنهما معا يدلان دائماً على الوقت نفسه في موازاة مطلقة وانضباط تام دون أن تؤثر إحداهما على الأخرى (وبوسعنا إن شئنا أن ننظر إلى أحدهما عندما يشير عقربها إلى اكتمال الساعة، بينما نسمع دقات الأخرى مما يشير الاعتقاد بأن الساعة الأولى جعلت الثانية تدق!). وهكذا الحال في عالمي العقل والجسم، فقد ضبطتهما الخالق بحيث يسيران كل في مجراه المستقل والموازي لمجرى الأخرى، بحيث أنه كلما حدثت حركة جسمية معينة يطرأ في التيار الذهني ما نظنه الحدث الذهني الصحيح المصاحب لهذه الحركة، دون أن تكون بين الحركة الجسمية والحدث الذهني أية علاقة عليّة على الإطلاق. (المترجم)

القائلة إن العالم العقلي (أو النفسى *psychical* من الكلمة اليونانية *psyche* وتعنى العقل أو النفس) والعالم الجسمى يجريان فى مضمارين متوازيين، دون أن يؤثر أحدهما فى الآخر. فعندما ترتطم أصبع قدمى بشيء فإننى أحس بالألم، ولكن ليس ما يحدث بجسمى هو الذى سبب خبرة الألم. فإذا ما سألت صاحب هذه النظرية عن السبب فى تزامن الارتطام والألم أو توازى الجسمى والعقلى، لقال لك إنه 'انسجامٌ مُقدَّر' *preestablished Harmony* أعده الله سلفاً وأحكمه. ورغم ذلك ليس بوسع أشد الناس إيماناً بالله وبخلقه للعالم أن يهضم فكرة الانسجام المقدر. فهناك سببان رئيسيان لعدم قبول فكرة توازى المضمارين مع انفصالهما التام : (١) فهى مضادة مع ما نحسه من الاتصال الوثيق والارتباط الحميم بين العقل والجسم، (٢) وهى فيما يبدو تستبعد احتمال أن يكون للمرء أى تأثير حقيقى على ما يحدث فى العالم المادى.

### المذاهب الواحدية

تأتى كلمة الواحدية من الكلمة اليونانية *monos* وتعنى 'مفرد' أو 'أحادى'. والواحدية هى المذهب القائل إن هناك خامسة أولية واحدة يتكون منها كل شيء. ويمكن أيضاً أن نُعرِّف الواحدية فى حدود المقولات، فنقول إن الواحدية هى الرأى القائل إن كل شيء فى الوجود يمكن أن نتحدث عنه من خلال معجمية أساسية واحدة. وفيما يلى ذكر لأهم المذاهب الواحدية.

### مذهب النفسانية الشاملة *Panpsychism*

النفسانية الشاملة (أو المثالية، أو المثالية الموضوعية) هى الرأى القائل إن كل ما يوجد فى العالم له طبيعة العقل/الروح/النفس. وعلى الرغم من أن مذهب النفسانية الشاملة قد تبناه عدد من كبار الفلاسفة فى الماضى، فليس بين المفكرين المعاصرين نوى النفوذ من يأخذه مأخذ الجد. من أسباب ذلك أننا قلما نجد من الناس من يستسيغ فكرة أن صخرة من الصخور قد تكون ضرباً من الذهنيات أو مكونة من شيء ما ذى طبيعة مماثلة لطبيعة العقل.

## مذهب وحدة الوجود Pantheism

هو المذهب القائل إن كل ما يوجد فى العالم هو جزء من الوجود الإلهى. وهذا المذهب شأنه شأن النفسانية الشاملة، وجد له عددا من الأنصار من كبار الفلاسفة، أشهرهم باروخ اسبينوزا (1623-1677) B. Spinoza، غير أنه أيضا مثله يفتقر الآن إلى أنصار من بين الفلاسفة المحترفين<sup>(١٥)</sup>.

## الواحدية المحايدة Neutral Monism

الواحدية المحايدة هى وجهة النظر القائلة إن هناك خامة أساسية واحدة لا هى ذهنية ولا هى مادية، وإن تكن قابلة لأن تصير ذهنية أو مادية. وعلى الرغم من أن

(١٥) إن هذا المذهب، أى وحدة الوجود أو الألوهية الشاملة هو المذهب القائل إن الله والعالم حقيقة واحدة، وأن كل ما تشتمل عليه الطبيعة ما هو إلا أعراض أو مظاهر لوجود الله، أو تجليات وفيوض مستمدة منه تعالى. هو إذن مرادف للحلول immanence، بمعنى حلول الألوهية فى الكون، ومقابل لمذهب العلو بمعنى تعالى الله عن الكون والذي يبدو أقرب إلى التصور الإسلامى السنى. عرفت وحدة الوجود فى الفلسفة القديمة مع الرواقيين وأفلوطين، وفى الفلسفة الوسيطة مع ابن عربى شيخ التصوف الفلسفى فى الإسلام، يقول ابن عربى عن الله تعالى: "ما وصفناه بوصف إلا كنا نحن ذلك الوصف، فوجودنا وجوده".

نظرت المؤسسات الدينية التقليدية إلى هذا المذهب على أنه هرطقة وتجديف، وبالمثل اعتبرته الكنيسة كفراً، وفى ميدان الأزهار بروما أحرقت محاكم التفتيش واحداً من القائلين به، وهو جيوردانو برونو عام ١٦٠٠.

أجل، رأى بعض الرومانتيكيين وسواهم أن سبينوزا على رأس القائلين بهذا المذهب فى الفلسفة الحديثة، اعتمادا على كتابه 'الأخلاق' الذى يطبق منطق استنباطى على مجموعة من التعريفات والبداهيات والمسلّمات، وبطريقة تحاكي الهندسة الأقليدية ولا صلة لها بالحدس الصوفى من قريب أو من بعيد. هكذا يبدأ سبينوزا بتعريف الجوهر بأنه شىء مستقل بذاته، ويفسر ذاته بذاته ليخلص على أن الجوهر يجب أن يكون لا متناهى وأن يكون واحداً، الجوهر إذن هو العالم ككل، وهو بالمثل الله ذاته، بتعبير آخر إذا نظرنا إلى هذا الجوهر بوصفه الطبيعة الطابعة لكان الله، أما إذا نظرنا إليه بوصفه الطبيعة المطبوعة لكان الطبيعة.. هكذا ينتهى سبينوزا إلى أن الجوهر واحد، قاله هو الطبيعة *dues sive natura*.

الجدير حقا بالذكر أن التفسيرات المحدثه لسبينوزا أبانت أن واحديته فى حقيقتها واحدة مادية، وقد قال صراحة أن الامتداد صفة الله وأن الله شىء ممتد، تماما كما أنه كائن مفكر. وبالتالي يصح القول إن الجوهر الواحد اللا متناهى الأزلى الممتد عند سبينوزا هو الطبيعة المادية فقط لا غير. انظر فى تفصيل ذلك كتابنا: فلسفة العلم من الحتمية إلى اللا حتمية، ص ١٥٨-١٧٣. (المراجعة)

واحدًا على الأقل من دعاة الواحدية المحايدة هو فى صفوف الفلاسفة البارزين، ألا وهو وليم جيمس W. James (١٨٤٢ - ١٩١٠)، فإن معظم المفكرين اليوم يلفظونها باعتبارها أشبه بتسوية غير موفقة<sup>(١٦)</sup>.

## المادية Materialism

هى المذهب القائل إن كل الموجودات لها طبيعة الجسم أو المادة. وكان هذا المذهب ذا نفوذ وتأثير ردها طويلاً من الزمن. فقد كان الفلاسفة السابقون على سقراط ماديين، لاسيما أولئك القائلين بأن العالم مركب من ذرات مادية. وظل هناك دائماً ماديون ذوو نفوذ حتى منعطف القرن العشرين. لقد استرشد الماديون المحدثون - وهم على وجه التقريب أولئك الذين ظهروا منذ القرن السابع عشر حتى نهاية القرن التاسع عشر - بالعلوم الطبيعية فى إجاباتهم عن السؤال 'ماذا هنالك؟' (فى مرحلة من المراحل كان كثيرون من العلماء يعتقدون فعلاً أن العالم فى تحليله النهائى مكون من مادة).

(١٦) لا نوافق المؤلف على ذلك، فهذا المذهب له قوة منطقية تقانع كثيرين من نوى العقول العلمية المتميزة. كانت الواحدية المحايدة شائعة بين فلاسفة الواقعية الجديدة فى أمريكا أمثال تشونسى رايت (١٨٣٠-١٨٧٥) ورالف بارتون بيرى (١٨٧٦-١٩٥٧). أهم روادها إرنست ماخ (١٨٣٨-١٩١٦)، وقد بلغها عن طريق تحليل الأشياء الفيزيقية إلى عناصر أسمائها 'الإحساسات' لأننا نكتشفها من خلال الخبرة الحسية، لكنها ليست ذهنية أو مادية، بل هى محايدة، وهى تشكل النسيج النهائى الذى يتألف منه العالم. هذا الذى بلغه إرنست ماخ فى أوروبا عن طريق تحليل الأشياء الفيزيقية، قد بلغه وليم جيمس فى أمريكا عن طريق تحليل الخبرات النفسية وذلك حتى يجعل العالم تجريبياً تماماً لا يسمح بدخول أى عنصر لا يقع فى الخبرة التجريبية؛ فانتهى هو الآخر إلى الواحدية المحايدة.

على أن أبرز دعائها على الإطلاق هو الفيلسوف والمنطقى والرياضياتى الإنجليزى الفذ برتراند رسل B. Russell (١٨٧٢ - ١٩٧٠) وقد باتت الواحدية المحايدة معه ذات قوة هائلة. فالعالم يتشكل من سلاسل من الأحداث، ترتبط بقوانين أو تسلسلات على مختلفة. الاختلاف فى طبيعة هذه القوانين يجعل بعض السلاسل تتخذ شكل المادة، والبعض الآخر يتخذ شكل العقل. لكن الخامة الأساسية المكونة للعالم، أى سلاسل الأحداث، محايدة، لا هى عقل ولا هى مادة. (المراجعة)

## النزعة الفيزيائية physicalism

فى زماننا هذا لم يعد التصور الذى يقدمه العلم عن العالم مصوغا فى حدود المادة: فقد أخذت أشياء مثل الطاقة والمجالات والقوى تحتل - شيئاً فشيئاً - مكاناً أساسياً فى صورة العالم التى يطرحها العلم المعاصر. وتبعاً لذلك بدأ المفكرون المسترشدون بالعلم يعتبرون أنفسهم نوى نزعة فيزيائية. وتُعرف النزعة الفيزيائية بأنها الرأى القائل إن كل شىء فى الوجود يرتد إلى تلك الضروب من الأشياء التى تبحثها العلوم الفيزيائية<sup>(١٧)</sup>.

## حجج النزعة الفيزيائية

إن جزءاً من جاذبية النزعة الفيزيائية هو أنها تتحلى بتلك السمة التى تتحلى بها جميع المذاهب الواحدية: وهو أنها تتلافى المشكلات التى يبدو أنها متأصلة فى أية نظرة ثنائية. تنجم هذه المشكلات من واقعة مفادها أن الثنائية تُعرف مقولتيها النهائيتين (العقل والمادة) كشيئين منفصلين تماماً لا رابط بينهما ولا تفاعل ، ثم تطمح بعد ذلك أن تفسر التأثيرات المتبادلة بين العقول والأجسام (أو تبدد ما يبدو أنه تأثيرات متبادلة).

إلا أن الدافع الفكرى الأول لاعتناق النزعة الفيزيائية يأتى من النجاح الذى حققته العلوم الطبيعية. ونعيد الآن ما أكدناه آنفاً من أنه ليس من الصواب أن يؤخذ النجاح الذى حققته العلوم الطبيعية كدليل على عدم وجود حقائق أساسية خارج نطاق البحث العلمى. فالخبرة الدينية على سبيل المثال قد تفتح لنا طريقاً إلى عالم من الحقائق قابع

(١٧) من الواضح أن النزعة الفيزيائية هى ذاتها النزعة المادية فى صورتها المتطورة بتطور الفيزياء فى القرن العشرين. هكذا نجد النزعة الفيزيائية فى جوهرها مادية متطرفة، وقد اقترنت على وجه الخصوص بالوضعية المنطقية، ورفضها كثيرون من فلاسفة العلم نوى القدر المعلى فى فلسفة الفيزياء أمثال كارل بوبر وبوانكاريه، رفضهم للمادية المتطرفة. (المراجعة)

خارج مجال النظر العلمى. وعلى الرغم من ذلك خلص مفكرون كُثر، بعد بحثهم المفصل للظواهر المتزايدة الاتساع التى يمكن للعلم تفسيرها، إلى أنه لا شىء يقع، من حيث المبدأ، خارج مجال النظرية والتفسير العلميين.

### نظريات هوية العقل/الدماغ Mind-Brain Identity Theories

على الرغم من أن النزعة الفيزيائية هى مذهب ميتافيزيقى عام، فهى بطبيعة الحال ذات صلة خاصة بفهم الإنسان لذاته. فقد كانت الإجابات الرائجة عبر العصور عن السؤال 'ما الإنسان؟' تحبذ ردوداً من قبيل 'روح' أو 'مركب من روح وجسم'. مثل هذه النظريات الرائجة قمينة بالرفض من جانب صاحب النزعة الفيزيائية المتسق مع ذاته. غير أن صاحب النزعة الفيزيائية لا يسعه إلا أن يسلم بأن العقل فى ذات الهوية مع الدماغ (أو مع الدماغ والجهاز العصبى المركزى). يطلق على هذه الواجهة من النظر 'نظرية هوية العقل/الدماغ، أو مادية الحالة المركزية' (central-state materialism) لاحظ أن نظريات هوية العقل/الدماغ يجب أن تتميز بحسم عن تلك الآراء التقليدية التى تصور الدماغ كشرط ضرورى للحياة العقلية).

هو حدس معقول، أن نقول إن الفلاسفة المعاصرين ينقسمون، بالتساوى تقريباً، إلى قائلين بهوية العقل/الدماغ وقائلين بالثنائية السيكوفيزيقية. (هناك بالطبع كثيرون من الفلاسفة لم يحسموا موقفهم بين هذين الرأيين المتنافسين، أو لا يرون ذلك ملحاً وهم فى غمرة انشغالهم بموضوعات متخصصة أخرى). ومن الممكن تفسير هذا الانشقاق بطريقتين على الأقل: فقد يرى المرء أن كثيرين جداً من الفلاسفة قد تحولوا إلى نظرية هوية العقل/الدماغ بسبب النجاح الهائل الذى حققه علم الأعصاب. فى تفسير الظواهر العقلية. وقد يرى أن كثيرين جداً من الفلاسفة امتنعوا عن هذا التحول لأن ظاهرة الوعي كما يتمتع بها البشر وكما تقع لهم فى خبرتهم تبقى غامضة ملفزة يستعصى فهمها فى حدود اللغة التى تطرحها الفسيولوجيا العصبية.

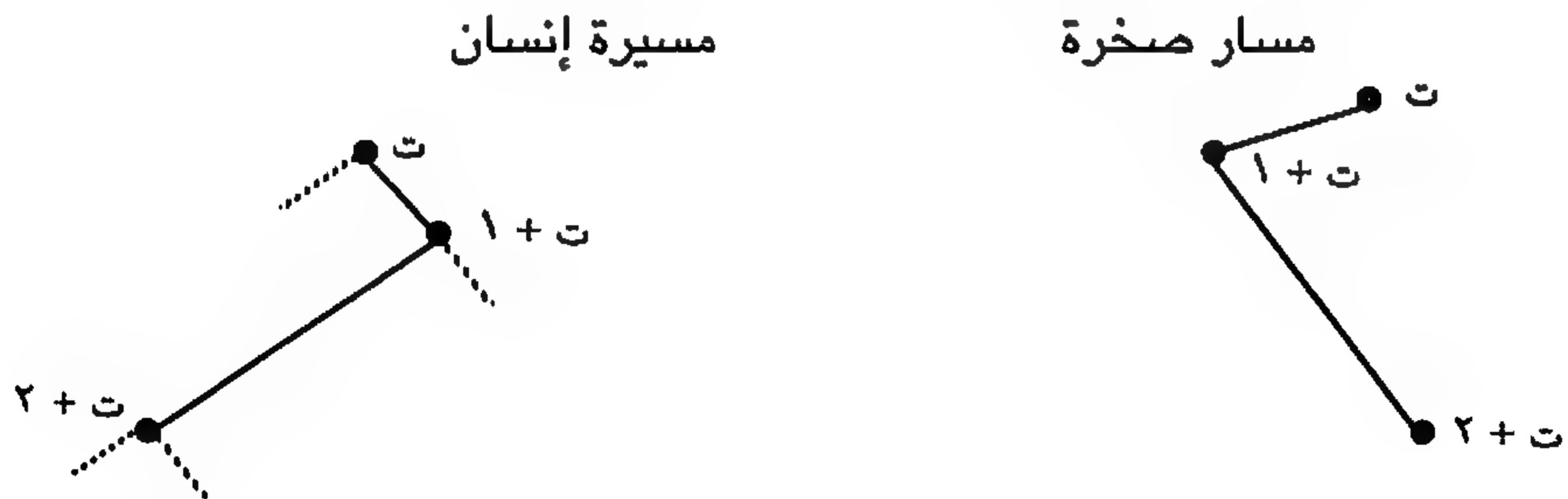
## حرية الإرادة من حيث هي مشكلة ميتافيزيقية

تقدم العلوم الطبيعية بصفة عامة تفسيرات عليّة. فهي تفسر لنا كيف أن حادثة بذاتها هي ضرورية قانونياً حين نضع بين معطياتنا الأحداث السابقة الخاصة والظروف الخلفية (وكما سوف تستدعي ذاكرتك من بحثنا للاطراد القانوني في الفصل الثالث، فإن كلمة قانونياً *nomically* تعني على أساس قوانين الطبيعة أو طبقاً لقوانين الطبيعة). ربما يكون هناك على المستوى الميكروفيزيائي (أو الكوانتم) للواقع شيء ما أشبه بتعطّل أو انهيار في الحتمية العليّة. ولكنها تظل تعمل عملها بالنسبة للأحداث والعمليات في المجال الأكبر. يظهر ذلك في حركة كريات البلياردو، فكل منها تسبب حركة الأخرى بطريقة تحتملها الأوضاع الأولى والصدمات وقوانين الميكانيكا الخاصة بذلك.

من وجهة نظر صاحب النزعة الفيزيائية في هذا المقام يسمى أيضاً صاحب النزعة الطبيعية *naturalistic* - لا يبدو أن هناك عللاً تجعل الأفعال البشرية مستثناة بالضرورة من الحتمية العليّة. فالبشر هم على كل حال جزء من العالم الفيزيقي، جزء من الطبيعة. ومع ذلك سيبقى التصور الأكثر رواجاً لحرية الإرادة يتطلب استثناء الأفعال البشرية من النظام العلي الصارم.

## مسار صخرة / مسيرة إنسان

كلما مضينا في الحياة، تبين لنا عادة الفارق بين كيفية حركتنا وكيفية حركة الأشياء الفيزيكية العادية خلال الزمان/المكان. ويمكن إيضاح ذلك في الرسم التالي :



إن كل شخص تقريباً سوف يوافق على أن موضع الصخرة في اللحظة ت (وهي لحظة البداية المفترضة) مضافاً إليها جميع القوى التي تؤثر على الصخرة، والقوانين الفيزيائية ذات الصلة، يحدد تماماً موضع الصخرة في اللحظة ت + ١ واللحظة ت + ٢ وأية لحظة تالية. ولنفترض أن الصخرة تتحدر على تل معقد كثير التضاريس. إننا قد نعجز عملياً عن التنبؤ بالمستقر النهائي لها. غير أننا سنظل نشعر أن مكان استقرارها النهائي قابل للتنبؤ من حيث المبدأ. فليس يمنعنا من التنبؤ الفعلي إلا صعوبة الحصول على وصف غاية في الدقة للظروف الأولية وتعقد الحسابات الضرورية<sup>(١٩)</sup>. إن مسار حركة الصخرة ليس له تشعبات؛ إذ ليس هناك طريق متفق مع الضرورة القانونية لم تسلكه الصخرة وقد كان بالإمكان أن تسير فيه. جملة القول إن مسار الصخرة محتوم عملياً (بإمكاننا بالطبع أن نقيم تجارب في المختبرات مستخدمين أشياء ناعمة مثل الكرات والمستويات المائلة، بحيث يصبح ما هو قابل للتنبؤ من حيث المبدأ قابلاً للتنبؤ عملياً).

ولنلتفت الآن إلى الرسم الخاص بجزء من مسيرة إنسان. إن كل نقطة في الرسم تتشعب منها خطوط هي نقطة تمثل لحظة اختيار. والخطوط المتصلة في الرسم تمثل ما تم عمله بالفعل، بينما تمثل الخطوط المتقطعة بدائل حقيقية معينة لم تسلك ولم تتبّع. فإذا كان الرسم الذي اقترحناه يحصر حقيقة الموقف الإنساني، فإن موضع الإنسان في اللحظة ت لا يحدد موضعه في اللحظة ت + ١ واللحظة ت + ٢ أو أية لحظة تالية. ذلك أن الحياة الإنسانية تتضمن لحظات اختيار حقيقية، لحظات تكون فيها البدائل مفتوحة بالفعل.. متاحة فعلاً. ونحن نعبر عادة عن هذه الحقيقة - حقيقة كون الحياة الإنسانية تتضمن لحظات اختيار - بقولنا إن البشر أحرار أو لديهم حرية.

(١٩) وحتى هذه الحالة أصبح من الممكن الآن حسابها في علم الشواش chaos (المراجعة).

## الاختيار : حقيقة أم وهم ؟

ليس كل إنسان يعتقد أن الحياة الإنسانية تتضمن لحظات الاختيار الموضحة بالرسم السابق. فالأرجح لصاحب النزعة الفيزيائية أو الطبيعانية الملتزم بمذهبه أن ينكر أن لدينا أى نوع من الاختيار الذى يتطلب تعطيل النظام العلى العام. ووفقاً لهذا الرأى، فإن ما نخبره عن حياتنا بوصفها تتطوى على لحظات اختيار - لحظات كان بالإمكان أن نفعل فيها أشياء ولكننا لم نفعل - إن هى إلا وهم ذاتى **subjective illusion** . ومن الجهة المقابلة، فإن الذين يعتقدون أن الاختيار حقيقى وليس وهماً، يجدون صعوبة فى صوغ نظرية ميتافيزيقية للاختيار ليست ممعنة فى الغموض والخفاء أو تتنطوى بشكل صريح سافر على نوع من الإعجاز.

## التوافقية / اللاتوافقية

من الصعوبة بمكان أن نتبين كيف يتوافق الاختيار والحتمية العلية وينسجمان انسجاماً متبادلاً. فقد يبدو أن هذا الذى لا أستطيع ألا أفعله، ليس بالشىء الذى يمكن أن أكون مختاراً أن أفعله. وعلى الرغم من ذلك يعتقد كثيرون من الفلاسفة أن الاختيار والحتمية متوافقان. ويسمى موقفهم هذا 'النزعة التوافقية' **compatibilism** أو 'الحتمية اللينة' **soft determinism** . ويحاول أصحاب النزعة التوافقية أن يعرفوا الحرية بطريقة معينة بحيث لا تنطوى ممارستها على تعطيل لمبدأ العلية. ووفقاً لهم يفعل المرء فعلاً حراً فقط عندما يكون ما يفعله هو ما يريده أو يرغب فى فعله. الفعل الحر ليس فعلاً غير معلول، بل هو فعل علتة هى إرادة الفاعل ورغباته. ويطلق على أولئك الذين ينكرون أن يكون الاختيار متوافقاً مع العلية - وبالتالى يرفضون تعريف التوافقيين للحرية - اسم اللاتوافقيين **incompatibilists** أو أصحاب الحتمية الصلبة **hard determinism** .

## واقعية الموضوعات المجردة

من الأسئلة الميتافيزيقية الهامة سؤال يتعلق بوضع الموضوعات المجردة **abstract objects** مثل الأعداد والمفاهيم والقضايا. فهل الإجابة الكاملة عن سؤال 'ماذا هنالك؟' ينبغي أن تتضمن تلك البنود؟ هل لدينا ما يدعونا إلى إن نلتزم بوجودها أنطولوجياً؟ إن أى بحث واضح فى مسألة الوضع الميتافيزيقى للموضوعات المجردة يجب أن يبدأ بشىء عن طبيعة هذه الموضوعات.

## الأعداد والأرقام

لكلمة 'مجرد' فى الفلسفة معانٍ عدة. إلا أنها فى هذا المقام تعنى 'منفصلاً عن المادة'. وعلينا، بادئ ذى بدء، أن نميز بين الأعداد ذاتها وبين أسمائها. ويقال لأسماء الأعداد 'أرقام' **numerals**. هناك مثلاً العدد ثلاثة. إنه عدد واحد، له أسماء كثيرة مثل: الرقم العربى ٣، والرقم الرومانى III، والكلمة الإنجليزية **three**، والألمانية **drei** وهلم جرا. إن أسماء الأعداد جزء لا يتجزأ من نشاط الاستعمال اللغوى عند البشر. وكل نقش **inscription** (يسمى أيضاً نموذجاً **a token**) لرقم من الأرقام هو موضوع فيزيقى مصنوع من الطباشير أو الحبر أو ما شئت. وكل نقش هو شىء متموضع فى مكان ما من الأماكن، ولكن العدد ثلاثة ليس متموضعا فى أى مكان.

نعم قد يفكر الناس فى العدد ثلاثة من وقت لآخر، وقد تكون أفكارهم (إذا كان صاحب النزعة الفيزيائية على حق) متموضعة فى رؤوسهم، غير أن ما يفكرون فيه - وهو العدد ثلاثة - ليس متموضعا فى رؤوسهم. إن كل من تهيأ له أن يتأمل بدقة فى الأعداد، متجنباً ضرورياً معينة من الخلط الأساسى سوف يسلم بهذا كل التسليم. وبالرغم من ذلك فقد ظل الاختلاف قائماً فى وجهات النظر حول الوضع الميتافيزيقى للأعداد (وغيرها من الموضوعات المجردة مثل المفاهيم والقضايا).

## الأفلاطونية

تعتبر الأفلاطونية Platonism أو الواقعية<sup>(٢٠)</sup> من النظريات التي مازالت تجد لها أنصاراً بين المعاصرين. لقد ذهب أفلاطون إلى أن هناك عالماً قائماً بذاته من الحقائق المستقلة عن الذهن والنفس والمادة. يشمل هذا العالم جميع الكيانات الرياضية (بما فيها الأعداد والكيانات الهندسية مثل المثلثات) وجميع المفاهيم العقلية (مثل المفهوم العقلي للأحمر والمفهوم العقلي للمائدة) ويسمى هذا العالم أحياناً عالم المثل أو الأفكار. يرى أفلاطون أن حواسنا لا تغنى شيئاً في معرفة هذا العالم، وأنه لا سبيل لنا إلى معرفة هذا العالم إلا بالرؤية العقلية الخالصة المبرأة من زيغ الحواس وتشهيتها. ويمكن أن نصوغ الحجة العقلية على وجود هذا العالم، مستخدمين حالة الأعداد كما يلي :

هناك أعداد

الأعداد لا يمكن أن تكون موضوعات فيزيقية

إذن هناك موضوعات لا فيزيقية

وعلى الرغم من أن هذه الحجة كانت ولا زالت مقنعة لكثيرين من المفكرين، فهناك أيضاً - كما أعتدنا كثيراً في مجال الفلسفة - حجة منافسة تنطلق من الاتجاه المضاد :

هناك أعداد

إذن الأعداد لا يمكن أن تكون موضوعات لا فيزيقية

لا يمكن أن يكون هناك موضوعات لا فيزيقية

(٢٠) سبق أن تحدثنا - في الفصل الخاص بفلسفة العلم - عن المعاني المختلفة لكلمة واقعية realism والتي تتباين أحياناً إلى درجة التناقض. لا شك أن مذهب أفلاطون مثالي، بالمعنى الذي يرد الوجود إلى الذهن ويجعل للفكر أولوية على الوقائع الخارجية. وهو مع ذلك واقعي بمعنى أنه يجعل للتصورات والمعاني وجوداً موضوعياً خارجاً عن الذهن، أي وجوداً واقعياً مستقلاً. (المترجم)

والآن كيف ينبغي لنا أن نعقد تقويماً مقارناً بين الحجة الأفلاطونية والحجة المضادة لها؟ ذلك أيضاً محل خلاف شأنه شأن كثير من مسائل الفلسفة. أولئك الذين يرون أن عبارة "الأعداد لا يمكن أن تكون موضوعات فيزيقية" هي أكثر وضوحاً وبداهة من عبارة "لا يمكن أن يكون هناك موضوعات لا فيزيقية" سوف يقبلون الحجة الأفلاطونية عن طيب خاطر. أما الذين يرون عبارة "لا يمكن أن يكون هناك موضوعات لا فيزيقية" أكثر وضوحاً وبداهة من عبارة "الأعداد لا يمكن أن تكون موضوعات فيزيقية" فسوف يختارون الحجة المضادة للأفلاطونية. والحق أن الحجج التي تضطلع ببحث هذا الموضوع في فلسفة الرياضيات تصمم خصيصاً بحيث تقدم مراجعات لهذه الحدوس الخاصة بالوضوح المقارن.

## المواقف اللا أفلاطونية

يتعين على أولئك الذين ينكرون وجود عالم من الأفكار المستقلة عن البشر والتي يقوم البشر باستكشافها - إن وفقوا إلى ذلك - أن يحاولوا تحليل الأعداد والحقائق الرياضية الأخرى وغير ذلك من الموضوعات المجردة، بلغة الممارسات الفكرية البشرية والأنظمة الرمزية واللغات. فمن وجهة النظر الأفلاطونية تظل الموضوعات المجردة كائنة هنالك حتى لو لم يوجد أحد من البشر. وفي المقابل ترى الآراء اللا أفلاطونية أنه لا وجود للموضوعات المجردة بمعزل عن وجود البشر الذين يتعقلونها.

## أشكال اللا أفلاطونية

هناك اتجاهات لا أفلاطونية متعددة بتعدد الطرق التي يمكن أن تحلل بها الموضوعات المجردة في حدود العمليات الفكرية البشرية. هناك مثلاً الحدسية الرياضية، وهي وجهة النظر القائلة إن الرياضيات يجب أن تقتصر على ما يمكن للبشر أن يحدسوا به أو يفهموه فهماً معرفياً. وينظر إلى هذه الواجهة من الرأي بشكل عام على أنها تنفي احتمال قيام رياضيات تبحث فيما وراء المتناهي، وتعرف من أجل ذلك باسم

مذهب التناهي *finitism* . وتعتبر النزعة الحدسية (أو مذهب التناهي) شكلاً من أشكال النزعة البنائية أو التركيبية *constructivism* التي سميت بهذا الاسم لأنها تنزع إلى أن تقصر الرياضيات على ما يمكن للبشر بالفعل أن يشيدوه (أي يحدوه تحديداً منهجياً بمصطلحات نفهمها بالفعل). وثمة موقف لا أفلاطوني آخر هو النزعة الصورية *Formalism* والذي يهدف إلى أن تُفهم الرياضيات في حدود صورية يخترعها البشر. وسف نتناول هذا الرأي بالشرح في القسم التالي.

### الأنطولوجيا الصورية

تأتي كلمة أنطولوجيا *ontology* من الكلمة اللاتينية *ontologia* التي شاعت في القرن السابع عشر، والمشتقة بدورها من الكلمة اليونانية *ontos* بمعنى الوجود. كتاب كُثر يستخدمون كلمة أنطولوجيا بالتعاض مع كلمة ميتافيزيقا، رغم أن كلمة أنطولوجيا قد أخذت تكتسب معنى محدد هو 'علم الوجود *science of being* الذي يوحى بمقاربة دقيقة محددة.

### النزعة الصورية

الصورية هي أي نسق يستلهم الرياضيات البحتة، وبخاصة الرياضيات في صورتها البديهية الواضحة، وكثيراً ما فُتن الفلاسفة المولعون بالرياضيات ببناء أنساق فكرية تتصف ببعض خصائص (وفضائل) الرياضيات. في القرن السابع عشر مثلاً قدم الفيلسوف الهولندي سبينوزا مذهب الميتافيزيقي على طريقة الهندسة. وفي القرن العشرين قدم عدد من الفلاسفة أنساقاً من الميتافيزيقا الصورية مستلهمين بل ومستخدمين التطورات الحديثة في المنطق الرياضي ونظرية المجموعات. ويطلق على كل نسق من هذه الأنساق اسم أنطولوجيا صورية.

## الأكسوماتية

يطلق على عملية وضع الأفكار فى شكل رياضى اسم الأكسيوماتية axiomatization ، وهى تتضمن العناصر الآتية: (١) تقسيم الحدود المفتاحية إلى حدود غير مُعرّفة (تسمى أيضا بالحدود البدئية) واستعمال هذه اللا معرفات فى تعريف جميع الحدود الأخرى تعريفاً صريحاً واضحاً؛ (٢) البدء بمجموعة صغيرة من البديهيات (أو المبادئ الأساسية)؛ (٣) اتباع مجموعة من قواعد التحويل، أو المبادئ المنطقية الخالصة؛ (٤) استخلاص المبرهنات theorems الخاصة بالنسق المعنى من التعريفات والبديهيات باستخدام قواعد التحويل. (لعلك أيها القارئ قد صادفت كل هذه العناصر والإجراءات فى منهج الهندسة بالمدارس الثانوية).

## تطبيقات الأنطولوجيا الصورية

تمخضت هذه المقاربة الصورية للميتافيزيقا عن عدد من الأنساق الشائقة. حاول بعض هذه الأنساق تعريف الكيانات المجردة فى حدود الكيانات العينية. وحاول بعضها تعريف الأحداث فى حدود تغير فى الخاصية، أخذا كلمة 'خاصية' property مأخذ الحد الخاصة بالبدئى. ومن التطورات المثيرة للاهتمام تلك الأنطولوجيا الصورية الخاصة بالكل والجزء والمسماة 'ميريولوجيا' mereology .

## مجمل

الميتافيزيقا كما رأينا هى الاسم الذى يطلق على تلك الأنشطة الفكرية التى تحاول أن تقدم البيانات الأساسية أو توضح المقولات الأساسية. إن الميتافيزيقا تهدف إلى جلاء تفكيرنا عن الواقع وتحسينه. ويرى بعض الميتافيزيقيين أن مهمتهم هى أن يتناولوا بالشرح والتوضيح تلك المقولات الأساسية التى يستخدمها الناس بالفعل ويعبرون عنها بلغاتهم الطبيعية التى يتحدثون بها. ويطلق على الميتافيزيقا التى تنحو هذا المنحى اسم الميتافيزيقا الوصفية. وهناك فصيل آخر من الميتافيزيقيين يرفضون المقولات العادية

أو السابقة على النظرية ويريدون أن يستبدلوا بها مقولات جديدة من وضع الفلاسفة وتصميمهم. ويطلق على الميتافيزيقا التي تتجه هذا الاتجاه اسم الميتافيزيقا المراجعة.

يعترف معظم الفلاسفة بأن العلوم الطبيعية تساعدنا على الإجابة عن سؤال 'ماذا هنالك؟ (ماذا يوجد؟)'، غير أنهم يابون علينا أن، نفترض بون دليل أن ما يدرسه العلم هو وحده الواقع، ويرون أن، هذا الافتراض متهافت وغير فلسفى. وتُمتحن كفاية العلم فى وصف الواقع كله، وتكون هدفا جليا للنقد، حين يكون الأمر متصلاً بالنفس البشرية وفهم الإنسان لذاته. فهل علينا الاعتقاد بأننا مجرد أنظمة جسمية حيوية معقدة، أم نعتقد أن لدينا أيضا نفوساً (أو أرواحا أو عقولاً)؟

تعرف هذه المسائل مجتمعة باسم مشكلة العقل/ الجسم. هناك وجهة من الرأى بهذا الصدد تذهب إلى أن العقل والجسم لفظان يطلقان على صنفين من المادة الخام متميزين تمايزاً جوهرياً بحيث يتعذر تحليل إحداهما فى حدود الأخرى. ويطلق على هذه الوجهة من الرأى اسم الثنائية اليكوفيزيقية. إن ما تدعيه الثنائية فى حقيقة الأمر هو أن ليس كل شىء فى الوجود من النوعية التى تضطلع بدراستها العلوم الطبيعية. وهناك من الجهة المقابلة وجهة أخرى من الرأى تدعى أن كل ما هو موجود - بما فى ذلك الحياة العقلية والخبرات الباطنة للكائنات الإنسانية - هو مما تدرسه العلوم الطبيعية، أو مما يمكنها بالفعل أو من حيث المبدأ أن تدرسه. ويطلق على هذه الوجهة من الرأى اسم النزعة الفيزيائية، وهى صورة من صور الواحدية ترى أن كل ما هو بالوجود هو فيزيقى الطابع، أى من النوعية التى تضطلع العلوم الطبيعية بدراستها.

من الصعوبات التى تواجه النزعة الفيزيائية أن الاختيار، كما نفهمه فهما طبيعيا تماماً، يبدو أنه ينطوى على تعطيل للنظام العلى العام للطبيعة. ومن ثم فإنه على صاحب النزعة الفيزيائية إما أن ينكر أن حياة الإنسان تتضمن لحظات اختيار، وإما أن يبين لنا كيف يكون الاختيار - على الرغم من كل شىء - متفقاً مع الحتمية العلية التى يبدو أنها تسود كل جوانب الطبيعة.

وهناك صعوبة أخرى تواجه الرأي القائل بأن كل شيء في الوجود هو فيزيقي الطابع. وهي صعوبة يطرحها الطابع الخاص بتلك الموضوعات المجردة كالأعداد. وقد رأينا أننا لا يمكن أن نوحّد بين الأعداد وأسماء الأعداد (أى الأرقام). فهل يعنى ذلك أننا يجب أن نلتزم أنطولوجياً بوجود الموضوعات المجردة غير الفيزيكية، فضلاً عن الموضوعات العادية التى هى فيزيكية وعيانية؟ وهذا كما رأينا سؤال لا يجمع فيه الفلاسفة على إجابة واحدة، أو يتناولونه بالطريقة نفسها.

وفى نهاية هذا الفصل عرضنا لمحاولات استخدام الرياضيات فى فهم الميتافيزيقا (وبخاصة لإنتاج أنساق أكسيوماتية) وقلنا إن هذه المحاولات، ولاسيما فى الأزمنة الحديثة، قد أفضت إلى عدد من الأنساق يعرف بالأنطولوجيا الصورية.



## الفصل الخامس

### فلسفة العقل

#### مدخل

تشتمل فلسفة العقل philosophy of mind على مجموعة متباينة من المسائل والمشكلات والقضايا المتعلقة بما هو ذهني (أو سيكولوجي). إن التساؤلات الأساسية حول العقل ووضعه وحول علاقة العقلي بالجسمي هي تساؤلات تنتمي إلى الميتافيزيقا، وقد تناولناها بالبحث في الفصل الرابع. أما في هذا الفصل فلنا عودة إلى السؤال: هل من الممكن، وإن يكن من حيث المبدأ، أن نفسر كل الظواهر العقلية (أو السيكولوجية) تفسيراً فيزيائياً؟ أو بعبارة أخرى: هل العقل هو تلك النوعية من الأشياء التي يمكن أن تكون موضوعاً للعلوم الفيزيائية تتناوله بالبحث والدرس؟ إننا في هذا الفصل نلقى أضواء جديدة على الوضع الميتافيزيقي للعقول إذ ننظر في حياتنا العقلية ونتأمل خصائصها وما يميزها، بادئين ببحث اللغة المستعملة في وصف الحياة العقلية (والتي توفر عليها الفلاسفة ودرسوها بعناية ودأب). ثم نشفع ذلك بنظرة إلى ما يتم بذله في مجال علم النفس وفي المبحث البيئي المسمى بالذكاء الصناعي. ولكي تكمل صورتنا عن العقل بالتنظير التحليلي النفسي الذي يعنى بموضوعات من قبيل اللا شعور وخداع الذات والدافعية والعقلانية، ويدرجها تحت عنوان علم النفس الفلسفي.

وقد كرسنا شطراً من هذا الفصل لبحث 'القصدية' intentionality التي يعتبرها كثيرون من الفلاسفة بمثابة ماهية ما هو عقلي. وعلى الرغم من أن مفهوم القصدية عويص يصعب شرحه، فإن الفكرة الأساسية فيه هي أن الأفعال القصدية

(وتسمى أيضاً الأفعال العقلية أو الذهنية) هي بعينها تلك الأفعال القادرة على تناول الأشياء التي لا توجد. فعلى سبيل المثال، قد تأمل طفلة (تأمل فعل عقلي مثالي) أن يتحفها بابا نويل بالهدايا، وإن يكن بابا نويل كائنًا غير موجود.

وسوف نكتشف في هذا الفصل أن كيفية تحليل الأفعال القصدية أو العقلية هي مسألة خلافية. فبينما نجد المذهب السلوكي بصوره المختلفة يربط الأفعال العقلية أو الذهنية بالسلوك الظاهر، فإن المذهب الوظيفي functionalism يربطها بوظائفها، أى بوظائف كائنات عضوية تتفاعل مع بيئاتها. على أن هناك محاولات لتفسير الحياة العقلية ليست من المذهب السلوكي ولا الوظيفي فى شىء، لعل أهمها تلك المحاولة المرتبطة باسم الفيلسوف لدفيج فتجنشتين (١٨٨٩-١٩٥١).

سوف نبحث أيضاً في حالة 'الذاتية subjectivity' ووجهة النظر الذاتية، والطابع المميز للوعي، ومن أجل ذلك نلم بعض الشىء بمفهوم الخبرة experience . وسوف نعرض أيضاً لمفهومين على جانب كبير من الأهمية في فهم الحياة الداخلية هما 'الخصوصية privacy' و 'المدخل ذو الامتياز privileged access' .

ثمة جانب كبير من البحث المعاصر في فلسفة العقل ينصب على السيكولوجيا الشعبية، ولعل خير وصف لهذه السيكولوجيا هو أنها ذلك اللون من الفهم السيكولوجي الذي يستخدمه معظمنا في تفسير سلوكه وسلوك الآخرين. يقوم هذا التفسير على الاعتقادات والرغبات، ويستشف في سلوكنا صنوفاً من الاعتقاد والرغبة. وسوف نتساءل في هذا الفصل عن مدى كفاءة السيكولوجيا الشعبية، وعن مدى نجاح التفسير القائم على فكرة الاعتقاد والرغبة، وعن إمكان وجود بديل يغنيها عن السيكولوجيا الشعبية، وعن مدى نجاح التفسير القائم على فكرة الاعتقاد والرغبة. (ولا يفوتنا أن نحذر من الخلط بين السيكولوجيا الشعبية التي نستخدمها جميعاً وبين السيكولوجيا الرائجة التي تشير عادة إلى صيغة ميسرة مبسطة من علم النفس الأكاديمي و/أو التحليل النفسي).

وسوف نعرض فى ختام هذا الفصل لكل من الإضاءات والتعقيدات التى نجمت عن مجالين متواشجين من البحث المعاصر: علم النفس المعرفى **cognitive psychology** وعلم الحاسوب (الكومبيوتر)، حيث تبرز أسئلة كبرى : هل العقول البشرية شبيهة بالكومبيوتر؟ هل باستطاعة الكومبيوتر أن يفكر؟ هل بالإمكان صناعة كمبيوتر شديد الشبه بنا بحيث يكون 'شخصاً'؟ هل بالإمكان تصور ذلك؟

### الميتافيزيقا والعقل

لا شك أن الآراء الميتافيزيقية الأساسية للمرء، سواء أكانت ثنائية أم فيزيائية النزعة، تؤثر فى مفهومه عن العقل. أصحاب النزعة الفيزيائية يتوقعون أن المزيد والمزيد من حياتنا العقلية سوف يسلم قياده للتفسير الفسيولوجى العصبى. أما الثنائيون فيفترضون أن العلم مهما حقق من تقدم لن يمكنه أن يقدم تفسيراً كاملاً لما هو عقلى. ولا غرو، فإن تكون ثنائياً يعنى بالتحديد أن ترى أن هناك شيئاً ما يبقى دائماً عصياً على التفسير المادى، وإن من حيث المبدأ، ولا يسلم نفسه للمنهج التنبؤى/ التجريبى/ التفسيرى/ النظرى الخاص بالعلوم الفيزيائية.

على أن الآراء الميتافيزيقية الأساسية لا تقدم جواباً شافياً لجميع المسائل المتعلقة بالعقل. ذلك لأنها لا تحسب حساباً لما نتعلمه من دراسة الظواهر العقلية ذاتها. ولأنها من جهة أخرى لا تميز أو تتبين أن ما هو عقلى أو ذهنى شىء مستقل (وبخصوص الاستقلالية العقلية انظر مناقشاتنا للواحدية الشاذة فيما بعد).

### التعلم من الظواهر العقلية

نحن جميعاً نعلم الشىء الكثير عما هو عقلى أو ذهنى، لأن لدينا عقولاً. ونعلم عن الخبرة لأن لدينا خبرة وستبقى لدينا خبرة مادامنا على قيد الحياة. ونعلم عن الوعى لأننا نعى، بل إننا - فى بعض الأحيان على الأقل - نعى أننا نعى. ومن ثم قد يتساءل المرء عن حق: أى عجب فى هذا وأى لغز يمكن أن ينطوى عليه هذا المجال المألوف؟

لا شك أن كلاً منا، بمعنى من المعاني، هو الحجة المطلقة والمرجع النهائي فيما يتصل بحياته الباطنية. وأنه لمن الطاول والتوقع في معظم الأحيان أن يحاول شخص آخر أن يخبرنا بما نفكر فيه أو نشعر به. إلا أن أياً من ذلك لا يترتب عليه بالضرورة أن بإمكاننا تقديم وصف فلسفي شافٍ لما هو عقلي أو ذهني. على سبيل المثال، حين ننوي القيام من مقعدنا فإن جسدنا يشرع في حركات معينة، فهل نحن نفهم حقاً لماذا تبدأ هذه الحركات؟ ونحن قد نعي أحياناً أننا نلاحظ موضوعات بعينها في بيئتنا قد استأثرت باهتمامنا/ ولكن هل نعرف حقاً كيف يعمل هذا الانتباه الانتقائي؟ وكيف لا يتنازع بؤرة اهتمامنا أي موضوع آخر ولو على سبيل التفحص والتثبت من أنه لا يعيننا كيما نتجاوزه ونتغاضى عنه؟ إن هذه إلا بضعة من أسئلة لا يعيننا الاعتقاد والإلف - الإلف النابع من الداخل - إن صح التعبير - على الإجابة عنها.

إن أشد خبراتنا العقلية إلفا واعتياداً - مثل رؤية تفاحة حمراء أمامنا على المائدة - تتصل اتصالاً وثيقاً بعمليات معينة (فسيولوجية عصبية، بصرية، تأويلية) وبوسعنا أن ندرك ذلك بقليل من التأمل، غير أننا لا نعي هذه العمليات في ذاتها. إننا نعي التفاحة ولسنا نعي عدسات العين إذ تركز الضوء المنعكس من سطح التفاحة. يتفق كل من الثنائيين والواحديين على أن الخبرة تنطوي على أكثر مما يعيه صاحب الخبرة. غير أن الواحديين يرون أننا إذا أخذنا بالاعتبار كل ما ينبئنا به العلم من حقائق عن أنفسنا وعن كيفية تأديتنا لوظائفنا مما لا يقع في خبرتنا المباشرة، فإن خير ما نراهن عليه هو أننا كائنات فيزيقية قلباً وقالباً.

لا جرم يرفض الثنائون ذلك (اعلم أن كلمة ثنائية هنا اختصار للثنائية السيكوفيزيقية)، فهم يرون أن لحياتنا العقلية ملامح وقسمات لا يمكن أن تكون فيزيقية<sup>(١)</sup>. وسوف تبزغ لنا حجج الثنائية طوال هذا الفصل. ولنتأمل الآن حجة بسيطة من هذه الحجج:

(١) كلمة physica (الفيزيقي) الإنجليزية تسع المعاني الثلاثة: مادي / جسمي / فيزيائي، جميعاً وتعنيها كلها معاً. ومن ناحية أخرى قد يبدو من الأوفق أن نستخدم مصطلح 'فيزيائي' لما هو إبستمولوجي أي منتم لعلم الفيزياء، ومصطلح 'فيزيقي' لما هو أنطولوجي أي منتم للوجود المادي الجسمي. (المراجعة)

بعض الحالات العقلية في صميمها حالات عن

ليس هناك حالات جسمية هي حالات عن

إذن بعض الحالات العقلية ليست حالات جسمية

نرجو أن يلاحظ القارئ أن 'عن' هنا ليست حرف جر أخطأ مكانه أو أُسيى وضعه، بل هو وسيلة بسيطة للإشارة إلى معنى 'العنية aboutness' (أو الطابع الاحتوائى التضمينى أو التمثيلى للحالات العقلية). سيفطن الطلاب إلى أن هذه الحجج هي تنويع على الحجة الديكارتية الأساسية (انظر الفصل السابق). وعلى الرغم من أن كثيرين من الفلاسفة يرون مثل هذه الحجج مقنعة تماماً، فإنه ليس هناك اتفاق حول ما تؤسسه هذه الحجج، إذا صح أنها تؤسس شيئاً. كل ما نريد أن نلفت النظر إليه هنا هو أنه على من يشرع فى دراسة العقل بالالتزام مسبقاً بالنزعة الفيزيائية، ثم يجد هذه الحجة قاطعة صحيحة: فإن عليه أن يتخلى عن هذا الالتزام. وعسى أن يكون مثل هذا الشخص قد تعلم شيئاً عن طبيعة الواقع بصفة عامة (أى عن إجابة: ماذا يوجد هناك؟) من خلال دراسة طبيعة العقل.

## الواحدية الشاذة

ثمة احتمال هام ينبغى أن يستوقفنا هنا، وهو أن الشخص الذى يرى أن الكائنات البشرية ما هي إلا أنظمة بيولوجية شديدة التعقيد (كثيرون من الناس يرون هذا بالفعل، ربما من منطلق: ماذا عساها أن تكون غير ذلك؟) لا يلزمه افتراض أن قوانين الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا تخبرنا بأى شىء ذى قيمة عن الحياة العقلية للإنسان. فحتى لو صحت النزعة الفيزيائية فسوف يبقى هناك احتمال لأن تكون الحياة العقلية شيئاً مستقلاً وأن تكون للذاتية قوانينها الخاصة، وأن يظل من الأفضل لنا أن نتنبأ بالسلوك المستقبلى على أساس الاعتقادات والرغبات، لا على أساس حالات المخ أو أى شىء آخر قد نتعلمه من الفسيولوجيا العصبية.

ولنأخذ هنا بضع مقارنات قد تسعفنا فى إيضاح ما نريد أن نقوله. فكلنا يعرف مثلاً أن الطقس هو نظام فيزيائى خالص تتألف مادته الأولية من بخار الماء والضغط الغازى .... إلخ. غير أن هناك علماً للطقس يتمتع بنجاح تنبؤى متواضع هو علم الأرصاد الجوية. ليس علم الأرصاد الجوية فيزياء وكيمياء انضماً معاً، بل هو علم ينطوى على قدر من الاستقلالية. مثال آخر: من المؤكد أن اللوحات الفنية مصنوعة من مواد كيميائية ولا شىء غير مواد كيميائية. غير أن أسباب نجاح اللوحات أو فشلها موضوع لا صلة لعلم الكيمياء به من قريب أو بعيد. الخصائص الجمالية أو الفنية للوحات هى ببساطة جوانب لا يمكن أن يتناولها علم الكيمياء أو يفتى فيها بشىء. تظهر لنا مثل هذه المقارنات على أن الاعتبار الخاصة بالخامة الأولية لشيء ما لا تعنى شيئاً فى الحديث عن خصائص هذا الشيء، ناهيك بتفسيرها.

إن خصائص الحياة العقلية البشرية التى تعيننا الآن (والتي هى خصائص حقيقية على كل حال) لها هى الأخرى نوع من الاستقلالية. من يعثر على ورقة مالية من فئة المائة دولار ملقاة فى بالوعة ولا يدعى أحد ملكيتها، سوف يلتقطها. هذا تعميم سيكولوجى (موثوق به إلى حد كبير) مستقل تماماً عن الفسيولوجيا العصبية. هذه النظرة التى تعتبر البشر مكونين من أجزاء فيزيائية خالصة من نون أن تخضع حياتهم العقلية للعلوم الفيزيائية ونظرياتهم وتفسيراتها تسمى بالواحدية الشاذة *anomalous monism* . فهى واحدة لأنها تقر مادة أولية واحدة. وهى شاذة<sup>(٢)</sup> لأنها تنكر أن حياتنا العقلية يمكن تفسيرها بواسطة الاطرادات القانونية لعلم الفيزياء، أى تلك الاطرادات القائمة على قوانين الطبيعة التى تؤسسها العلوم الفيزيائية.

(٢) الشذوذ هنا يعنى بالتحديد الشذوذ عن الاطراد القانونى للعلوم الفيزيائية. بمعنى أن الأحداث العقلية، بالرغم من كونها أحداثاً فيزيائية فى صميمها ومادتها الأولية، إلا أنها تند عن أى وصف يسمح بترسيم تعميمات قانونية. وجدير بالذكر أن مفهوم الواحدية الشاذة هو من ابتكار الفيلسوف الأمريكى د. ديفيدسون D.H. Davidson (١٩١٧ - ٢٠٠٣). (المترجم)

## فلسفة العقل والمباحث المتصلة بها

تتصل بفلسفة العقل أفرع تعرف بفلسفة علم النفس وعلم النفس الفلسفى. ورغم أن هذه التسميات للأسف لا تُستخدم على وتيرة واحدة أو باتساق وانسجام من قبل جميع الكتاب، فبإمكاننا أن نتخير المعنى الاصطلاحي لها وفقاً للنمط السائد فى الاستعمال.

**فلسفة العقل :** هى تحليل يتناول جميع المفاهيم المتصلة بما هو عقلى، وهى بذلك تتداخل بشكل واضح مع جوانب من الميتافيزيقا. ونكرر هنا أن 'فلسفة العقل' مبحث فلسفى خالص، وتصورى محض وتحليلى صرف (سنناقش لاحقاً فى هذا الفصل واحداً من أهم المفاهيم التى تنتمى إلى فلسفة العقل، وهو مفهوم القصدية).

**فلسفة علم النفس :** تشير فلسفة علم النفس إلى كل خطاب تأملى (أو ذى مستوى شارح) يتناول علم النفس ونتائجه. ويرى كثيرون من الفلاسفة المعاصرين أن علم النفس - وبخاصة فرعه المعروف باسم علم النفس المعرفى والذى يدرس جميع العمليات السيكلوجية المتصلة بالمعرفة - ذا صلة مباشرة بفهمنا للتصورات العقلية. وبدلاً من أن يقفوا خارج علم النفس ويتأملوا مناهجه ونتائجه كما يوحى اسم 'فلسفة علم النفس' فقد اهتم هؤلاء الفلاسفة بتأسيس فرع من البحوث البينية يقع بين فرعى الفلسفة وعلم النفس المعرفى ذاتهما ويربطهما معاً.

**علم النفس الفلسفى :** عادةً ما يحتفظ بهذا الاصطلاح لبعض الموضوعات الأكثر تخصصاً، والتى يطرح التحليل النفسى النظرى والعملى عدداً كبيراً منها. ورغم ما ينجم فى هذا الحقل البحثى من مسائل شائعة فإن بالإمكان الوصول إلى فهم أساسى لطبيعة العقلى بون النظر فى هذه المسائل.

## خصائص الظواهر العقلية

تتسم الحياة العقلية للكائن البشرى بالتراكب والتعقيد. ورغم أننا نألف حياتنا العقلية ونعتادها كأشد ما يكون الإلف والاعتیاد، فإنها من التعقيد والتراكب بحيث يعسر علينا كفلاسفة أن نقدم مخططاً واضحاً للعقل وأن نقف على خصائصه المميزة. يقدم لنا هذا الفصل بعضاً من التحديدات الأكثر دلالة وأهمية في وصف الظواهر العقلية وإبراز ملامحها. يعرض هذا الفصل أيضاً لمفهوم 'القصدية' الذي يعتبره كثيرون من الفلاسفة المعاصرين بمثابة ماهية الظواهر العقلية أو السمة المميزة لهذا النوعية من الظواهر.

ونحن نلفت نظر القارئ إلى أنه لا توجد طريقة مثلى لوصف الظواهر العقلية ورسم مخطط يمثلها. فكل من الخصائص التي سنعرض لها توجه انتباهنا إلى ملمح أو ميزة رأى بعض الفلاسفة أنها هامة ودالة وتسلط الضوء على جوانب عديدة من مجال الظواهر العقلية، ذلك المجال المعقد والدقيق العصى على الإدراك والفهم.

## الحالات العقلية الجارية وغير الجارية

يقال للظواهر العقلية التي تشبه الحدث في طابعها والتي يمكن تأريخها أنها ظواهر جارية أو حادثة *occurrent*. مثال ذلك أن أدرك فجأة أن ق، أو أفكر في س، أو أبدأ في الشعور بالـم. أما الظواهر العقلية التي لا تشبه الحدث ولا يمكن تأريخها فتسمى ظواهر غير جارية (غير حادثة) *nonoccurrent*. أهم مثال لهذه الظواهر الأخيرة هو الاعتقادات. مثلاً اعتقادي أن  $11 + 12 = 24$  ليس شيئاً يحدث لى ولا هو بالشئ الذى يمكن أن اعتبره جارياً. أما بالنسبة للرغبات، فإن عملية الشعور برغبة ما تعتبر فى العادة حالة حادثة أو جارية، أما أن يكون لى رغبة ما فهو حالة غير حادثة أو غير جارية.

## الميول

يساوي بعض فلاسفة العقل بين الظواهر العقلية غير الجارية وبين ما نطلق عليه  
تكنيكيا الميول أو النزوعات dispositions . ومن الواضح أن كثيرا من الخصائص غير  
العقلية هي خصائص تعود إلى الميول أو النزوعات. مثال ذلك خاصية الهشاشة؛  
فالشئ الهش يميل إلى أن ينكسر في ظروف معينة. كذلك القابلية للذوبان؛ الشئ  
القابل للذوبان يميل (أو قل على وجه التقريب إن لديه استعدادا) لأن يذوب في ظروف  
محددة.

ويبدو أن بعض الأفعال العقلية تأخذ نفس الهيئة (الأفعال العقلية أو الذهنية كما  
أسلفنا هي تلك الأفعال التي تتجه - بعكس الأفعال المادية - إلى موضوعات قد توجد  
وقد لا توجد. أفعال مثل: يعتقد، يرغب، يأمل، يخاف.. هي نماذج للأفعال العقلية).  
إن امتلاكى لرغبة فى شئ ما قد يصل إلى ميل لالتماس هذا الشئ، أى محاولة  
الحصول عليه إن استطعت. وتقاس قوة الرغبة بقدر جدية المحاولة والاستعداد للبدل.  
اعتقادي بأن ألبانيا هي عاصمة ولاية نيويورك يجعل بى ميلاً - ضمن غيره من الميول -  
إلى أن أجيب: ألبانيا، إذا ما سألنى سائل عن عاصمة ولاية نيويورك.

## الحالات العقلية الواعية وغير الواعية

يبدو أن الظواهر العقلية الجارية، مثل إدراك شئ ما أو ملاحظته أو التفكير فيه  
أو رؤيته أو الشعور به، تفترض الوعي وتشتمل عليه. فأن يحدث لى شئ ما أو يجرى  
إنما يعنى أننى أعى هذا الشئ على نحو من الأنحاء. بعبارة أخرى، يمكن القول إن  
الحالة العقلية الجارية للشخص س ، هي حالة يدري بها س ويعيها. وهذا ما جعل  
الفلاسفة يعتبرون التمييز بين الحالات العقلية الجارية وغير الجارية هي صورة أخرى  
للتمييز بين الحالات الواعية وغير الواعية. على أن الوعي درجات ومراتب، تتفاوت بين  
الساطع الحاد والمعتم الكليم. فهل من الجائز لنا أن نعتبر الدرجات الضئيلة من الوعي  
حالات جارية؟ ذلك شئ غير واضح ويبقى دائما موضع خلاف.

إذا انتقلنا الآن إلى الاعتقادات والرغبات غير الجارية فإن السؤال الذى يطرح نفسه هو: كيف يتأتى للشخص الذى لديه هذه الاعتقادات والرغبات غير الجارية أن يعلم بها؟ كيف لى أن أعرف ما أعتقد؟ وكيف لى أن أعرف ما أرغبه؟ هل من الممكن أن تكون لى اعتقادات ورغبات لا أدرى بها على وجه الإطلاق؟ هذه أسئلة تفضى بنا إلى العقل اللا شعورى. وما يزال فلاسفة العقل مختلفين حول مفهوم اللا شعور وما زال بعضهم ينكر أن لدينا لا شعوراً. بل إن البعض لينكر أن يكون لمفهوم اللا شعور أى معنى. ومن ثم، ليس هناك أدنى اتفاق بصدد ما يجب أن يكون عليه التحليل الصحيح لهذا المفهوم الغامض. ولعله من المقاربات القويمة فى هذا الشأن، والتي تحرص على ألا يجرى تصور اللا شعور كمكان أو وعاء، هو أن نعرف اللا شعور فقط فى حدود 'صعوبة المنال'. قياساً على ذلك لا تكون معتقداتى الحسابية لا شعورية، لأننى وإن كنت غير واعٍ بها أحياناً فبإمكانى متى شئت أن أصل إليها بسهولة. وذلك بعكس ذكريات الطفولة الصادمة، فهى قد تكون لا شعورية من حيث أنها صعبة المنال وصعبة الاستحضار إلى حيز الشعور. هكذا يتبين لنا، طبقاً لهذا التحليل، أن مسألة اللا شعور هى مسألة درجة ومرتبة.

### أفعال الاعتزام وأفعال الإنجاز والعمليات العقلية

كان جليبرت رايل G. Ryle أول من اقترح تقسيم الأفعال العقلية إلى أفعال اعتزام **task verbs** وأفعال تحصيل **achievement verbs**. الفعل 'يبحث عن' مثلاً هو فعل اعتزام مميز: من الجائز أننى 'أبحث عن' كتاب ما دون أن أجده، ومن الجائز أيضاً أن أنجح فى مهمتى وأجده. أما الفعل 'وجد' فهو فعل إنجاز مميز. وجميع أفعال الإنجاز تنطوى فى داخلها على شروط نجاح المهمة، وهذا ما يفسر لماذا يجوز عقلاً أن أقول: 'بحثت عن الكتاب فلم أنجح فى ذلك، بينما لا يعقل أن أقول: 'وجدت الكتاب فلم أنجح فى ذلك'.

من أمثلة أفعال الإنجاز التي قدمها رايل: يتهجي، يمسك، يحل، يجد، يكسب، يشفى، يخدع، يقنع، يصل. وهناك ثلاثة أفعال إنجاز أخرى على جانب كبير من الأهمية هي: يرى، يكتشف، يعرف. وحين نقول أن هذه الأفعال هي أفعال إنجاز فإن ذلك يعنى أنه لا بد، إلى جانب العمليات السيكلوجية التي تجرى فى نفس الشخص الذى ننسب إليه الفعل، أن تتوافر هناك بعض الشروط الموضوعية المستقلة عن علم النفس. من ذلك أنه مهما تكن خبرتى المباشرة وطابعها فليس بإمكانى أن أرى س ما لم تبدأ عملية الرؤية بأشعة ضوئية منعكسة من سطح س. ولنفس السبب يستحيل على أن أكتشف كوكبا عاشرا، مهما تكن طموحاتى الفلكية، ما لم يكن هناك كوكب عاشر. وأخيرا يستحيل أن أعرف أن ق، مهما تكن اعتقاداتى، ما لم تكن ق صادقة.

### القصدية أو الموقف القصدى

توصف الظواهر العقلية بأنها 'قصدية' من حيث أنها تدور حول شيء ما مستقل عنها، أى أنها تشير إلى هذا الشيء أو تعمل كتمثيل له، سواء أكان تمثيلاً صائباً أو خاطئاً. بعبارة أخرى، يمكن القول عن حالة عقلية ما إنها قصدية وفقط إذا كانت هذه الحالة ذات محتوى أو مضمون تمثيلى. (اعلم أن كلمة 'قصدية' و'قصدى' تستخدمان هنا بمعنى تكتيكى من أجل ألا يختلط بمعناها حين يردان فى اللغة العادية).

إن قصدية الظواهر العقلية شيء وثيق الصلة بقدرة العقل على تكوين تمثيلات representations للعالم (أو تمثيلات خاطئة misrepresentations فى بعض الأحيان). إن الأفكار والاعتقادات وكثير من حالات العقل الأخرى، فى حالاتها النموذجية، تبدو على أنها تدور حول شيء ما. إنها تشير وتحيل إلى شيء ما خارجها. تسمى هذه الخاصية أحياناً 'المحتوى القصدى' intentional content وهو قصدى لأنه لا ضامن هناك لأن يكون أى شيء فى العالم الموضوعى مطابقاً لهذا المحتوى العقلى.

ولا شك أن القصدية سمة من أهم سمات حياتنا العقلية. ومع ذلك ليس من الصواب أن نذهب إلى أن جميع الظواهر العقلية لا بد أن تكون قصدية الطابع. بعض الإحساسات والمشاعر الجسدية كالآلم والحكة والدغدة وما إليه يصعب أن نجد

لها محتوى تمثيليًا. إن الدغدغة والحكة والألم تعد حالات عقلية من حيث أنها تقع في وعي شخص ما، بل لا يمكن أن توجد إلا بوجود شخص ما يعيها ويدركها (ومن المحال أن يكون بي ألم لا أعى به على الإطلاق - ألم لا أشعر به) ولكن أى هو المحتوى التمثيلي لهذه الحالات؟ قد يكون الألم بسبب حالة جسمية ولكنه ليس ألما 'عن' هذه الحالة.

### معياران للعقليات

يبدو في ضوء هذه الاعتبارات أننا ربما نستند إلى معيارين لتحديد ما هو عقلي أو ذهني. فنحن - أولاً - نعد شيئاً ما ظاهرة عقلية فقط في حالة إذا ما اقتصر وجود هذا الشيء على الوعي واستحال أن يوجد إلا في الوعي. ونحن - ثانياً - نعد شيئاً ما ظاهرة عقلية فقط في حالة ما إذا كان هذا الشيء قصدياً. يلتقي هذان المعياران أغلب الوقت، لكنهما قد يفترقان في بعض الأحيان كما هو الحال في ظاهرة الألم (هنا وعي بلا قصدية) وفي ظاهرة الاعتقاد (قصدية بلا وعي). وإذا صح ذلك، ينبغي ألا نقول إن القصدية هي ماهية العقلي، بل نقول بصيغة أكثر تواضعاً إن كثيراً من الظواهر العقلية الهامة هي ذات طابع قصدي.

### العنية

القصدية خاصة أولية ونسيج وحدها *sui generis* (فريدة في نوعها) ؛ وقد تكون من الأولية والتفرد بحيث تند عن أى تحليل يعمد إلى إضاعتها وتوضيحها. غير أنه يبقى من المفيد أن نربطها بحدود أخرى ترادفها وتعيد صياغتها، وإن لم تعرفها وتكشف كنهها. من هذه الحروف المرادفة حرف الجر 'عن' *about*. إن أى حد عقلي ذي محتوى قصدي هو حدٌ 'عن' شيء ما. فإذا كنت أعتقد أن شيمبورازو هو بركان يقع في إكوادور، فإن اعتقادي هذا هو اعتقاد 'عن' بركان معين و 'عن' إكوادور وعن شيمبورازو، أو قل هو اعتقاد عما يعنيه الاسم شيمبورازو ويسميه.

لنفترض الآن أنك تعتقد أن شيمبورازو هي قرية صيد في سردينيا، فأنت في هذه الحالة تعتقد في شيء خاطئ خطأ بالغاً. ولكن 'عن' أي شيء يدور اعتقادك؟ في الغالب، إن لم يكن بالتأكيد، اعتقاد 'عن' ما يعنيه اسم شيمبورازو ويسميه. فضلاً عن ذلك، فإن علاقة كون الشيء 'عن كذا' تختلف عن علاقات أخرى مثل كون الشيء 'على يسار كذا' أو 'أطول من كذا' أو هو 'علة كذا'. فهي علاقة لا تتطلب ولا تستلزم الوجود الحقيقي للمتعلقات (المتعلقات جمع متعلق أي أحد الأطراف أو المفردات التي ترتبط مع بعضها البعض بعلاقة). لا أحد على سبيل المثال يمكن أن يكون أطول من بابا نويل أو على يسار بابا نويل، لسبب بسيط هو أن بابا نويل لا وجود له. ومع هذا، فإن اعتقاد الطفل أن بابا نويل سوف يأتيه بهدايا هو اعتقاد 'عن' بابا نويل. ويتم التعبير عن هذا أحياناً بأن موضوعات الأفعال القصدية يمكن أن يكون لها 'لا وجود قصدي'.

## المحتوى القضي

يمكن القول إن العنية، على وجه التقريب، هي المعادل العقلي للعلاقة اللغوية الخاصة بالتسمية أو التلقيب أو الإحالة (الإشارة). ولنتقل الآن إلى المعادل العقلي للعبارات، أو - إن شئت الدقة - لما تقرره العبارات. ولينصب اهتمامنا على ما نعبر عنه عادة بقولنا 'أن ق'. مثل هذه التركيبات القضية تعبر دائماً عن محتوى قضوي **propositional content**. ولنلاحظ أن الاتجاهات القضية **propositional content** المتباينة ممكن أن تتفق تماماً في نفس المحتوى القضوي. وبذلك يجوز أن أعتقد أو أرب أو أتمنى أو أخاف أن يكون بابا نويل قادماً.

وإذا كان من الخير دائماً أن نضع النقاط على الحروف، وإن كانت الحروف واضحة بذاتها إلى حد كبير، فإن بإمكاننا القول إنه بنفس المنطلق الذي تكون به الموضوعات التي يشير إليها حرف الجر 'عن' غير ملزمة بالوجود الفعلي، كذلك الحال بالنسبة للأوضاع التي تهدف إليها الاتجاهات القضية وتميل نحوها؛ فهي أوضاع لا يلزم بالضرورة أن تتحقق وأن تكون. ومن ثم يجوز لي أن أعتقد (أو أرب أو أتمنى أو أخاف)

بمجيء بابا نويل، وإن كان الاعتقاد بأنه قادم من الخطأ والضلال. بعبارة أخرى يجوز، أن تكون لدى اعتقادات خاطئة ورغبات محبطة وآمال خائبة ومخاوف لا أساس لها. لذا يقال إن المفكرين المؤيدين للقصدية يقدمون نظرية تمثيلية للعقل؛ على أن نفهم - كما أتضح لنا الآن - أن التمثيل هنا يعنى التمثيل الصالح والتمثيل الطالح أيضاً، أى أنه يشمل التمثيل والتمثيل الخاطى.

## الأنظمة الجسمية والأنظمة القصدية

عرضنا فى موضع سابق من هذا الفصل لحجة من حجج الثنائية السيكونفيزيقية ذات أسلوب ديكارتى، قائمة على فكرة العناية. ويمكننا الآن إعادة صياغة هذه الحجة فى حدود القصدية كما يلى :

العقول هى أنظمة قصدية

الأجسام لا يمكن أن تكون أنظمة قصدية

إذن العقول لا يمكن أن تكون أجساماً

يمكن لهذا الحجة بطبيعة الحال أن تنطبق مباشرة على الكائنات البشرية؛ فمادام البشر لهم عقول، فلديهم إذن شىء ما غير جسمى. ورغم أن هذه الحجة ومثيالاتها كانت لها القدرة على إقناع كثير من المفكرين بصحة الثنائية، إلا أن مقدمتها الثانية تفتقر إلى الوضوح. فلماذا يستحيل على الأجسام أن تكون أنظمة قصدية؟ هنا أيضاً يمكن أن نشيد حجة مضادة للديكارتية تمضى فى الاتجاه المعاكس :

الكائنات البشرية هى أنظمة فيزيقية

الكائنات البشرية هى أنظمة قصدية

إذن بعض الأنظمة الفيزيقية هى أنظمة قصدية

حين تظهرنا هذه الحجة على أن بعض الأنظمة الفيزيائية هي أنظمة قصدية، فهي تظهرنا بالطبع على أنه من الممكن للأنظمة الفيزيائية أن تكون أنظمة قصدية. لكن ليس كل إنسان يتقبل هذه الحجة المضادة للديكارتية. هل يمكن أن ينعقد تقويم مقارن بين هذه الحجج الديكارتية والحجج المضادة للديكارتية، وكيف يكون ذلك؟ إن أولئك الذين يرون أن الأجسام لا يمكن أن تكون أنظمة قصدية وأن ذلك أرجح وأوضح من أن تكون الكائنات البشرية أنظمة فيزيائية - أولئك سوف يتقبلون الحجة الديكارتية. أما الذين يذهبون إلى أن البشر أنظمة فيزيائية وأن ذلك أرجح وأوضح من فرضية أن الأجسام لا يمكن أن تكون أنظمة قصدية، فسوف يتقبلون الحجة المضادة للديكارتية. هنا كما في كل مناحي الفلسفة، ثمة احتمال لوجود التزامات أساسية كامنة عصية على التغيير، التزامات تجاه الديكارتية أو ضدها. ومع ذلك، لنعرض الآن لإحدى المحاولات التي تعتمد إلى إحداث تغيير في الالتزام الأساسي.

## الخرائط

لنتأمل فكرة الخرائط maps . إن خريطة لندن هي بالتأكيد موضوع فيزيقي. وهي أيضا فيما يبدو ذات محتوى قصدي من حيث كونها 'عن' مدينة لندن. وهي بعد ذلك تمثيل لمدينة لندن (أو تمثيل خاطئ لها كما يمكن أن يحدث). ألا يثبت ذلك أن بعض الموضوعات الفيزيائية قصدية الطابع؟ حسناً، ولكن الكثيرين سوف يعترضون على هذا الاستنتاج. بل إن مثال الخريطة هذا قد يستخدم هو نفسه لتأييد الثنائية. فقد يقول الثنائي إن الخريطة وإن كانت في ذاتها مجرد موضوع فيزيقي فإن ما يجعلها تمثيلاً للندن هو أن شخصاً ما - أي عقلاً ما - يربطها بلندن، أي يقرأها ويستعملها بطريقة معينة. من ذلك تبدو حجة الخريطة حجة غير قاطعة.

## الموقف القصدى

الموقف القصدى ' تعبير استخدمه دانييل دينيت (١٩٤٢-٩)، ويمكن إيضاح هذا الاستخدام كما يلي: لنفترض أننا نلاحظ سلوك إنسان أو كومبيوتر أو كائن من أهل المريخ. فإذا تبين أن التفسير الأفضل لسلوكه يتضمن أن ننسب إليه اعتقادات أو رغبات، عندئذ يتعين علينا أن نتبنى 'الموقف القصدى'. ذلك أن الموقف القصدى تجاه أى نظام من الأنظمة هو ببساطة ذلك الموقف الذى يعزو إلى النظام اعتقادات ورغبات. فأحياناً ما تكون لدينا أسباب وجيهة للغاية تجعلنا ننسب إلى نظام معين اعتقادات أو رغبات. ومثل هذا النظام، فضلاً عن ذلك، يجب أن يعد عقلاً أو ذهنًا مادامت القصدية تتضمن الذهنية<sup>(٢)</sup>.

(٢) ذهب دانييل دينيت إلى أنه من الصائب والمشروع لنا أن نعزو مواقف قضوية (اعتقادات، رغبات.. الخ) إلى أى نظام سواء أكان حيواناً أم نباتاً أم معدناً، إذا كان من الممكن أن نفسر سلوك هذا النظام كسلوك عقلى فى ضوء غاياته ومراميه. يقول دينيت إن امتلاك مخلوق من المخلوقات عقلاً يعنى بالتحديد أنه من المفيد عملياً أن نعتبره يمتلك عقلاً. وربنا يصل ذلك من الوجهة العملية إلى حد معاملة هذا المخلوق باعتباره واحداً منا: أى كأننا لديه اعتقادات عن العالم ورغبات فى أشياء معينة، ويعمل بعقلانية فى ضوء تلك الاعتقادات والرغبات. فهذا، على سبيل المثال، طائر دائب فى اصطيد الديدان فى الحديقة: إنك تفسر سلوكه بأن تفترض أنه جائع ومن ثم يلتهم الطعام، وأنه يعتقد أن الديدان طعام وأنها تلتهم فى الحديقة، وبالتالي فهو يصطاد الديدان فى الحديقة. إنه باختصار يسلك فى ضوء اعتقاداته ورغباته.

إننا فى تفسير سلوك الطائر بالإشارة إلى الاعتقادات والرغبات نتبنى ما أسماه دينيت الموقف القصدى 'intentional stance'. إنه الموقف الذى نتخذه كيما نضفى معنى على سلوك أى كائن ونتنبأ به. وما قلناه عن الطائر الصياد ينسحب على الإخطبوط الذى يضخ مادة حبرية سوداء ليعمى بها على عدوه المفترس ويهرب فى ستر سحابتها الداكنة. وينسحب أيضاً على كرية الدم البيضاء التى تطوق الميكروب الدخيل وتبتله... إلخ. بل إنه ينسحب حتى على الأجهزة التى من صنع أيدينا كالكومبيوتر والثرموستات. الثرموستات مثلاً يدير المدفأة لأنه يعتقد أن درجة حرارة الغرفة قد انخفضت عن الدرجة المحددة له ويريد أن يعيدها إلى الدرجة المطلوبة.

وقد يُظن أننا نقول إن هذه الكائنات والأشياء تسلك كما لو كانت مثلنا لديها اعتقادات ورغبات، وذلك على سبيل الاستعارة والملاءمة التعبيرية وقرب المأخذ، ولكن دينيت يبدعنا بغير ذلك. فنسبة اعتقادات ورغبات إلى الكائنات وحيدة الخلية والنباتات والأجهزة الصناعية ليست أكثر استعارية من نسبتها إلى إخواننا من بنى البشر. فكل ما يلزم أى كائن حتى ننسب له اعتقادات ورغبات وسلوكاً عقلياً هو أن يسلك هذا =

هل ينبغي علينا أن نتخذ موقفاً قصدياً إزاء نظام معطى أو لا ينبغي؟ ذاك سؤال لا صلة له بالبتة بمادة النظام. وهذا ما يجعل الميتافيزيقا المهمة بهاجس المادة الخام التي تشكل منها الوجود شيئاً خارجاً عن الموضوع فى هذا المقام. إنما يتوقف أمر اتخاذنا للموقف القصدى أو عدم اتخاذه على ما إذا كانت أفضل نظرية تفسيرية لدينا تتضمن اعتقادات ورغبات ننبئها إلى النظام. إن لفظة نظام system تحمل شيئاً من التجريد، ونحن نتعمد استخدامها هنا لى نبقى على حياد تجاه السؤال عن خامة النظام. فالأنظمة القصدية ذات النسيج الرخو، مثلنا نحن البشر، هى كائنات عضوية. والأنظمة القصدية ذات النسيج الصلب (مثل بعض أجهزة الكمبيوتر الحالية وربما المستقبلية) هى آلات. فإذا ما ظهرت لنا كائنات فضائية وحاولت الاتصال بنا فسوف نعتبرها أنظمة قصدية أو عقولاً، بصرف النظر عما سيتكشف عنه تكوينهم أو مادتهم الخام. (لاحظ أن هذا يفترض أن التواصل هو من الغنى والثراء بحيث يسمح بأن نعزو إلى الكائنات الفضائية أفكاراً أو مشاعر. ذلك أن هناك درجات من التواصل - بينى وبين كلبى على سبيل المثال - تناظر درجات العقلية.

= الكائن كما لو كان يمتلك اعتقادات ورغبات وسلوكاً عقلانياً. ونحن حين نعزو إلى الكائنات والأشياء اعتقادات ورغبات عقلانية وسلوكية فإنما نتخذ إزاءها الموقف القصدى. إن الموقف القصدى يمكننا من أن نفسر ما يبدر منها من سلوك وأن نتنبأ به، ولكنه لا شأن له بما إذا كانت هذه الكائنات تمتلك عقولاً مثل عقولنا.

يمكننا بعبارة أخرى أن نقول إن هذه الوجهة من النظر تؤلّ المواقف القصدية (الاعتقادات، الرغبات.. إلخ) تأويلاً أداتياً. ومعنى ذلك أن صحة نسبة اعتقادات ورغبات وسلوك عقلانى لا تكمن فى تطابقها مع وقائع أو حقائق مستقلة عنها، بل فى فائدتها وجدواها فى الممارسة العملية: أى فى تمكيننا من فهم سلوك الأشياء التى تتفاعل معنا وتفسيره والتنبؤ به. وبقدر ما تنجح فى ذلك فبى مشروعة تماماً. أما أن نتوقع منها ما يتجاوز النجاح التفسيري والتنبؤى إلى إقرار واقعية الاعتقادات والرغبات وعقلانية السلوك فهو خلط وخروج على معنى الممارسة العملية. (المترجم)

## كيف نحلل الأفعال العقلية

كرّس فلاسفة العقل المعاصرون شطراً كبيراً من جهودهم لتقديم تحليلات للأفعال العقلية. ولا غرو، فتحليل الأفعال العقلية ليس من النوافل التي يمكن الاستغناء عنها. فعلى الرغم من أننا جميعاً لدينا اعتقادات ورغبات ونستطيع أن نستخدم الأفعال العقلية المناظرة لها، فإنه ليس بالأمر اليسير على الإطلاق أن نقدم وصفاً لما يعنيه الاعتقاد أو الرغبة. وفيما يلي نعرض للاتجاهات الرئيسية لدى الفلاسفة المعاصرين فيما يتصل بوصف الأفعال العقلية.

### السلوكية

السلوكية behaviourism هي الرأي القائل إنه حيال أي فعل ذهني يمكن أن نشيد تحليلاً يتخذ الصورة الآتية :

س يفعل فعلاً عقلياً<sup>(٤)</sup> إذا وفقط إذا كان س \_\_\_\_\_ ،

حيث يُملأ الفراغ بوصف للسلوك الظاهر أو القابل للملاحظة العامة. ويمكن أن نمثل لهذا المعنى بالمثال التالي: س يعتقد أن السماء ستمطر وشيكاً إذا وفقط إذا كان س يخرج، س يرتدى معطف المطر ويتخذ مظلة. على أن معظم الفلاسفة المعاصرين يعتبرون هذه الصورة المتطرفة من السلوكية مشروعاً فكرياً مقلساً.

غير أن هذا لا يعني أن دراسة السلوك لا تلقى أي ضوء على الحياة العقلية. فالحق أن المرء قد يرفض السلوكية من حيث هي نظرة لما تكون عليه الحياة العقلية، ويبقى رغم ذلك منادياً بالسلوكية المنهجية، من أجل تأسيس علم النفس العلمي (السلوكية المنهجية هي الرأي القائل إن السلوك الظاهر هو وحده ما يجب أن يعتد به

(٤) مثلاً أن يعتقد، يرغب، يتمنى، يخاف أن ق (المؤلف)

فى إنشاء علم النفس<sup>(٥)</sup>. فى علم النفس لا بديل عن الاعتماد التام على السلوك المعائن سوى الاعتراف بالاستبطان introspection والإدلاءات الاستبطانية. وقد يعرف الاستبطان بأنه ملاحظة العقل لنفسه - وهو نوع من النظر إلى الداخل يتيح للشخص أن يرى ما لا يمكن لأى شخص آخر أن يراه. إن مشكلة الاستبطان كأساس للعلم هى هذه الخصوصية على وجه التحديد. فالعرف المعتاد أن ما يراه أحد الأشخاص يمكن أن يراه الآخرون، وهو ما يسمح بالفحص المتبادل ويقدم لنا أساساً بين- ذاتياً صلباً للعمل العلمى. وهذا أمر ممتنع بحكم التعريف فى حالة الاستبطان.

## السلوكية المنطقية

تأخذ السلوكية المنطقية منحى مختلفاً عن الصور المتطرفة للسلوكية، والتي تبلغ من الغلو والشطط حد إنكار وجود الوعي لدى الكائنات البشرية. فالسلوكية المنطقية هى وجهة من الرأى تتناول معنى الحدود العقلية. الألم مثلاً قد يكون خبرة داخلية أو ذاتية، لكن بمجرد أن ينعلم شخص ما أن يستعمل كلمة 'ألم' يكون قد ربط الكلمة بعايير موضوعية. إن جانباً كبيراً من جاذبية السلوكية المنطقية يأتى من فكرة أننا نتعلم استخدام كلمات لغة عامة بأن نتعلم التزام قواعد أو تطبيق معايير بطريقة مفتوحة للنقد من قبل أعضاء جماعتنا اللغوية. اللغة شىء عام واجتماعى فى الصميم. وما يسمى لغة خاصة هو شىء ممتنع منطقياً. كذلك الأمر بالنسبة للتعريف الإشارى الخاص.

(٥) ينحاز المؤلف بحكم منزعه التحليلى إلى السلوكية المنهجية فى علم النفس، أجل قامت بدور عظيم فى إرساء علمية علم النفس وجعلته يقف على قدميه ويمتلك إمكانات تناميّه كعلم تجريبى، ولكن السمة السائدة الآن أن السلوكية قامت بدورها وانتهى هيئلمانها وأصبحت أقرب إلى تاريخ علم النفس. ظهرت السلوكية الحديثة والسلوكية المعدلة وعلم النفس المعرفى وسواه، ولم يعد السلوك الملاحظ هو المادة الوحيدة لعلم النفس الآن. وهذا شىء لا يملك المؤلف نفسه إلا الاعتراف به، كما سنرى بعد صفحات قلائل، حين يعرض علم النفس المعرفى ذاته كعنوان جانبى. (المراجعة)

## التعريف الإشارى الخاص

فى ' التعريف الإشارى الخاص 'private ostensive definition' تعنى كلمة ostensive الإشارة والإيماءة إلى الشيء، أى قائم على الإشارة أو مؤسس على الإشارة. وقد يشعر الناس فى بعض الأحيان أن بإمكانهم تقديم معنى لكلمة مثل 'ألم' بأن يقولوا شيئاً من قبيل: 'أعنى بكلمة 'ألم' هذا الشيء الذى أشعر به الآن'. غير أن هذه الطريقة تفشل لسببين: أولاً، الآخرون لن يعرفوا ما تعانيه، إذ ليس بإمكانهم أن يروا أو يحسوا أو يكابدوا بأى شكل من الأشكال ذلك الذى تحاول أن تسميه. وثانياً، مثل هذه الأوصاف القائمة على التعريف الإشارى الخاص لا تفسر كيف يتأتى لك أن تعلم أن ما تحس به الآن هو ما يسميه الآخرون 'ألماً'. وإذا كان بإمكاننا أن نعرف كلمة 'أحمر' بالإشارة، وذلك بأن نؤمى إلى رقاقة حمراء، فلأن هذا تعريف إشارى عام<sup>(٦)</sup>. (وبالمناسبة، يبين لنا هذا أن كلمة 'أحمر' يتوجب أن تسم لونا فى العالم، أى لونا تحوزه الأشياء، وليس صفة لخبرة خاصة أو داخلية).

## المذهب الوظيفى

يستخدم مصطلح المذهب الوظيفى functionalism فى الفلسفة بعدة طرق متباينة، وإن لم تخل من علاقة فيما بينها. أما فى مقامنا هذا، أى فلسفة العقل، فيعبر المصطلح عن رأى القائل إن الحالات العقلية يجب أن تتعين عن طريق وظائفها العلية

(٦) التعريف بالإشارة هو أن أعرف اللفظة عن طريق الإيماءة إلى أمثلة فردية أو شواهد فردية. فأعرف الكرسي مثلاً بأن أشير إلى كرسي مفرد أو كراسى مفردة، وأعرف اللون الأرجوانى بأن أعرض على السامعين شيئاً أرجوانياً، وأعرف مذاق الأناناس بأن أذيقهم شيئاً حقيقياً منه، وأعرف كلمة 'قطع' بأن أؤدى أمامهم فعل القطع. يعتمد التعريف بالإشارة على فهم السامع وتمثله للسمة المعينة من بين غيرها من السمات. وهناك نوعان من الإشارة: الإشارة المباشرة بأن أعرض الشيء أو السمة المقصودة، والإشارة المرجأة بأن أعرض شيئاً لكى ألفت الانتباه إلى شىء آخر مثلاً أعرض صورة فوتوغرافية لكى أشير إلى شخص ما، أو أعرض ترمومتراً لكى أشير إلى الحرارة. التعريف بالإشارة إذن أمر مشترك بطبيعته، بينما التعريف الإشارى الخاص أمر ممتنع شأنه شأن اللغة الخاصة. (المترجم)

التي تنتهى - مع غيرها من الحالات العقلية - إلى سلوك وتتكشف عنه. وبخلاف السلوكية التي توحد بين الحالة العقلية المعطاة وأنماط السلوك، يُعتبر المذهب الوظيفي الحالات العقلية عللاً للسلوك.

يركز المذهب الوظيفي في وصفه للحالات العقلية على الاعتقادات والرغبات بالدرجة الأساس. إن اعتقاداً ما قد يكون حالة دماغية (حالة للمخ)، لكن ما يجعل هذا الاعتقاد على ما هو عليه (أى ما يعينه ويحدده) إنما هو وظيفته الخاصة في توجيه أفعال الشخص الذي يعتقد هذا الاعتقاد. ثمة شيء واضح أمام الحس المشترك، ويؤكد الوظيفيون عن حق، وهو أن اعتقاداتنا 'ترشدنا' حين نسلك ونفعل، ولكن ما 'يجعلنا' نسلك ونفعل هو اعتقاداتنا مضافاً إليها رغباتنا. وعلى ذلك حين أعتقد أن السماء توشك أن تمطر فأنا آخذ مظلة؛ لأننى أرغب فى ألا أبتل. إن اعتقاداتى فى مجموعها تزودنى بخريطة أتوجه بواسطتها (كلما زادت نسبة اعتقاداتى الصحيحة زادت دقة خريطتى). أما رغباتى فهى التى تحدد لى أين أريد أن أذهب. وينبغى أن نضيف أن الرغبات ليست مستقلة عن الاعتقادات: المرء يرغب فيما يعتقد أنه خير أو جدير بالاهتمام أو جذاب حتى الشيطان لا يمكنه أن يرغب فى الشر نون أن يقول (بلسان حاله): 'أيها الشر، لتكن أنت خيراً!'.

## المذهب الوظيفي والميول

يرى المذهب الوظيفي أن الأفعال العقلية لها هى الأخرى طابع نزوعى أو تنطبع بالميل. إن اعتقادى أن السماء تمطر أو توشك أن تمطر يجعلنى أميل (أنزع) إلى أخذ مظلة. وما كان لى بالطبع أن آخذ مظلة لو لم أكن خارجاً. إذن خروجى هو أحد الظروف التى تولد هذا الميل. كما أن ميل المرء إلى شيء ما قد يوجبه ميل آخر يمليه اعتقاد آخر. فقد يثنى عن أخذ مظلة عند الخروج اعتقادى بأننى أبوسخيفاً إذ أتخذ مظلة. صفوة القول، إن ما أفعله هنا سيتوقف على الميل الأقوى بين الميلين، ميلى إلى ألا أبتل، وميلى إلى ألا أبوسخيفاً.

## المذهب الوظيفي والموقف القصدى

ينبغي أن نلاحظ أيضاً أن، فكرة الموقف القصدى هي شكل من أشكال المذهب الوظيفي. فنحن عندما نفسر الأفعال على أساس الاعتقادات والرغبات إنما نتأمل تلك الاعتقادات والرغبات وننظر كيف تعمل معاً وتؤدي وظائفها المشتركة في إنتاج الأفعال. وقد سبق أن قلنا إن الموقف القصدى سيضرب صفحاً عن أية تساؤلات خاصة بخامة الأنظمة القصدية وعنصرها المكوّن. وبالطريقة نفسها، ولنفس الاعتبارات النظرية/التفسيرية، لا يعبأ المذهب الوظيفي بالسؤال عن كيفية تحقق الوظائف<sup>(٧)</sup>. إن الكائن العضوى

(٧) نشأ المذهب الوظيفي في الأصل كرد فعل ضد المذهب الحذفى eliminative في فلسفة العقل. مفاد المذهب الحذفى أن المفاهيم السيكلوجية الشائعة من قبيل الرغبات والاعتقادات... إلخ، هي مفاهيم مغلوبة وطرائق في التفكير لا تؤدي إلى أية معرفة حقيقية، ولا بد من حذفها. إنها نظريات بائدة تلحق بنظرية بطليموس والفلوجسيون وما إليه، وتشكل عائقاً حقيقياً أمام تقدم الفهم العلمى للعمليات العقلية التي هي عمليات مادية فسيولوجية عصبية قليلاً وقالبياً، وقد حان الوقت لا لتعديلها وتنقيحها بل لحذفها والاستغناء عنها تماماً.

أما المذهب الوظيفي فيرى أن تلك المفاهيم مستقلة تماماً ولا يمكن ردها إلى علم الأعصاب؛ فهي تجول في مستوى تفسيري منفصل ينطوى على معايير صدقه الخاصة. وتفيد المصادرة الرئيسية للمذهب الوظيفي أن وظيفة أى بناء مادي قصدي، كالمخ يمكن - بل يجب - أن تُفهم بمعزل عن طبيعة المادة الأولية لهذا البناء، فوظيفة المخ شأن منفصل عن مادته الكيميائية وتنظيمه الجزيئي/ كما أن العتاد المرن software للكمبيوتر هو أمر مختلف عن العتاد الصلب hardware ، من حيث أن برنامج التشغيل شيء مختلف عن تفاصيل الآلة التي تقوم بتنفيذه وعن خاماتها المكونة، ومن حيث أن البرنامج عينه يمكن تنفيذه بحواسيب مختلفة التركيب والعنصر. لقد كانت آلة الكمبيوتر البدائية التي صنعها باباج في القرن التاسع عشر مصنوعة من تروس نحاسية ضخمة وقضبان وروافع وكانت بحجم قاطرة السكة الحديدية، وكانت كمبيوترات الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين مصنوعة من أنابيب وصمامات مفرغة، وصارت كمبيوترات اليوم من ترانزستورات مطمورة في رقائق السيلكون، وسوف تكون كمبيوترات المستقبل مما تكون. غير أنه من الممكن أن يكون البرنامج الذي تنفذه كل هذه الضروب من الكمبيوترات وتؤديه وتنجزه هو البرنامج نفسه. ويطلق على هذه الصفة في الكمبيوترات وفي جميع التراكيب المادية القصدية، بما فيها المخ البشرى، تعددية التنفيذ أو التحقيق multiple realizability ، وهي كما نرى فكرة محورية في المذهب الوظيفي. يرى المذهب الوظيفي أن الحالات الذهنية شديدة التنوع وقابلة لتعددية التحقيق، بحيث تند عن أى تفسير ردى يختزلها إلى المادة. كما يرى أن التمثيلات المعرفية لها محتوى سيمانتى (دلالي) جومرى، وأن هذه التمثيلات ترتبط ببعضها البعض بعلاقة منطقية لا بخصائص عليّة =

المكون من خلايا، والكومبيوتر المكون من رقائق، وساكن المريخ المكون مما لا نعلم....  
ليس هناك ما يمنع أن يكونوا جميعاً في الحالة الوظيفية نفسها. مثال ذلك أن لاعب  
الشطرنج والكومبيوتر الذى ينازله على رقعة الشطرنج يمكن أن يكون كلاهما في الحالة  
الوظيفية نفسها على حد سواء، أى على وشك القيام بالنقلة نفسها لتحقيق الغرض  
الإستراتيجى نفسه / فى حدود من قواعد الشطرنج وأحكامها. ذلك وإن البون بين  
المتباريين من حيث الأوصاف الفيزيائية جد بعيد.

## مقاربات فتجنشتين

الفيلسوف فتجنشتين له آراء فى فلسفة العقل خاصة به. ورغم أن هذه الآراء  
تحمل شيئاً من الائتلاف مع كل من السلوكية والسلوكية المنطقية والمذهب الوظيفى،  
إلا أنها لا يمكن أن تتدرج تحت أى منها أو تتحد به. بادئ ذى بدء لابد من القول  
إن فتجنشتين لم يدل بدلوه بشأن طبيعة الذهنى ولم يقدم نظريته الخاصة فى ذلك.  
إنما انصب اهتمامه على انتقاد ما كان يعدّه صورا زائفة لحياتنا العقلية طالما  
استعبدت المفكرين السابقين وأسرّتهم. تولدت كثير من هذه الصور عن أخطاء  
أساسية كان الناس، من الفلاسفة وغير الفلاسفة، يميلون إلى ارتكابها بصدد اللغة  
وكيف تعمل اللغة.

لعل أكثر هذه الأخطاء شيوعاً هو ذلك الميل إلى اعتبار كل اسم فى اللغة يُسمى  
شيئاً ويدل على شىء، وهذا فى رأى فتجنشتين أكثر تضليلاً فى فلسفة اللغة.  
فحين يجد الناس أن كلمات مثل المعنى والفهم لا تسمى عمليات خارجية أو فيزيقية،  
فإنهم يحسبونها من أجل ذلك تسمى عمليات عقلية داخلية. وهو ما يؤدي بنا إلى

= كما تريد لها بحوث الفسيولوجيا العصبية أن تكون. ومن ثم فإن مستويات التفسير الوظيفية لا يمكن أن  
ترد إلى علم الأعصاب، وتبقى مفاهيم السيكلوجيا الشعبية محصنة من الحذف والإقصاء.  
يوجز دانييل دينيت هذا الموقف بقوله إن التفسيرات العلية أو الميكانيكية للأحداث الذهنية يستحيل أن تحل  
محل التفسيرات الغرضية المعتمدة على مفاهيم من قبيل الاعتقادات والرغبات. (المترجم)

افتراض أن هناك عملية تفكير داخلية سرية تجرى موازية لعملية الكلام. يهيب بنا فتجنشتين أن ننتبه إلى احتمال أنه، في بعض الأحيان على الأقل، لا تشير كلمات مثل المعنى والفهم إلى شيء ولا تسمى أى شيء.

وليلاحظ القارئ أن هذا لا يترتب عليه بالضرورة أن مثل هذه الكلمات لا معنى لها، أو أنها يجب أن تحذف من مفرداتنا اللفظية. ولكي نوضح هذه النقطة نضرب المثال التالي: من الصحيح تماماً أن تقول 'لقد فعلت ذلك من أجل ص'، ولكنه من الخطأ أن تفتش عن 'أجل' أو أن تسأل عما يتألف منه 'أجل ص'! إننا نفهم 'أجل ص' لا بتحديد موضع شيء ما أو كيان شبيه بالشيء، بل بالنظر في امتدادات حياة ص المتصلة برفاهيته وسعادته. قياساً على ذلك يرى فتجنشتين أننا بدلاً من النظر إلى الداخل يجب أن ننظر إلى جميع الظروف والملابس المحيطة باستخدامنا للغة كي نقرر ما إذا كان شيء ما مقولاً ومعنياً أو مسموعاً ومفهوماً. فليست المصاحبات الداخلية لجملة ما هي ما يجعلها ذات معنى، بل هو السياق الأوسع الذي تنضوى فيه وتأتلف.

وقد شجب فتجنشتين في كتاباته هذا الولع بالوحدة *craving for unity* وذلك الولع بالتعميم، وهو ما جعلنا نفترض أن المعنى والفهم وما إليهما من الحدود السيكلوجية تعبر عن نفس الماهيات البسيطة والمطرودة في كل مرة تُستخدم فيها وترد.

## الذاتية

لم يقتصر اهتمام الفلاسفة المعاصرين على محاولة تقديم صورة لحياتنا العقلية وفق النزعة الفيزيائية، وعلى محاولة فهم القصدية، وعلى تقديم تحليلات فنية للأفعال الذهنية. فقد أبدى الكثيرون منهم - فضلاً عن ذلك - شغفاً متجدداً بحياتنا الباطنية كما نعيشها من الداخل، أى شغفاً بـ 'الخبرة'، وهى ما يطلق عليه مصطلح 'الذاتية subjectivity'.

## الذاتية والموضوعية

حين أقول "السماء تمطر"، فرغم أنى قد أكون معتمداً فى ذلك على خبرتى الداخلية عن العالم، ورغم أنى بالتأكيد أستخدم شيئاً من اللغة (التي ينبغى أن تعد اختراعاً بشرياً جمعياً)، فإن ما أقوله صادق، صادق بمعزل عنى وعن خبرتى وعن ذهنى وعن قدراتى التعبيرية القائمة على اللغة. ومن الممكن افتراض أنه قد أتى على السمااء حين من الدهر كانت فيه تمطر قبل أن تظهر فى الوجود طلائع الكائنات البشرية بزمان بعيد. لم يكن هناك من أحد ليحوز خبرات عن الطقس أو يقول أشياء عن الطقس. ورغم ذلك فمن الصدق أن السمااء، فى تلك الأيام البدئية المطيرة، كانت تمطر.

إن حقيقة كتلك التى تصاغ فى جملة 'السمااء تمطر' التى هى مستقلة تماماً عن الذهن وعن الخبرة، يقال لها 'حقيقة موضوعية'. وهنا سؤال يفرض نفسه، وبخاصة على أولئك الملتزمين بصورة علمية للعالم: فهل يمكن لكل جوانب الواقع أن توصف باستخدام حقائق موضوعية ولا شىء غير حقائق موضوعية؟ كثيرون من الفلاسفة المعاصرين يشكون فى ذلك، بما فى ذلك الفلاسفة الذين يعدون أنفسهم من أصحاب النزعة الفيزيائية.

لنتأمل الألوان. نحن نعرف جميعاً أن الألوان لها علاقة ما بالامتصاص الانتقائى وبانعكاس الموجات الضوئية المختلفة السعة. ونعرف أيضاً أن رؤية الألوان تشتمل على كثير من عمليات الفسيولوجيا العصبية المعقدة. هناك أيضاً فيما يبدو شىء آخر: هناك ... 'خبرتنا بالألوان'. ولنستبعد البشر مرة أخرى ونتخيل ما كان عليه الحال فى عالم ما قبل الإنسان. بمقدورنا أن، نفترض بثقة أنه كانت هناك موجات ضوئية مختلفة السعة تتردد هنا وهناك، فهى على كل حال لا تعتمد علينا. على أننا يمكن أن نؤكد بالثقة نفسها أنه لم يكن ثمة شىء من قبيل 'خبرتنا باللون'، فذلك أمر يتوقف علينا بشكل واضح كل الوضوح. فى ضوء هذه الاعتبارات يبرز مفهوم الشخص بوصفه مركزاً للخبرة ومركزاً للدراية الواعية. يطلق على هذا الجانب الذى يعتمد على الأشخاص من حيث هم مراكز للخبرة والدراية الواعية مصطلح 'ذاتى subjective' تستعمل كلمة 'ذاتى' فى بعض الأحيان لتعنى: وهمى، غير حقيقى، خادع، أو حتى متحيز، ولكن جميع هذه المعانى غير ذات صلة بما نحن بصددده).

## موضوعية الذاتى

لنطلق الآن على الحقائق الموضوعية اسم وقائع، ولنتأمل بعض الوقائع لذلك الشخص س. إن س نو شعر كستنائى ويزن ١٥٠ رطلاً ويعيش فى شارع إلم. وقد ولد س فى هانيبال، بولاية ميسورى. كل هذه حقائق مستقلة عن الذهن بشكل واضح. لنتأمل الآن بعض الوقائع الأخرى عن س: لقد مر س ذات يوم بخبرة مفزعة إذ انقلب بزورقه فى لجة نهر المسيسبى، كثيراً ما يحلم س بأخيه المتوفى، س يحدق هذه اللحظة فى ظلال زرقاء - س يفكر فى أنها ربما تسنى 'سماوية'، إنه يتأمل لوحة من لوحات بواكير عصر النهضة.

من الواضح أن هذه الأشياء تعتمد على س بوصفه حائزاً لعقل. وثمة جعبة صيد بالقارب المشنوم ربما تكون قد انطرحت هى الأخرى فى المسيسبى وغمرها بالماء كما غمر س، لكن الجعبة لم تمر بخبرة مفزعة (ولا كان بإمكانها أن تمر بطبيعة الحال). ورغم ذلك فمن الحق موضوعياً أن س مر ويمر بهذه الخبرات. وما يجعل هذه الخبرات حقيقة من الناحية الموضوعية، أى وقائع، هو أنها مستقلة عن عقلى أو عن عقل أى ملاحظ أو طرف ثالث. وهى بالطبع 'تصير' حقيقة بمعزل عن عقل س أيضاً. فقد ينسى س فى نهاية المطاف خبرة انقلابه بالزورق، وربما وصل به الأمر إلى حد أن ينكر بأمانة تامة أنه قد فعل مثل ذلك الشئ فى حياته. ورغم ذلك فسوف يبقى من الحق، وبشكل مستقل عن العقل تمام الاستقلال، أن س كانت له هذه الخبرة فى يوم من الأيام.

وربما يترتب على كل ذلك أن أية قائمة صحيحة موضوعياً وكاملة تماماً لما هو كائن فى العالم، لا بد أن تتضمن - بالإضافة إلى أشياء من قبيل المجرات والإلكترونات والكائنات العضوية الحيوانية والنسيج العصبى - الخبرات المختلفة لـ س بما فيها خبرات الحلم. ورغم أن هذا جميعه أوضح من أن يذكر، فإن بعض أصحاب النزعة الفيزيائية قد أنكروه ولم يعترفوا به.

## الخبرات المُتَوَهِّمة والخبرات غير المُتَوَهِّمة (الحلم والعلم)

حين نتأمل الوضع الأنطولوجي للخبرات، فمن الواجب أن نتجنب خطأ يقع فيه البعض. يقول الناس أحياناً إن الأحلام غير واقعية، بيد أن هذا غير صحيح: فأحلام س بأخيه مثلاً هي واقعية، بل إنها أجزاء من سيرة حياته الكاملة. ولكن ما يترأى لنا في الأحلام هو بالطبع غير واقعي؛ فقد يحلم ص بأنه يجلس ويتناول الطعام مع أخيه، لكنه لا يفعل ذلك في الواقع.

ربما يتضح لنا هذا الأمر حين نستخدم المصطلحات الفنية التالية: نقسم الخبرات إلى خبرات غير مُتَوَهِّمة (علم) *veridical* ، وأخرى مُتَوَهِّمة (حلم) *non-veridical* . فتكون خبرة ما هي خبرة غير مُتَوَهِّمة (حقيقية/علم) إذا وفقط إذا كانت خبرةً عن ذلك الذي يبدو للشخص صاحب الخبرة أنها عنه. وتكون خبرة ما هي خبرة مُتَوَهِّمة إذا وفقط إذا لم تكن عن ذلك الذي يبدو لصاحب الخبرة أنها عنه. أما الخبرات ذاتها فهي واقعية سواء أكانت مُتَوَهِّمة أم غير مُتَوَهِّمة. الخبرة البصرية بفأرٍ والتي تبدأ في الأحوال العادية بضوء منعكس من سطح فأر هي خبرة حقيقية (غير مُتَوَهِّمة). من جهة أخرى، قد تقع لشخص - ربما تحت تأثير عقار مهلوس - خبرة ممائلة كيفياً (أو ممائلة من الداخل) للخبرة التي يثيرها الفأر من دون أن يكون هناك فأر على الإطلاق. مثل هذه الخبرة هي خبرة مُتَوَهِّمة (غير حقيقية).

وليس أقل خطأ من قولنا إن الأحلام غير واقعية - أن نقول (على العكس) إنه واقعي في الحلم. فإذا كانت الأحلام شيئاً واقعياً فإن الأشياء التي في الأحلام غير واقعية. ومن الطرائق التي يمكن بها تشخيص هذا الخطأ أن ندرك أن تعبير 'في الحلم' هو تعبير مكاني زائف، أي تعبير يتظاهر بأنه يحدد موضعاً يقع أو يحدث فيه شيء ما بينما هو في الواقع لا يفعل. ولنقارن بين تعبيرات مكانية زائفة مثل 'في الحلم' أو 'في الأساطير اليونانية' وتعبيرات مكانية حقيقية مثل 'في شقتي' أو 'في نيو جيرسي' أو 'في شيكاغو'.

## الخصوصية والمدخل ذو الامتياز

هل الخبرات شيء خاص (أى مقصور على صاحبه)؟ من المؤكد أن الخبرات يمكن أن تكون عامة بمعنى معين: فقد تكون خبرة س إذ ينقلب بالزورق مشهودة من قبل كثيرين من الأشخاص الآخرين (وتكون لأجل ذلك مربكة كما كانت مفزعة). ولكن ما الذى شاهده الشاهدون فعلياً؟ إن شئنا الدقة، فكل ما رأوه هو انقلاب ص بالزورق. فهم لم يروا خبرة س. وحتى لو أنهم رأوا أن كان فرعاً فهم لم يروا خبرة الفرع التى كانت به. لأن خبرة ص الفعلية - أى ما يبدو عليه الموقف لصاحبنا ص من الداخل - هى مخبوءة عن المشاهدين، فقد كانت هناك إمكانية (سواء أفاد منها س أم لا) بأن يتظاهر س بعدم الفرع. مثل هذه القدرة على إخفاء مشاعرنا هو ما يتيح لنا أن نكون مرثئين<sup>(٨)</sup>. ورغم أن بعض الفلاسفة ينكرون خصوصية الأفكار والخبرات وغيرها من الظواهر العقلية فإن وصفنا لحالة س تدعم فكرة خصوصية الخبرات. وكذلك الشأن بالنسبة للأفكار: قد يكون بإمكانك أن تحزر بما أفكر فيه أنا، غير أن بإمكانى أن أضلك. فأنت مهما تكن رهافة حدسك لا تملك مدخلاً مباشراً على أفكارى. وأيضاً يدعم وصفنا لحالة س فكرة أن س، فى بعض الأحيان على أقل تقدير، يمتلك مدخلاً ذا امتياز إلى حياته الباطنية. فهو بإمكانه أن يعرف - وإن كان ذلك لا يعنى أنه يعرف دائماً وحتماً - كم كان مفزوعاً. كذلك الحال حين أنظر إلى قبعتك الجديدة التى لا تروقنى. إننى أدرى بما أنا أفكر فيه، وأنظر إلى قبعتك بطريقة أمل ألا تلحظها. إن خوف س فى حالة

(٨) من الملامح الواضحة للذهن، والمحيرة رغم ذلك، أنتى المطلع الوحيد على سر خبراتى وأفكارى ومشاعرى وإحساساتى ونواياى. إنها خاصتى وأنا أمتلكها بشكل مباشر، بينما يتعين عليك أن تمر بعملية تحويل لمنطوقاتى وأفعالى لكى تعرفها أو تحزر بها. إنها فى حوزتى ولدى إليها منفذ أنا صاحب الامتياز الوحيد فيه. هذه هى خلاصة فكرة الخصوصية privacy والمدخل ذو الامتياز. وقد وجد كثيرون من الفلاسفة نوى الميول السلوكية والوظيفية أنه يتعين عليهم إنكار مثل هذا المنفذ الخاص؛ وهم يحتاجون بأننى أطلع على ذهنى الخاص بالطريقة نفسها التى أطلع بها على ذهنك، أى بالنظر إلى ما أقوله حين أسأل عن ذلك وما تقوله أنت حين تُسأل عن ذلك. ومن ناحية أخرى أشار آخرون إلى أن الإدلاء بنتائج الاستبطان هو نوع خاص ومشروع من السلوك جدير بالملاحظة والالتفات فى أى وصف علمى للسلوكولوجيا البشرية. (المترجم)

الزورق، واستنكارى الشديد فى حالة القبة يحتمل أن ينكشفنا من خلال علامات ودلائل قابلة للملاحظة من قبل الآخرين. غير أن معظم الأفكار والمشاعر فى أغلب الأحوال لا يمكن التكهن بها على أساس الدلائل الخارجية.

إن هذا الضرب من الخصوصية الذى نحن بصدده يجب ألا نخلط بينه وبين مسألة اللغة الخاصة ومدى إمكانها. فإذا كان من الحق أن خبراتى هى شىء لا تملك أن تراه ولا أن تخبره بشكل مباشر (أو من المنبع) مثلما أملكه أنا، فإنه لا يسعنى أن أتحدث عن خبراتى (ولو إلى نفسى) بون أن أستخدم أوصافاً تنتمى إلى لغة مشتركة.

كما أن المدخل ذا الامتياز الذى عرضنا له ينبغى ألا يختلط بالمدخل الذى لا يقبل التصويب incorrigible access . فقد يعتقد البعض أحياناً أن الشخص لا يمكن أن يرتكب أى خطأ حين يكون الأمر متعلقاً بحياته الباطنية وأوصافها. إلا أنه رغم وثوق الصلة بين المرء وحياته الباطنية يبقى هناك احتمال لشتى أنواع الأخطاء، سواء فى معرفة المرء عن اعتقاداته ورغباته أو عن حالاته الواعية أو الشعورية. فإذا كان س يشعر بالفزع، فإنه قد لا يدرك بدقة كم كان مفزوعاً مرتاعاً حتى يصل بسلام إلى البر.

### السيكولوجيا الشعبية

ألمنا بالسيكولوجيا الشعبية فى فصل سابق حين كنا نعرض للعلوم الاجتماعية. وستذكر أننا لاحظنا أن كل كائن إنسانى، فى عمر مبكر على درجة مدهشة، يتعلم أن يفسر سلوك الآخرين ويتكهن به. فى كثير من الأحيان يكون بإمكاننا أن نفسر ما يشغل الآخرين فى الوقت الراهن، بل إن بإمكاننا كذلك أن نحس حساً ذكياً بما هم يعتزمون فعله. هذه النظرة الاستقرابية والضمنية غير المصوغة فى معظمها، والتي على أساسها نفكر ونتكهن، هى بوجه عام ما نسميه الآن سيكولوجيا شعبية.

وعلى الرغم من أن السيكولوجيا الشعبية قد تكون شديدة التركيب والتعقيد، فهى تقوم على عدد قليل من الأفكار البسيطة. إحدى هذه الأفكار مفادها أن الناس لديهم اعتقادات. والفكرة الثانية أن لديهم رغبات. وهناك بعد ذلك فكرة أخرى ربما تكن

واسطة العقد بين هذه الأفكار - وهى أن الناس عقلانيون. غير أن كلمة عقلانى rational يمكن أن تعنى أشياء كثيرة. ومن ثم يجب أن نحدد ما تعنيه هذه الكلمة فى مقامنا هذا: حين نقول إن س عقلانى، فإننا نعنى أنه إذا كان س يرغب فى ن، ويعتقد أن فعل أ هو أفضل الطرق المتاحة لنيل ن، فإن س سوف يفعل أ (علما بأن الأشياء على بساط الواقع هى أعقد من ذلك بكثير بطبيعة الحال: حيث أن لدى س عدد من الرغبات متفاوتة القوة، ولديه أيضا فرص شتى وأثمان مختلفة ترتبط بكل منها عليه أن يدفعها). يسمى هذا الضرب من العقلانية فى بعض الأحيان 'عقلانية الغاية/الوسيلة' means/end rationality . إنها عقلانية تنصب على حسابات الربح والخسارة ولا يعنيه فى شىء مدى عقلانية اعتقادات س أو وجاهة رغباته واستحقاقها للعناء المبذول فيها.

ثمة مشكلتان تتصلان بهذه الصياغة لعقلانية الغاية/الوسيلة طالما تناولها الكتاب فى مبحث العقلانية: أولا، هل صحيح حقا أن الناس عقلانيون بهذا المعنى؟ الجواب أن السيكولوجيا الشعبية لا يلزمها أن تدعى أن الناس جميعا عقلانيون بهذا المعنى. ويكفيها القول إن معظمهم عقلانيون. فنحن، بوصفنا فى نواتنا سيكولوجيين شعبيين، نعرف أن هناك أناسا ليسوا عقلانيين على الدوام، غير أنهم يمثلون استثناءات للقاعدة العامة. وثانياً، بالنسبة لتلك الغالبية العقلانية من الناس، هل تُعد هذه الصياغة للعقلانية صياغة وافية؟ إن الفلاسفة الأكفاء لا يتفقون فى هذا الشأن. فهناك مشكلات أبسطها أن الناس لهم العديد من الرغبات قد تتنافر وتتصارع فيما بينها: أجل الفعل أ قد يجعلنى أنال ن، لكنه أيضا قد يورطنى فى شىء أرغب فى تجنبه. وهناك مشكلة أصعب من هذا تتصل بمسألة ما إذا كان التزام الشخص بالأخلاقية ينبغى أن يعد رغبة ضمن الرغبات.

وثمة أيضا مشكلة تبرز أمامنا تتعلق بالصبر والتريث: إن ميل البشر إلى الإرجاء والتسويف من ناحية، وقدرتهم على تحين فرص أفضل من ناحية أخرى. إن مباحث السيكولوجيا ونظرية العقلانية تجرى على قدم وساق، وقد يكون من السابق لأوانه أن نحاول تقديم أى تقويم حاسم فى هذه المسائل. على أن نضع فى اعتبارنا رغم كل شىء أنه فى حدود الحياة اليومية وأغراضها التفسيرية والتنبؤية تبقى السيكولوجيا الشعبية سيدة الساحة دون أى منافس حقيقى.

## السيكولوجيا الشعبية وعلم الحاسوب

ينبغى لفلسفة العقل من حيث هي فرع من الفلسفة أن تكون تصورية وتحليلية خالصة. والحق أن معظم ما يقوم به فلاسفة العقل يمكن أن يوصف بأنه تحليل للمفاهيم. غير أن المفاهيم التي تثير اهتمام فلاسفة العقل في الوقت الراهن تتبع في الأعم الأغلب من إنجازات علم النفس المعرفي وعلماء الحاسوب (الكومبيوتر). وعلى أية حال، ليس ثمة ما يدعو إلى أن يقتصر اهتمام الفلاسفة على تصورات الحس المشترك أو المفاهيم المنتمة للتقليد الفلسفي في حد ذاته.

### علم النفس المعرفي

علم النفس المعرفي هو المبحث الذي يعنى بدراسة الكائنات البشرية من حيث هي أنظمة معالجة معلومات ( ويجوز أيضا تعريفه كدراسة للكائنات البشرية بوصفها أنظمة قصدية أو أنظمة تمثيلية). فحتى عهد قريب كان الشطر الأكبر من علم النفس سلوكيا، وكان البحث السيكولوجي قائما على نموذج المثير- الاستجابة. بمقدورنا أن نفهم كلاً من المقاربة السلوكية والمقاربة المعرفية لسيكولوجية الإنسان فهما أفضل بأن نتأمل الرسم التوضيحي التالي :

#### الكائن العضوى

المثيرات (أو المدخلات) ← ؟ ؟ ؟ ← الاستجابات (المخرجات)

يميل علم النفس السلوكي، أو علم نفس المثير- الاستجابة، إلى افتراض أن هناك دائما علاقة بسيطة نسبياً بين المدخلات والمخرجات. إنه يتصور استجابات الكائن العضوى لشتى المثيرات (استجابة طُرف العين مثلاً) كشئ متأصل في الجهاز العصبى للكائن المعنى وغير متأثر بالفكر أو الخبرة. غير أن معظم استجابات الإنسان ليست من هذا القبيل. وهذا ما دعا علم النفس المعرفي إلى التأكيد على ضرورة أن نستبدل بعلامات الاستفهام في الرسم التوضيحي السابق نموذجاً للعقل.

ولكى يكون هذا النموذج ذا قيمة فإن عليه أن يفسر بكفاءة تلك العلاقة الشديدة التعقيد بين المدخلات والمخرجات، وأن يفسر بصفة خاصة ما تعكسه المخرجات من معرفة تفصيلية بالبيئة وإحاطة دقيقة بالوسط المحيط.

## نماذج العقل

يضطلع علماء علم النفس المعرفى فى الوقت الحاضر بإقامة نموذج للعقل، يتسم بأنه نموذج مجرد وبأنه نموذج نظرى تأملى بصفة جزئية. إن تفكيرهم ينصب على الوظائف التمثيلية والحاسوبية للعقل (إى على ما لا بد أن يقوم به العقل) أكثر مما ينصب على التنفيذ (الإنجاز/التحقيق) الفسيولوجى العصبى الفعلى للوظائف العقلية. بل إنهم يعترفون بأن أى نموذج، بالنظر إلى مستوى معرفتنا الحالية، إنما ينطوى على شىء من التخمين ولون من الفكر الرهانى أى الذى ينصرف إلى أفضل ما يراهن عليه فى الوقت الحالى.

## قابلية الاختراق المعرفى

بعض علاقات المدخلات - المخرجات، مثل منعكس طرف العين، لا تتضمن اعتقاداً أو محتوى معرفياً أو معلومات أو تمثيلاً (أو تمثيلاً خاطئاً) لواقع. يقال لهذه الوظائف - التى كثيراً ما تكون ذات أهمية حاسمة لبقاء الإنسان وبعض الحيوانات الأخرى - وظائف غير قابلة للاختراق المعرفى *cognitively impenetrable*. أما علاقات المدخلات- المخرجات التى تعتمد على تمثيلات الواقع /أو معالجة المعلومات فى المقابل فيقال عنها إنها قابلة للاختراق المعرفى. بناء على ذلك يتوجب على أى نموذج للعقل أن يسهل الصنفين ويفسح مكاناً لكل من الوظائف القابلة والوظائف الغير قابلة للاختراق المعرفى.

## العقل والمخ

يحاول علم النفس المعرفى أن يشيد نموذجاً للعقل نتوهم فيه أن يضطلع بتفسير القدرات الذهنية للإنسان. إنه نموذج مجرد تماماً أو وظيفى. أى أنه بوصفه نموذجاً سيكولوجياً، يفترض وظائف ولا يحاول أن يحدد نوعية النظام الفيزيقي العسبى<sup>(٩)</sup> بتأدية هذه الوظائف. والحق أن كل أهل علم النفس المعرفى (أو غالبيتهم العظمى) يعتقدون أن الوظائف التى يصفونها بالفاظ مجردة إنما تؤدى وتتم فى المخ (الدماغ). ومن ثم فإن المتفق عليه بين الجميع أن أى نموذج سيكولوجى مطروح للمخ ينبغى أن يكون متفقاً مع كل شىء نعرفه عن كيفية عمل المخ - ذلك الكم الهائل من العتاد الصلب المكون من الخلايا الرخوة<sup>(١٠)</sup>.

## علم الحاسوب

لقد أتت كثير من التأملات النظرية حول الحياة العقلية البشرية من وحي الحاسوب (الكومبيوتر) وتطوره نحو الأعقد والأعقد. بطبيعة الحال، تختلف أجهزة الكومبيوتر اختلافاً كبيراً عن الكائنات البشرية من حيث المادة المكونة، فخلايا أدمغتنا ليست قريبة الشبه من رقائق الحاسوب. ولكن مادام علم النفس المعرفى يصف العمليات المعرفية بالفاظ وظيفية، فليس ثمة ما يمنع أن تكون بعض جوانب تفكيرنا مماثلة لما يجرى فى الحاسوب - مثلاً من حيث حيازة المحتوى المعلوماتى نفسه. ليس يعنى هذا أن أجهزة الحاسوب تفكر ولا أن البشر يفكرون مثل أجهزة الكومبيوتر؛ بل يعنى ببساطة أننا لا يمكن أن ننفى أوجه الشبه الوظيفية بحجة الاختلافات الأساسية فى البناء المادى.

(٩) يقال هو عسبى أن يفعل كذا أى خلىق وجدير وحرى بأن يفعل كذا. وقد رأيت لفظة عسبى سعيدة فى موضعها أنها تحمل ظلالاً إضافية connotation من معانى التساؤل والاحتمال والترقب والتشوف، انتقلت إليها من كلمة عسبى، وأراها أدق ما تكون انطباقاً فى مقام العقل والمخ، وأرمف ما تكون إيحاءً بالفجوة المعرفية بين وظائف العقل التى نعلمها والتراكيب المادية التى نريد أن نعلم عنها المزيد. (المترجم)

(١٠) من المفارقات الطريفة أن العتاد الصلب hardware فى حالة العقل البشرى مكون من مادة مخية طرية رخرة. (المترجم)

## التفكير الحاسوبي

أياً ما كان المآل النهائي للفكرة القائلة إن أجهزة الكمبيوتر (الحاسوب) تستطيع التفكير، فإنه تبقى هناك استراتيجيات بحثية مفيدة في علم النفس المعرفي وهي أن العمليات العقلية البشرية عمليات حاسوبية في طابعها. فنحن كثيراً ما نتحدث عن 'قفزات ذهنية' واستبصارات مفاجئة، ونميل إلى أن نسبغ على العباقرة في جميع المجالات نعوتاً من قبيل الإبداع والخيال. كل ذلك مناسب تماماً؛ غير أن عالم النفس الذي يضطلع بدراسة حياتنا العقلية تقع على عاتقه مهمة تفسير كيفيات هذه الظواهر: كيف تتأى مثل تلك القفزات الفكرية والاستبصارات المفاجئة والإبداع والخيال؟ ذلك أن العلم لا يحتمل الغوامض الشديدة، وعلى العلم الذي يدرس العقل ويهدف إلى قدرة تفسيرية كاملة أن يتصدى لهذه الأسرار.

ومن الإستراتيجيات الواضحة في هذا الصدد أن نقوم بتجزئة القفزات الكبيرة وغيرها من الأعمال الذهنية الفذة إلى مجموعات من الخطوات الصغيرة. فربما تكون الإنجازات العقلية العالية ناجمة عن تآزر عدد كبير من الأنظمة التحتية أو الوحدات العقلية. وأحياناً تُسمى هذه الطريقة في تفسير الوظائف العقلية العليا أطروحة الوحدات modularly thesis. وطبقاً لهذه الأطروحة فإن كل وحدة عقلية mental module مغذاة بمدخل معين تقوم بإنتاج مخرج معين، متبعة في ذلك قاعدة آلية أو لوغاريتمية (أي من قواعد الحساب الرمزي) بسيطة.

## الذكاء الاصطناعي

هل يمكن حقاً لعلماء الكمبيوتر ومهندسيه أن يشيدوا آلة تفكر، هل الذكاء الاصطناعي ممكن حقاً؟ حين نبحث هذه المسائل علينا أن نتجنب التطرف في كلا الاتجاهين. فكثيراً ما يبالغ المتحمسون للذكاء الاصطناعي في تقدير التقدم الذي تم تجاه محاكاة الآلة للوظيفة العقلية البشرية. والحقيقة أن أجهزة الكمبيوتر أبعد ما تكون عن منافسة الإنسان أو تهديده - على الرغم من تقدمها العظيم في لعب الشطرنج.

من الجهة الأخرى قد يكون من الحمق الصراح استبعاد كل احتمال لأن تفكر أجهزة الكمبيوتر. التفكير على أية حال يغطي أرضية كبيرة ومهام عديدة متباينة. وأخيراً، نلاحظ أن الذكاء الاصطناعي مازال فى مراحل الأولى: والتنبؤ بمستقبل العلم والهندسة، هنا كما فى أى مكان آخر، مهمةٌ عسيرة، ولا نحسب أن الفلاسفة مؤهلون بما يعينهم على أداء هذه المهمة أكثر من بقية خلق الله<sup>(١١)</sup>.

## علم النفس الفلسفى

على الرغم من أن المناطق الساخنة<sup>(١٢)</sup> فى فلسفة العقل هى المناطق التى تستلهم علم النفس المعرفى وعلم الحاسوب والذكاء الاصطناعي، فإن هناك بين موضوعات البحث نبتةٌ مُعمّرةٌ عنيدة تستقى مسائلها من الحياة اليومية ومن الأدب ومن التحليل النفسى. لقد بذل علم النفس الفلسفى جهده من أجل تفسير مفاهيم كالانفعال والرغبة الجنسية وخداع الذات والذواقع؛ وتبين أن مثل هذه المفاهيم حين نلقى عليها الضوء التحليلى يتكشف لنا كم هى ملغزةٌ ومحيرة، بل متناقضة غير متسقة فى بعض الأحيان. وهى بعد ذلك مناطق لم يسعفنا فيها علم النفس المعرفى أو علم الحاسوب أو الذكاء الاصطناعي.

## مجهل

قد يكون للحيوانات الأخرى عقول. ولكن ليس غير الكائنات الإنسانية من لديه القدرة على التساؤل عن طبيعة ما هو عقلى (الكائنات الفضائية، إن كانت موجودة وكان لديها عقول مثلنا، فبوسعها هى الأخرى أن تطرح تساؤلاتها حول العقل). وقد رأينا فى هذا الفصل أن بعض الأسئلة التى تتناول العقل هى أسئلة ميتافيزيقية

(١١) أجل، ولكن نحسب أن علم الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته قد قطعاً الآن شوطاً طويلاً من التقدم، أبعد من المستوى المتواضع الذى يتحدث عنه المؤلف. (المراجعة)

(١٢) نتحدث كلمة ساخنة hot هنا تبعاً للتمويل المتاح للبحث، ومكانة الباحثين، والإجماع العام بشأن المناطق التى تتجمع فيها المسائل الأكثر إثارة. (المؤلف)

بالدرجة الأساس (الواحدية، الثنائية)، ولكن ما من نظرية ميتافيزيقية يمكن أن تكون جديرة بهذا الاسم ما لم تشتمل على مكان لمبحث العقل وما لم تقل كلمتها في تلك النوعية من العقول التي نعرفها في أنفسنا.

أى نوع من العقول هذا الذى لدينا؟ ما هى طبيعة الذهنيات؟ ليس هناك إجماع بين الفلاسفة، إذ يتناولون مبحث العقل، على وجود ماهية واحدة أو طبيعة واحدة للعقل - أى حفنة صغيرة واحدة من الخواص المحددة والملامح الضرورية التى تمثل صميم العقل. فهنا - كما فى كل مبحث آخر - نواجه احتمال أن يكون أحد المفاهيم الهامة هو مفهوم تشابه أسرى.

ومع هذا بإمكاننا أن ندرك الكثير من الجوانب الهامة من الحياة العقلية الإنسانية حين ننظر إلى أنفسنا بوصفنا أنظمة قصدية. فمن المؤكد أن كثيراً من حالاتنا العقلية، أيا ما كان عنصرها المكوّن، تشير إلى عالم خارج عنا أو تحيل إليه أو تمثله. النظام القصدى هو ذلك النظام الذى يمكن أن نفسر سلوكه أفضل تفسير ممكن حين نعزو إليه اعتقادات ورغبات معاً. وهنا تجابهنا مرة أخرى تلك الصعوبة التى أرقّت ديكارت من قبل: هل من الممكن أن تكون الأنظمة الفيزيقية (وهى كل طبيعتنا فى نظر صاحب النزعة الفيزيائية) أنظمة قصدية؟

وأيضاً تحدثنا فى هذا الفصل عما يسمى السيكولوجيا الشعبية، وقلنا إننا ما ننفع نستخدمها فى تفسير سلوكنا وسلوك الآخرين والتنبؤ به. ورغم أن التفسيرات المستندة إلى السيكولوجيا الشعبية هى تفسيرات استقرابية، وأن نجاحها لا يبلغ أن يكون تاماً، فليس بحوزتنا فى الوقت الحالى أى بديل لهذه السيكولوجيا ومقاربتها القائمة على الاعتقاد/ الرغبة.

وليس من المستغرب أن فلسفة العقل قد استلهمت تطورات معينة فى مجال علم النفس. فإذا كان فلاسفة العقل قد أنكروا يوماً ما نماذج السلوكية السانجة أو نماذج المثير/الاستجابة وأوسعوها انتقاداً، فهم اليوم يرحبون بنماذج العقل الجديدة المحسنة

التي قدمها علماء النفس المعرفيون. وكما رأينا في هذا الفصل، نماذج العقل تجريدية ووظيفية في طابعها. والمقاربة الوظيفية بما هي كذلك لا يعنينا كيف تتحقق الحالات الوظيفية مادياً أو كيف تؤدي فيزيقياً. إن كائناتنا إنسانياً وجهاز كومبيوتر وكائناتنا فضائياً، من الممكن أن يكونوا جميعاً في الحالة الوظيفية ذاتها. وهذا جعل فلاسفة العقل يولون عناية بعلوم الحاسوب لا تقل عن عنايتهم بعلوم المخ، بحثاً عن مفاتيح لفهم طبيعة ما هو عقلي.



## الفصل السادس

### فلسفة اللغة

#### مدخل

منذ نشأة الفلسفة كان الفلاسفة دائماً مولعين باللغة مَعْنِيَّين بها. ولكن لم يحدث قبل مجيء القرن العشرين أن أصبحت اللغة موضوعاً فلسفياً محورياً. لقد بات واضحاً للجميع أن أفضل طريقة لحل مختلف أنواع المشكلات الفلسفية ( أو تبديدها بوصفها ليست مشكلات) هي أن نلتفت إلى اللغة التي صيغت بها هذه المشكلات ونعيرها انتباهاً شديداً. هذا الوعي المتنامي باللغة والاعتماد المتزايد على التحليل اللغوي بين فلاسفة عصرنا، هو ما صار يُطلق عليه "المنعطف اللغوي" أو "الانقلاب اللغوي" the linguistic turn .

هناك أسباب كثيرة جعلت اللغة هذه الأهمية المتزايدة بالنسبة للفلسفة، أولها أن مفاهيمنا وأفكارنا - وإن تكن تؤدي بلغات عديدة متباينة، وتؤدي أحياناً بون استخدام أية لغة - هي في أغلب الأحوال مرتبطة باللغة ارتباطاً وثيقاً. لقد تكشف لنا الآن أن اللغة هي مخزون هائل من المقولات والمفاهيم يتعذر بدونها أى تفكير ثرى معقد. ذلك أن ما أشيع عن اللغة فيما سلف من أنها مجرد أداة للتعبير عن الفكر لم يعد أمراً مقبولاً<sup>(١)</sup>.

(١) يقول هيجل: "إننا لا نفكر إلا داخل الكلمات. ولا ثقة في أفكارنا المحددة والحقيقية إلا حينما نضفي عليها طابع الموضوعية ونميزها عن إسقاطاتنا الذاتية، ونسجلها بعد ذلك في شكل خارجي يحتوى أيضاً على خاصية الفعالية الداخلية الأكثر سمواً. إن الشكل عبارة عن صوت متصل أو كلمة تعطينا = =

وإذا عَرَفْنَا الفلسفةَ بأنها تحليلُ المفاهيم فإن أفضل السبل إلى ذلك هو أن تُولى الفلسفة انتباهاً شديداً لطريقة استخدام الألفاظ التي تعبر عن هذه المفاهيم. والسبب الثانى لأهمية اللغة بالنسبة للفلسفة هو أن استخدام اللغة يعد أعقد وأدق مظاهر السلوك البشرى، ومن ثم فهو يمدنا بمفاتيح كثيرة لفهم طريقة عمل العقل وإدراك الأمور الذهنية وإتباع القواعد وغير ذلك من الموضوعات الفلسفية. والسبب الثالث هو أن علم اللغة، أى اللسانيات linguistics، يقدم مادةً وفيرة للتأملات الفلسفية. وهنا أيضاً، كما فى فلسفة العقل، يأتى الحفز التأملى من التطورات الحادثة فى العلم.

بمفردهما وجوداً يتحد فيه الداخل بالخارج فى صورة بديعة، الأمر الذى يجعل كل رغبة فى التفكير بدون كلمات محض محاولة خرقاء لا أصل لها... كذلك من السخف اعتبار هذه الضرورة التى تربط الفكر بالكلمة بمثابة عرقلة فكرية. وموازية لذلك يعتقد البعض بأن ما هو أعلى يفوق الوصف. بيد أن هذا رأى سطحي لا أساس له، لأن ما يفوق الوصف فى واقع الأمر هو الفكر الغامض والمبهم الذى يوجد فى حالة إختمار، والذى لا يبدو واضحاً للعيان إلا حينما يجد ألفاظاً يعبر بها. هكذا تعطى الكلمة للفكر وجوداً أكثر سموً وتأكيده. (فلسفة الروح، سيكولوجية الفكر النظرى، فليكس الكان، ١٩١٥)

ويقول ميرلوبونتي فى كتابه "فينومينولوجيا الإدراك" (١٩٤٥): "ليس الفكر باطنياً، ولا وجود له خارج العالم وبعيداً عن الكلمات".

ويقول فخر الدين الرازى فى "التفسير الكبير": "أما الجمهور الأعظم من أهل العلم فإنهم سلموا أن هذه الخواطر المتوالية المتعاقبة حروف وأصوات حقيقية".

ويرى فتجنشتين أن وظيفة اللغة غير مقصورة على التعبير عما يجول فى نفسى أو توصيل معلوماتى إلى الآخرين. فأننا لا أبداً بملاحظة ما حولى من أشياء وأدركها وأتعلقها وأمارس تصورات وأفكاراً ثم بعد ذلك أصوغها فى لغة، فلا إدراك أو تصورات عارية عن اللغة، بل لا يمكننى أن أدرك شيئاً أو أفهمه أو أتصوره إلا فى قالب لغوى. بل إن استخدام اللغة بالطريقة التى نشأتنا عليها هو الذى يحدد الإطار الذى يمكننى بفضلها أن أعرف نفسى وأرى الأشياء وأفكر فيها، كأننا الإنسان بطبعه كائن لغوى، واللغة هى مفتاح حضارة الإنسان وما يميزه عن غيره من الكائنات.

وقد كان فيلهلم فون همبولت سابقاً على فتجنشتين فى إدراك أن اللغة ليست مهمتها مقصورة على توصيل المعلومات والأفكار بين فرد وآخر وإنما هى التى تحدد تصورات العقل بحيث لا نستطيع إدراك العالم أو معرفته إلا عن طريق اللغة.

ويقول هيدجر: إن اللغة تضيئ على التجربة والإدراك بنيةً مسبقة، فتجعلنا نرى العالم بضوء معين تحدده هذه البنية المسبقة. (المترجم)

والحق أنه يصعب أحياناً في بعض المعارض البينية من البحث أن نقرر إن كان ذلك ينتمى إلى الفلسفة أم إلى علم اللغة.

وكما سوف نرى في هذا الفصل، هناك مقاربات عديدة للمبحث الفلسفى للغة. ومن التصنيفات المفيدة لهذه المقاربات أن تُقسَّم دراسة اللغة إلى: علم التراكيب syntactics الذى يدرس علاقة العلامات اللغوية بعضها ببعض، وعلم دلالة الألفاظ semantics الذى يدرس علاقة العلامات اللغوية بالواقع، والتداولية pragmatic التى تدرس علاقة العلامات اللغوية بمستخدميها من بنى الإنسان.

ومما لا شك فيه أن أهم المفاهيم جميعاً فى فلسفة اللغة هو مفهوم المعنى. وسوف نعرض فى هذا الفصل لمختلف ضروب المعنى، وللنظريات الأساسية للمعنى التى صاغها الفلاسفة. وسيكون علينا خلال ذلك أن نميز بين مغزى المعنى القائم فى جملة من قبيل "تلك السحب" تعنى "المطر" ومغزى المعنى القائم فى جملة مثل "أعزب" تعنى الرجل البالغ غير المتزوج من غير الكهنة. سيتوجب أيضاً أن نميز بين المعنى بوصفه إشارة reference والمعنى بوصفه مغزى sense. فحين أقول "أنا أعنى بوب سميث" فتمة إحالة أو دلالة إشارية، أما حين أقول "الجملة الألمانية Es regent تعنى السماء تمطر"، فتمة مغزى "sense". وسوف نميز أخيراً بين ما يعنيه شخص ما من كلامه، وهو ما يُسمى 'المعنى عند المتحدث' speaker's meaning وما تعنيه الجملة التى يستخدمها من الوجهة القياسية الصحيحة وهو ما يسمى معنى الجملة sentence meaning.

## طبيعة اللغة

ما من شخص إلا ويعلم ما هى اللغة. فاللغة، عند غالبية الناس، تشير إلى إحدى لغات العالم الطبيعية التى يتحدث معظم الناس بواحدة منها أو أكثر كل يوم. يدرك معظم الناس أيضاً أن بعض اللغات، كاللاتينية مثلاً، التى كانت لسان عديد

من البشر في يوم من الأيام، لم تعد تُستعمل في الحياة اليومية، ولم تعد لها حياةٌ إلا في صورتها المكتوبة كموضعٍ للاهتمام الأكاديمي. انطلاقاً من هذا المفهوم الشائع للغة قام كلٌّ من الفلاسفة وعلماء اللغة بإدخال عدد من التحديدات التحليلية ووضع مصطلح فني لكل منها. وسوف نتناول أهم هذه التحديدات في الأقسام التالية من هذا الفصل.

## اللغات الطبيعية واللغات الاصطناعية

يُميز الفلاسفة وعلماء اللغة بين اللغات الطبيعية واللغات الاصطناعية. وسنلقي فيما يلي نظرة فاحصة في كل منهما على التوالي.

اللغات الطبيعية : الإنجليزية والفرنسية والأسبانية والصينية هي بضعة أمثلة للغات الطبيعية. واللغات الطبيعية يتحدث بها جماعات كبيرة نسبياً من البشر. وهي لغات تتطور ببطء، ونادراً ما تكون التغيرات التي تلحق بها متعمدة من جانب الأفراد أو الجماعات. وقد انصبَّت بعض الدراسات العلمية المبكرة للغة على تلك التغيرات البطيئة (والمطرَّدة بشكل مدهش) في الأنماط الصوتية داخل لغةٍ ما، أو بين عدة لغات مرتبطة تاريخياً. تنتمي مثل هذه الدراسات، أي الدراسات التي تتناول تغيرات معينة تجري خلال فترة من الزمن، إلى ما يُسمَّى 'اللغويات التعاقبية' (الدياكرونية) diachronic linguistics. من الممكن أيضاً أن تدرس اللغة كما هي في لحظة زمنية معينة ضاربين صفحاً عن مسائل التطور أو التغير. وتُسمى مثل هذه الدراسات 'اللغويات التزامنية' (السينكرونية) synchronic linguistics. تنصب اللغويات التزامنية على اللغة بوصفها منظومةً أو بنية من العناصر ذات العلاقات المتبادلة، كالألفاظ المفردة على سبيل المثال، والتي لا يمكن أن تُفهم بمعزل عن بعضها البعض<sup>(١)</sup>

(١) كان للعالم اللغوي فرديناند دي سوسير (١٨٥٧-١٩١٣) الفضل في إقامة التفرقة الحاسمة بين السينكروني (التواقيت/التزامن) والدياكروني (التعاقب/التطور التاريخي) في الدرس اللغوي، ومنح الصدارة والأولوية للسينكروني على الدياكروني. وذلك عندما نظر إلى اللغة في صميم نشاطها الوظيفي

**اللغات الاصطناعية:** اللغات الاصطناعية artificial language، مثل لغات الحاسوب، هي لغات يبتكرها أفراد أو لجان من الأفراد لأغراض معينة، ويُسبغون عليها خصائص متعمدة يرون أنها تدعم تلك الأغراض. والحق أن العلاقة القائمة بين العلامة اللغوية، والكلمات، وبين معانيها هي في عامة الأحوال مسألة عُرِفَ متفق عليه أو 'مواضعة' convention. فليس هناك مثلاً ما يحتم على كلمة 'dog' أن تعني ذلك الصنف المستأنس من الكليات، إن الذي يجعل هذه الكلمة تعني ما تعنيه هو أن الناطقين بالإنجليزية يلاحظون بعضهم بعضاً ويتوقعون فيما بينهم أن يلتزم كل منهم بالعرف المتفق عليه والذي يربط كلمة 'dog' بالكلاب.

وفضلاً عن ذلك، ولعله أكثر أهمية، أن هناك أكثر من طريقة لتجزئ العالم وتقطيعه، وكل لغة من اللغات الطبيعية تقوم بهذا على نحوٍ مختلفٍ بعض الشيء. هذه العرفية المزدوجة لكل العلامات اللغوية هي ما يُعرف حالياً بـ "عشوائية العلامة L' arbitraire du signe، وهذا تعبير مأثور عن واحد من مؤسسي علم اللغة الحديث هو فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure (١٨٥٧ - ١٩١٣) والاستثناء الوحيد الممكن لهذه الطبيعة العشوائية للعلامات اللغوية هو ما يعرف بـ "الأونوماتوبيا" onomatopoeia

الفعلى فوجد أن الوجه السينكروني للغة بالنسبة للجماهير المتكلمة هو الذي يمثل الحقيقة الواقعية لكل نشاط لغوي. وقد كانت اللغويات الديكرونية هي السائدة في القرن التاسع عشر، فجاء دي سوسير لكي يؤسس علم اللغة الحديث على قطيعة تامة مع التقليد اللغوي السائد، ولفت الانتباه إلى أهمية الدراسة الوصفية التي تقتصر على النظر إلى "حالات" اللغة، وضرورة استبعاد العامل التاريخي عند دراسة حالة من حالات اللغة. فاللغة عند دي سوسير هي مجرد نسق أو نظام وتؤدي وظيفتها باعتبارها "بنية" structure لا تنطوي في ذاتها على أي بعد تاريخي (من ذلك مثلاً أن تاريخ كلمة ما كثيراً ما يكون بعيداً كل البعد عن أن يفيدنا في فهم المعنى الراهن لهذه الكلمة). وقد اضطلع جيل دولوز بإبراز الطابع المحايث (الكامن/المباطن) immanent للبنية، وقال إن كل ما يطرأ على البنية من عوارض وتغيرات إنما ينبع مما تنطوي عليه البنية ذاتها من ميول كامنة فيها واتجاهات باطنة تكون هي المسئولة عما يعتورها من تغيرات. وسرعان ما انتقل مفهوم البنية من علم اللغة إلى بقية العلوم الإنسانية كالأنثروبولوجيا (ليفى شتراوس) والتحليل النفسى (جاك لاكان) والثقافة (ميشيل فوكو) والماركسية (لويس ألتوسير)، وصارت "البنوية" structuralism حركة فكرية كبرى بلغت أوجها في الستينات من القرن العشرين. (المترجم)

أى التسمية بالمحاكاة الصوتية حيث تقوم بعض الكلمات بمحاكاة الأصوات التى تسميها (مثل كلمة boom بمعنى هدير أو أزيز، وكلمة bow-wow بمعنى نباح) <sup>(١)</sup> أما فى اللغات الاصطناعية فلا مكان لعشوائية العلامة. ويمكن تصور ما يفعله مخترعو إحدى اللغات الاصطناعية بأنهم يقومون باستحداث مجموعة من الكلمات أو الرموز الأخرى مقرونة بمجموعة من القواعد الاصطلاحية الصريحة التى تكفل لكل كلمة أو رمز معنى فريداً محدداً.

## اللغة العادية

المقصود باللغة العادية ordinary language هذه اللغة التى يتحدث بها معظم الناس أغلب الوقت. أو هى بعبارة أخرى لغة الحياة اليومية. وهى تختلف عن لغات

(١) يقول فرديناند دي سوسير فى "محاضرات فى علم اللغة العام" (التي جمعها تلامذته بعد وفاته): "إن العلاقة التى تربط "الدال" signifier بـ "المدلول" signified هى علاقة عشوائية. ومن حيث إننا نغنى بالعلامة نتيجة الربط بين الدال والمدلول، فإننا يمكن أن نقول بإيجاز وبساطة: العلامة اللغوية علامة عشوائية. وهكذا فإن فكرة "أخت" ليست مرتبطة بأية علاقة داخلية مع السلسلة المتتابعة من الأصوات: أ، خ، ت التى تُستعمل كدال بالنسبة لهذه الفكرة. إذ يمكن تمثيلها بسلسلة أخرى من الأصوات. والدليل على ذلك هو الفروق القائمة بين اللغات، بل وجود لغات مختلفة: فللمدلول "ثور" الدال ث، و، ر فى محيط معين، و B, O, E, U, F فيما وراءه.

لقد استخدم لفظ "رمز" symbol للدلالة على العلامة اللغوية، أو على وجه الدقة للدلالة على ما نسميه بالدال. ولكن هناك بعض المصاعب التى تمنعنا من اتخاذه وذلك بسبب مبدئنا الأول نفسه: فللرمز خاصية أنه لا يُدرك يوماً عشوائياً، فهو ليس فارغاً، بل فيه بقية من رابطة طبيعية بين الدال والمدلول. فرمز العدالة مثلاً أى الميزان لا يمكن أن يُستبدل به أى شىء آخر: دبابة أو عربة مثلاً!

يستدعى لفظ "عشوائى" arbitrary الملاحظة التالية: إذ لا يتعين أن يعطى انطباعاً بأن الدال يتوقف على الاختيار الحر للذات المتكلمة (وسنرى أنه ليس بممكنة أى كان أن يغير شيئاً فى علامة ثم استتبابها فى جماعة لغوية معينة).

إننا نريد أن نقول أن ليس له من سبب، أى أن العلاقة بين الدال والمدلول لا تقوم على أية رابطة طبيعية.  
(المترجم)

الاختصاصيين التي تتضمن مصطلحات فنية مثل "الصعود السيمانطيقى" -seman-  
tic assent و "الرؤى المناعى الإشعاعى" radioimmunoassay .

وقد ذهب كثيرون من فلاسفة القرن العشرين إلى أن اللغة العادية، بالمعنى الذى أوضحناه من فورنا، تمنحنا مَنفَذاً إلى جميع المفاهيم الهامة فلسفياً وتمدنا فضلاً عن ذلك بأرهُف وسيطٍ يمكن من خلاله أن نتأمل هذه المفاهيم ونبحثها<sup>(١)</sup> ومن الجهة المقابلة ذهب فلاسفة آخرون مذهباً إصلاحياً، مستلهمين الرياضيات والمنطق فحاولوا تشييد لغات صورية أو مثالية تتلافى عيوباً فى اللغة العادية: كالالتباس، والغموض، والخواء. ورغم أن هؤلاء الفلاسفة لا يمكنهم التنبؤ الفعلى بمدى رواج إصلاحاتهم

(١) يُعتبر جورج مور G. Moore (١٨٧٣ - ١٩٥٨) ولفيج فتجنشتين L. Wittgenstein (١٩٨٩ - ١٩٥١) أمم فلاسفة اللغة العادية وأبلغهم أثراً، بالإضافة إلى أساتذة أكسفورد من أمثال رايل وأوستن وستروسن الذين تأثروا بفكر فتجنشتين بحيث صار اتجاه فلسفة اللغة العادية يُسمى "مدرسة أكسفورد". أما جورج مور فقد ذهب منذ بداية ممارسته الفلسفية إلى أن اللغة العادية يجب أن تكون هى لغة البحث الفلسفى، لأن الفلسفة وتساؤلاتها تتبع من الحس المشترك والمواقف الطبيعية التى يعتنقها الإنسان العادى فى حياته اليومية، ومن الطبيعى أن تُصاغ هذه المواقف فى لغة عادية بسيطة. وقد كان مور يهدف من ذلك إلى الدفاع عن المعتقدات التلقائية المتغلغلة فى حياة البشر فى تاريخهم الطويل، والرد على نزعة الشك التى يثيرها بعض الفلاسفة على مر العصور إزاء المواقف الطبيعية وبخاصة رواد الفلسفة الإنجليزية مثل ديفيد هيوم. وقد كان مور على وعى بما فى اللغة العادية من قصور وغموض والتباس، ورأى ضرورة إصلاحها وتهذيبها، ورأى أن مهمة الفلسفة الوحيدة هى توضيح معانى الألفاظ التى نستخدمها فى صياغة المشكلات الفلسفية وتوضيح التصورات والقضايا الفلسفية عن طريق التحليل اللغوى.

أما فتجنشتين فقد انتهى فى مراحله المتطورة كما تتجلى فى "أبحاث فلسفية" التى نشرت عام ١٩٥٣ (بعد وفاته) إلى ضرورة أن يعود الفلاسفة إلى اللغة العادية وأن يتركوا أى محاولة لإقامة لغة مثالية. ذلك لأن المشكلات الفلسفية تنشأ فى نظره من سوء استخدام الفلاسفة للغة العادية أو تجاهلها، واستخدام الألفاظ بمعانٍ بعيدة كل البعد عن الاستخدام المألوف. فهم عنده مرضى مصابون بداء القلق والحيرة والوهم بسبب استخدامهم لغة فنية اصطلاحية تلصق بالألفاظ معانى غريبة من خلق عقولهم ولا أساس لها فى الاستخدام العادى، مما أوقعهم فى مأزق فكرية. ورأى فتجنشتين أن مهمة الفيلسوف الجديدة هى نوع من العلاج الفلسفى لهؤلاء المرضى الذين تسيطر على أذهانهم نماذج لغوية معينة، وأن علاجهم هو فى عودتهم إلى اللغة العادية وصياغة المشكلات الفلسفية فى إطارها، بحيث نحل المشكلة حلاً أفضل أو يتبين لنا أنها مشكلة وهمية لا وجو لها إلا فى عقول الفلاسفة. (المترجم)

المقترحة على النطاق العام، فإن بمقدورهم على الأقل أن يتبنوا هذه الإصلاحات بأنفسهم ويستخدموها في مقالاتهم وكتبهم.

## التغلب على الالتباس

كثير من كلمات اللغة العادية كلمات ملتبسة ambiguous، أى كلمات تعنى شيئين (أو أكثر) مختلفين تماماً. ومن الوسائل التى يمكن بها التغلب على الالتباس أن نَعْمِدُ إلى إضافة رمز دللى سفلى "subscription". خذ مثلاً<sup>(١)</sup> كلمة reason التى يمكن أن تعنى: cause (سبب)، motive (دافع)، justification (مبرر)؛ بالإضافة إلى عديد من المعانى الأقل شيوعاً. فإذا لم يكن السياق الذى ترد فيه الكلمة كفيلاً بأن يزيل الالتباس عنها، فلا يزال بإمكاننا أن نكتب reason c، reason m، reason j، حريصين فى ذلك على أن نوجه عناية القراء إلى معنى الرموز المتضمنة.

## التغلب على الغموض

كثير من كلمات اللغة العادية هى كلمات غامضة، أى كلمات يصعب أحياناً أن نعرف هل تصح فى هذا المقام أو لا تصح. يمكننا فى هذه الحالة إن كانت الدقة مطلباً ضرورياً أن نتواضع على الطريقة التى سوف نستخدم بها هذه الكلمة أو تلك (أو نعلن ذلك جهاراً). فالتعريف التواضعى لكلمة 'عجوز' مثلاً قد يرد هكذا: "أعنى بلفظة 'عجوز' أن المرء قد بلغ يوم ميلاده السابع والستين"، وليس لأحد أن يمارينى فى ذلك قائلاً أن ليس هذا ما تعنيه كلمة عجوز على وجه التحقيق. ذلك أن التعريفات التواضعية لا تزعم

(١) طبعاً يسهل أكثر إعطاء مثال من اللغة العربية، ليكن: قصّ يقص، وهو فعل يعنى يقطع ويجتث، ويعنى يروى ويحكى، وأيضاً يتتبع الأثر ويقتفيه.... وهكذا، لكننا أثّرنا الحفاظ على السياق الأصلي للنص الإنجليزى. (المراجعة)

أنها تقرر كيف يستخدم الناس كلمات معينة، وإنما يعنيه أن تقيم استخداماً وتؤسسه تأسيساً من أجل غرض معين في سياق معين. على أن هذا لا يمنع أن تكون مواضعة ما عابثة أو سخيفة.

## التخلص من الحدود الفارغة

قلنا فيما سبق إن هناك فلاسفة مناهضين للغة العادية ويرون أنها بحاجة إلى إصلاح. أبدى هؤلاء الفلاسفة أيضاً قلقهم حول ما أسموه بالحدود الفارغة *vacuous terms* أى الحدود التى تبدو مثل الأسماء بينما هى فى الحقيقة لا تسمى شيئاً. تأمل مثلاً هذين الزوجين من أسماء الأعلام: 'جورج واشنطن' و'زيوس'. إن كليهما يزعم أنه ينتقى فرداً ما ويصطفيه ويقع عليه. ولكن بينما يفى اسم 'جورج واشنطن' بذلك فإن اسم 'زيوس' لا يصطفى أحداً ولا يقع على أحد. فليس هناك شيء يقابل اسم 'زيوس' بنفس الطريقة التى يقابل بها شخص معين هو جورج واشنطن اسم 'جورج واشنطن'.

ثمّة خطأ يقع فيه أحياناً الطلبة المبتدئون فى دراسة اللغة، إذ يدّعون أن 'زيوس' هو اسم لفكرة معينة أو مفهوم. والصواب أن كلمة 'زيوس' تسمى إلهاً، ولكنه إله غير موجود، بينما 'مفهوم زيوس' يسمى فكرة معينة أو تصوراً. وهى فكرة أو تصور موجود بالفعل.

ولنتأمل أيضاً هذين الزوجين من الأسماء الكلية: 'حصان'، 'وحيد القرن'. فبوصفهما اسمين كُليّين يزعم كلاهما أنه ينطبق على أيما عضو فى فئة معينة (فئة الأحصنة للأول وفئة وحداء القرن للثانى). ولكن إذا كانت فئة الأحصنة هى فئة ذات أعضاء، لأن هناك أحصنة، فإن فئة وحداء القرن ليس لها أعضاء، لأنه ليس فى الوجود وحداً قرن. ونكرر هنا أن من الخطأ أن نقول إن 'وحيد القرن' تسمى فكرة معينة أو مفهوماً. فالحق أن 'وحيد القرن' تسمى نوعاً من الحيوان، وهو نوع لا وجود

له. أما 'مفهوم وحيد القرن' فهو بالطبع يسمّى مفهوماً معيناً أو تصوراً، وهو تصور موجود بالفعل.

يقال لهذه الحدود التي من قبيل 'زيوس' الذي لا يُسمّى شيئاً ( كما يفعل غيره من فصيلته اللفظية إذ يسمّى شيئاً ما ) و'وحيد القرن' الذي لا ينطبق على أفراد (شأن غيره من فصيلته اللفظية إذ ينطبق على أفراد) - يقال لها 'حدود فارغة' أو 'حدود خاوية'.

هل يمكن عملياً التخلص من الحدود الفارغة؟ إن الفلاسفة، وكذلك اختصاصيي اللغة الآخرين، قد تخيلوا في بعض الأحيان لغةً مثاليةً خلواً من الحدود الفارغة. فهل مثل هذا الهدف ممكنٌ عملياً؟ وبافتراض أن بإمكاننا تحقيقه فهل هو مطلبٌ مُجَرِّ وجديرٌ بالعناء المبذول في سبيله؟ هذه مسائل خلافية لا يتفق حولها الخبراء، ولا هم يتفقون حول المدخل الجدير بحلها. على أن هناك حلاً معقولاً ( ومقبولاً على نطاقٍ عريض ) يأخذ هذا المنحى: بإمكاننا أن ندمج في اللغة نفس القدر من التزاماتنا الأنطولوجية الراهنة الذي يمكن أن نؤسسه بمعزلٍ عن اللغة ولا نزيد عليه. إننا نعرف أننا لا نعتقد بوجود زيوس ولا بابا نويل ولا السحرة ولا الفلوجستون، ولسنا بعاجزين عن التخلص من هذه الحدود الأربعة. غير أن هذا عبثٌ لا طائل من ورائه، وربما كان ضاراً. ذلك أن وجود حدود فارغة داخل اللغة لا ضيرٌ فيه مادامنا نذكر أن ليس كل اسمٍ يُسمّى (شيئاً). فاللغة وإن كانت تعيننا على التفكير إذ تمدنا بمخزونٍ ضخمٍ من المفاهيم والمقولات، فهي لا يمكنها أن تفكر بالنيابة عنا؛ وعلى كل منا أن يقرر هل يقول "زيوس موجود" أم يقول "زيوس غير موجود".

إن كل شيء ينشغل به البشر ويأخذونه مأخذ الجد ويلتزمون به، لابد أن يجد طريقه إلى داخل اللغة، حيث يعمر طويلاً بعد أن تزول الاعتقادات وتتبدل الالتزامات. فاللغة ليست مخزوناً مباشراً لما هو موجود بل هي بالأحرى من جانب ما مخزون أثرى وتاريخي، لما تراءى للبشر يوماً أنه جدير بالحديث عنه والقول فيه. هذا الطابع التاريخي/ التذكاري التراكمي للغة هو ما يجعل تنقيتها من التعبيرات المتنافرة مع

قناعاتنا الحالية عملاً ضاراً وخسراً حقيقياً. إن اللغة تساعدنا على استقصاء تاريخ كل شيء والتعبير عنه. ونحن يهمنا أن نكون قادرين على أن نقول إن الناس كانوا ذات يوم يعتقدون في السحرة ولكن معظمهم الآن كفوا عن ذلك، أو أن نقول إن العلم حاول في إحدى مراحلها أن يفسر الاحتراق بمادة الفلوجستون، أو أن قدامى الكيميائيين جاهدوا لتحويل الرصاص إلى ذهب باستخدام شيء كانوا يطلقون عليه اسم 'حجر الفلاسفة'.

## الصورة form

بإمكان معظم الناس أن يميزوا بين صورة الجملة أو شكلها من جهة ومضمونها من جهة أخرى. فهم يدركون أن جملة "كل السويديين بروتستانتيون"، "كل الغربان سوداء" لهما نفس الصورة أو الشكل وإن كان لهما مضمونان مختلفان. فالأولى تتحدث عن ديانة السويديين والثانية عن لون الغربان. وهناك طرق كثيرة لعزل الصورة اللغوية وتحليلها. على أننا ينبغي أن نشير إلى أن اللغويين مدخلاً لدراسة الصورة (الشكل/الصورة) يختلف بعض الشيء عن مدخل الفلاسفة.

## مقاربة اللغويين للصورة

النحو والتركيب grammar and syntax : يحاول اللغويون ممن يدرسون لغات معينة أن يضعوا تصنيفات للصور المختلفة للكلمة والجملة يمكن أن تُستخدم لوصف العلاقات الهامة التي تربط بين تلك الصور. وتُسمى حصيلة جهودهم أحياناً (بالنسبة للغة ما، لتكن اللغة ل) "نحو ل" أو "تركيب ل" أو "نحو وتركيب ل". يمكن تفسير هذا الخلط الاصطلاحي الظاهري كما يلي: فالنحو، بالتعريف الدقيق، يعنى تصنيف أجزاء الكلام وأنواع الجمل. والتركيب syntax، بالتعريف الدقيق، يعنى تحديد قواعد التضام combination rules التي تحكم اجتماع كلمات من مختلف الفصائل النحوية gram

matical categories وتعين ما يجوز من تلك التراكييب وما لا يجوز. على أن كلمتي "نحو" و "تركيب" كثيراً ما تُستخدمان على التعاوض إلى جانب استخدامهما وفق هذين التعريفين الصارمين.

علم اللغة المقارن : يُعنى عالم اللغة فى المقام الأول بإنشاء علم النحو والتراكيب الخاص بلغة معينة. وبعد أن تتم هذه المهمة بخصوص عدد من اللغات يمكن للغويين أن يشرعوا فى عقد المقارنات. وقد أظهرت الدراسة المقارنة أن كثيراً من الملامح التركيبية/النحوية (وإن لم تكن كلها) يمكن تبينها فى مجاميع من اللغات، وبخاصة تلك التى تنحدر من أصل مشترك.

مثال للصورة النحوية/التركيبية: تأمل هذين الزوجين من الجمل: 'جون يحب مارى' و'جون يهاب مارى'. إن كليهما له هذه الصورة: 'م ك ن' حيث م تمثل الفاعل، ن تمثل المفعول، ك تمثل أياً من فئة معينة من الأفعال. إن ما يجعل هذا التحديد للصورة أمراً مثيراً للاهتمام هو أنها يمكن أن تُستخدم للتعريف بعملية تُسمى 'التحويل لصورة المبنى للمجهول': فحين نعطى هذه الصورة 'م ك ن' بوصفها مُدْخَلاً input يمكننا متى شئنا أن نستخلص هذا المُخْرَج 'output' ن تكون ك بواسطة م'. فبالنسبة للجملتين اللتين تَمَثَّلُنَا بهما فإن التحويل لصورة المبنى للمجهول يُنتِج هذين التركيبين المَحْوَلَيْن: 'مارى محبوبة من قِبل جون' و'مارى مهابة من قِبل جون'.

### مقاربة الفلاسفة للصورة

النحو المنطقى والتركييب المنطقى: لا شك أن اهتمام الفلاسفة بالملامح الخاصة باللغة أقل بكثير من اهتمام اللغويين. إنما يعنيتهم فى المقام الأول تلك الجوانب من الصورة النحوية/التركيبية التى تلعب دوراً فى الاستنتاج والاستدلال والحجة من حيث الصواب والخطأ. فالجمل ذات الصورة "كل ق هى ك" مثلاً تلعب دوراً فى الحجج المسماة بالقياس syllogism .

الصورة المنطقية : يقودنا هذا إلى ملمح آخر لمقاربة الفيلسوف؛ ذلك أن الحجج غالباً ما توضع في صورة قياسية تتضمن جملاً ذات صورة معينة. ومن ثمّ يكثر أن تُخضع جمل اللغة العادية للنظام الموحد، أو قل تُترجم إلى صورة قياسية. بذلك قد نحول جملة "كل الكلاب تنبح" كي تطابق قالب القياس إلى جملة "كل الكلاب نوابح".

ينبغي أن نتذكر، رغم كل ذلك، أنه لا يوجد شيء اسمه 'الصورة' (بألف لام التعريف) الخاصة بجملة ما. فنحن نتوهم الصورة بطرائق مختلفة وفق ما يعيننا من أغراض. فهناك جوانب من الصورة قد تكون غير ذات شأن في فهم بعض العمليات الاستدلالية وهي مع ذلك حاسمة وأساسية في فهم عمليات أخرى. كذلك فإن النسق المستخدم هو الذي يحدد أي الصور هي الأنسب للعزل على وجه التحديد. فالصورة "كل ق هو ك" هي النظرية isolate الصحيحة لمنطق الحدود التقليدي، بينما الصورة "لكل س، إذا «ق س» ، إذن ك س" هي النظرية الصحيحة للمنطق التكميمي الحديث (قس هي الطريقة القياسية لكتابة س هو ق).

## اكتساب اللغة والمذهب الفطري

### اكتساب اللغة

يولد البشر على غير علم بلغاتهم القومية. كما أن نوع اللغة التي يتأتى لهم في النهاية أن ينطقوا بها يتوقف على ما يتحدث به الناس من حولهم. وقد أوجت هذه الحقائق بتفسير تجريبي لاكتساب اللغة: أي أننا نتعلم لغتنا الوطنية عن طريق الخبرة أو التجربة experience . فنحن نحاسي الآخرين من حولنا، وهم بدورهم يدعمون جهودنا إيجاباً أو سلباً حسب الحال، بأن يثيبننا على الصواب بابتسام مثلاً ويعاقبوننا

على الخطأ بالعبوس. ومهما يكن هذا النموذج التجريبي (القائم على التجربة/المحاكاة) طبيعياً وسوياً فقد استُهدف مؤخراً لألوانٍ من النقد الشديد(\*).

(\*) يُعد اللغوي الأمريكي ليونارد بلومفيلد L. Bloomfield (١٨٨٧ - ١٩٤٩) أول من قدم صياغة تطبيقية للمبادئ السلوكية في علم النفس على دراسة اللغة بوصفها سلوكاً إنسانياً تنطبق عليه كل الأسس السلوكية بصفة عامة. وفيما يتعلق باكتساب اللغة يفسر بلومفيلد عملية اكتساب الطفل للغة الأم من خلال تعزيز استجابة معينة إزاء مثير معين أو إحباطها ومحوها إذا كانت خاطئة لا تفي بالغرض. وقد تابع بلومفيلد كثيرون، أهمهم وأبلغهم أثراً هو عالم النفس الأمريكي ب. ف. سكينر B. F. Skinner (١٩٠٤ - ١٩٩٠) رائد ما يعرف بالاشتراط الإجرائي operant conditioning، الذي أعطى المنهج السلوكي في تفسير اللغة واكتسابها وممارستها صورة أكثر دقة وصرامة، وقدم نظريته اللغوية بالتفصيل في كتابه "السلوك اللفظي" verbal behavior عام ١٩٥٧ وقد تعرضت نظرية سكينر في اللغة إلى هجوم شديد من جانب نوام تشومسكي عالم اللغة الأمريكي الشهير مؤلف كتاب "الأبنية التركيبية" syntactic structures الذي يعد أهم إسهام في علم اللغة النظرى في النصف الثاني من القرن العشرين. يرى تشومسكي أن السرعة التي يكتسب بها الأطفال لغتهم الوطنية لا يمكن أن تفسرها نظرية التعلم، إنما تتطلب الاعتراف بوجود استعداد ذهني فطري يتمثل في نظام نحوي عالمي سليقي غير مكتسب يزود الطفل بأنواع القواعد التي سيفهم الطفل أنها مدمجة في أمثلة الكلام التي سيصادفها في حياته. وبلغ الكمبيوتر يمكننا أن نقول إنه ما لم يكن الطفل حائزاً مسبقاً على الصنف الصحيح من العتاد الرخو (البرامج) software لما تسنى له أن يلتقط النظام النحوي للغة بالطريقة التي يحققها بالفعل. وفي دراسة له بعنوان "مراجعة السلوك اللفظي لسكينر" (١٩٥٩) يسوق تشومسكي الأدلة على عقم النظرية السلوكية في دراسة اللغة ويؤكد أنها إذا كانت قد نجحت مع الفئران وحيوانات المعمل حيث المثير واضح ودقيق والإشراف بسيط إلى أقصى حد، فإنها لا تصلح للتعامل مع الإنسان فضلاً عن التعامل مع اللغة التي تتصف فيما تتصف به بالتعقيد والإبداع والتحرر من المثير. وفي كتابه "اللغويات الديكارتية" Cartesian linguistics يفصل تشومسكي المتضمنات العقلية المضادة للتجريبية لنظريته في اللغة.

على أن نظرية تشومسكي، رغم تأثيرها الهائل ونفوذها العريض، لم تسلم بدورها من النقد. من ذلك أن فيلسوفاً بحجم جلبرت رايل G. Ryle (١٩٠٠ - ١٩٧٦) قد وجه إليها انتقادات شديدة قائلاً إنها لا تعير انتباهاً إلى الحقائق الموضوعية المؤيدة للمحاكاة والمدمجة لتأثير الممارسة في عملية التعلم، وتريد أن تملأ الفجوة التفسيرية بـ "غيوم من التمجيد البيولوجي".

وصفوة القول أن مدرسة تشومسكي قد كُتبت لها السيادة على الدرس اللغوي الحديث الذي أغلق الباب أمام التفسيرات السلوكية المتبسطة التي قدمها بلومفيلد وسكينر وإن لم ينفها تماماً، فقد بقي للإشراف دور ما ولكنه مختلف تماماً عن الإشراف البسيط الذي تحدث عنه السلوكيون. وأخذ البحث اللغوي المعاصر يكشف عن الدور المتعاظم للعقل والعمليات الذهنية في فهم الكلام وإنتاجه، الأمر الذي سيفتح المجال أمام ارتباط وثيق بين علم اللغة وعلم النفس المعرفي. (المترجم)

## نقد نموذج التجربة/المحاكاة

قلنا إن هذه النظرية في اكتساب اللغة، والتي تقوم على التجربة/المحاكاة، قد تعرضت لعدد من الانتقادات المتأزرة كان أبلغها أثراً تلك التي تقدم بها نوام تشومسكي Noam Chomsky. ويمكن أن نوجز هذه الانتقادات فيما يلي: (١) إن عينات الجمل التي تُنمى إلى مسامع الطفل قليلة العدد جداً. (٢) إن جميع الطفل لعينة الجمل التي تصله ينطوى على عناصر غير قوينة. فهو يسمع جملاً تتضمن الكثير من الهنات وأخطاء الأداء من مثل الوقفات والتكرار وزلات اللسان. (٣) يبدو أن القدرة على استعمال اللغة ليست من وظائف الذكاء العام، فكثير من الأطفال المتخلفين عقلياً يتعلمون الحديث بلغاتهم القومية.

## الكفاءة اللغوية والإبداع اللغوي

تقوم هذه الحجج المضادة لنموذج التجربة/المحاكاة على تصور القدرة الخاصة باستخدام اللغة بوصفها "كفاءة لغوية" linguistic competence. ليست الكفاءة اللغوية مجرد القدرة على إعادة إنتاج جمل سبق للمتحدث سماعها، بل تشمل القدرة على إنتاج (وفهم) كثير من الجمل الجديدة. إن الكفاءة اللغوية هي قدرة غير محدودة على توليد جمل يميزها الآخرون كجمل جيدة الصياغة ويستطيعون فهمها. ويطلق على هذا الطابع الخاص بالكفاءة اللغوية، والبعيد كل البعد عن الترييد الببغائي، اسم الإبداع اللغوي أو الخلق اللغوي linguistic creativity.

## الفطرية

كيف لنا أن نفسر القدرة (الكفاءة) اللغوية متضمنةً الخلق اللغوي ومشتمةً عليه؟ ليست هناك إجابة واحدة عن هذا السؤال. وما يزال المنظرّون، سواء من الفلاسفة

أو اللغويين، على خلاف بصدد هذه المسألة. وما يزال بينهم من يعتقد أن التعلم من التجربة يمكن أن يفسر عملية اكتساب اللغة. بينما يرى الآخرون، مقتدين في ذلك بتشومسكى، أن هناك ضرباً من 'النحو العمومى أو العالمى' مطموراً بالجهاز العصبى، وما تفعل لغاتنا القومية الخاصة ليس أكثر من أن تعدّله وتحوره وفق متطلباتها بواسطة الخبرات اللغوية المبكرة. فإذا صحت هذه النظرية فلا بد أن نتوقع من الدراسات التجريبية للغات أن تعزل (تستخلص) نظاماً نحوياً مجرداً *abstract grammar* يشمل جميع اللغات ويؤلف الصميم الفطرى والملامح الأساسية المشتركة بين جميع اللغات الطبيعية.

يبقى أن مسألة كم حصّة التعلم من التجربة وكم حصّة الفطرة في أية مهارة أو قدرة، لغوية أو غير لغوية، هي مسألة تتوقف كثيراً على البحث التجريبى. ومن ثم لا يمكن أن تُحسَم بناءً على تفضيل أو ميل فلسفى عام سواء إلى جانب المذهب التجريبى أو بعيداً عنه.

## علم التراكيب

يُعرف علمُ تراكيب الجمل *syntactics* تقليدياً بأنه علاقةُ العلامات اللغوية ببعضها البعض. والعلامة اللغوية هي ما يُسمّى في اللغة العادية بالكلمة. وإذا كان غير المختصين يميلون إلى أخذ مفهوم الكلمة على علاته ويسلمون به تسليمًا، فليس من اليسير في النظرية اللغوية أن نقرر ما الذى يُعدُّ كلمةً مفردة بالضرورة. ولا هو من السهل في الممارسة اللغوية أن نشيّد قوائم لفظية للغات التى نبدأ دراستها من الصفر.

لنفترض أن اللغويين قد انتهوا من تحديد جميع الكلمات الخاصة بلغة ما. عندئذ تكون الخطوة التالية هي تصنيف الكلمات وفق المقولة النحوية. و "المقولات النحوية" في كثير من اللغات هي تلك المقولات المألوفة من مثل الاسم والفعل والصفة...إلخ. غير أن

التوجه الكلى فى عملية التصنيف النحوى هو من أجل أغراض التركيب الذى يحدد أى هذه المقولات النحوية من الكلمات يمكن أن يجتمع ويتضم معاً. فالتركيب بالنسبة للغة ما هو مجموعة قواعد التضام الخاصة بهذه اللغة. إن فهمنا الضمنى للتركيب هو الذى يتيح لنا أن نتبين أن سلسلة لفظية مثل: 'الكانوا فوق هو لادى تفاحة' هى سلسلة غير صحيحة التركيب. وربما أمكننا أن نرفض هذه الجملة حتى دون تأمل معناها. أى أننا لا نرفضها لغياب المعنى (بل لفساد التركيب). وليلاحظ القارئ أن هناك جملاً بلا معنى وهى من حيث التركيب صحيحة تماماً، مثل هذه الجملة: 'تعضُ الأعدادُ الكسولةُ تكمنُ غاضبةً على عَصِيٍّ الوَحْلِ الزوجيُّ العددُ'.

### استقلالية التركيب

هذه واحدة من المسائل الهامة والخلافية فى فلسفة اللغة: هل من الممكن أن نعزل مستوى تركيبياً مستقلاً تماماً؟ هل من الميسور أن نقيم أحكاماً عن صحة التركيب دون أن نولى اعتباراً لمعانى الكلمات التى نقوم بفحص ترابطها وتضامها؟ إنها أيضاً مسألة لم ينعقد بشأنها اتفاق.

### التركيب والمقاربات الصورية

يُعَدُّ التوكيد على التركيب شيئاً وثيق الصلة بتلك البرامج البحثية، سواء فى علم المنطق أو اللغة أو الحاسوب، التى تحاول أن تكتشف مقدار الحوسبة *computation* (أو 'التفكير' بتعبير اللغة العادية) الذى يمكن أن يُجرى بدون الرجوع إلى المعنى. فإذا ما أمكننا صياغة قواعد لتناول الرموز قائمة على شكل الرمز أو أية خصائص صورية أخرى، فمن الممكن أن تأخذ هذه القواعد صورة الحسابات الرمزية *algorithms* - أى قواعد يؤدي إتباعها إلى نتيجة صحيحة فريدة لا ثانى لها دون تعويل على ملكة الحكم البشرية. من الواضح أن آلة الجيب الحاسوبية تفعل الكثير من ذلك فى نطاق من

العمليات الحسابية. إن شكل الإشارات المدخلة هو الذى يحدد شكل الإشارات المخرجة دون أى ذكر لما تعنيه الإشارات المدخلة (ولتكن أرقاماً)، ودون تورط فى السؤال الذى كثر فيه النقاش عن 'ما هى الأعداد'. إن البحوث التى تجرى الآن حول الترجمة الآلية للغات الطبيعية تشتمل على محاولة استخدام ملامح صورية/ تراكيبية خالصة للعناصر اللغوية.

## علم دلالة الألفاظ (السيمانطيقا)

يُعرف علم دلالة الألفاظ semantics تقليدياً بأنه الدراسة التى تتناول علاقة العلامات اللغوية بالعالم (على أن نفهم 'العالم' هنا بوصفه شاملاً لكل صنوف الواقع الخارج عن اللغة). وعلى النظرية السيمانطيقية أن تنبئنا: (١) كم عدد العلاقات السيمانطيقية الأساسية؟ (٢) كيف ينبغي أن نميز كلاً من هذه العلاقات؟ هناك لحسن الحظ أو لسوءه أكثر من نظرية سيمانطيقية بالساحة. غير أنه من المتعين على أى نظرية سيمانطيقية أن تشتمل بالضرورة على شىء يناظر (أو يؤدي الدور السيمانطيقى لـ) المعنى الحقيقى والوصف والصدق.

## المعنى الحقيقى (المحدد)

المعنى الحقيقى denotation هو أن تُسمى الشىء. وهذا ما تقوم به أسماء الأعلام على أكمل وجه (حين لا تكون فارغة)، وتقوم به أحياناً عناصر لغوية أخرى كالضمائر. إن كلمة 'سقراط' تعنى سقراط أو تسميه. ويمكن أيضاً أن نقول إن كلمة 'سقراط' تحيل إلى سقراط أو تلقّبه. إذن فالمعنى الحقيقى (المحدد)، والإحالة (الدلالة الإشارية) reference، والتلقيب (إطلاق اسم) designation، كلها تعمل فى التراث المكتوب كمعادلات للتسمية naming. وتسمى التعبيرات التى تؤدي المعنى الحقيقى أيضاً 'الحدود المفردة' individual terms.

## كيف تعمل الأسماء

رغم إلفنا للتسمية والأسماء، فإننا نجد صعوبة أن نصف وصفاً شافياً كيف تقوم الأسماء بعملها على وجه الدقة. ما هو بالضبط ما يَقْرُ في فهمي إذ أفهم الاسم 'سقراط'؟ إنه بالتأكيد شيء أكثر من مجرد معرفة أن 'سقراط' تسمى سقراط. هناك من يقترح أنني لا بد أن أعرف، فضلاً عن ذلك، من يكون سقراط. ربما يكفي أن أعرف أنه كان فيلسوفاً يونانياً قديماً، ومعلماً لأفلاطون، وأنه القائل 'كل ما أعرفه هو أنني لا أعرف شيئاً'. ورغم وجاهة هذا الاقتراح فهو يثير المشكلة التالية: إذا كانت هذه الأوصاف الملحقة ترشدنا في تحديد من يكون المقصود بالكلمة (المشار إليه، المرجع) أو الملقب (المسمى)، فمن الطبيعي أن نرى أن المقصود أو المسمى هو أيما شخص تنطبق عليه الأوصاف الملحقة. هذا أيضاً قد يبدو وجيهاً. ولكن افترض أن بعض معلوماتي (أو كلها) خاطئ. هبُ شخصاً آخر، وليس سقراط، كان هو معلم أفلاطون – أيبقى 'سقراط' له اسماً؟

هذه النتيجة لا تبدو مقبولة. ومرة ثانية نقول إننا نعرف شكسبير بوصفه كاتب مجموعة المسرحيات الشهيرة، فلو أنه ثبت يوماً أن هذه المسرحيات كانت في الحقيقة لفرنسيس بيكون، سيبقى من الخطأ رغم ذلك أن نعتقد أن اسم 'شكسبير' في الحقيقة كان دائماً يُطلق على بيكون.

## التلقيب الصارم

ثمة اقتراح آخر مرتبط باسم شاول كرييكه Saul Kripke (١٩٤٠ - ؟) هو أن أسماء الأعلام (وبعض العناصر اللغوية الأخرى) هي ملقبات صارمة - rigid designators. وتكون المفردة اللغوية ملقبة تلقيباً صارماً إذا وفقط إذا كانت تصطف في نفس الفرد في كل العوالم الممكنة. ومادام الفلاسفة يتحدثون عن 'العوالم الممكنة' فخليق بنا في هذا المقام أن نقول شيئاً عما تعنيه هذه العوالم الممكنة. فالعالم الممكن

هو عالم 'كان بالإمكان ألا يوجد'. ورغم أنه في العالم الحقيقي أو الفعلي قد قام سقراط حقاً بتعليم أفلاطون فقد كان من الجائز ألا يفعل. فثمة عالمٌ ممكنٌ أو 'كان بالإمكان أن يوجد' لم يقم فيه سقراط بتعليم أفلاطون. (قولنا إن العالم الحقيقي ليس هو العالم الوحيد الممكن هو إذن طريقة بلاغية أو مجازية لقولنا إن الأشياء كان من الممكن أن تكون على غير ما هي عليه).

بوسعنا الآن أن نطبق ذلك على الاسم 'سقراط'. يبقى اسم 'سقراط' يسمَّى سقراط في العوالم الممكنة حيث مختلف الأشياء التي نعرفها عن سقراط غير واردة. والحق أن الشخص الفريد الذي يقع عليه اسم 'سقراط' كان من الجائز أن يُسمَّى باسم آخر. غير أنه لم يكن بالإمكان أن يكون شخصاً آخر. هذا هو السبب في أنه ليس هناك عالم ممكن يتعذر فيه على سقراط أن يكون سقراط، وإن يكن هناك عالم ممكن يتعذر فيه على سقراط أن يتسمَّى 'سقراط' (\*).

## العماد

إذا لم يكن اسم 'سقراط' معلقاً بسقراط عن طريق الأوصاف التي تنطبق على سقراط، فكيف يتعلق إذن؟ ثمة اقتراح يُطلق عليه "نظرية العِماد baptism" في

(\*) العوالم الممكنة possible worlds مفهوم منطقي بالأساس. وهو الفكرة المحورية للاستكشاف السيمانتيقى لما يُعرف بالمنطق الجهوى modal logic ويُعتبر العالم الممكن هنا وضعاً بكامله، أو هو عالم تكون فيه لكل قضية قيد البحث قيمة صدق truth-value محددة. فالقضية ق تكون قضية ضرورية إذا كانت صادقة في كل العوالم الممكنة، وتكون ممكنة إذا كانت صادقة في بعض العوالم الممكنة، ومستحيلة إذا لم تكن صادقة في أي عالم ممكن. ورغم جدوى هذه الفكرة وفائدتها المؤكدة في استكشاف المنطق الجهوى، فهي على الصعيد الفلسفي مثار جدل كبير. وقد اختلف الفلاسفة حولها اختلافاً شبيهاً باختلافهم حول الرياضيات: فمنهم من اتخذ إزاهما موقفاً أفلاطونياً واقعياً (الواقعية الجهوية modal realism)، ومنهم من اتخذ موقفاً بنائياً constructivism زاعماً أننا نبدعها ونخلقها، ومنهم من ذهب مذهباً صورياً formalism واعتبر فكرة العوالم الممكنة مجرد أداة نافعة في المنطق لا أكثر ولا أقل. (المترجم)

الأسماء (أو النظرية السببية فى الدلالة الإشارية) وتقتضى هذه النظرية أن اسم 'سقراط' يتعلق بسقراط عن طريق شعيرة تسمية أولى، هى المعمودية أو العماد، حيث هناك شخص مناسب يقول: هاأنذا بهذه الواسطة أُسمى هذا الطفل الصغير (كائن إنسانى يُحمل على الأيدى أو يُشار إليه بالإصبع أو يُنظر إليه بالعين) سقراط. بعدها ينتقل الاسم بطريقة تسلسلية إلى مستخدمين لاحقين، وتُسمى هذه النظرية بالنظرية السببية للدلالة الإشارية لأن الاستخدامات اللاحقة للاسم لها استخدامات سابقة بين أسبابها، وهى من ثم تؤلف سلسلة سببية يمكن أن تُستقصى عوداً فى الماضى حتى تنتهى عند العماد البدنى.

### الجمال المحتوية على أسماء فارغة

هناك أسماء معينة يتعذر أن تُسمى أفراداً رغم أنها مصنفة نحويًا كأسماء أعلام. وأياً ما كان تاريخ هذه الأسماء فإن استخدامها لا يمكن أن يُقتفى عوداً فى الماضى حتى العماد البدنى. مثل هذه الأسماء التى لا تسمى شيئاً - يُقال لها 'الأسماء الفارغة'. وحين تقع فى الجمال حدود فارغة تبرز لنا مشكلتان منفصلتان:

(١) افترض أنى أقول "زيوس هو أبو الآلهة"، فهل قلتُ بذلك شيئاً كاذباً؟ إذا كان الأمر كذلك فإن جملة "زيوس ليس أبا الآلهة" يجب إذن أن تكون صادقة. ولكن إذا كان زيوس غير موجود فليس هناك من أحدٍ حتى نقول عنه إنه ليس أبا الآلهة. ربما يكون ما ينبغى أن نقوله هو: حيث إن كلا الجملتين 'زيوس هو أبو الآلهة' و 'زيوس ليس أبا الآلهة' تفترضان مسبقاً وجود زيوس، فإذا كان هذا الافتراض المسبق غير صحيح فإن كلا الجملتين لا هو صادق ولا كاذب. لاحظ أن هذا الحل يتضمن التفرقة، على الأقل فى بعض العبارات، بين ما تقرره العبارة وما تفترضه مسبقاً. وهى تفرقة يقبلها بعض فلاسفة اللغة ولا يقبلها البعض الآخر.

(٢) تتمتع كثير من الأسماء الفارغة بمنزلة خاصة بصفتها أجزاء من الأساطير والروايات الشهيرة. وزيوس مثال من الأساطير، وأوليفر تويست وهولدن جولفيلد مثالان

من القصص الشهيرة. إننا نتمنى أن يكون بوسعنا أن نقول إن جملة 'كان أوليفر تويست في حقبة من عمره نشالاً' صادقة بينما جملة 'كان أوليفر تويست في حقبة من عمره صاقل عدسات' كاذبة. ولكن، كما نبهتنا مناقشاتنا لفكرة الافتراض المسبق، ليس هناك شخص كي نتحدث عنه الجملة الصادقة أو الكاذبة. الحل إذن أن نعامل كلتا الجملتين كجملتين بهما حذف إيجازي ellipsis. إن ما تعنيه الجملتان إذا ما أفصحنا عن مرادهما بوضوح وتام يمكن أن يُعبر عنه كما يلي: 'وفقاً لرواية ديكنز "أوليفر تويست" كان أوليفر تويست في حقبة من حياته نشالاً' (عبارة صادقة عن رواية حقيقية)، و'وفقاً لرواية ديكنز "أوليفر تويست" كان أوليفر تويست في حقبة من حياته صاقل عدسات' (عبارة كاذبة عن رواية حقيقية).

## الوصف

ثانية العلاقات السيمانطيقية الكبرى هي ما يسمى بالوصف description أو الحَمْل predication . وهي مختلفة جوهرياً عن المعنى الحقيقي/الدلالة الإشارية/التلقيب. فالأوصاف لا تُسمَّى أفراداً بل بالأحرى تنطبق على أفراد أو تصدق على أفراد. وإذا كان الاسم يرتبط بفرد معين ويعلق به فإن الوصف ينطبق على أى فرد يتفق له أن يفي بهذا الوصف. بذلك ينطبق وصف 'أحمر' على جميع الأشياء الحمراء. وبإمكانى أن أفهم تعبيراً وصفياً، مثل 'سياسى صادق'، حتى لو لم أعرف إن كان ينطبق على أحد أم لا.

## المفهوم/ الماصدق

لجميع الحدود الوصفية مفاهيم وماصدقات. والمفهوم intension الخاص بحد من الحدود يتألف من جميع الخصائص التى تدخل فى تعريفه. فمفهوم 'الأحمر' هو

ببساطة خاصية كون الشيء أحمر. ومفهوم 'وحيد القرن' هو: من فصيلة الحصان، له ذيل أسد، له قرن واحد.

أما الماصدق extension الخاص بحد من الحدود فيتألف من جميع الأفراد الذين ينطبق عليهم هذا الحد، ما سلف منهم وما هو حاضر وما يأتى. فماصدق كلمة 'أحمر' هو ببساطة جميع الأشياء الحمراء. وماصدق كلمة 'وحيد القرن' ليس به أعضاء أو هو فارغ، أى أن ماصدقها - باستعارة اللفظة الرياضية - فئة فارغة. وقد يكون لحدين مختلفين فى المفهوم، مثل 'له قدمان وليس له ريش' و 'حيوان عاقل' نفس الماصدق (جميع أفراد البشر). أو لنقل إنه قد يكون الحدان المختلفان من حيث المفهوم متكافئين من حيث الماصدق.

### الأوصاف التعريفية

تُسمى الحدود أو التعبيرات الوصفية الممهد لها بأداة التعريف - الأوصاف التعريفية definite descriptions . وبعض النظريات السيمانطيقية تدرج الأوصاف التعريفية فى فئة الأسماء أو التعبيرات الإشارية. فمما لا شك فيه أن أوصافاً تعريفية من قبيل 'الرجل الواقف بجانب المائدة' يساعد على تحديد الأفراد بنفس الطريقة التى تفعلها الأسماء. وربما نعتبر أن شخصاً معيناً قد تحدد بهذا الوصف التعريفى حتى لو تبين لنا أن هذا الشخص هو فى الحقيقة امرأة مستندة إلى المائدة.

ومن جهة أخرى فمن المؤكد أن المتحدثين حين يستخدمون الأوصاف التعريفية فإنما يقصدون من الوصف التعريفى فى عامة الأحوال أن يحدد الذى ينطبق عليه الوصف أياً ما كان وأياً من كان، كما هو الحال فى الوصف التعريفى بالمثال التالى: 'الشخص الذى اكتشف علاج شلل الأطفال يستحق كل تقدير'. ومن استخدامات الأوصاف التعريفية ما هو شبيه بالأسماء ومنها ما هو وصفى خالص. إلا

أن من شأن هذه الاستخدامات جميعاً، حتى الوصفية منها، ألا تنطبق إلا على شخص واحد على الأكثر. فإذا لم يكن هناك شخص فريد هو الذى اكتشف علاج شلل الأطفال فإن وصف الشخص الذى اكتشف علاج شلل الأطفال لن ينطبق على أحد ولن يحدد أحداً. ( فى بعض الأحيان تستخدم الأوصاف التعريفية لكى تصف، وربما تحدد، مجموعة فريدة. مثال ذلك: الأشخاص الذين اكتشفوا علاج شلل الأطفال).

## الصدق

ثالثة العلاقات السيمانطيقية الكبرى هى الصدق truth . وإذا كنا نقول عن الأوصاف إنها تُصدق على الأفراد، فإن هذا الاستخدام لكلمة 'صدق' يجب ألا يختلط بـ 'الصدق' حين ينطبق على العبارات ككل. فما العبارات على الحقيقة سوى الجمل التى حين تؤخذ فى كليتها تكون قابلة للتقييم من الناحية السيمانطيقية. أى الجمل التى ينهض لديها السؤال عن الصدق والكذب.

إن العلاقات السيمانطيقية بصفة عامة تربط بين المفردات اللغوية من جهة والواقع الخارج عن اللغة من جهة أخرى. فكيف يخدم ذلك قيمة الصدق؟ ثمة فى النظرية السيمانطيقية محاولة لفهم الصدق وفقاً للصورة:

”ق“ إذا وفقط إذا ق

مثال ذلك: 'السماء تمطر' صادقة إذا وفقط إذا كانت السمااء تمطر. قد يبدو هذا تافهاً، غير أنه بالتأكيد متأصل فى مفهومنا عن الصدق. وبإمكاننا أن نقدم نسخة أقل تفاهة خلال هذه السطور التالية:

الجملة ذات الصورة 'أ هو ق' صادقة إذا وفقط إذا كان الشخص الذى تحدده أ يفى بالمحمول ق: يقال إن أ يفى ب ق إذا كانت ق تنطبق على أ. إن هذه الصياغة التى

تربط الفصائل السيمانطيقية الثلاث: المعنى الحقيقي والوصف والصدق، تحصر أيضاً ما ينبغى أن يسلم به كل شخص أياً ما كانت نظرية الصدق التي يؤيدها (عن نظريات الصدق المختلفة انظر الفصل الثانى).

## التداولية

تُعرف التداولية (البراجماتيقا) pragmatics تقليدياً بأنها العلاقة بين العلامات اللغوية ومستخدامها. فليست اللغة بأية حال شيئاً مُخزناً بالمعاجم وكتب النحو، بل هي شيء في استخدام متصل بين بنى الإنسان. وأيسر طريقة لبيان الموضوعات التي تتألف منها التداولية هي أن نقول إنها تشمل كل المسائل التي لا يمكن أن يبحثها اللغويون وفلاسفة اللغة في نطاق علم النظم أو علم الدلالة. والحق أنه فى كثير من المناقشات اللغوية تستخدم عبارة "إنها مسألة تداولية لا أكثر" للتهوين من شأن بعض المسائل والموضوعات وعدم أخذها مأخذ الجد.

وسنعرض فى الأقسام الثلاثة التالية عينة صغيرة من الموضوعات التي تدرج فى مبحث التداولية.

## الأفعال الكلامية

يصنف النحو/النظم التقليدى الجمل إلى عدد قليل من الفصائل العريضة: الإخبارية indicative والاستفهامية interrogative والطلبية (الأمرية) imperative والتعجبية exclamative. غير أن هذا لا يكفى لحصر جميع الوظائف التي تؤديها الجمل. فبخلاف علم نظم الجملة أو علم دلالة الألفاظ اللذين ينظران بالأساس إلى الجمل النمط (النوع) type sentences، ينصب اهتمام التداولية على الجملة

النموذج (\*) token sentence كما تُنطَق (أو تُكْتَب) فى أداء لغوى ما. إن المتحدث حين يقول جملة ما فإنه يفعل شيئاً. إنه يؤدي "فعلاً كلامياً" aspeech act ( ويسمى أيضاً illocutionary act ). وهناك عدد وافر من الأفعال الكلامية المختلفة. فقد تُستخدم جملة تقريرية (إخبارية) declarative لكى تفيد الوعد والتحذير والنصيحة والمزاح والإهانة والاعتذار والتحية...إلخ. مثال ذلك أن جملة "أعدك بأن أحضر حفلك" رغم أنها تقريرية (إخبارية) نحويًا فهي قلما تستخدم لتقرير حقيقة عن المتحدث، بل تستخدم بالأحرى لخلق تعهد لا يسع المتحدث أن يخلفه(\*).

(\*) هناك تفرقة عامة فى الفلسفة بين النمط (النوع) والنموذج type/token، أى بين النوع العام والشاهد أو المثال instance من هذا النوع. من ذلك مثلاً أن مصنعاً للسيارات ينتج فى العام ست سيارات (أى أنماطاً أو موديلات من السيارات) غير أنه ينتج ألوفاً عديدة من السيارات (أى أمثلة أو نماذج). وفى مجال علم اللغة تصبح تفرقة النمط/النموذج تفرقة بين وحدة لغوية ما unit وبين المثال instance الوارد من هذه الوحدة. فإذا سألتنى سائل: كم عدد الكلمات فى أعمال شكسبير؟ فلا بد لى من أن أستعلم السائل: أتسأل عن عدد أنواع الكلمات أى عن حجم معجم شكسبير (فهى عدة ألوفا) أم تسأل عن النماذج التى وردت من هذه الأنواع أى الكلمات كما يمكن أن يحصيها الطباع (فهى أكثر من ذلك بكثير)؟ وفى كلمة مثل fluffy على سبيل المثال هناك ثلاثة نماذج واردة للحرف f ونموذج واحد لكل من y, u, l. وتتضمن الكلمة ستة نماذج tokens متتالية من الأحرف هى أمثلة واردة لأربعة أنماط types هى: f, l, u, y (المترجم)

(\*) للفيلسوف الإنجليزى ج. ل. أوستين J. L. Austin (١٩١١ - ١٩٦٠) إسهام رائد فى نظرية أفعال الكلام. فقد وضع فى كتابه "كيف تفعل أشياء بالكلمات" تصنيفاً لأفعال الكلام، فقسم الأفعال الكلامية إلى ثلاثة مستويات: فى المستوى الأول نجد الوظيفة الكلامية المحضة للمنطوق أو القول، كما يحدث حين أصدر ضوضاء صوتية أو أكون جملة مفيدة أو أقول شيئاً ذا معنى، ويسمى هذا الفعل الكلامى locution-ary act. أما فى المستوى الثانى فتأتى الوظيفة الإنجازية للعبارة، إذ يكون القول ذاته فعلاً: فحين أكتب فى وصيتى على سبيل المثال "أنا أهب ساعتى لأخى وأوصى له بها" فإننى إذأك لا أصف ما أنا أقوم به ولا أثبت أننى أفعل ذلك، بل أنجز فعلاً وأهب ساعة. وحين أقول فى لحظة عقد الزواج "أنا أرضى بهذه المرأة زوجةً شرعية لى" فأنا لا أخبر عن نفسى خبراً ولا أنقل وقائع زواج - وإنما أتزوج. إن الجملة هنا ليست مجرد إخبار أو تقرير أو إثبات: إنها جملة إنجازية، منطوق إنجازى. ويسمى هذا الفعل من أفعال الكلام حيث يكون إنتاج القول هو ذاته إنجاز لفعل. "illocutionary act" وفى المستوى الأخير تأتى الوظيفة الإيعازية أو التحريضية، وذلك حين يريد القائل من قوله أن يحدث تأثيرات فى المتلقى: إقناعاً، رهبة، خشية، سخرية، ازدراء...إلخ. (المترجم)

## الإضمار الحوارى

حين ترد جملة ما فى التداول الفعلى، فإننا نفسر دائماً هذه الجملة النموذج ونؤولها وفقاً للسياق ووفقاً للظروف التى نُطِقت فيها. ونحن نسترشد فى هذه التأويلات بالسيكولوجيا الشعبية، وبفهمنا لمعايير المحادثة وبأى معرفة عامة عن العالم تبدو مفيدة لنا فى فهم ما يُقال. ولنوضح بمثال ما نعبه بمعايير المحادثة conversational standards . افترض أننى أسأل ضيفاً لى: "هل لك فى بعض القهوة؟"، فيجيبنى الضيف: "القهوة سوف تُبقينى صاحياً". إننى حينئذٍ سوف أُؤل هذا القول كرفضٍ للعرض الذى عرضته. لماذا؟ لأننى أفترض أن ضيفى يلتزم بمعيار تحادى ذى صلة.

إن ما يقوله ضيفى لا يتضمن، وفق المعايير المنطقية الصارمة، أنه لا يريد قهوة. غير أنه يتضمن ذلك وفق المعايير الخاصة بإضمار المحادثة أو "الإضمار الحوارى" conversational implicature . ومن جهة أخرى إذا قال لى شخصٌ ما "عندى ثلاثة أطفال" فسوف أخذ هذا على أنه يعنى أن لديه بالتحديد ثلاثة أطفال. فلو أننى اكتشفت فيما بعد أن أطفاله خمسة (ومن ثم فهم 'على الأقل' ثلاثة) فسوف أشعر حينئذٍ أننى خُدعت. قد يكون المنطق فى صف هذا المتحدث، غير أن الإضمار الحوارى والمعايير العامة للمحادثة المفيدة هى فى صفى.

## التفرقة بين المعجم والموسوعة

يَعْمِد اللغويون وفلاسفة اللغة إلى وضع تمييز وتفرقة بين ما يعرفه الشخص عن الألفاظ، والذى هو جزء لا يتجزأ من معرفته بلغة ما (يُسَمَّى هذا بالمعلومات اللغوية أو المعلومات السيمانطيقية أو المعلومات المعجمية)، وبين أى شىء آخر يدخل فى نطاق معرفته. فالمعاجم فى أفضل الأحوال ينبغى ألا تتضمن سوى المعلومات اللفظية التى هى جزء من القدرة (الكفاءة) اللغوية - أى لا تتضمن سوى المعلومات

اللغوية/السيمانطيقية/المعجمية. أما ما عدا ذلك من معلومات فينبغى أن يُلتَمَسَ فى الموسوعات (دوائر المعارف) أى فى الخزائن المختلفة للمعرفة الهامة.

ومن ثم ينتمى أى استخدام للمعرفة الموسوعية فى تفسير المفردات اللغوية إلى نطاق التداولية. على أننا يجب أن نضيف أننا لا نعدم بين المنظّرين اللغويين من لا يستريح لهذه التفرقة (المعجم/الموسوعة) ولا يراها وافية أو واضحة. فحتى فى المجال العملى يعمد واضعو المعاجم إلى الاستعانة بما يُعدّ، ببعض المقاييس، معلومات موسوعية. فالكلب وفقاً لمعجم the Random House Dictionary للغة الإنجليزية هو: من اللواحم المستأنسة، من الفصيلة الكلبية، له سلالات كثيرة جداً. ولكن هل له سلالات كثيرة جداً معلومة لغوية بالمعنى الصارم؟ هذا سؤال ليس له جواب محدد فى رأى مناهضى التمييز الحاد بين المعاجم والموسوعات، وبالتالي بين علم الدلالة والتداولية.

### التمييز بين الاستعمال والذكر

رغم أننا نستعمل الكلمات أساساً لى نتحدث عن الواقع الخارج عن اللغة، فإنه من الضرورى أحياناً أو المرغوب فيه أن نتحدث عن الكلمات نفسها. ويُقال للكلمات إنها تُستعملُ used عندما نستخدمها للحديث عن الواقع الخارج عن اللغة. مثال ذلك أن كلمة 'بوسطن' تُستعملُ فى الجملة 'بوسطن مدينة مزدهمة بالسكان' ويُقال للكلمات إنها تُذكرُ mentioned عندما تكون هى ذاتها قيد الدراسة وموضوع النقاش. وبذلك فإن كلمة 'بوسطن' تُذكرُ فى الجملة 'بوسطن' تشتمل على ستة أحرف'. وهى، بداهةً، جملةٌ تتحدث عن اللفظة وليس عن المدينة. وقد جرى العرف على أن تُستخدمَ علامات الاقتباس لتخلق أسماء الكلمات والتعبيرات والجمال، أى لى نفهم أن ما بداخلها هو مُثبت بوصفه كلمة أو تعبيراً أو جملة. وفى علم اللغة كذلك تُستخدمُ الأحرف المائلة والخط الأفقى تحت الكلمات لتخلق العناصر اللغوية linguistic items . مثال ذلك:

جملة "السماء تمطر" هي عن الطقس، بينما جملة "السماء تمطر" هي جملة تقريرية ليست عن الطقس بل عن الجملة التي تحتها خط.

## المعنى

"المعنى" كلمة مثقلة بالمعنى! وقد استغرق المبحث المأثور عن المعنى والموسوم باسم "معنى المعنى" the Meaning of Meaning تأليف أوجدن ورتشاردز Ogden and Richards حوالي ٤٨٢ صفحة. وسوف نتبسط هنا فنعرض لبعض الأنواع الأساسية من المعنى بلغة التقابلات الأساسية فنقدم بضعة من تلك التقابلات، ثم نتطرق منها إلى وصف مختصر للنظريات الرئيسية التي طرحها العلماء لتفسير المعنى.

## أصناف المعنى

### العلامات الطبيعية/العلامات الاصطلاحية

بعض الظواهر هي علامات على ظواهر أخرى. فالسحب السوداء علامة على المطر (أو بعبارة أخرى: السحب السوداء تعنى المطر). إن العلاقة بين السحب السوداء والمطر هي جزء من النظام العلى للطبيعة، ولا يسع البشر إزاءها سوى أن يلاحظوها. والأعراض أيضاً، بالمعنى الطبى المألوف، هي دائماً علامات طبيعية natural signs. أما العلامات الاصطلاحية (الاتفاقية / العرفية / القائمة على المواضعة) conventional signs فهي، فى المقابل، تستمد معناها من المواضعات البشرية. الاصطلاح أو المواضعة اتفاق له سطوة ونفاذ فى مجتمع بشرى ما، إما لأن الناس قد خلصت على مهل وأناة إلى قبوله واحترامه، وإما من خلال تفهم واضح صريح (قد يكون له قوة القانون). فنظام الأضواء المرورية وعلامات الطرق هو مثال جيد لمواضعة قد يكون لها أساس فى العرف، غير أنها الآن قد اكتسبت قوة القانون.

## العلامات غير اللغوية/العلامات اللغوية

تصنف جميع العلامات الاصطلاحية، مثل أضواء المرور، التي ليست جزءاً من لغة طبيعية كعلامات غير لغوية. العلامات اللغوية إذن هي جميع تلك العلامات التي تؤلف جزءاً من لغة طبيعية: الكلمات، والتعبيرات، والجمل. يتحدث اللغويون أيضاً عن الوحدات الصغرى للغة أى أصغر العلامات اللغوية قاطبة ويسمون لها "مورفييمات" (وحدات صرفية) morphemes. وعلى ذلك فإن الكلمة المفردة "acceptable" تشتمل على وحدتين صرفيتين (مورفيمين) هما accept و able. ويمكن القول بأن للعلامات غير اللغوية معانى غير لغوية مختلفة الأنواع، بينما للعلامات اللغوية معانى لغوية مختلفة الأنواع.

## المعنى المعرفى/المعنى غير المعرفى

يُعرفُ المعنى المعرفى cognitive meaning بأنه ذلك الصنف من المعنى الذى يسمح لجمل تقريرية (إخبارية) معينة أن تكون صادقة أو كاذبة. كما يمكن تعريف المعنى المعرفى بعبارة أخرى بأنه المعنى المتعلق بقيمة الصدق truth-value. إن المعنى المعرفى هو المقصود فى المبدأ القائل "السؤال عن المعنى مقدّم على السؤال عن الصدق" أى أننا، فى الأحوال المعتادة، يجب أن نلم بالمعنى المعرفى لجمله ما قبل أن يمكننا أن نبدأ فى بحث ما لها من قيمة الصدق.

بعض الجمل الإخبارية (التقريرية) لا تمتلك ذلك الصنف الصحيح من المعنى الذى يسمح بتقدير الصدق (التقييم السيمانطيقى). يقال لهذه الجمل إنها تفتقر إلى المعنى المعرفى، رغم أنها فى المعتاد تمتلك أنواعاً شتى من المعانى غير المعرفية. انظر مثلاً إلى هذه الجملة: 'بعض الأعداد الخضراء كسولة' - إنها لا تمتلك الصنف الصحيح من المعنى الذى يسمح بتقدير صدقها. وبعبارة أخرى: إنها لا تمتلك معنى معرفياً. غير أن جملة 'بعض الأعداد الخضراء كسولة' لها بالفعل معنى لغوى غير معرفى، وربما كان لها، من حيث الصور الخيالية التى تثيرها، معنى سيكولوجى لدى بعض الناس.

## المعنى بوصفه مغزى / المعنى بوصفه دلالة إشارية

قدم لنا جوتلوب فريجه G. Frege ( ١٨٤٨ - ١٩٢٥ ) المثال الماثور الذى يُستخدم لتوضيح هذين الجانبين من جوانب المعنى: إن لـ 'نجم الصباح' و 'نجم المساء' مغزيتين متميزتين. ليس هناك كلمة مثلى للمغزى؛ فهو أحياناً يتداخل مع المفهوم intension وأحياناً يؤدي ما نعنيه بكلمة 'المعنى' على أية حال فإن مغزى 'نجم الصباح' هو 'جِرمٌ سماوى يشاهده أهل الأرض فى الصباح'، ومغزى 'نجم المساء' هو 'جِرم سماوى يشاهده أهل الأرض فى المساء'. إنه ليتكشف أن التعبيرين وإن اختلفا فى المغزى فإن لهما نفس الدلالة الإشارية، فكلاهما يشير إلى كوكب الزهرة. وقد جعلها فريجه مناسبة لكى يقيم التفرقة بين المغزى والإشارة، حتى يفسر لماذا تُعتبرُ جملةُ 'نجم الصباح هو نجم المساء' مُخْبِرةً أو مُبْلِغةً خبراً بينما جملة 'نجم الصباح هو نجم الصباح غير مُخْبِرة' .

## المعنى عند المتحدث/ معنى الكلمة - معنى الجملة

فى الأحوال المُتَلَى يكون ما أعنيه بالكلمة التى أستعملها هو بعينه ما تعنيه الكلمة، وما أقصد إليه بالجملة التى أستعملها هو بعينه ما تقوله الجملة. غير أن ما أعنيه ( مقصدى الاتصالي ) متميزٌ من حيث المبدأ - وربما مختلف عملياً - عن المعانى القياسية للعناصر اللغوية التى يقع عليها اختيارى. فقد أود أن أدل على النقطة العليا فى حدث ما وأبحث من أجل ذلك عن كلمة مناسبة، فيقع اختيارى على climacteric أو climatic، وفى هذه الحالة فإن الكلمة التى اخترتها (أياً ما كان معناها) لن تقول ما أعنيه. (\*)

(\*) نلاحظ أن ما يعنيه المؤلف هو climax أى الذروة فى حين أن climacteric تعنى مرحلة حرجة أو سن اليأس، و climatic تعنى مناخى.

وقد أرى أيضاً أن جملة "مارى ليست أكبر سنّاً من هارى" تعنى أن مارى وهارى فى السن نفسه. إن اختلاف مقصد المتحدث عن معنى الكلمة أو الجملة يحمل إمكان إساءة الفهم وإساءة التأويل. على أن هذا ليس شيئاً محتملاً لا مناص منه؛ فمعظم الناس لديهم القدرة (باستخدام السيكولوجيا الشعبية ومفاتيح الموقف) على استشفاف ما يعنيه المتحدث فى حقيقة الأمر حتى لو ابتعد ذلك عما قاله بالفعل. ويندرج ضمن مبحث التداولية تلك الدراسة التى تتناول المعنى عند المتحدث (مقصد المتحدث) *speaker's meaning* وكيفية تحديده كمقابل لمعنى الكلمة أو الجملة فى حد ذاتهما.

## نظريات المعنى

ثمة أنواع كثيرة من المعنى حتى داخل فئة المعنى اللغوى، مما أسهم فى تعدد نظريات المعنى لدى منظري اللغة بهذه الدرجة الكبيرة. وتتأثر نظريات المعنى كذلك بالمفاهيم المتنافسة حول سيكولوجية الإنسان. وسنعرض فيما يلى لنظريات المعنى، متوخّين الإيجاز ومقتصرين على النظريات الرئيسية.

## السيمانطيقا القائمة على القصد

تعتمد السيمانطيقا القائمة على القصد *intention-based semantics*، والتى وضعها ه. ب. جرايس H. P. Grice ( ١٩٨٨ - ١٩١٢ )، إلى تفسير المعنى عند المتحدث (وقد يسمى المعنى عند الناطق) بوصفه شكلاً من أشكال الفعل القصدى. تهدف هذه السيمانطيقا إذن إلى تفسير دلالة الألفاظ بلغة سيكولوجية خالصة، ولا سيما لغة المقاصد والاعتقادات. وفى جميع حالات الاتصال الرئيسية يقصد ناطق ما بجملة (ويتوقع عن حق) أن يُحدث اعتقاداً ما، ق، لدى شخص آخر. ونضيف إلى ذلك أن المتحدث يقصد إلى أن يعتقد الشخص الآخر أن ق فقط لأن هذا الشخص الآخر

يميز القصد الاتصالي للمتحدث. بذلك حين أنطق بجملة 'اليوم هو الثلاثاء' قاصداً ومتوقعاً أن أحدث فيمن يسمع قولي الاعتقاد بأن اليوم يوافق الثلاثاء، فإن سامعيّ يدركون أن نطقي لجملة 'اليوم هو الثلاثاء' إنما هو فعل اتصالي قصدي ذو علاقة قياسية باعتقاد معين حول ذلك اليوم من أيام الأسبوع.

بذلك فإن السيمانطيقا (أى علم الدلالة) القائم على القصد يجعل معنى الجملة المنطوقة منوطاً بذلك الاعتقاد الذى تحدثه دائماً (أو فى الأحوال العادية) هذه الجملة. أما عن حجم ما تفسره هذه النظرية فعلياً، فذلك أمر يتوقف على ما إذا كان محتوى الاعتقادات يمكن تعيينه دون الالتجاء مرة أخرى إلى المقولات السيمانطيقية أو القائمة على اللغة.

### النظريات الوظيفية

هناك عدد من النظريات ذات التشابه الأسرى، بينها كثير من التداخلات والعلاقات المتبادلة، قُدمت بوصفها صوراً من المذهب الوظيفي functionalism. ويمكن تقسيم هذه النظريات إلى مجموعات رئيسية ثلاث:

(١) نظريات تذهب إلى أن معنى العناصر اللغوية كال كلمات والتعبيرات يجب أن تُفهم بلغة الوظائف التى تؤديها هذه العناصر فى النسق اللغوى، أو اللغة ككل.

(٢) نظريات ترى أن السلوك اللغوى للبشر، باعتبارهم كائنات عضوية تعيش فى بيئات، يجب أن يُفهم ويقدر بمدى إسهام هذا السلوك فى سعادة هذه الكائنات وبقائها.

(٣) نظريات ترى أن حالات المخ، مميّزة وظيفياً، قد تكون هى الحامل الميتافيزيقى النهائى لكل ما هو نفسى وكل ما هو لغوى.

## نظرية الدور التصوري

تعتمد نظرية الدور التصوري conceptual role theory إلى تفسير كُنه التمكن أو السيطرة التصورية. ماذا يعنى مثلاً أن نقول إن شخصاً ما قد تمكن من مفهوم 'كلب'؟ إنه بالضبط أن يعرف الدور الذى تؤديه كلمة 'كلب' إذا كان من الناطقين بالعربية وكلمة 'dog' إذا كان ناطقاً بالإنجليزية وكلمة 'chien' إذا كان ناطقاً بالفرنسية وكلمة 'Hund' إذا كان يتحدث الألمانية.. وهكذا. ورغم أن تفسير هذه النظرية لمسألة امتلاك أحد المفاهيم يقوم على فهم الدور الخاص بإحدى الكلمات، فإن دور هذه الكلمة قد يكون هو الدور نفسه الذى تؤديه كلمات أخرى فى لغات أخرى. وهذا مما يمنع المفاهيم استقلالاً من نوع ما عن اللغات المتداولة. (يجب أن نلاحظ أن نظرية الدور التصوري هى شكل من أشكال المذهب الوظيفي).

## السلوكية

السلوكية فى فلسفة اللغة ليست أكثر من تطبيق للسلوكية السيكلوجية. فقولنا إن شخصاً ما يفهم الجملة س (أو يعرف ما تعنيه س) لا بد أن يُترجم إلى سلسلة من العبارات حول سلوك ظاهر وقابل للملاحظة العامة يقوم به الشخص المعنى. لا شك أن بإمكاننا فى كثير من الأحوال أن نستخدم مفاتيح سلوكية نستشف منها ما إذا كان شخص ما يفهم عبارة ما، ولكن هذا لا يعنى أن الفهم هو السلوك (أو فى هوية مع السلوك).

وحيث إن السلوك اللغوى معقد بطبيعته، وربما يكون أعقد صور السلوك الذى يستطيعه الإنسان، فمن المستبعد أن نتمكن من فهمه من خلال السلوك غير اللغوى (الأبسط بالضرورة). (ليس معنى ذلك أن ننكر أنه يمكننا فى كثير من الأحيان أن نجنى فوائد من عملية ربط ظواهر سلوكية لغوية مختلفة. مثال ذلك أن جملة الصدق س يعتقد أن ق ترتبط بميل خاص لدى س لأن يجيب عن السؤال أهل تعتقد أن ق؟ بقوله نعم).

## النظريات الذهنية

يعتقد العديد من علماء علم النفس المعرفى وبعض فلاسفة اللغة أن بنى الإنسان لديهم لغة فكر *a language of thought* . وهم إذ يقولون إن هناك لغة فكر فإنما يعنون ما يقولون ويأخذونه بالمعنى الحرفى الدقيق. فهناك على حد قولهم رموز داخلية تحمل خصائص القصدية والنسقية. هذه الرموز الداخلية هي قوام لغة الفكر، أو لنقل بشيء من التبسيط 'اللغة الذهنية' *mentalese language* . ليست لغة الفكر هذه شيئاً مكتسباً، بل هي التى تفسر فى حقيقة الأمر كيف يتسنى لنا اكتساب اللغة الطبيعية التى نتكلمها.

ويرى أنصار اللغة الذهنية أنهم يقدمون بذلك نظريةً قابلةً للاختبار التجريبي عن قدرات الاستخدام اللغوى عند الإنسان، ويؤكدون أن فرضيتهم واقعية لا خوارق فيها ولا معجزات: فلغة الفكر تؤدي فى مخنا وتتم فى جهازنا العصبى المركزى. وقولنا إن لغة الفكر شيء فطرى *Innate* يعنى من ثم أن ما هو متأصل منها منذ البداية ومبنيّ فى العتاد الصلب لجهازنا العصبى المركزى هو أكثر جداً مما تخيله التجريبيون فى أى وقت من الأوقات(\*) .

## سيমানطيقا شروط الصدق

تعنى هذه النظرية أن فهمنا لجملة معينة س هو، على وجه التحديد، أن نعرف الشروط التى فى ظلها تكون س صادقة. وتبدو هذه النظرية أكثر نظريات المعنى

(\*) يعتبر الفيلسوف الأمريكى جيرى فودور G. Fodor من أهم القائلين بفرضية أن العمليات الذهنية تجري بلغة مختلفة عن لغتنا القومية العادية، على أنها تُبطنها وتفسر قدرتنا عليها. وتعد هذه الفكرة تطويراً لفكرة تشومسكى عن النحو العالمى (العمومى) الفطرى. وهى تقوم على عقد نوع من المماثلة (الأنالوجى) بين تشغيلات المخ أو الذهن وتشغيلات الحاسوب (الكمبيوتر)، من حيث إن برامج الحاسوب هي مجموعات من التعليمات المعقدة لغوياً والتي نرى أن تنفيذها يفسر السلوك الظاهر للحاسوب. ولم تحظ هذه الفرضية، من حيث هي تفسير للقدرة اللغوية ولتعلم اللغة العادية بالقبول العام. ويبدو أنها لا تفسر إلا القوى التمثيلية العادية للذهن إذ تهيب بأشياء فطرية من نفس الصنف. (المترجم)

وضوحاً وطبيعية عند كثيرين من المفكرين، على الأقل بالنسبة للجمل الإخبارية (التقريرية). فأننا إذ أفهم جملة 'السماء تمطر' فإنما أفهمها لأننى أعرف نوعية الطقس الذى من شأنه أن يجعلها صادقة، ونوعية الطقس الذى من شأنه أن يجعلها كاذبة، ولأننى لست قادراً فقط على تقديم وصف مجرد لذلك الطقس المؤيد للجملة وذلك المفند لها، بل قادراً أيضاً على تمييز كل منهما حيث يحدث ويكون، وقادراً من ثم على أن أقرر أى قيم الصدق هو الذى تحمله 'السماء تمطر' فى أية مناسبة من المناسبات.

ليست جميع الجمل بسهولة 'السماء تمطر' من حيث تقرير قيمة الصدق. انظر مثلاً إلى الجملة 'ليس هناك عدد أصم أكبر' (\*) (\*). إن شرط صدقها ساطع الوضوح: إنها صادقة، على وجه التحديد، فى حالة عدم وجود عدد أصم أكبر. غير أن هذا لا يعدو أن يكون وصفاً مجرداً لشروط الصدق. ويريبنا فى أمره أيضاً أنه مُعَبَّر عنه بالكلمات نفسها التى بالجملة. فهل يحق لنا أن نقول إننا نفهم الجمل التى لا نستطيع أن نحدد شروط صدقها إلا ببلغة الجمل ذاتها، وليس بوسعنا أن نقرر إن كانت تفى بهذه الشروط؟ هذه مسألة يدور حولها فى الوقت الراهن خلافٌ كبير.

## نظريات القابلية للتقرير

تفيد نظرية القابلية للتقرير (إمكان التقرير) assertibility theory أن فهمنا لجملة ما، س، هو على وجه التحديد أن نعرف الشروط التى فى ظلها 'يمكننا أن نقرر' س. أى 'يسعنا أو يسوغ لنا' أن نقررها، أو 'لدينا ما يبرر تقريرها' أو 'يمكن أن نقررها دون أن ينالنا النقد' (انظر أيضاً عرضنا لنظرية القابلية للتقرير "نظريات الصدق" فى الفصل الثانى).

(\*\*) العدد الأصم prime number هو العدد الذى لا يقبل القسمة إلا على نفسه أو على واحد مثل ٢، ٣، ٥، ٧، ١١، ١٣، ١٧، ١٩، .... إلخ.

هناك جمل يتداخل فيها وصف شروط الصدق ووصف مُسوِّغات التقرير. فعندما أقرر جملة السماء تمطر 'أكون عرضة للنقد في الحالات نفسها التي تجعل تقريرى كاذباً وفقاً لنظرية شروط الصدق. وهناك جمل أخرى يفترق فيها الوصفان. والمثال المأثور لذلك ( وضعه ميشيل دميت M. Dummett ( ١٩٢٥ - ؟ ) هو: 'كان جونز شجاعاً' حين تقال عن جونز، وهو حالياً متوفى، والذي لم يواجه خطراً طيلة حياته. فوفق نظرية شروط الصدق يجب أن تكون هذه الجملة إما صادقة وإما كاذبة بالرغم من أننا لا نستطيع تقرير ذلك ولا نملكه. غير أنها وفق نظرية التقرير تتكشف عن جملة لا هى صادقة ولا كاذبة ما دامت لا تمتلك شروطاً تقريرية محددة.

## مذهب التحقق

يُعتبر مذهب التحقق verificationism، ويسمى أيضاً "القابلية للتحقق كمعيار للمعنى التجريبي"، وثيق الصلة بنظريات التقرير. ويفيد هذا المذهب أن فهمنا لجملة غير تحليلية هو أن نعرف ماذا عساه أن يُعد دليلاً قاطعاً على صدقها. وبسبب المشكلات المتصلة بتحقيق التعميمات الكلية من مثل "جميع الغربان سوداء" (والتي لا خلاف على أنها ذات معنى تجريبي) فإن كثيراً من محبى مبدأ التحقق قد استبدلوا به مبدأ التكذيب (قابلية التكذيب falsifiability) بذلك حين أقول إننى أفهم معنى "كل الغربان سوداء" فإنما أقول ذلك لأننى أعرف ماذا عساه أن يُعد دليلاً قاطعاً على كذبها.

على أن هناك جملاً، مكونة من كلمات مألوفة تماماً، مثل 'سوف تُبنى مدينة هنا فى يوم من الأيام'، 'الدعاء يُجدي' وهى مع ذلك لا تفى بمعيار القابلية للتكذيب. من أسباب ذلك أن هاتين الجملتين ممدودتان فى المستقبل بلا حدود. فإذا كان الدعاء لم

يُستجَب حتى الآن فليس ما يمنع أن يُستجاب في النهاية. كذلك الحال بالنسبة للمدينة التي لم تُقَم. (\*) (\*) (\*)

## نظريات الاستعمال

رغم أن فكرة 'المعنى هو الاستعمال' use كثيراً ما ترتبط بالفيلسوف فتجنشتين، فهو لم يطرحها كنظرية عامة في المعنى (\*). غير أن مفكرين كثر، بادئين من حيث

(\*) (\*) (\*) يصعب موافقة المؤلف على هذا، ذلك أن مذهب التحقق أو مبدأ القابلية للتحقيق كنظرية للمعنى وكمعيار للعلم في الآن نفسه، هو مذهب الوضعية المنطقية التي أرادت قصر المعنى على العبارات العلمية، واعتبار كل ما عداها غير ذي معنى. بعبارة أخرى ذهبت الوضعية المنطقية إلى أن العبارات العلمية التجريبية هي فقط التي تقبل التحقق، وبالتالي هي فقط التي لها معنى، وعلى أساس التحقق شنوا حملتهم الشعواء على الميتافيزيقا - ربيبة الفلسفة المدللة - بصفتها لغواً غير ذي معنى ولا جدوى. من الناحية الأخرى، مبدأ القابلية للتكذيب يرتبط - كما هو معروف - باسم كارل بوبر، أعتى نقاد الوضعية المنطقية وأعنف مهاجمي التحقق، وسائر نظريات المعنى التحليلية. وقد عني بوبر كثيراً بتبيان أن القابلية للتكذيب ليس البتة مجرد بديل للتحقق، فإولاً، القابلية للتكذيب معيار للعلم وللمنهج العلمي، كما أشار المؤلف نفسه سابقاً في حديثة عن فلسفة العلم، ولا شأن للتكذيب البتة بالمعنى. بعبارة أخرى العبارة الغير قابلة للتكذيب، ليست علمية ولا تعطينا خبراً عن العالم التجريبي، ولكن ليس يعني هذا البتة أنها غير ذات معنى أو لغو، فقد تكون ذات معنى أكثر خصوصية وأهمية من أية عبارة علمية. وعلى هذا الأساس، كانت واحدة من أهم الفوارق الحاسمة بين بوبر والوضعية المنطقية، ألا وهي دفاعه المجيد عن الميتافيزيقا، بل ومن أجل العلم، على أساس أن الميتافيزيقا تطرح أفقاً رحيباً يلهم بالفروض العلمية الخصيبية. (المراجعة)

(\*) يؤثر عن فتجنشتين قوله 'لا تسأل عن المعنى وإنما اسأل عن الاستخدام'، ويعني به أن معنى الكلمة ليس غير طريقة (أو طرق) استخدامنا لها في حياتنا اليومية. فبينما يؤكد الفلاسفة والمناطق أن الفكر الواضح منوط بالتعبير الدقيق مما يستوجب أن يكون لكل كلمة معنى محدد، فإن فتجنشتين يواجهنا برأي مختلف: فليس للكلمة الواحدة من كلمات اللغة معنى محدد دقيق، وإنما للكلمة الواحدة - كما هي مستخدمة بالفعل في الحياة اليومية - معان لا حصر لها تتحدد بحسب السياقات والظروف المختلفة التي تُستخدم فيها الكلمة. فالكلمة مطاطة تتسع وتضيق وفقاً للظروف والحاجات. ومثلها كمثل أدوات النجار - ليس لكل أداة استخدام واحد وإنما استخدامات مختلفة في الظروف والحاجات المختلفة. ولا يوجد بين الاستخدامات المختلفة للكلمة الواحدة عنصر مشترك محدد، وإنما توجد بينها تشابهات أسرية متداخلة مندمجة كالتى نراها بين أفراد الأسرة الواحدة.

انتهى، رأوا أن شيئاً يشبه النظرية العامة فى المعنى يمكن أن يؤسس على شعار فتجنشتين. ذهب هؤلاء المفكرون إلى أن الطريقة الوحيدة لفهم الجمل هى أن نلاحظ كيف تُستعمل فى بيئاتها الحياتية الحقيقية. ولا شك أن هذا يتطلب وصفاً أميناً لاستخدامات المفردات اللغوية، تلك الاستخدامات التى تتشابه على السطح غير أنها متميزة فيما بينها. لقد قال فتجنشتين فعلاً أن نفهم لغة ما هو أن نفهم شكلاً من أشكال الحياة، ويبدو أن هذا القول يحمل فى تضاعيفه دعوةً تلزم أولئك الذين يرغبون فى دراسة اللغة أن يفعلوا بإزاء عشائرتهم الخاصة شيئاً شديداً يشبه بما يفعله الإثنوغرافيون/الأنثروبولوجيون بإزاء العشائر التى يدرسونها. يتضمن ذلك، على أقل تقدير، ترسيم معنى إجمالى لجملة الممارسات، اللغوية وغير اللغوية، التى تؤلف شكلاً من أشكال الحياة.

## نظريات اللانظرية

يبدو أن وجهة نظر فتجنشتين نفسه هى أن وجود نظرية فلسفية فى المعنى هو شىء مستحيل وغير ضرورى معاً. فليس ثمة شىء مخبوء وراء ممارساتنا اللغوية يمكن أن يعيننا على تفسيرها بنفس المعنى الذى يقبع به الواقع الميكروفيزيائى وراء الواقع الماكروفيزيائى ويفسره. إن ما نحتاج إليه، فى رأى فتجنشتين، هو أن نتوفر على أوصاف واضحة للظواهر اللغوية - مذكّرات بما يعرفه كل شخص بالفعل. ويعود بنا هذا، بطبيعة الحال، إلى الدعوى القائلة بأن الفلسفة هى لون من الإثنوغرافيا.. هى وصف مفصل ودقيق. ويؤدى بنا هذا إلى فكرة أخرى: إننا أحوج ما نكون إلى هذه الأوصاف الواضحة لما يعرفه كل شخص عندما تستحوذ علينا صورة زائفة ما عن الأشياء وعما يجب أن تكون عليه الأشياء. ويرى فتجنشتين أن هذه الأوصاف المفصلة هى الترياق العلاجى ضد الصور الزائفة.

قدّم واحدٌ من الفلاسفة المعاصرين، هو ستيفن شيفر S. Schiffer ( ١٩٤٠ - ؟ ) نظريةً بارعة الإيجاز من نظريات اللانظرية فى المعنى: ليس ثمة معنى (وإن كان

بإمكاننا بطبيعة الحال أن نتحدث من باب اللياقة عما أعنيه وما تعنيه أنت وما تعنيه الكلمات والجمل) – ليس هناك معنى ؛ إذن ليس هناك شيء نتناوله نظرية المعنى وليس هناك شيء تدور حوله.

## مُجْمَل

رأينا فى هذا الفصل أن استعمال اللغة (السلوك اللغوى)، رغم أنه شيء مألوف للغاية، يُفضى إلى عدد من المشكلات الفلسفية. وأن بعض المشكلات قد قام بطرحها علم الألسنيات linguistics وهو العلم الذى يتناول الظواهر اللغوية. وهو مما يؤكد أن كثيراً من العمل البحثى الهام فى مجال اللغة ينتمى إلى الفرع البينى التكاملى الذى يضم الفلسفة وعلم اللغة معاً.

إن الظواهر اللغوية هى ظواهر معقدة ومتعددة الجوانب. فأما علم التراكيب syntactics فيضطلع بدراسة علاقة العلامات اللغوية (الكلمات، التعبيرات، الجمل) ببعضها البعض. فلكل لغة طبيعيةٍ تراكيبها الخاصة – أى لها مجموعة من القواعد تحدد كيف تجتمع كلمات من مختلف الفصائل النحوية وتتضام. وتشمل التراكيبية (النظم) أيضاً كل تلك الملامح الصورية للغة ما، والتي يمكن أن تخضع للدراسة بمعزل عن المعنى.

وأما علم دلالة الألفاظ (السيمانطيقا) semantics فيدرس علاقة العلامات اللغوية بالعالم، أى بالواقع الخارج عن اللغة. وقد رأينا أن هناك ثلاثة أنواع رئيسية من العلاقات السيمانطيقية: فهناك العلاقة بين الأسماء والعناصر التى تسميها، وهناك العلاقة بين الأوصاف والوحدات التى تنطبق عليها، وهناك العلاقة بين العبارات ( أى الجمل التى تحوز على قيمة صدق ) وبين شواهد صدقها أو كذبها.

وهناك أخيراً التداولية pragmatics، وهى تدرس كل ملامح اللغة التى تتصل باستعمالها الفعلى من قِبَل الناطقين أو الكاتبين بها.

ورأينا أن هناك أنواعاً كثيرة من المعنى لا علاقة لها باللغة ومواضعاتها. بل إن المعنى حتى داخل اللغة ذاتها ليس بالظاهرة المتجانسة. فمن المتعين علينا على سبيل المثال أن نميز بين ما يعنيه الناس إذ يستخدمون اللغة وبين ما تعنيه الكلمات والجمل ذاتها التى يستعملونها. ورأينا أيضاً أننا يجب أن نفرق بين المعنى بوصفه مغزى sense والمعنى بوصفه إشارة reference. ومن أهم أنواع المعنى ما يعرف بـ "المعنى المعرفى" cognitive meaning، أى ذلك الوجه من معنى العبارة الذى يهم فى تحديد قيمة صدقها: إن جملتين مثل 'الجو بارد ومُشمِس' و 'الجو بارد ولكنه مُشمِس'، رغم اختلافهما بعض الشيء فى المعنى الإجمالى (إذ تفيد كلمة "لكن" التعجب أو التضاد أو كليهما)، هما متفقتان تماماً فى المعنى المعرفى.

وقد استعرضنا أخيراً أهم نظريات المعنى التى ما تزال تستأثر باهتمام الفلاسفة: كيف نفسر ما يجرى عندما نفهم معنى لفظة أو تعبيراً أو جملة؟ مم تتألف عملية فهم المعنى واستيعابه؟ هذه هى الأسئلة التى تحاول شتى نظريات المعنى أن تجيب عنها.



## الفصل السابع

### علم الأخلاق : الفلسفة الاجتماعية والسياسية

#### مدخل

يحاول علم الأخلاق ethics بوصفه مسعى فلسفياً تأملياً أن يضفى معنى نظرياً على تصنيفنا للأفعال. فنحن نصنف الأفعال إلى أفعال جائزة أخلاقياً وأخرى غير جائزة أخلاقياً وثالثة واجبة أخلاقياً. لقد دأب الناس على تقييم أفعالهم وأفعال غيرهم من الوجهة الخلقية، فكيف يتم هذا التقييم على وجه الدقة؟ هل تستند تقييماتنا إلى منهج ما، أم أنها فى كنهها مجرد تحيزات تمليها علينا ثقافتنا الخاصة؟ سنرى فى هذا الفصل أن الفلاسفة فى محاولتهم حل تلك المشكلات قد طرحوا عدداً من النظريات عن طبيعة الأخلاقية morality . تنقسم هذه النظريات (وتسمى أيضاً نظريات الدرجة الثانية أو الميتاأخلاق metaethics ) إلى ثلاثة أنواع أساسية: النوع الأول نظريات ذات صبغة معرفية cognitivist theories ترى أن الأحكام الأخلاقية إما صادقة وإما كاذبة وأن هناك حقائق أخلاقية ومعرفة ممكنة بهذه الحقائق. والنوع الثانى نظريات ذات صبغة أمرية Imperativist theories تعتبر أن الأحكام الأخلاقية هى فى حقيقتها قواعد وتوجيهات وهى من ثم لا هى صادقة ولا كاذبة. والنوع الثالث نظريات ذات صبغة انفعالية emotivist theories تعد الأحكام الأخلاقية فى واقع الأمر محض مشاعر تعجبية.

ولعل الفارق الأكبر بين الفلاسفة فى طريقة تناولهم التقييم الخلقى يعود إلى مدى التفاتهم إلى النتائج والتبعات المترتبة على فعل ما . فبعضهم يعتبر هذه النتائج محددة

للموضع الأخلاقي للفعل، والبعض الآخر يرى النتائج غير ذات صلة بهذا الشأن. ويُسمى هؤلاء الذين يرون النتائج خارجةً عن الموضوع بأصحاب مذهب الواجب deont ologists . أما هؤلاء الذين يعدون النتائج هي كل شيء فيُسَمَّون بأصحاب مذهب النتائج (العواقب، التبعات) consequentialists. وغنى عن القول إن الفريقين على خلافٍ كبيرٍ حول ما ينبغي أن يعد حجةً أخلاقيةً سديدة.

وكل بنى الإنسان تقريباً يعيشون فى زُمرات اجتماعية. وفضلاً عن ذلك، يعيش معظمهم فى دول- أى فى وحدات سياسية تمارس على الأفراد ضرباً من السلطة القانونية. وهو ما جعلنا نعرض، فى النصف الثانى من هذا الفصل، للسياق الاجتماعى والسياسى من حيث تأثيره على الأخلاق الفردية.

## علم الأخلاق

### أصل الكلمة

كثيراً ما تُستعمل كلمتا moral و ethical فى الإنجليزية المعاصرة كمترادفين تقريباً. أما كلمتا ethics أى علم الأخلاق أو الأخلاقيات و ethical أى أخلاقى فتأتیان من الكلمة اليونانية ethos وتعنى: معاملة، طبع، ميل شخصى<sup>(١)</sup> وأما كلمتا morality أى الأخلاقية و moral أى خلقى فتأتیان من الكلمة اللاتينية mores وتعنى: عادات، أخلاق، طبع.

وينبغى أن نذكر أيضاً أصليين لغويين آخرين: فكلمتا social و society مشتقان من اللفظة اليونانية socius وتعنى: رفيق، حليف. وكلمتا political و politics مشتقان من الكلمة اليونانية polis وتعنى: مدينة. وحيث أن المدن الإغريقية مثل أثينا

(١) نلاحظ أيضاً أن الكلمة اللاتينية ethlos تعنى الشخصية. (المراجعة)

وإسبرطة كانت وحدات سياسية مستقلة ذات سيادة، فإن كلمة polis تترجم أحياناً إلى 'دولة المدينة'، وهو الاستعمال الذى يطبع استخدامنا لكلمة political (سياسى) والمصطلحات المتعلقة بها.

## مشكلات الدرجة الأولى ومشكلات الدرجة الثانية

### العمد

هناك عديد من الأسباب التى تدفع الناس إلى إتيان ما يأتوه من أفعال. وهى أسباب تجمع بين التعقيد والتباين الشديد فى أن واحد. فما يريده الناس وما يرغبون فيه وما يشعرون بحاجتهم إليه - خططهم القصيرة المدى ومشروعاتهم، وطموحاتهم الطويلة المدى أيضاً وأهدافهم البعيدة - كل أولئك يؤثر فى اختيارهم للأفعال ويوجهها. هناك بطبيعة الحال أفعال كثيرة بلغت من الوتيرة أو الاعتياد مبلغاً يجعلها لا تستدعى أى تفكير مسبق. ولكن هناك أحوالاً أخرى يفكر فيها الإنسان كثيراً قبل أن يفعل الفعل. يقال لمثل هذا التفكير 'العمد' Deliberation (التروى، إنعام الفكر...) ويقال للأفعال التى تصدر عنه متعمدة أو عن عمد.

افتراض أن هناك مجالاً من الأفعال قيد النظر من حيث إن الفاعل يرى أن أداء شئ منها سوف يُشبع رغبة من رغباته. هنالك سوف تبرز ثلاثة أصناف من الأسئلة: تكتيكية وتدبرية وأخلاقية

### الأسئلة التكتيكية

وهى تدور حول أفضل الوسائل لفعل شئ ما وأوقاها بالقصد. فلو أن شخصاً ما قد اعتزم القتل، فإن عليه بعد أن يفكر فى أمثل الطرق - الرصاص أو الطعن أو السم .... إلخ - لتنفيذ خطته. وبعيداً عن دراميه القتل، فإن كثيراً من المهام

العملية والمشروعات اليومية تفضى بنا إلى التفكير فى الوسيلة وتطرح أسئلة  
تكنيكية.

## أسئلة التدبر

تدور هذه الأسئلة حول مدى تأثير الفعل المعنى فى مصلحة الفاعل الجملة  
والطويلة المدى، وفى خيره وسعادته فى مقبل أيامه. إن المرء لينصرف عن أفعال كثيرة  
رغم أنها تشبع رغبة عاجلة أو تعزز مشروعاً معيناً، حين ينظر إليها بعين التدبر أى  
الحصافة والتبصر بالعواقب. ويتطلب التدبر القدرة على تخيل النتائج المستقبلية  
للأفعال الحاضرة والعمل بمقتضاها، وهى قدرة يبدو أن الناس تتفاوت فيها تفاوتاً  
كبيراً. ورغم أن اعتبارات التدبر تفترق عن الاعتبار الأخلاقية (فاعتبارات التدبر  
أنانية فى صميمها) فإن علماء الجريمة وغيرهم من دارسى السلوك الإنسانى يقدرّون  
أن ٧٠-٨٠٪ من السلوك اللاأخلاقى أو المضاد للمجتمع أو المؤذى للآخرين هو بدوره  
سلوك طائش يفتقر إلى التدبر. يترتب على ذلك أن 'المصلحة الذاتية المستنيرة' خليفة  
بأن تمحو معظم هذا السلوك المشين.

## الأسئلة الخلقية

قد تكون بعض الأفعال ممكنة تكنيكياً، بل مُتدبرة غير ذات عواقب وخيمة،  
وتبقى مع ذلك مرفوضة على أساس أخلاقى. فقد يفكر المرء ملياً فى فعل ما  
ولكنه ينتهى إلى إدانة هذا الفعل قائلاً "لا يمكننى أن أفعل ذلك، فسوف يكون  
خطأً!"

هذا الوازع مع الأسف لا يثنى الجميع. أما أصحاب الضمير الخلقى من الناس،  
أولئك الذين تهمهم الأخلاقيات وتشغل بالهم، فلا يقربون من الأفعال ما هو لا أخلاقى

بشكل واضح، بل لا يكادون ينظرون فيه، أى لا يدركونه كخيار حقيقى. على سبيل المثال، معظمنا لا يفكر لحظة واحدة هل ينبغى أو لا ينبغى أن يقتل لكى يحقق مأرباً ما. فالقتل مستبعد أصلاً بحيث لا يخطر لنا بشكل جدى. على أن الأمر ليس بهذا الوضوح فى كل الأحيان. فلا يندر أن نصادف أحوالاً تشتبه فيها الأحكام بصدد فعل ما بحيث لا نعرف على وجه اليقين هل هو مقبول أخلاقياً أو غير مقبول. فى مثل هذه الحالات يتعين علينا أن نبذل جهداً فكرياً كبيراً لا ضامن بعده أننا سنصل إلى قرار محدد واضح السداد.

## وجهة النظر الخلقية

حين نسأل: ولكن هل يكون ذلك خطأ؟ فنحن إذًا ننظر إلى الفعل من وجهة النظر الأخلاقية أو من الزاوية الأخلاقية. هذه الطريقة من النظر إلى الأفعال هى فريدة فى نوعها أو نسيج وحدها *sui generis* (أى أنها تنتمى إلى فصيلة أو مقولة خاصة بها وحدها) ولا يمكن تفسيرها تفسيراً حقيقياً فى حدود أى شىء أكثر أولية. إن القلة القليلة من المتخلفين عقلياً الذين لا يعون حديثنا حين نتحدث عن الأخلاقية *morality* ربما لن يصلوا إلى مفهوم للأخلاقيات على أية حال. وعدا هؤلاء ليس هناك من البشر من يمكن أن يقول إنه يفتقد تماماً مفهوماً للأخلاقية، على كثرة من يرتكب الأفعال المرفوضة أخلاقياً وعلى كثرة الخلافات حول الأخلاقية. فما من إنسان، بعبارة أخرى، إلا ويعرف كُنه هذه الزاوية الأخلاقية وكُنه النظر إلى الفعل من زاوية أخلاقية.

ولا بد أن نضيف هنا أن ليس كل الفلاسفة على اتفاق فى أن الأخلاقية هى نسيج وحدها فهناك محاولات مختلفة قد بُذلت لرد الأخلاقية إلى اعتبارات المصلحة الذاتية والحصافة والعقلانية الاقتصادية.

## الصواب والخطأ

لقد دأبنا في اللغة الدارجة على أن نتحدث عن الأخلاقية في حدود الصواب right والخطأ . wrong غير أننا يجب أن نذكر أننا نقسم الأفعال في واقع الأمر إلى ثلاث مقولات لا إلى اثنتين: فهناك أفعال مباحة permissible أو يجوز أن تؤدي، وهناك أفعال غير مباحة impermissible أو لا يجوز أن تؤدي، وهناك طائفة ثالثة من الأفعال واجبة أو لا يجوز ألا تؤدي. كما يجب أن نذكر أن كلمة 'خطأ' كلمة ملتبسة: فهي قد تعني خطأً تقنياً أو خطأً جمالياً أو خطأً من جهة اللياقة الاجتماعية أو خطأً في التدبر أو خطأً قانونياً أو خطأً أخلاقياً. كل أولئك معاني منفصلة من الخطأ، على ألا نفهم من ذلك استحالة وجود علاقات فيما بينها. فحقيقة أن فعلاً ما هو خطأ قانوني، على سبيل المثال، سوف تعني في أغلب الأحوال أن هذا الفعل هو أيضاً يفتقر إلى التدبر أو هو نتاج تدبر غير سديد.

## مشكلات الدرجة الأولى من الأخلاق

الأسئلة الأخلاقية، كما تبرز إبان العمد وتقليب الرأي، هي أسئلة ذات صبغة عملية. إنها أسئلة يطرحها الفاعل حول ما يتعين عليه أن يفعله في المستقبل المباشر. وبإمكانه في أغلب الأحيان أن يجيب عن مثل هذه الأسئلة وأن يشرع في الفعل بضمير مطمئن. غير أنها قد تستعصى أحياناً وتتأبى على الحل. هنالك يكون الفاعل بإزاء مشكلة أخلاقية من الدرجة الأولى first-order moral problem . سواء عمد أو لم يعمد فاعلٌ معين إلى التفكير بطريقة أكثر عمومية حول طبيعة الأخلاقية، فإن جملة البشر مأخوذون منذ القدم بالانتقال من الاعتبارات العملية والمشكلات الضاغطة إلى التأمل في الإطار الفكري العام الذي ينبغي أن توضع فيه هذه المشكلات العملية وتُقيم من خلاله.

## مشكلات الدرجة الثانية

مشكلات الدرجة الثانية، وتُسمى أيضاً المشكلات الميتاأخلاقية meta-ethical، هي المشكلات الفلسفية التي تدور حول طبيعة الأخلاقية. ومن شأن هذه المشكلات أن تُضفى إلى نظريات فلسفية عن الأخلاقية أو إلى آراء متنافسة عن تحليل الجمل الأخلاقية وما ينبغي أن يكون عليه هذا التحليل. وفيما يلي نعرض للنظريات الثلاث الكبرى عن طبيعة الأخلاقية وهي: المذهب المعرفي، ومذهب الأمر، والمذهب الانفعالي.

### نظريات الأخلاقية

#### المذهب المعرفي

المذهب المعرفي cognitivism هو المذهب القائل إن الجمل الأخلاقية - من قبيل 'السرقه خطأ'، 'الجنس قبل الزواج جائز أخلاقياً' - هي جمل تحمل قيم صدق truth-values أو بعبارة أخرى هي إما صادقة وإما كاذبة. ويمكن أيضاً أن نعبر عن هذا بقولنا: الجمل الأخلاقية هي عبارات statements حقيقية. يرى صاحب المذهب المعرفي إذن أن هناك شيئاً من قبيل المعرفة الأخلاقية يُحصلها الناس عندما تستوى لديهم اعتقادات صادقة مبررة عن الأخلاقية (انظر مناقشتنا للمعرفة في الفصل الثاني). يترتب على ذلك أن الأسئلة الأخلاقية مثل 'هل السرقه خطأ؟' 'هل الجنس قبل الزواج مباح أخلاقياً؟' هي أسئلة موضوعية، أي أسئلة لها إجابات صحيحة وإجابات خاطئة.

يُطلق أيضاً على المذهب المعرفي في الدراسات المعاصرة اسم الواقعية الأخلاقية. moral realism. وحين يُطرح المذهب المعرفي (أو الواقعية الأخلاقية) يجده كثير من غير الفلاسفة رائقاً جذاباً. على أن من الحق أيضاً أن غير الفلاسفة كثيراً ما يقولون أشياء تتنافى مع المذهب المعرفي. إن أقوالاً من مثل 'الأخلاق هي وجهة

نظرًا ، ليست الأخلاق سوى ما تراه عشيرتك جائزًا أو غير جائز - هي أقوال لا يمكن أن تصدر عن صاحب المذهب المعرفي المتسق مع نفسه.

### الحجة المستفادة من الحجج

هي إحدى حجج المذهب المعرفي. ومفادها أن الناس يقدمون حججاً مقدماتها ونتائجها هي جمل أخلاقية. فمن المفترض عند الجميع أننا يمكن مثلاً أن نثبت بالحجة أن السرقة خطأ من الوجهة الأخلاقية. ولكن المنطق يعلمنا أن مكونات الحجج يجب أن تكون عبارات حقيقية. من ذلك ينتج أن الجمل الأخلاقية هي عبارات حقيقية.

### مشكلة التناظر

لعل أكبر المصاعب التي تواجه أصحاب المذهب المعرفي هي مشكلة التناظر correspondence . فما هو الشيء الذي تتناظر معه الجمل الأخلاقية عندما تكون صادقة؟ هب أنك من أصحاب المذهب المعرفي، وأنت ترى جملة 'السرقة خطأ صادقة'، فما الذي يجعلها صادقة؟ أين عسانا ننظر لنرى أنها صادقة؟ ما الشيء الذي نؤيد به العبارة 'السرقة خطأ' مثلاً نفعل بإزاء عبارة عادية مثل 'السماء تمطر'؟ فنحن إذا سألنا ما الذي يجعل جملة 'السماء تمطر' جملة صادقة لقلنا 'الطقس المحلي'، فإذا سألنا أين ننظر لقلنا 'من النافذة'.

### هل الجمل الأخلاقية تحليلية؟

ربما تبدو المقارنة بالطقس خارجة عن الموضوع. لنبحث أين ننظر، على أي حال، لنرى ما الذي يجعل كل العزاب غير متزوجين جملة صادقة. حسناً، إننا بالتأكيد لا يلزمنا أن نجرى مسحاً شاملاً لجميع العزاب أو أن نحصل أي أية معلومات أخرى عن العالم. وبحسبنا أن نتأمل تعريف 'الأعزب' وتعريف 'غير المتزوج' لنكتشف، عندما نُعمل

فكرنا فى الأمر، أن كل العزَاب غير متزوجين هى صادقة بالضرورة ذلك لأنها صادقة تحليلياً (أو صادقة بحكم التعريف). إن بإمكاننا بالطبع أن نجعلها كذلك بأن نعرف السرقة بأنها الأخذ الخاطى، فتصبح جملتنا الأخلاقية 'الأخذ الخاطى خطأ'، وهى صادقة تحليلياً ولكنها لا تسعفنا فى شىء. وكل ما يفعله هذا التعريف هو أنه ينقل السؤال ولا يجيب عنه. ويضطر من يتساءل هل السرقة خطأ، وإنها كذلك، إلى أن يتساءل هل أى أخذ يؤخذ هو أخذ خطأ.

## مذهب الأمر

مذهب الأمر imperativism هو الرأى القائل بأن الجمل الأخلاقية هى أوامر متخفية أو مقنعة. فرغم أن الجمل الأخلاقية هى جمل إخبارية من الوجهة النحوية، فإنها تؤدى وظيفة القواعد rules . يجب أن نقول بادئ ذى بدء إنه لا اعتراض على مذهب الأمر فى دعواه بأن هناك جمل من إحدى الفصائل النحوية ليست تعمل ما اعتادت جمل هذه الفصيصة أن تعمل. فليس حتماً لازماً على جميع الجمل المنتمية إلى فصيلة نحوية معينة أن تقوم بنفس الوظيفة. ولا يختلف اثنان على كل حال فى أن الجمل الإخبارية نحوياً تُستعمل بطرق شديدة التباين. وبناءً على ذلك فمن الممكن لجملة 'السرقة خطأ' أن تعادل 'لا تسرق'، ولجملة 'الجنس قبل الزواج جائز أخلاقياً' أن تعادل 'لا تجعل من (لا تمارس الجنس قبل الزواج) قاعدة'.

## حجج مذهب الأمر

ليست هناك حجة مفردة تدفع إلى تبني مذهب الأمر، بل بالأحرى عدد من الاعتبارات. الأول: أنه يبدو بديلاً ممكناً لمن يرى أن المذهب المعرفى تقوضه مشكلة التطابق. والثانى: أننا جميعاً نريد من الجمل الأخلاقية أن تكون موجهة ومرشدة للفعل بشكل مباشر. والثالث: أن مذهب الأمر يفسر فعلاً ما تدور حوله الحجج

الأخلاقية. إنها تدور حول أى الحقائق ينبغي أن تعيش الجماعات البشرية وفقاً لها. أى القواعد من الحكمة أن نتبعها. بدلاً من الخوض فى فئات معينة من الأفعال والبحث وفيما إذا كانت تتحلى بخصائص غامضة من قبيل الصواب الأخلاقى أو الخطأ الأخلاقى.

يعترف أنصار مذهب الأمر أن هذا المدخل لا يحل جميع مشكلاتنا الأخلاقية. غير أنهم يمضون قُدماً فى زعمهم أنه يمنحنا شيئاً مبرراً من الغموض لكى نفكر فيه. وإنه ليتمتع فعلاً بمزية تقريب البحث الأخلاقى من شكل البحث التشريعى عن أى القوانين يكون من الحكمة أن نسنها .

ورغم أن القاعدة من قبيل 'لا تسرق' ليس لها قيمة صدق، فبإمكان أصحاب مذهب الأمر أن يتعاملوا بسهولة مع الحجة المستفادة من الحجج the argument from arguments . صحيح أن مكونات الحجج هى عبارات مثل 'إنها فكرة سيّدة أن تتخذ قاعدة ( لا تسرق )'، وأنه لا يتسنى دائماً أن نقرر أى القواعد يكون من السداد اتخاذها، ولا أن نحمل الناس على الاتفاق حول هذا، ولا أن نقرر أى الاعتبارات يتصل بهذا. ولكن يبقى من الممكن دائماً أن نتخيل حججاً مقنعة إلى حد كبير. فإذا تحدثنا مثلاً عن الملكية الفردية وبمعزل عن أى التزام زائد بها، فمن الواضح أن الناس لا يسعها أن تعمل بكفاءة (بل سيكون أغلبهم قلقين للغاية) ما لم يحتفظوا بالأشياء التى يستخدمونها فى مكانها لا تبرحها. إن قلماً أو نظارة أو سيارة تستخدمها يجب أن تلبث حيث تتوقعها وتلتمسها عندما تحتاج إليها. مثل هذه الاعتبارات المألوفة للغاية تكفى لكى تظهرنا على أن من الحكمة والسداد أن نتبنى قاعدة ضد السرقة.

### المذهب الانفعالى

المذهب الانفعالى emotivism هو المذهب القائل بأن الجمل الأخلاقية هى جمل

تعجبية متخفية disguised exclamation . فعبارة أخلاقية مثل 'السرقعة خطأ' إنما تعبر عن انفعالات سلبية تجاه السرقعة. 'السرقعة خطأ' وفقاً للمذهب الانفعالي تعادل شيئاً من قبيل 'السرقعة.. أف لها' أو 'السرقعة.. وى لها'. ربما كان المذهب الانفعالي هو الأقل رواجاً من الناحية التاريخية بين المذاهب الكبرى الثلاثة حول الجمل الأخلاقية، وإن كان هذا لا يُعدّ في حد ذاته دليلاً على أنه مذهب غير صحيح.

## العقل والانفعال

يرفض كثير من الناس المذهب الانفعالي في الأخلاق لأنهم يرونه لا عقلانياً إلى حد بعيد. إن جدلنا حول الأخلاقية هو شيء عقلي بالفعل، وهو ما يجعل المذهب الانفعالي - بعكس المذهب المعرفي ومذهب الأمر - في موقف غاية في العسر حين يحاول أن يفسر لنا كيف يمكن أن يقوم الجدل الأخلاقي. على أننا يجب أن نذكر - كما تُظهر كثير من المناقشات المعاصرة - أن بمقدور الأسئلة الأخلاقية أن تولد مشاعر شديدة القوة. وكم ذا يخترع الناس من حجج باطلة حين يريدون أن يدعموا مواقف أخلاقية دفعتهم إليها مشاعر بدائية. وما يكاد أحد المتحاورين يُقحم في النقاش الأخلاقي مقولات من قبيل 'المقرز' أو 'المثير للغثيان' حتى نكون على ثقة كبيرة أن العاطفة هي التي تتحدث لا العقل، وأننا بإزاء انفعالات قوية لا حجج سليمة. ولا شيء من هذا يعزز موقف المذهب الانفعالي ويدعم حجته.

## المشاعر والتقييم المعرفي

وهناك في الحقيقة حجة أخرى ضد المذهب الانفعالي. فهذا المذهب يدعى أن المشاعر (أو الانفعالات) هي التي تفسر أحكامنا الأخلاقية التي تتكشف في النهاية عن تعبيرات متخفية عن تلك المشاعر. غير أن هناك حججاً ضد ذلك تقول إن المشاعر (أو الانفعالات) هي في العادة نتاج للتقييم المعرفي، أي نتاج للأشياء التي نعتقد أنها

الحق. فحين أحس بالضيق فذلك لأنى أعتقد أن شيئاً سيئاً قد حدث، وحين أحس بالسرور فلأنى أعتقد أن شيئاً حسناً قد جرى. فإذا كان هذا هو منشأ المشاعر ومولدها<sup>(١)</sup>، فإن علينا أن نستكشف ما الشيء الذى تنطوى عليه السرقة فيجعلها تثير مشاعر الاستنكار disapproval الشديدة التى كثيراً ما تُسمى الاستهجان disapprobation . إن أصحاب المذهب الانفعالي يقولون لنا إن السرقة خطأ لأن الناس يستجيبون لها استجابةً سلبية. ولكن الوجه قد يكون غير هذا: فقد يستجيب الناس للسرقة سلبياً بسبب شيء حقيقى فيها يكشف عنه تقييمهم المعرفى لهذا الفعل.

ولا بد فى النهاية أن نضيف أن الناس، سواء من الفلاسفة أو غير الفلاسفة، يتجادلون حول نوع المشاعر التى 'ينبغى' أن نشعر بها. هب أنك تشعر بضيق من جراء فكرة الجنس قبل الزواج. فبإمكانك، بدلاً من أن تتخذ شعورك أساساً للتقييم الأخلاقى لهذا اللون من الجنس، أن تسأل نفسك هل ينبغى أن تشعر بضيق. فإذا تبين لك عندئذ أن ليس فى الأمر ما يدعو إلى الضيق فإن شعورك السلبى قد يزول. أما إن ظهر لك من جهة أخرى أن هناك أسباباً للضيق فإن هذه الأسباب، وليس شعورك بالضيق، هى ما يهم وما يتصل بعملية الحكم بأن الجنس قبل الزواج هو عمل لا أخلاقى.

(١) تعود هذه الفكرة - إن الانفعالات هى نتاج أحكام عقلية - إلى زمن الرواقين stoics بشكل خاص. يقول الفيلسوف الرواقى إبيكتيتوس: 'إن الذى يصيب الناس ويؤثر فى حياتهم ليست هى الأشياء ذاتها، بل لأرائهم عن الأشياء. فلو كان سقراط يرى الموت شراً لوقع الرعب منه فى قلبه، ولكن سقراط لم ير الموت شراً، فأقدم عليه غير مُبالٍ ويقول المتنبئ:

وما الخوف إلا ما تخوفه الفتى : ولا الأمن إلا من يراه الفتى أمناً

وهناك اتجاه فى العلاج النفسى الحديث يقوم على هذه الفكرة (الانفعال هو نتاج الفكر) يُطلق عليه العلاج المعرفى cognitive therapy . ويرى أن الفكر هو الذى يحدد الشعور، وأن تقييم الفرد للمواقف هو الذى يحدد انفعاله بها. وأن الطريقة التى يفكر بها هى التى تحدد الطريقة التى يشعر بها والأسلوب الذى يسلك به. فإذا وقع شخص فى اضطراب انفعالى، فمرد ذلك إلى أن أفكاره خاطئة مغلوطة تُحرف الواقع وتعوق التكيف. ومن ثم يتألف العلاج من تصحيح هذه الأفكار وتبنى أفكار بديلة أكثر واقعية واعتدالاً . (المترجم)

## مقاربة الواجب مقابل مقاربة النتائج

هذه النظريات الأساسية الثلاث التي تحدثنا عنها أنفأ هي نظريات عامة للغاية تحاول أن تفسر لنا كيف تعمل الجمل الأخلاقية من قبيل 'السرقه خطأ'. وهى بهذه الصفة نظريات تترك جوانب أخرى كثيرة من التفكير الأخلاقى دون أن تميظ عنها اللثام. ولعل أهم هذه الجوانب المتروكة هو الجانب المتعلق بنتائج الأفعال وصلة هذه النتائج بعملية تقييم الفعل ذاته من حيث القيمة الأخلاقية. ولدينا فى هذا الصدد وجهتان أساسيتان من الرأى: الأولى هى نظرية الواجب، وترى أن الإلزام الأخلاقى أو الواجب هو الأساس. والثانية هى مجموعة متنوعة من الآراء تتفق فى أن التزامنا بأداء الأفعال المختلفة أو الإحجام عن أدائها هو شىء يتوقف على النتائج المتوقعة من هذه الأفعال.

## مقاربات الواجب

تسمى المقاربات التى تؤكد على الطابع الأولى ( غير المستمد من غيره ) للواجب أو الإلزام الأخلاقى بمقاربات الواجب *deontological approaches* (وهى مشتقة من اللفظة اليونانية *deon* وتعنى: ملزم، صحيح، قويم). وبمقتضى هذه المقاربات فإن الجمل من قبيل 'السرقه خطأ' والجنس قبل الزواج جائز أخلاقياً' هى عبارات حقيقية - عبارات يفهم أنها تتحدث عن الواجبات. وبحسب هذه العبارات فإن 'السرقه خطأ' تعنى 'على البشر واجب ألا يسرقوا' و 'الجنس قبل الزواج جائز أخلاقياً' تعنى 'ليس هناك واجب بالامتناع عن الجنس قبل الزواج'.

## مشاكل حول الواجبات

ثمة مشكلتان بصدد الواجبات. المشكلة الأولى تتعلق بوضعها الميتافيزيقى: ماذا عساها أن تكون هذه الواجبات على وجه التحديد؟ فمن هذه القائمة [صخور، إلكترونيات، موائد، مقاعد، واجبات] ربما أمكننا أن نقول ما يكونه كل شىء، باستثناء

الواجب. قد نحاول بالطبع أن نقول إن الواجب هو شيء ينبغي علينا أن نفعله. لكن الأشياء التي ينبغي علينا أن نفعله تختلف كل الاختلاف عن الأشياء المألوفة التي توجد من حولنا. فالشيء الذي ينبغي على أن أفعله ليس شيئاً موجوداً وبوسعى أن أراه خارجاً عني، وإنما هو شيء يجب أن أفعله (ولكن قد لا أفعل). هذه الفجوة المنطقية بين أية أوصاف للواقع وأية دعاوى حول ما ينبغي أن يفعل هي ما يعرف عامةً بـ 'مشكلة يكون/ ينبغي' is / ought problem<sup>(١)</sup>

والمشكلة الثانية هي كيف نكتشف هذه الواجبات ونعرف ما هي. فقد يبدو واضحاً أننا يجب أن نمتنع عن السرقة، ولكن كيف نفعل ذلك؟ ماذا نقول لشخص يمارينا في هذا الأمر؟ بل كيف نكتشف واجباتنا في الحالات الخلافية التي تحتل الشك؟ فالناس على كل حال، من فلاسفة وغير فلاسفة، يختلفون حول أمورٍ من مثل (الجنس قبل الزواج وهل من الواجب اجتنابه). وسنعرض فيما يلي محاولات لتسوية هذا الصنف من الخلاف حيث نتحدث عن الدين، وعن الحدس/ الضمير/ الحس الأخلاقي، وعن العقل.

## الدين

يلتجئ كثير من الناس، ومنهم بعض الفلاسفة البارزين، إلى الدين لكي يمدّهم بأساسٍ للأخلاقية؛ وهذا شيء مفيد تماماً لنوى الالتزامات الدينية من الناس. غير أن هناك مشكلتين خطيرتين تواجهان أي محاولة لتأسيس الأخلاق على الدين:

(١) تسمى هذه المشكلة أيضاً قانون هيوم Hume's law نسبة إلى الفيلسوف الإنجليزى ديفيد هيوم (١٧١١-١٧٧٦) الذي يقول في كتابه الشهير 'دراسة في الطبيعة البشرية': 'إنه مما لا يمكن تصوّره أن تستق هذه العلاقة الجديدة 'ينبغي' ought من غيرهما مما يختلف عنها كل الاختلاف'. لقد رأى هيوم (وكثيرون غيره من كبار الفلاسفة) أنه من الممتنع أن تستق ما ينبغي أن يكون مما هو كائن، إذ لا يوجد جسر منطقي يعبر الفجوة بين الواقعة fact والقيمة "value". المترجم

المشكلة الأولى: هو أن هناك أدياناً مختلفة عديدة وهناك أناساً لا دين لهم. وإذا كان من المعقول تماماً لشخصٍ من طائفة دينية معينة، الكاثوليكية مثلاً، أن يستشير النصوص المعترف بها في هذه الطائفة ويستفتي أحبارها، فليس من المعقول أن نُلزم كل إنسان أن يحذو حذوه، أو أن يصر الكاثوليكيون مثلاً على أن يستشير الجميع نصوصهم وأشياخهم.

المشكلة الثانية : هَبْ أن الرب قد حرم القتل بأن أصدر وصية 'لا تقتل' thou shalt not kill، وأننا بذلك عرفنا أن علينا واجباً ألا نقتل. إن هذا يتركنا مع السؤال التالي: هل حرم الرب القتل لأنه خطأ أو أن القتل خطأ لأن الرب حرمه؟ فإن كانت الأولى يكن الرب مميزاً لوجه الخطأ في القتل ومُصدراً بذلك أمراً لإرشاد البشر. إن ذلك يجعل خطأ القتل مستقلاً منطقياً عن الرب ووصاياه، ولكنه لا يجيب عن سؤال 'ما الذي يجعل القتل عملاً خاطئاً؟'.

أما البديل الثانى فهو يجيب بالفعل عن السؤال السابق: إن تحريم الرب للقتل هو ما يجعل القتل عملاً خاطئاً، ولكن ما نظن أن الجميع على استعداد لقبول ذلك، إذ يبدو أن يلزم عنه أن البر أو إكرام الوالدين كان يكون خطأ لو أن الرب كان قد حرمه بدلاً من الأشياء التى حرمها بالفعل. إن من الصعب حقاً أن نفهم كيف يمكن للتحريم أن يجعل الشيء المحرم خطأ لو لم يكن هذا الشيء هو خطأ أصلاً. ويُطلق على هذه المشكلة التى كان أفلاطون أول من عرض لها (فى محاورة أوطيفرون) اسم 'مشكلة أوطيفرون' (١).

(١) تندرج 'مشكلة أوطيفرون' Euthyphro problem فيما يُعرف بقياس 'الإحراج' dilemma : فهل الأشياء التقية هى تقية لأن الآلهة تحبها، أو أن الآلهة تحبها لأنها تقية؟ وهى تطرح سؤالاً عما إذا كان من الممكن تصور القيمة بوصفها نتيجة لمشينة أى ذهن ولو كان إلهياً. فإذا اخترت أن الآلهة هى التى تخلق الخير والقيمة، فرغم معقولية هذا الرأى إلا أنه يجعل من الممتنع أن نطرى الآلهة، لأنه يكون عندئذ من الحقائق الفارغة أن الآلهة تشاء الخير. وأما الاختيار الثانى فيلزمنا بفهم مصدر للخير والقيمة يقع =

## الحدس / الضمير / الحس الأخلاقي

ذهب كثير من الفلاسفة على اختلاف الأزمنة إلى أن لدى الكائنات البشرية حدوساً intuitions مميزة عن الواجب أو الالتزام الأخلاقي. وقد يُعبر عن ذلك أيضاً بأن الضمير conscience أو الحس الأخلاقي moral sense ينبئنا ماذا تكون واجباتنا<sup>(١)</sup> وإنها لحقيقة سيكولوجية أن الناس كثيراً ما يقيمون أحكاماً تلقائية عن الأخلاقية تبدو صحتها الواضحة بديهية أمامهم. غير أن هذا لا يعنى أن

= وراء إرادة أي كان حتى الآلهة، والذي به يمكن تقييمهم. وقد قدم توما الإكويني حلاً رشيقاً لهذه المشكلة، وهو أن معيار الخير تشكل طبيعة الرب، وهو من ثم متميز عن إرادة الرب ولكنه غير متميز عن الرب نفسه.

والحق أن هذه العضلة تبرز لنا أيأ ما كان مصدر السلطة المفترضة: فهل نحن نرغب في الخير لأنه خير، أو أننا فقط نسمى ما نرغب فيه خيراً؟ ومن الممكن تعميم هذه العضلة أيضاً لكي تمتد إلى فهمنا للسلطة في المجالات الأخرى: ففي الرياضيات مثلاً أو الحقائق الضرورية: هل الحقائق الرياضية ضرورية لأننا نعتبرها كذلك، أو إننا نعتبرها كذلك لأنها ضرورية؟ (المترجم)

(١) يرى الحدسيون، وعلى رأسهم الفيلسوف الإنجليزي جورج مور صاحب كتاب مبادئ علم الأخلاق Prin-cipia Ethica، أننا لا نستطيع استخلاص نتائج أخلاقية من مقدمات غير أخلاقية، ولا نستطيع تعريف المفاهيم الأخلاقية على أساس مفاهيم غير أخلاقية، ذلك لأن عالم الأخلاق أو القيمة منفصل تماماً عن العلم غير الأخلاقي ولا يمكن أن يرد إليه. ولا يمكن أن تُرد القيمة إلى أي شيء سابق عليها من أي نوع: طبيعي أو ميتا فيزيقي أو الرب ذاته؛ فالقيمة فريدة في نوعها ونسيج وحدها sui generis وغير قابلة للتعريف ولا تدرك إلا بالحدس. إن هناك انقساماً ثنائياً عتيداً بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، أو بين الواقع والقيمة. وإنما يقع المذهب الطبيعي في مغالطة كبرى أسمها مور مغالطة المذهب الطبيعي Naturalistic Fallacy حين يحاول أن يعبر الفجوة بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون أو أن يستخلص الأخير من الأول. يرى المذهب الحدسي في الأخلاق أن الخيرية كامنة في بعض الموضوعات والمواقف مثلما أن اللون الأصفر كامن في أشياء معينة. وكما أن اللون من حيث هو تجربة يستحيل تعريفه ولا يمكن أن تُدرك إلا بالمواجهة المباشرة لأشياء ملونة، فكذلك لا تُعرف القيمة أو الخيرية إلا بالحدس، عن طريق كشفها في الموضوعات والمواقف. فمن المستحيل الاستدلال عليها أو المناقشة حولها. فالخيرية كامنة. وإذا كان هناك فرد معين يعجز عن إدراكها فلا بد أن نفترض أن هناك عمى أخلاقياً مثلما أن هناك عمى للألوان. (المترجم)

الحدس أو الضمير أو الحس الأخلاقي يمكن أن يعمل كمصدر للمعرفة. إننى إن سألتك كيف تعرف أن السماء تمطر فقد تجيبني ومعك كل الحق (وربما بضجر وله ما يبرره) بآئك ترى أنها كذلك. ولكن من الجهة الأخرى فإن بإمكان كل إنسان مبصر أن يرى ذلك. وبإمكانى إن اقتضى الأمر أن أدمع ملاحظتك على الفور بملاحظة أخرى من جانبى. (\*)

ربما يُفسر هذا بسبب الميل إلى الالتقاء convergence التام حول جميع المسائل التى يمكن أن تُحسَم بالملاحظة الحسية البسيطة. ولكن لا شىء من ذلك ينسحب على الحدس/الضمير/الحس الأخلاقي. وعندما أسألك كيف تعرف أن السرقة خطأ وتجيبنى بأن لديك 'حدساً' بذلك (أو أن ضميرك ينبئك بذلك أو أن حسك الأخلاقي يكشف لك ذلك) فإن إجابتك لا تعدو أن تكون 'إننى أعرف وحسب!'. ذلك ما يجعل الحدس / الضمير / الحس الأخلاقي لا يُغنى شيئاً فى حسم الخلافات الأخلاقية.

## العقل

كانت أشهر محاولة لتأسيس أخلاق الواجب على العقل هى التى قام بها إمانويل كانط Immanuel Kant (١٧٢٤-١٨٠٤) والتى أضافت مصطلح الكانطية Kantianism إلى المفردات الدائمة للفلسفة. يقول كانط إن الإنسان من حيث هو كائن عاقل يقبل المبدأ التالى "ينبغى ألا أفعل بطريقة من شأنها ألا يمكننى أن أريد لقاعدة فعلى فى الوقت نفسه أن تكون قانوناً عاماً". يقول كانط، لنفرض أنه وجد نفسه فى موقف قد يسعفه فيه أن يقدم وعداً ليس فى نيته أن يفى به: "هل يمكننى أن أقول لنفسى إنه يجوز لكل إنسان أن يقدم وعداً كاذباً كلما وقع فى ضائقة ليس له منها أى مخرج آخر؟ أرى على الفور أنى يمكن أن أريد الكذبة ولكن لا يمكن أن أريد القانون العام للكذب".

كثيراً ما يُطلق على هذا 'مقياس إمكان التعميم، أو قابلية التعميم - universalizability criterion . وقد أدرك كانط أنه حتى الكائنات العاقلة ستجد ميولاً قوياً للعمل ضد القانون الأخلاقي، ولكنها ستكون رغم ذلك قادرة على الفعل القائم على احترام هذا القانون. إن الكائن العاقل سوف يَخْلُصُ إلى اعتبار القانون الأخلاقي قانوناً يفرضه هو على نفسه (حالة الاستقلال الذاتي autonomy) وليس قانوناً يفرضه عليه أى شخص آخر (حالة الإكراه أو التبعية heteronomy) ولا تزال الكانطية قوة كبرى فى الفكر الأخلاقي.

الأمر المطلق categorical imperative : هو المبدأ الكانطى الأساسى الذى اعتبره الأساس المطلق للإلزام لكل الأخلاقية. يمكن أن نصوغ الأمر المطلق كما يلي: افعل بحيث يمكنك أن تريد لقاعدة فعلك أن تكون قانوناً عاماً ملزماً لإرادة كل شخص عاقل ( مطلق categorical هنا تعنى غير مشروط unconditional وهو يقابل القواعد الشرطية التى تأخذ صورة: إذا أردت كذا وكذا، فيتوجب أن تفعل كيت وكيت. مثال ذلك أنك إذا أردت أن تتجح كرجل أعمال، فيتوجب عليك أن ترتدى ملابس أنيقة )

**نقد الكانطية:** يشتمل مذهب النتائج بجميع أشكاله على نقد ضمنى لكانط: إنه ببساطة يتجاهل النتائج ويهملها، هناك فضلاً عن ذلك مشكلتان أخريان تتصلان بكانط. المشكلة الأولى هى أن الأمر المطلق مبدأ صورى خالص. فهو يخبرنا أن قواعدنا ومبادئنا يجب أن تكون عامة من حيث الصيغة أو الشكل، ولكنه لا يخبرنا ماذا يجب أن تكونه بالفعل. والمشكلة الثانية هى أن كانط يرى أن القواعد الأخلاقية ملزمة بشكل مطلق فى جميع الظروف. غير أن كثيراً من علماء الأخلاق يرون أن للقواعد من قبيل 'لا تكذب' و'تنكث عهداً' استثناءات مشروعة. مثال ذلك أن الأسرة الهولندية التى كانت تؤوى أنى فرانك وتخفيها عن النازيين كان لها حق فى أن تكذب على عملاء الجستابو لى تنقذ حياتها.

## مقاربات مذهب النتائج

يقوم مذهب النتائج consequentialism بجميع صورته على أن النتيجة الوحيدة التي تصلح للتفكير حول الأخلاقية هي أن ننظر إلى النتائج (التبعات / العواقب) consequence . وهناك طرق متعددة يمكن أن يتم بها بحث النتائج. فقد نفكر مثلاً في تبعات فعل محدد، وقد نفكر في النتائج الناجمة عن تبني قاعدة عامة معينة. ولا يخلو الأمر هنا من ارتباط وصلة؛ فإذا كان من شأن أفعال معينة أن تجر نتائج وخيمة فلا بد أن تكون للقاعدة المناهضة لهذه الأفعال نتائج محمودة.

من المزايا الكبرى لمذهب النتائج أنه لا يتركنا مع غوامض نخبط فيها خبط عشواء، بل يقدم لنا شيئاً واضحاً نتناوله بالتفكير والبحث. غير أنه لا يعفينا من لون من المغامرة لا مفر منه، هي مغامرة التنبؤ. ففي اللحظة التي تكون فيها نتائج الأفعال ألح ما تكون على التفكير تكون فيها هذه النتائج قابضة بعد في المستقبل. ولا بد من أن نغامر بالتكهن بها. ومن الحق أيضاً أن نتائج الأفعال الفردية ونتائج اتخاذ قواعد معينة ليست فقط شديدة التعقيد بل مختلطة أيضاً، منها الحسن ومنها السيئ. لهذه الأسباب يجب ألا نظن أن مذهب النتائج طريق مختصرة لإقامة الأحكام الأخلاقية.

## مذهب المنفعة

يرتبط مذهب المنفعة utilitarianism ، وهو الصيغة الأوسع انتشاراً لمذهب النتائج، بأسماء كل من جيرمي بنتام Jeremy Bentham (١٧٤٨-١٨٠٦)، وجيمس مل James Mill (١٧٧٢-١٨٣٦) ونجله جون ستيوارت John Stuart Mill (١٨٠٦-١٨٧٣). وقد عرّف مل الأصغر مذهب المنفعة بأنه تلك الوجهة من الرأي القائلة إن الأفعال هي خير بقدر ما تنزع إلى أن تعزز السعادة، وهي شر بقدر ما تنزع إلى

أن تورث الشقاء<sup>(١)</sup> ". ويضيف مل أنه يعنى بكلمة السعادة اللذة وانتفاء الألم، ويعنى بكلمة الشقاء الألم وفقدان اللذة. وحين نكون بصدد تقدير الوضع الأخلاقى لفعل ما، فنحن نحاول أن نتنبأ (باقصى ما نستطيع من دقة) بكل نتائج المستقبلية، ومن بين هذه النتائج تُعد تلك التى تعقب لذة أو ألماً أو تخفض لذة أو ألماً هي ما يعيننا بشكل مباشر. هنالك نقوم بنوع من الحساب أو الروز، ثم نجيز لأنفسنا أخلاقياً أن تؤدي الفعل إذا كان المجموع الجبرى للذة وخفض الألم يرجح على مجموع الألم وخفض اللذة (وقد أطلق بنتام على هذا اسم حساب السعادة felicific calculus<sup>(٢)</sup>)، وهو مشتق من الكلمة اللاتينية Felix وتعنى سعيد).

ولما كان معظم النفعيين الأوائل هم من علماء الاقتصاد فقد أطلقوا على النتائج الإيجابية اسم الفوائد/ أو المنافع utilities وعلى النتائج السلبية اسم الخسائر / أو الأضرار. disutilities وعلينا أن ندرك بوضوح أن مذهب المنفعة (وغيره من صور مذهب النتائج) معنى أساساً بتصنيف الأفعال؛ أما الفاعل من حيث استحقاقه للإطراء أو اللوم، فذاك شأن منفصل وأقل أهمية.

وقد ذهب بنتام فى تأسيسه لحساب السعادة إلى أن 'الكم'، أى كمية اللذة والألم، هو كل شيء. أما جون ستيوارت مل فقد أدخل فكرة 'الكيف'، وتحدث عن لذات عليا ولذات دنيا، وأمكنه من ثم أن يقول قوله الشهيرة: " خير للإنسان أن يكون سقراطاً<sup>(٣)</sup> غير راض من أن يكون خنزيراً راضياً".

(١) حرفياً: تنتج عكس السعادة.

(٢) أو حساب الذات hedonic calculus (المترجم)

(٣) فضلت أن أنون كلمة سقراط هنا رغم أنا ممنوعة من الصرف، لأنى استخدمها فى هذا المقام كعنوان لفئة بأسرها وليس مجرد اسم علم أعجمى يشير إلى فرد بعينه (المترجم)

## مبدأ أكبر قدر من السعادة لأكثر عدد من الناس

على الفاعل وهو بصدد تقدير المشروعية الأخلاقية لفعله أن يتقصى نتائجه لا من حيث تأثيرها عليه فحسب، بل من حيث تأثيرها على أيما شخص تمسه. ولعل من أكبر نقاط القوة في مذهب المنفعة كروية أخلاقية تقدمية هي التزامه بفكرة المساواة بين الأفراد. فليس لذاتي وآلامي بأهم ولا بأهون من لذات أي إنسان آخر وآلامه. ربما يمتعنى أن استمع إلى مذياعى فى حافلة مزدحمة، ولكن قد أعرض عن هذا لأنه يؤذى الآخرين (وهنا لا بد أن نضيف أن اللذة فى المذهب النفعى تشمل نطاقاً عريضاً من الحالات الإيجابية منها ما يغلب عليه الطابع الفكرى. وكذلك الألم؛ فهو يشمل كل ما هو سلبى بدءاً من الضيق الطفيف وحتى الألم الجسمى الشديد). ملكية الذات والآلام إذن هى شىء خارج عن الموضوع من الجهة الخلقية. إنما الاعتبار كله هو لتحقيق أكبر قدر من السعادة لأكثر عدد من الناس.

### نفعية الفعل

هذا التعريف الذى اقتبسناه أنفاً من المذهب النفعى كما صاغه جون ستيوارت مل هو ما صار يعرف بـ 'نفعية الفعل' act utilitarianism . وهى الرأى القائل بأننا نتأمل الأفعال فعلاً فعلاً مقدرين النتائج المتوقعة من كل فعل على حده. ومما يؤخذ على هذا أنه يستغرق وقتاً طويلاً، فما يكاد يتم الحساب النفعى حتى تكون فرصة الفعل قد فاتت.

كما أن هناك أمثلة مضادة لهذا التوجه تأخذ المنحى التالى: هب أنتى بقتل برىء واحد أستطيع أن أنقذ حياة مائة برىء آخر يمكن أن يُقتلوا لو لم أقم بهذا الفعل. (يجب أن تأخذ هذا باعتباره مثلاً افتراضياً بحثاً، إذ إنك لو أوردت النتائج الممكنة فى العالم الحقيقى مثل تكريس مسابقة أو النيل من هيبة الحياة بصفة عامة، فإن الأمور تزداد تعقيداً). فهل يجوز لى أن أقتل شخصاً بريئاً؟ بعض النفعيين تمنحهم معتقداتهم القناعة على أن يجيبوا بنعم: إن فقد حياة هو شىء سيئ (فهو يمثل خسارة فادحة

بالتأكيد) ولكن فقد مائة حياة هو شيء أسوأ مائة ضعف (فهو يمثل خسارة فادحة مضروبة فى مائة). ورغم ذلك فإن كثيرين من النفعيين - ومعهم كل إنسان تقريباً - قد وجدوا أن هذه الحالة غير مريحة.

## نفعية القاعدة

يعمد هذا المذهب، بدلاً من التركيز على الأفعال المفردة ونتائجها، إلى النظر فى النتائج المحصلة من وراء تبني قواعد معينة. فعندما نبدأ فى التفكير الأخلاقى نجد أنفسنا فى زمرة اجتماعية تعزز الولاء والامتثال لعدد كبير من القواعد (فى المجتمعات الحديثة سيكون لبعض هذه القواعد أيضاً وضع رسمى بوصفها قوانين). هل هذه القواعد، بما فيها القوانين الوضعية، جديرة بالاتباع؟ هل يجب أن نطيعها ونحمل الآخرين على طاعتها ونعلم أولادنا أن يحترموها؟ وهل يمكن، فضلاً عن ذلك، أن نتحسن أحوالنا لو تبيننا قواعد ليست نافذة فى الوقت الحالى؟

تزودنا نفعية القاعدة بإطار نظرى عام لبحث هذه الأسئلة جميعاً. ويصبح النقاش الأخلاقى داخل هذا الإطار أشبه بالنقاش التشريعى المثالى. صحيح أن المداولات التشريعية الفعلية تشتمل على عناصر التسوية السياسية والمصلحة الخاصة، ولكن المشرعين فى أمثل أحوالهم يؤرقهم هم واحد: بعد الإحاطة بجوانب المسألة وأخذ كل شيء بعين الاعتبار، هل يُرجى حياة المواطنين أن تتحسن لو قمنا بإقرار هذا القانون؟ هذا هو السؤال نفسه الذى يسأله صاحب مذهب نفعية القاعدة بخصوص القواعد الأخلاقية الفعلية والممكنة.

لا تتعرض نفعية القاعدة للمأخذ ذاتها التى تؤخذ على نفعية الفعل. فلا تلتكؤ ولا حساب يفوت فرصة الفعل. فإذا اضطر مجتمع ما إلى التروى الطويل والتفكر المجهد لمعرفة أى القواعد الأخلاقية هى التى يتوجب على أعضاء هذا المجتمع اتباعها، فإن الفاعل إذ يدعو موقف ما إلى الفعل الفورى لا يعوزه غير أن يسترشد بالقواعد التى

تم سنّها وأن يطبقها على هذا الموقف. كذلك تفترض نفعية القاعدة أنه إذا ما تم الاقتناع بقاعدة أخلاقية وإقرارها فمن الواجب أن يلتزم بها بشكل مطرد لا نشوز فيه ولا استثناء. مثال ذلك ألا نقتل أناساً أبرياء لنتنتج مخزونات من الأعضاء القابلة للاستزراع، حتى لو صادفتنا حال يكون فيها لهذا الفعل فوائد قصوى. ذلك لأن لدينا قاعدة أخلاقية ضد القتل. صحيح أن لدينا في مجتمعاتنا أيضاً قانوناً يجرم القتل، غير أن قناعتنا الأخلاقية بتخطئة القتل هي الأساس وهي الأصل.

قواعد مطلقة أم قواعد قابلة للإبطال؟: على أن السؤال الذي يبقى مطروحاً هو: هل يجب أو هل يمكن أن تتبع القواعد بشكل مطرد أى دون استثناءات على الإطلاق؟ من الناس من ينظر إلى القواعد الأخلاقية بوصفها مطلقات، أى أنها يجب أن تُتبع دون أى استثناءات فكثيرون من المتدينين الذين يعدون القواعد الأخلاقية تعبيرات عن إرادة الرب يتصورون القواعد بهذه الطريقة المطلقة (كذلك تفعل الكانطية). وحيث أن النتائج هي دائماً خارجة عن الموضوع فإن النتائج السيئة التي تنجم من طاعة قاعدة ما في حالة معينة لا يمكن أن تُتخذ ذريعة لتبرير أى استثناء.

غير أن الموقف لا يخلو من غموض، حتى بالنسبة لأصحاب النزعة المطلقة. انظر مثلاً إلى قاعدة 'لا تقتل'. هل يمكن لهذه القاعدة أن تنسحب على القتل في الحرب، وعقوبة الإعدام، والقتل دفاعاً عن النفس؟ لا نظن أن أحداً يقول هذا باستثناء عدد قليل من دعاة اللاعنف. أما أغلبية الناس ممن يرون أنهم ينفذون هذه القاعدة على نحو مطلق فإنما يأخذونها بمعنى 'لا تقتل إلا إن كان الذي تقتله عدواً مُغيراً أو شخصاً مداناً بجريمة عقوبتها الموت أو شخصاً يحاول قتلك'.

ومن الناس من يعد القواعد الأخلاقية اختراعات بشرية ترمى إلى تنظيم سلوكنا الخاص (تنظيماً لن يبلغ الكمال أبداً) في الظرف المعقدة. وهم من ثم لا يستغريون استحالة أن تُحصر هذه القاعدة أو تلك في جملة لغوية على نحو نهائى مُرضٍ. إنهم ينظرون إلى القواعد الأخلاقية على أنها قابلة للإبطال أو الإلغاء 'defeasible'. ويمكننا أن نفسر مفهوم قابلية الإبطال كما يلي، إن للقواعد الأخلاقية المتبعة قرائن

قوية تؤيدها، وهى تظل نافذة ملزمة ما لم تُنقض القرينة بحجة عكسية واضحة. ولاحظ القارئ أنه ما دامت القرينة presumption مؤيدة للقاعدة فإن عبء البينة the burden of proof يقع على من يريد نقض القرينة. مثال ذلك أن هناك قاعدة أخلاقية ضد الكذب: إن إطاعة هذه القاعدة ليس بحاجة إلى تبرير خاص. غير أن هناك ظروفاً قد يجوز فيها أن يكذب المرء. عندئذ تكون البينة عليه، أى أنه عليه أن يبرر كذبه بالحجة.

وقد يرد البعض على فكرة قابلية القواعد للإبطال بأن الناس إن أُشربوا هذه الفكرة فلسوف ينحلون من التبريرات ما يُحلمهم من تنفيذ القواعد الأخلاقية كلما كان ذلك مريحاً لهم. غير أن هذا ليس بالحجة السديدة ضد فكرة الإبطال. فسواء اعتبر المرء القواعد مطلقة أو قابلة للإبطال فإن بمقدوره دائماً أن يتبصر بسلوكه الخاص ويراه رؤية واضحة. أما أولئك الذين يريدون أن يعدوا القواعد شيئاً مطلقاً بينما هم يسنون الاستثناءات فهم لا يفعلون أكثر من أن يطمروا الاستثناءات فى مضمون القاعدة. وإلا فهم يخدعون أنفسهم ويعمون عن معصيتهم. وإن الفهم الصحيح للقواعد ينبغى ألا يختلط بالمسائل المتعلقة بالضمير الأخلاقى وكيف نميه، وإطاعة القواعد وكيف نعززها.

قابلية الإبطال، ونفعية القاعدة فى مقابل نفعية الفعل : وقد احتج بعض المفكرين بأننا إذا اعتبرنا القواعد قابلة للإبطال لتساوت نفعية القاعدة بنفعية الفعل ولم تتميز عنها، ولحققتها بالتالى كل الأمثلة المضادة التى تلحق بنفعية الفعل. إلا أن هذه الحجة لا تصح إلا إن غابت عنا فكرة القرينة. وبعبارة أخرى نقول إن تسليمنا بأن قاعدة مثل 'لا تكذب' هى قابلة للإبطال (رغم كونها قاعدة سديدة تماماً ومن الرشد أن تكون أخذاً بها) لا تردنا إلى موقف صاحب نفعية الفعل، والذى يتعين عليه أن يترسم ما سيفعله من الصفر فى كل موقف جديد يتطلب الفعل. فى معظم المواقف يمكننا وينبغى علينا أن نتبع القواعد ذات القرينة القوية، لأنه لا يوجد ما ينقض القرينة ويلغيها فى عموم الأحوال.

الوقائع facts والقيم values : من مزايا نفعية القاعدة (ولا تنسى أنها شكل من أشكال مذهب الأمر) أنها تؤسس إطاراً للنقاش الأخلاقي قد تكون للوقائع فيه أهمية حاسمة. فحين نكون بصدد مناقشة قاعدة أخلاقية، سواء أكانت قائمة أو ممكنة، فإن من حقنا دائماً أن نسأل: ما هي النتائج الفعلية لاتباع هذه القاعدة أو تبنيها؟ فإذا أمكننا مثلاً أن نكشف شيئاً من الارتباط (أو عدم الارتباط) بين الخبرات الجنسية قبل الزواج وبين شقاء الإنسان، يكون لهذا صلة بالنقاش الدائر حول الجنس قبل الزواج وما إذا كان ينبغي أن نرسخ قاعدة أخلاقية ضد ممارسته. وكثيراً ما نجد منتقدي نفعية القاعدة يشيرون إلى النتائج ذاتها تخضع في تقديرها للقيم، وأننا لا بد أن نقيسها ونروّزها وفق معاييرنا القيمية. ورغم صحة هذا القول إلا أن عملية تقدير النتائج لا تمثل أى مشكلة في أغلب الأحوال. مثال ذلك أن مسألة هل يؤدي شيء ما إلى ألم جسدي هي مسألة واقعية أو إمبيريقية، وأن الألم شيء سيئ وخسارة وداع للأسف في صميمه وعلينا من ثم اجتنابه قدر المستطاع - وهذا حكم قيمة. ومن حسن الحظ أن هذا الحكم القيمي وأمثاله من الأحكام القيمية الأساسية هي أمور يجمع عليها أغلب الناس في مجتمعنا ولا يختلفون فيها. وجدير بالذكر أن هناك مذهباً طبيعانياً naturalism في الأخلاق، وهو المذهب القائل إن كل المشكلات الأخلاقية يمكن تسويتها بواسطة الوقائع وحدها<sup>(١)</sup> على أن النفعية، رغم إعلانها من شأن الوقائع، ليست شكلاً من أشكال المذهب الطبيعاني.

## أحاجي النفعية

من الأسباب التي تجذب انتباه الفلاسفة إلى المذهب الطبيعاني وتجعلهم يسهبون في مناقشته أنه يفضي إلى عدد من الألغاز المثيرة. إن المبدأ النفعي الأساسي هو

(١) أشرنا إلى ما أسماه جورج مور مغالطة المذهب الطبيعاني في الهامش الخاص بالحدسية، وقلنا إن الحدسيين يرون استئالة استخلاص القيم من الوقائع أو الانتقال مما هو كائن إلى ما ينبغي أن يكون، ويرون في هذا الانتقال مغالطة واضحة مادام عالم القيمة قائم بذاته ونسيج وحده. (المترجم)

أكبر قدر من الفائدة وهي التي يعرفها مل كما أسلفنا في حدود اللذة والألم. ولا شك أن الذات والآلام هي حالات ذهنية أو ذاتية - الأمر الذي دعا روبرت نوزيك Robert Nozick (ولد عام ١٩٢٨) إلى أن يطرح السؤال التالي: افترض أن بإمكانك أن تربط نفسك بـ 'آلة خبيرة' experience machine تتصل بمخك مباشرة عن طريق أسلاك، وأنها مبرمجة بحيث تظل تمدك مدى الحياة بلذات متوالية شديدة ومتنوعة. سيقول معظم الناس إنهم لا يريدون أن يربطوا أنفسهم بمثل هذه الآلة. ويسأل نوزيك: لم لا؟ إن النفور من الآلة الخبيرة يكشف اعتقاداً بأن المنفعة يجب ألا تُقاس بالحالات الذاتية، بل بما يُشبع الرغبات بصورة موضوعية. ولكن للناس أنواعاً لا حصر لها من الرغبات. فهل ثمة مقياس ما لعملية إشباع الرغبة يتصف بالعموم والشمول؟ إذا لم يكن هناك هذا المقياس فقد يثبت من ذلك أن الحساب النفعي (حساب السعادة لِبنتام) هو حساب مستحيل إجراءه.

وهناك مشكلة أخرى قد يجدر ذكرها: افترض أن ما لدى من رغبات هو، بالصدفة وحدها، أقوى مما لديك؛ فهل يعنى ذلك أنني لا بد حاصل على مُشَبِّعاتٍ لرغباتي أكثر مما تحصل عليه أنت من مُشَبِّعاتٍ لرغباتك؟

## النسبوية<sup>(١)</sup> الأخلاقية

يولد كل إنسان في كنف جماعة أو زمرة اجتماعية يستقى منها مجموعة ضخمة من القواعد والمعايير والقيم. يطلق الأنثروبولوجيون على هذه الزمر الاجتماعية الأساسية اسم القبائل أو العشائر tribes، ويطلقون على العملية التي يصير الفرد بمقتضاها عضواً ذا مكان ومنزلة داخل عشيرته اسم التثقف enculturation. ونحن

(١) كما أشرنا آنفاً من الأفضل ترجمة مصطلح Relativism إلى النسبوية، ولا نقول النسبية فقط، لأن مصطلح النسبية قد اقترن بنظرية أينشتاين أي نظرية النسبية Relativity Theory . (المترجمة)

خلال مسيرة التثقف تتشرب جميع أنواع القيم، وتتعلم أن نردد - بتوافق مع جيراننا - "هذا لطيف"، "هذا حسن"، "هذا سيئ"، "هذا فظيع"، "هذا مقزز"، "هذا سار"، "هذا مزعج"، ..... إلخ. وهناك عشائر قد تكون (أو كانت في يوم من الأيام) على غير دراية بوجود عشائر أخرى لها صيغ أو أشكال مختلفة من الحياة [ شكل الحياة Lebensform هو مصطلح أدخله الفيلسوف فتجنشتين وشاع استخدامه الآن بين كل الفلاسفة وعلماء الاجتماع ليشير إلى الثقافة الإجمالية لعشيرة ما ]. على أن معظم الناس في العالم الحديث على وعى حاد بوجود شعوب أخرى تتبع قواعد مغايرة وتجل قيماً مختلفة. وقد اكتشف الأنثروبولوجيون أيضاً أنه ما من صيغة (صورة / شكل) حياتية، حتى تلك المغايرة، إلا ويمكن أن نقدرها داخل إطارها الخاص وفي لغتها الخاصة؛ ولا يمكن أن ننبذها بوصفها بدائية أو همجية أو لامعقولة. كل هذا يؤلف ما أصبح أن يسمى بـ 'الوعي الأنثروبولوجي' anthropological awareness .

## الموقف النسبي

هل يترتب على هذا 'الوعي الأنثروبولوجي' أى شيء مثير للاهتمام من الوجهة الفلسفية؟ يجيب بعض الفلاسفة: لا - إننا نبدأ من حيث نبدأ ثم نتقدم، مستخدمين العقل والحجة والنقد، نحو قواعد وقيم يمكن الدفاع عنها عقلياً. بينما يرى فلاسفة آخرون أننا مهما تكن قدرتنا على استعمال العقل والحجة والنقد فنحن لا يمكننا أن نقدم دفاعاً عن قواعدنا وقيمنا يكون من الموضوعية والنزاهة والبعد عن التحكم والتعسف بحيث يدفع أى شخص من أية ثقافة إلى قبوله والتسليم به.

تلقى هذه الوجهة من الرأي، وتسمى النسبوية الثقافية أو النسبوية الأخلاقية، نفوراً شديداً من الفلاسفة؛ حتى أنهم كثيراً جداً ما يطلقون هذه الحجة: س رأيه يؤدي إلى النسبوية، إذن س رأيه لا بد أن يرفض. بل قال البعض: لا تحترم قيم الآخرين، لأن هذا يؤدي إلى النسبوية، أو: لا تكن متسامحاً مع الاختلافات البشرية، لأن هذا يؤدي إلى النسبوية أو لا تدرس الأنثروبولوجيا، لأنها تؤدي إلى النسبوية.

## تَقْيِيمُ النَسْبِيَّةِ

تتمثل الدعوى الكبرى للنسبية فى أننا لا يتسنى لنا أن نجادل أحداً ما لم نكن مشتركين معه فى بعض المقدمات العامة. أما حين ننطلق من مقدمات متباينة فإن الجدل العقلى يتوقف وينتفى. هى حقيقة منطقية تستند إلى بنية الحجج، وهو من ثم لا تدعو فى حد ذاتها إلى القلق أو التحسر. إن لجميع الحجج وجميع البراهين العقلية - فى أى موضوع كان - نفس البنية الأساسية: نتيجة يتبين أنها تلزم عن مقدمات معينة وتترتب عليها. هذه هى الحقيقة التافهة التى تضخمها النسبوية وتتفنن فى عرضها بطرق مختلفة تبعث على القلق: إن حججنا لا يمكن أن تقنع إلا أولئك الذين يسلمون بالمقدمات التى بدأنا منها.

طبعاً بإمكاننا فى كثير من الأحيان أن نستمد مقدمات إحدى الحجج من حجج أخرى. غير أن هذا يمكن أن يمضى إلى ما لا نهاية. ليس فقط لأننا نفتقد وقتاً لا نهائياً أو لأن الحجج اللانهائية شىء عصى عى الفهم البشرى؛ بل لأننا سرعان ما ننتهى إلى نقطة لا يمكن أن تفكر بعدها فى أى شىء أكثر أساسيةً لكى ندعم به مقدماتنا الأولى. على سبيل المثال، عندما أجادل حول الأخلاقية فأنا أستعمل كمقدمة (أو افترض) أن الألم الجسدى شىء سيئ (وهى بالمناسبة لا تعنى أنه لا يكون أحياناً شراً لا بد منه). ومن لم يسلم بهذه القاعدة - سواء أكان من عشيرتى أو لم يكن - فلن يجد حججى ملزمة. والحق أن هذا شىء لا يوجب الانزعاج، لأنه متأصل فى طبيعة الحجة ومطمور فى طبيعة الإقناع العقلى. إلا أنه يترك للجدل الشىء الكثير الذى يتطلب الإنجاز والإكمال، ما دما بالتاكيد لم نُعْمِلِ الفكر فى كل شىء يترتب على المقدمات التى نسلم بها جميعاً.

## الفلسفة الاجتماعية والسياسية

### الفرد المجتمع

من العسير على المرء أن ينظر إلى الأخلاقيات دون أن ينظر أيضاً في العلاقات القائمة بين البشر. إن القواعد الأخلاقية من قبيل 'لا تنكث العهد'، 'لا تكذب'، 'لا تسرق'، كلها تفترض عالماً من الأشخاص الآخرين. وكثيراً ما يوصف السلوك الأخلاقي بأنه السلوك الذي يراعى الآخرين (كمقابل للسلوك الأناني). وتؤكد النظريات الأخلاقية، كنظرية المنفعة، على حقيقة أن جميع البشر، بقدر ما يمسهم فعل من الأفعال، يجب أن يُنظر إليهم سواء بسواء حينما نكون بصدد تقدير الوضع الأخلاقي لهذا الفعل.

غير أننا قد نسلم بكل هذا وتبقى صورتنا عن الفاعل الأخلاقي رغم ذلك مغرقة في الفردانية. تقع في هذا عندما نفكر في الفاعل الأخلاقي كما لو كان ذاتاً معزولة يحسب حساب مصلحته الخاصة ويسلك سلوكاً مقيداً بعض الشيء بقواعد أخلاقية لا يطيعها إلا على كره منه. إنما الحقيقة غير ذلك؛ فالبشر هم أعضاء في مجتمعات كثيرة تربطهم بها روابط الحب والمودة والولاء. وغنى عن القول إن أهم هذه المجتمعات، على الأقل في بداية حياة الإنسان، هو الأسرة. وما نزن أن الأخلاقية المجردة - أى الحس الخاص بما تتطلبه الأخلاق من حيث هي أخلاق - يمكن أن تقوم لها قائمة لولا العلاقات الحميمة العيانية المشربة بالعاطفة التي تربطنا بالآخرين.

### النزعة الجمعية المتطرفة communitarianism

كان لبعض المفكرين، من الفلاسفة المحترفين وغيرهم، ردود أفعال ضد النظرة الفردية المغرقة التي تنظر إلى البشر بوصفهم ذواتاً منعزلة متنافسة في الصميم لا يُمسكها إلا قواعد أخلاقية برانية خالصة. فرسمت لهم مخيالاتهم مجتمعات يلتئم

فيها البشر بالحب والوفاء ولا تعود للقواعد الأخلاقية ضرورة. بل إن بعض هذه المجتمعات الطوباوية قد وضعت يوماً موضع التنفيذ. وما يزال تاريخها يمدنا باستبصارات مثيرة عن ترتيبات بشرية بديلة مختلفة جذرياً عما ألفه الناس. لكن ما فاتهم حقاً هو أن يمدونا بنموذج يصلح لمجتمعات كثيفة هائلة الحجم مثل مجتمعاتنا. فجميع المجتمعات تقريباً في زماننا الحديث مؤلفة من تجمعات هائلة من الناس، كل منهم غريب عن الآخر بكل معنى الكلمة، ومقدر له أن يبقى غريباً. إنهم فضلاً عن ذلك أناس (على الأقل في بلدان كالولايات المتحدة) من أصول مختلفة وديانات متباينة وأساليب حياة متنوعة وأذواق وميول متعددة. يحلم بعض اليوتوبيين<sup>(١)</sup> الاجتماعيين وبعض المحافظين الاجتماعيين بمجانسة كل هؤلاء الناس (أى فرض التجانس عليهم). ولكن هذا ليس ممكناً في العالم الفعلى وليس احتمالاً مطروحاً. ومن ثم فنحن نلجأ إلى القانون والأخلاق ليزودانا بإطار يسمح لهذه الكتلة المستعصية من البشر أن تعيش معاً باحترام متبادل وبأقل قدر من الاحتكاك والخلاف.

## المجتمع والدولة

يذكر الأنثروبولوجيون أن هناك قلة من القبائل يبدو أنها مجتمعات ولكن لا يبدو أنها دول - أى أنها جماعات من الناس تعيش معاً بدون سلطة مركزية تتولى فرض القوانين وحل النزاعات وتقديم الخدمات العامة وتضطلع بأى شىء آخر مما نتوقع من الدولة عادة أن تضطلع به. تُسمى مثل هذه القبائل 'قبائل بلا زعيم' *acephalous* (حرفياً: بلا رأس). وقد كان الأنثروبولوجيون حين صادفوا مثل هذه القبائل لأول مرة يصرون على رؤية زعيمهم أو كبيرهم، قبل أن يسلموا على كره منهم بحقيقة عدم وجود مثل هذا الشخص أو حتى مثل هذا المفهوم.

(١) اليوتوبيون أو الطوباويون *Utopians* هم أصحاب تصورات المدينة الفاضلة *utopia* أو المجتمع المثالى. (المراجعة)

على أننا لم نكن بحاجة إلى استلهاهم هذه المجتمعات الأنثروبولوجية غير ذات الدولة لكي نسأل 'لماذا الدولة؟' فقد نسأل هذا السؤال جرياً على العرف العام في الممارسة الفلسفية بالأنا تأخذ شيئاً مأخذ التسليم. لماذا الدولة إذن؟ ولماذا نحتمل تركيز سلطات ضخمة في أيدي عدد من الناس؟ لماذا ندفع الضرائب؟ لماذا نطيع القانون لماذا نشعر (على الأقل بعضنا يشعر، أحياناً) بأننا وطنيون؟ (قبل أن نمضي قُدُماً، يجب أن نلاحظ أن الفلاسفة هنا يفرقون بين الأسئلة المتعلقة بالنشأة الفعلية للدول ونموها اللاحق، والأسئلة المتصلة بتبرير وجود الدولة وتبرير سلطتها).

## التبرير

يمكن لهذه المهمة، مهمة التبرير، أن تتم على مراحل وتُنَفَّذ على عدة مستويات. فعلى المستوى الأكثر عيانية قد يقول فيلسوف ما شيئاً في الدفاع عن 'الحكومة'، حتى تعني 'الحكومة' أولئك الأفراد المعينين الذين يتولون مقاليد السلطة، فيتناول سياستهم الخاصة ومنهجهم الخاص في الحكم. وعلى مستوى أعلى من هذا، قد يحاول فيلسوف أن يبرر نوعاً معيناً من 'الدولة'، مثل ذلك الشكل من الديمقراطية الانتخابية الذي لدينا في الولايات المتحدة. ثم يأتي في النهاية ذلك المستوى الأكثر تجريداً، حيث يحاول فيلسوف أن يبرر فكرة وجود دولة - الفكرة ذاتها. على أننا ينبغي أن نضيف أن من الفلاسفة من كانوا أيضاً مناهضين للتبرير. فمنهم المنتقدون لحكومات أو أشكال معينة من الإدارة، ومنهم نقاد راديكاليون لأنواع معينة من الدولة، ومنهم معارضون لكل أشكال الدولة والسلطة وتنظيماتها. ويُعرف هؤلاء بـ 'الفوضويين' anarchists. ويأبى هؤلاء حتى أن يعتبروا الدولة شراً لا بد منه، ويرون أنها شر لا لزوم له.

الدولة بوصفها 'مُحَسَّنًا'

ثمة حجة لتتأيد أهمية قيام الدولة ترتد بعيداً في الزمن حتى أفلاطون على أقل تقدير. ففي محاورة أقريطون Crito نرى سقراط يقدم حجة يؤيد بها مكوته في السجن وقبوله عقوبة الإعدام ( فقد أُدين بالفساد بعد محاكمة عادلة وقانونية). وحجة سقراط هي أنه بقبوله كل مزايا المواطنة بأثينا زمناً طويلاً يكون قد وافق ضمناً على إطاعة قوانين أثينا حتى لو أدت إلى ضرره شخصياً. وهو يعبر عن امتنانه للدولة لما أسدت إليه من منافع. فالدولة، على أقل تقدير، هي الحامي ضد الأعداء الخارجيين والحافظ للسلام الداخلي. وهي بهذه الصفة توفر البيئة الضرورية لكل التجمعات الخاصة وكل طوائف المواطنين، وللحياة الأسرية والتعليم وكل شكل من أشكال العمل.

### حالة الطبيعة

أما الحجة الساطعة لتبرير سلطة الدولة والتي تطبع زماننا الحديث فقد قدمها توماس هوبز Thomas Hobbes (١٥٨٨ – ١٦٧٩) دعانا هوبز أن ننظر ماذا يكون الحال لو لم تكن هناك دولة تسن القوانين وتفرضها. وقد أطلق على هذه الحالة حالة الطبيعة state of nature، حيث الحياة كما يقول هوبز في عبارته الشهيرة "موحشة، فقيرة، كريهة، وحشية، قصيرة". لم يقدم هوبز حالة الطبيعة هذه كحالة تاريخية حقيقية بل كبديل تصوري خالص أو افتراضي للحياة المنظمة تحت سلطة الدولة. هكذا فإن أي شخص عاقل يعيش في دولة ويسأل لماذا يتنازل عن بعض حقوقه وسلطاته لسلطة مركزية، مثل هذا الشخص لا يعوزه إلا أن يتأمل البديل. عندئذ سيدرك أنه لو وجد نفسه في حالة الطبيعة تلك لهرع إلى مخرج منها ولاذ بالفرار لكي يعيش ممتناً شاكراً تحت إمرة دولة.

## العقد الاجتماعي

يقول هوبز إن البشر يخرجون من الحالة الافتراضية للطبيعة عن طريق اتفاق متبادل على العيش في كنف سلطة عامة، كما لو أنهم قد وقعوا عقداً اجتماعياً social contract يطيعون بمقتضاه قوانين الأرض ويعيشون معاً في سلام. وقد ذهب هوبز نفسه إلى أن حالة الطبيعة هي من السوء بحيث يتوجب على البشر ( بل يجمل بهم إن كانوا حكماء فهماء ) أن يوافقوا على العيش تحت سلطة مركزية قوية إذا كان هذا شرطاً ضرورياً للسلام الداخلي ( وإنه كذلك ). غير أن الفلاسفة اللاحقين كانت لهم أفكار أخرى تنصب بالتحديد على نوعية ذلك العقد الذي يليق بالكائن العاقل أن يقبل به.

## ستار الجهل

ربما تكون أهم نظريات العقد الاجتماعي المعاصرة وأبعدها أثراً هي تلك التي أوردها جون رولز John Rawls (ولد عام ١٩٢١) في كتابه "نظرية في العدل" حيث يصور المجتمع العادل بأنه ذلك المجتمع الذي سوف تختاره الكائنات العاقلة لو أنها حُمِلَتْ على اختيار المؤسسات والقوانين من وراء حجاب من الجهل 'behind a veil of ignorance' - أي دون أن تعلم ما ستكون مراكزهم الاجتماعية الفعلية. قد يسبق إلى الظن أن مثل هذه الكائنات حرة عندئذ أن تختار حالة من المساواة المطلقة كأفضل رهان لها. إلا أن رولز يواجهنا بغير ذلك، ويقنعنا بالحجة أن هؤلاء المتعاقدين الأصليين الذين حُجِبَتْ عنهم الحقيقة هم حريون أن يختاروا نظاماً اجتماعياً ينطوي على تفاوت في الثروة (ويعدوه عدلاً) ما دام هذا التفاوت يجعل أقل المواطنين حظاً هو أفضل حالاً مما يكون عليه تحت أي توزيع بديل. بذلك يمكن أن تقوم حجة، باتباع طريقة رولز، بأن الرأسمالية التنافسية هي نظام عادل رغم أن بعض الناس فيها أغنى من الآخرين بما لا يُقاس. إذ إن الأقل حظاً في هذا النظام سيكون أسوأ حالاً وأشد فقراً لو أنه كان

فى نظام آخر أكثر مساواة (ولكن أقل فى الكفاية الاقتصادية). هذه بطبيعة الحال حجة تجريدية صرف لا نقصد منها أن نوحى بأن أى مجتمع فعلى يفى بشروط العدل كما طرحها رولز.

## الماركسية

هناك فى الحقيقة مطياف كامل من النقد يستلهم فكر كارل ماركس Karl Marx (١٨١٨-١٨٨٣) ويرى أن الديمقراطية الليبرالية على الطريقة الغربية، مهما صورت نفسها خادمة لمصالح المواطنين، هى فى الواقع لا تخدم إلا مصالح طبقية معينة: طبقة كبار ملاك رأس المال. ويُعد مفهوم الأيديولوجيا واحداً من أهم المفاهيم فى المقاربة الماركسية وأكثرها إثارة للاهتمام. فالأيديولوجيا هى تزييف هائل ومنظم (ولا شعورى بالدرجة الأساس) للواقع الاجتماعى، يخفى المصلحة الطبقية الضيقة تحت قناع الرفاهية العامة.

## القوانين

### السيادة والشرعية sovereignty and

يقال للدول (وتسمى أحياناً الدول القومية) مثل الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى إنها مستقلة ذات سيادة - legitimacy أى سلطة حكومية عليا ومستقلة داخل حدود إقليمية معينة. ويعتقد الفوضويون<sup>(١)</sup> anarchists أن مثل هذه الحكومات لا تفعل أكثر من أن تحتكر السلطة داخل منطقة جغرافية ما وتعمل وفق مبدأ 'القوة تصنع

(١) جرى اعتماد مصطلح الفوضوية كمقابل لمصطلح anarchism، ولا بأس من اتباع ما هو شائع. ولكن يبدو لى أن هذا المصطلح يمكن أيضاً ومن الأفضل ترجمته بـ 'اللاسلطوية'، وتلك هى الترجمة الحرفية للمصطلح أو معناه الحرفى والمضمونى على السواء، لأن خلاصته رفض تنصيب أية سلطة على الآخرين، وإن كانت تزعم أنها تضى على النظام، فإن الفوضى أفضل حالا من بطش السلطوية. (المراجعة)

الحق: إلا أن أغلب الفلاسفة يرون أن بعض الدول، على الأقل ذات السيادة، تتمتع بالشرعية أى تحكم بشكل قانونى (أو بطريق الحق أو بسلطة أخلاقية معينة). تأملُ مثلاً ذلك الهجاء الذى يصدر أمراً مُظهراً بتهديد. إن صحيته قد يذعن له بباعث من الخوف والتدبر، ولكنه غير ملزم أخلاقياً أن يفعل ذلك. قد يقول الفوضوى إنه لا فرق بين هذا وبين مواطن يطيع قانوناً. إلا أن الأغلبية الساحقة من الفلاسفة ترى أن مثال الهجاء مغاير تماماً لممارسة الدولة لسلطتها الشرعية.

### نظريات الشرعية theories of

رغم أن معظم الفلاسفة السياسيين يعترفون بأن سلطة الدولة قد تكون شرعية، فليس هناك اتفاق بينهم حول تفسير الشرعية legitimacy . وقد جرى العرف على أن تُقسم نظريات الشرعية إلى صنفين رئيسيين. الصنف الأول من النظريات يفسر الشرعية من أعلى إلى أسفل top-down بمعنى أن الشرعية تأتي من الرب، وأن السلطة المطلقة (الملك فى الأصل) تحكم على الأرض بصفقتها ممثلة للرب، وتصدر القوانين التى تتفق مع القانون الطبيعى (أو القانون العام الذى سنه الرب للإنسان). أما الصنف الثانى من النظريات فهو فى المقابل يفسر الشرعية من أسفل إلى أعلى up - bottom ، بمعنى أن الشرعية تأتي من المحكومين، وبدون موافقة المحكومين تكون الحكومة غير شرعية. هناك ممثلون للشعب يضعون القوانين نيابةً عنه. ولكن هناك خلافاً فى رأى حول أمثل طريقة يمارس بها ممثل الشعب (عضو برلمان مثلاً أو سناطور) عمله. فرأى يقول إن ممثل الشعب يتم انتخابه لرجاحة عقله وسداد حكمه ومن ثم يجب أن يمارس ذلك الحكم بأن يصوت للقوانين التى يراها الأفضل. ورأى آخر يقول بل إن ممثل الشعب إنما يتم انتخابه لى يتحدث بلسان الناخبين ويجب من ثم أن يصوت للقوانين التى يرونها الأفضل.

## الأخلاقية والقانونية

من شأن المقارنة بين الأخلاقية morality والقانونية legality أن تسلط الضوء على الاثنين. فالأسئلة عن الأخلاقية لا يتعين عليها أن تحدد أين ومتى؛ فالكذب لا يتوقف عن كونه خطأ عند بعض الحدود الدولية، ونكث الحدود لم يكن مباحاً أخلاقياً حتى تاريخ معين. وقد تعتمد آراء الناس حول الأخلاقية على مسقط رأسهم وزمن حياتهم، ولكن ما تدور حوله آراؤهم لا يُفترض أن يختلف.

أما الأسئلة عن القانونية فهي في المقابل ملزمة بأن تحدد الزمان والمكان. فما هو قانونى أو غير قانونى يتوقف على المواثيق التشريعية لأولئك الذين يملكون سلطة سن القوانين فى إقليم معين. والمسألة أكثر من ذلك. فالعادة مثلاً قد تنتهى إلى أن تكتسب قوة القانون. كما أن ما يقوله القانون بالفعل قد لا ينبثق إلا بعد أن تتراكم قرارات القضاة. وفى أمريكا الشمالية والأنظمة الشبيهة بها لا نعدم أن نجد قانوناً أقره مجلس تشريعى قدير يُعلن أنه غير دستورى. إلا أنه يبقى من الجلى أن الشئ قد يكون محظوراً فى بلد ومشروعاً (قانوناً) فى بلد آخر وأن القوانين فى تَغْيَر وأن قوانين جديدة قد تُقر وقوانين قديمة قد تُلغى.

معظم المواطنين فى الدول الحديثة لديهم من المعرفة بالعملية التشريعية الفعلية ما يعصمهم من الظن بأن قوانينهم هى الأفضل بالضرورة. وهم بالتالى لا يقعون فى الحجتين الباطلتين الآتيتين: فهم أولاً لن يقولوا " ليس ذلك غير قانونى، فهو إذن لا يمكن أن يكون غير أخلاقى". إننا لنذكر أن الأخلاقية لا تنعكس فى القوانين الفعلية إلا جزئياً. وقد تاتى ضغوط لتغيير القوانين ممن يعتقدون أن شيئاً غير أخلاقى ليس محظوراً قانونياً ولا بد من حظره، وتاتى ضغوط أخرى ممن يعتقدون أن شيئاً أخلاقياً محظور قانونياً ولا بد من إباحته. وإنه لشئ طبيعى أن يريد المواطنون لآرائهم الأخلاقية أن تنعكس فى القانون، إلا أنه من الحماسة أن نحاول أن نسن كل

التزام من التزاماتنا الأخلاقية كقانون. إن معظمنا، على سبيل المثال، يعتقدون أنه من واجبنا الأخلاقي ألا نكون قساة؛ غير أنه لن يكون ملائماً (ولا ممكناً عملياً) أن نحظر القسوة قانونياً.

### ماذا ينبغي على الدولة أن تقوم به ؟

هناك خلاف واسع الانتشار في زماننا المعاصر بشأن الاستخدام الأمثل لسلطة الدولة. ففي أحد الأطراف هناك من ينادون بتقليص سلطات الدولة إلى أدنى حد ممكن، وهو ما يُعرف بمفهوم الدولة الصغرى *minimal state* حيث سلطة الشرطة لا تعدو تأمين السلام الداخلي وفض النزاعات المستحكمة بين المواطنين والتي يتعذر فضها بأي طريق آخر. وربما تؤدي الشرطة أيضاً بعض الخدمات الأخرى التي تعجز الأحزاب الخاصة عن أدائها على الإطلاق. وهناك بالطبع خلاف كبير حول ماذا عسى أن تكونه تلك الخدمات التي لا بد أن تكون خدمات عامة. فخدمة مثل المدارس مثلاً ربما لا نلمس ضرورة واضحة في أن تكون خدمة عامة، وربما أمكن أن تكون بأسرها خدمة خاصة ( وقد نادى بعض الفلاسفة بأنها يجب أن تكون خدمة خاصة).

ليست هناك دولة بين الدول الحديثة الكبرى تتبع مفهوم الدولة الصغرى وتعمل بمقتضاه. ولكن هذا بالطبع لا يضير المفهوم في شيء؛ فالذي ينبغي أن تكون عليه الدول لا يُستتبط بالضرورة مما هي عليه بالفعل. الدول الفعلية قد تكون متدخلة في الفعاليات أكثر من اللازم أو أقل من اللازم، أو تكون كثيرة التدخل في مجال وقليلة التدخل في مجال آخر. ومن الحق كذلك أن جميع المفكرين الاجتماعيين تقريباً ينوون بالدولة بعض وظائف الرفاهية *welfare functions* إلى جانب ذلك الحد الأدنى من الحماية الذي تحدثنا عنه. فمهما يكن من توكيد البعض على الحد الأدنى من التدخل فإنهم يتفقون على أنه من واجب الدولة أن تعنى برفاهية الطفل. وإن أشد المناهضين لتدخل الدولة والمنكرين للتسلط الحكومي لا يخطر له أن يطالب الدولة بإلغاء القوانين الخاصة بعمل الأطفال.

وحين نتعمق فى اختلاف المفاهيم حول المدى المسموح به لتدخل الدولة نجد أنه يعكس خلافين أساسيين: الأول حول الحقوق والواجبات، والثانى حول القيم وأيها أكثر أهمية.

## الحقوق والواجبات

الحقوق والواجبات متضايقان<sup>(١٨)</sup> : correlative فإذا كان لى 'حق' فثمة بالضرورة واحد أو أكثر من الأشخاص الآخرين عليه 'واجب'. إن لى على سبيل المثال، حقاً بالتفرد فى ملكيتى. إنه حق 'ضد كل شخص' - أى أن كل شخص عليه واجب بأن يبتعد عن أملكى. كذلك إذا كنت مدينًا لى بعشرين دولاراً، فإن لى 'حقاً' بهذه الدولارات العشرين وقتما يستحق السداد. وإن عليك واجباً أن تدفع لى.

غير أن هذه الاعتبارات التى لا خلاف عليها تطبق فى الفلسفة السياسية بطرق متضاربة كل التضارب. فالبعض مثلاً يطرح هذه الحجة، الناس لديها حق فى إسكان لائق، ولكن ليس على أى حزب خاص واجب بأن يقدم للناس الإسكان اللائق، إذن فالدولة (أى السلطة العامة) عليها واجب تقديم الإسكان اللائق. والبعض الآخر يطرح هذه الحجة: لا أحد عليه واجب بأن يقدم إسكاناً لائقاً، إذن لا أحد له حق فى إسكان لائق. لا شك أن مختلف الأشخاص، وفق ما يجدونه أكثر إقناعاً بين هاتين الحجتين، سوف تأتى آراؤهم شديدة الاختلاف حول مسألة الدولة وما ينبغى أن تضطلع به.

(١٨) التضاييف correlation فى المنطق تقابلُ حدين، بحيث يتوقف تصور كل منهما على تصور الآخر، مثل الأبوة والبنوة (تعريفات الجرجانى) وقد جرى استخدام هذا المصطلح من قبل. (المراجعة)

## الحقوق الطبيعية

سواء أكان للناس حق فى إسكانٍ لائقٍ أم لم يكن، فإن كثيراً من المفكرين السياسيين يرون أن جميع البشر، مهما تكن الدولة التى يقطنون بها، لهم حقوق إنسانية أساسية معينة ( تُسمى عادة بالحقوق الطبيعية natural rights ) يجب أن تحترمها الدولة وتحترمها قوانين الدولة. هذه الفكرة مجسدة، على سبيل المثال، فى الوثائق التأسيسية للولايات المتحدة. ينص إعلان الاستقلال الأمريكى مثلاً على ما هو آت: "إننا نؤمن بأن هذه الحقائق واضحة بذاتها: أن جميع الناس قد خلُقوا سواسية، وأن خالقهم قد أسبغ عليهم حقوقاً غير قابلة للتحويل أو التنازل، وأن من بين هذه الحقوق الحق فى الحياة والحرية ونشدان السعادة، وأن من أجل ضمان هذه الحقوق تؤسس الحكومات فيما بينهم". ولكن، أى حقوق بالتحديد تلك التى يمتلكها البشر، وكيف يُفسر هذا الامتلاك بشكل عينى ملموس؟ تبقى هذه مسائل خلافية فى نظرية الحقوق. يذهب رونالد دوركين ( Ronald Dworkin ) ( ولد عام ١٩٢١ ) أحد المنظرين المعاصرين لحقوق الإنسان إلى أنه: يكون للفرد س 'حق' عندما تكون الأهداف الجماعية، مهما بلغت من الأهمية، أسباب غير كافية لتحديد حرية س أو فرض خسائر على س.

## القيم

يدعى بعض الفلاسفة أن هناك قيماً values معينة من قيمنا الأساسية، بينها نوع من التوتر إن لم تكن متضاربة تماماً؛ بحيث إن الترتيبات الاجتماعية التى تدعم إحداها من شأنها بالضرورة أن تنال من الأخرى. من أمثلة تلك الأزواج من القيم: العدل / الكفاية الاقتصادية، المساواة / الحرية، ليس هناك اتفاق بين الفلاسفة الاجتماعيين والسياسيين حول ما إذا كان هناك توتر حقيقى بين هذه القيم أم لا. وحتى القائلون بالتوتر يختلفون فيما بينهم حول أى القيم هى الأكثر أهمية للمجتمع والأولى من ثم بالتحقيق.

## مجمال

جميع الكائنات الإنسانية تقريباً ( وربما كان الأوفق أن نقول جميع الكائنات البشرية السوية ) من شأنها أن تقيم أحكاماً على أفعالها وأفعال غيرها من الناس من الزاوية الأخلاقية- أو من وجهة النظر الأخلاقية. وهذه الواجهة من النظر كما رأينا هي فريدة في نوعها (نسيج وحدها) sui generis : أى لا يمكن ردها إلى أى شىء آخر.

ورغم أن الأخلاقى أمر مألوف غاية الإلف ومعتاد غاية الاعتیاد، فليس من السهل أن نكشف ما الذى يقوم عليه هذا الحكم على وجه التحديد. والحق أن الفلاسفة يختلفون حتى حول كيفية عمل العبارات الأخلاقية الأساسية وكيفية أدائها لوظيفتها. وقد رأينا أن هناك ثلاثة مذاهب رئيسية بهذا الصدد: (١) فهناك المذهب المعرفى cognitivism وهو وجهة النظر القائلة بأن العبارات الأخلاقية هي عبارات حقيقية ( أى عبارات تحمل قيمة صدق ). وهو ما يجعل الأخلاقية شيئاً موضوعياً. (٢) وهناك مذهب الأمر imperativism وهو المذهب القائل بأن العبارات الأخلاقية هي فى الحقيقة قواعد، وأن الجدل الأخلاقى هو بالتالى جدل حول أى القواعد يجب أن يتخذها البشر فى حياتهم ويعملوا بمقتضاها. (٣) وهناك المذهب الانفعالى emoti-vism وهو المذهب القائل بأن العبارات الأخلاقية هي جمل تعجبية متحركة تعبر، ببساطة، عن انفعالات إيجابية أو سلبية، وعن مشاعر استحسان أو استهجان. وهو كما نرى مذهب يجعل من العسير علينا أن نعرف كيف يمكن أن يقوم أى جدل عقلى حول الأخلاقية.

وهناك انقسام آخر من الانقسامات الكبرى فى النظرية الخلقية؛ وهو القائم بين أصحاب مذهب الواجب deontologists وأصحاب مذهب النتائج consequentialists . أما أصحاب مذهب الواجب فيرون أن نتائج الأفعال غير ذات صلة بوضعها الأخلاقى. وأما أصحاب مذهب النتائج فيرون أن نتائج الأفعال هي التى تحدد الوضع الأخلاقى.

وتُعد النفعية utilitarianism أهم أشكال مذهب النتائج وأكثرها نفوذاً. وهى تقيس النتائج بمقياس اللذة والألم، على أن تُفهم هاتان الكيفيتان بطريقة عامة وشاملة. فاللذات هى كل تلك الحالات الإيجابية التى تُسهم فى تحقيق سعادة الإنسان ورفاهيته وازدهاره. والآلام هى كل الحالات السلبية التى تقلل من ذلك وتنقص.

ثم حدا بنا القول إلى أن تلك الأفعال التى نقيم حولها أحكاماً خلقية هى أفعال بشر يعيشون فى زمر اجتماعية عديدة كالأُسرة، وتربطهم بهذه الزمر روابط الحب والعطف والولاء. وقلنا أيضاً أن أولئك البشر الذين تهمنا أفعالهم وتعيننا فى مبحث الأخلاق هم أيضاً مواطنون فى الدولة، خاضعون لقوانينها، وأن السلوك عند الإنسان تحركه حاجات ورغبات قريبة وأخرى بعيدة، وتدفعه مجموعة كبيرة ومتنوعة من المشروعات والخطط والأهداف. وأن هذا السلوك مقيد بمجموعتين من القواعد متداخلتين تداخلاً غير تام: الأخلاقية، والقانون.

وقلنا فى النهاية إن صنف الحياة التى يعيشها البشر - ما تحظره عليهم وما تلزمهم به، إنما يشكله كلا النوعين من الضوابط إذ يعملان معاً بتكامل وتتام.



## الفصل الثامن

### فلسفة الدين

#### مدخل

كان الدين دائماً، بألوانه العديدة، ملهماً للتأمل الفلسفى. وحتى فى يومنا هذا يلجأ كثير من الناس إلى الفلسفة لتجيبهم عن أسئلة تثيرها اعتقاداتهم الدينية. تعتمد الفلسفة على العقل الإنسانى وحده دون معونة، وتؤدى عملها بواسطة التحليل والحجة. بينما تعتمد معظم الأديان، فى المقابل، على وثيقة سلطوية - كالكتاب المقدس - تُعدُّ إلهاماً إلهياً. يُطلق على هذا المصدر ذى الامتياز للحقائق التى لا تُبلَّغ بأى طريق آخر اسم "الوحى" revelation . تتوخى الفلسفة بصفة عامة الحذر الإستمولوجى، ولا تؤثر الاعتقاد إلا حيثما تكون هناك أدلة كافية. وفى المقابل يعتمد الدين على الإيمان - أى الاعتقاد الذى يتخطى، بحكم التعريف، ما يمكن للأدلة المتاحة أن تثبته للعقل. وبناء عليه فإن سؤالنا الأول هو كيف ينبغي علينا أن ننظر فى مسألة العقل والإيمان، أو العقل والوحى.

أما سؤالنا الثانى فسوف يتناول اللغة الدينية من حيث تحليها بالمعنى. أى ما إذا كان للغة الدينية معنى معرفى. قد يبدو مستغرباً لدى أولئك الذين نشؤوا على استخدام اللغة الدينية أن يكون الفلاسفة قد طرحوا هذا السؤال. غير أن للسؤال أساساً واضحاً: فاللغة التى نستخدمها فى الحياة اليومية من المفترض أنها قد تكونت لتسمح لنا بالحديث عن الأشياء التى حولنا. ومن ثم فإن لها، فى أغلبها، دلالة معرفية واضحة.

فهل يمكن لهذه اللغة إذن أن تُستخدم، بطريقة ذات معنى، للحديث عما هو فائق للطبيعة - للحديث عن الرب<sup>(١٩)</sup>؟

ينقسم أولئك الذين يرون أن جملة 'الرب موجود' هي عبارة أصيلة (أي عبارة حقيقية يمكن أن تكون إما صادقة وإما كاذبة) إلى: المؤمنين بالرب theists الذين يعتقدون أنها صادقة، و الملحدين atheists الذين يعتقدون أنها كاذبة، واللاأدريين agnosticists الذين لا يعرفون ما إذا كانت صادقة أم كاذبة. وسوف ننظر، حين نتناول هذه الخيارات الأساسية، في الأسئلة التالية: كيف ينبغي أن نتصور الرب؟ ما هي طبيعة الرب؟ هل هناك أية مبررات، بمعزل عن الإيمان الديني نفسه، للاعتقاد بوجود الرب؟ هل بمقدور العقل أن يبرهن على أن هناك إلهًا؟ (أو كما يُعبّر أحيانًا: هل بمقدور العقل أن يبرهن على وجود الرب؟) وسوف نعرض للمحاولات الرئيسية للفلاسفة لإثبات ذلك.

وسوف نناقش ثلاثة موضوعات هامة أخرى: (١) مشكلة الشر: أى مسألة كيف يمكن أن يوجد الشر إذا كان هناك حقًا إلهٌ كُلُّ القدرة وكلّ الخير. (٢) خلود الروح: أى مسألة ما إذا كان لدى البشر روحٌ خالدة، أى جزءٌ روحي يبقى بعد موت الجسم. (٣) طبيعة الخبرة الدينية وإمكانها (والتي تُسمّى في أشد صورها بالخبرة الصوفية).

(١٩) بطبيعة الحال أو بالأحرى بطبيعة البحث الفلسفي يناقش المؤلف ما هنا الدين من حيث هو دين، لا من حيث هو مسيحية أو إسلام أو سوامعا، ولكننا أثّرنا وضع لفظ الجلالة الرب لأن لفظ الجلالة الله مرتبط بالإسلام، حتى أنه حين الحديث عن الإسلام في الكتابات الإنجليزية يقولون Allah . لذا كثيرا ما شدد أستاذنا الدكتور فؤاد زكريا على أن الرب أنسب كمقابل لـ god . أجل الله هو الرب هو الواحد الأحد، ولن يتغير المضمون في معظم مواضع الحديث الآتى سواء قلنا الله أو الرب، ولكنها دقائق النقل من ثقافة لأخرى والترجمة التي تروم بدورها أن تكون دقيقة. (المراجعة)

## العقل والإيمان

### العقل

تُستخدم كلمة عقل *reason* لتشمل مجالاً عريضاً من القدرات الفكرية الإنسانية. غير أن أهم ما يعنينا هنا هو قدرتنا على تكوين اعتقادات قائمة على أسباب عقلية *reasons* وجيهة، قائمة على البينة (الدليل) *evidence*. لا يصدق في البشر قدرتهم على التكوين العقلاني للاعتقاد من باب 'الوصف' وحسب، بل إن هذا النحو من الاعتقاد يُعتبر بعامةٍ أمراً 'معياريًا'. يعنى ذلك أننا جميعاً في مجال الاعتقاد نعدُّ دقة الإحساس بالبيئة كمعيارٍ أو مقياس ينبغي اتباعه، وأن الحيود عنه يستوجب الانتقاد أو اللوم. إنه ليُعدُّ قصوراً في التعقل في أغلب الأحيان أن يخلص المرء إلى الاعتقاد 'أن ق' دون أن يكون لديه أسباب وجيهة لأن يعتقد بأن ق صادقة. وحتى لو تصادف أن تكون ق صادقة فلن تجدنا أبداً نقول عن شخصٍ خُصَّ إلى الاعتقاد أن ق بطريقٍ مغلوطةٍ إنه 'يعرف' أن ق. ( قد تخامر عقل الناس حدوسُ بأن ق، غير أنهم لا يعتقدون أن ق ويسلكون على أساس أن ق ما لم يجدوا دليلاً وجيهاً على أن ق، بمعزلٍ عن حدوسهم أو تخميناتهم).

### الإيمان

ثمة عددٌ كبيرٌ جداً من الديانات المختلفة، واتجاهاتُ شتى من الرأي داخل كل ديانة. ومن ثم فليس بوسع فيلسوفٍ يتحدث حديثاً شديد العمومية أن يدعى القدرة على تحديد مفاهيم تُرضي الجميع. كما أن الفلسفة لا تفترض أن عليها أن تقوم بديلاً عن الدراسة المفصلة لمختلف الأديان. غير أن بإمكانها أن تنتقى مفاهيم معينة من السياقات الدينية العيانية وتوضحها على نحوٍ يقبله الجميع. بهذا التوجه إذن نُعرِّف 'الإيمان' بأنه مجموعة من الاعتقادات بعضها على الأقل ليس مدعماً بدليل (أو على

الأقل يتجاوز الأدلة المتاحة). يرى كثير من المتدينين أن الإيمان شيء لا يمكن للمرء أن يظفر به من خلال تمحيص الأدلة؛ إنما ينظرون إليه على أنه نعمة من الرب، أو شيء فائق للطبيعة في جوهره وصميمه.

### الإيمان بوصفه تكويناً غير عقلي للاعتقاد

هل ينتهك صاحب الإيمان الديني معايير التكوين العقلاني للاعتقاد؟ هل الإيمان هو حقاً شكل من أشكال التكوين غير العقلاني للاعتقاد؟ إنه من العسير، بالنظر إلى تعريف الإيمان كمجموعة اعتقادات بعضها غير مدعم بدليل، أن نتصور كيف لا يكون الإيمان انتهاكاً لمعايير التكوين العقلاني للاعتقاد. ومن الشائق أن ردود أفعال المتدينين غير واحدة تجاه فكرة لا معقولية الإيمان. فمنهم من يقول: نعم وأى ضير في ذلك؟ ومنهم من يقول: لا، ليس هذا صحيحاً في واقع الأمر.

### استجابة نعم، وأى ضير في ذلك؟

كثير من المتدينين يطيب لهم الاعتراف بأن الإيمان هو أمر غير عقلي. كل ما هنالك أنهم يزعمون أن الاعتقادات التي تشكل إيمانهم هي حق. غير أنها اعتقادات لا يمكن أن يتوصل إليها المرء بواسطة العقل الطبيعي أو العقل الإنساني وحده دون معونة، هكذا الأمر وليخسأ التكوين العقلاني للاعتقاد. كان هذا هو موقف تيرتليان شيخ الكنيسة القديم الذي قال *credo quia absurdum* (أؤمن بذلك لأنه غير معقول). وفيما لاكتراث بالعقلانية مادمت ترى أن إيمانك يزودك بالاعتقادات اللازمة للخلاص الأبدى؟ وقد يجل بك أن تعترف أنك لا تملك أن تقنع من لم تشمله نعمة الإيمان بما أمنت بأن يتقبل حقائق الإيمان بالوسائل العقلية الخالصة.

اليقين *certainty* : في حياتنا المعتادة يعتمد يقيننا بشيء ما، في عامة الأحوال، على تقييمنا للأدلة المتوافرة. ولما كان المتدينون بعامة يعتبرون أن إيمانهم يضاف على

اعتقاداتهم التي تشكل ذلك الإيمان صفةً اليقين المطلق، فإنهم لن يكتفوا بالزعم بأنهم 'يعتقدون' في حقائق إيمانهم بل سيزعمون أنهم 'يعرفون' هذه الحقائق. يتبين من ذلك أن كلمة 'يعرف' و 'معرفة'، وما شابه من الكلمات والتعبيرات، هي جميعاً ملتبسة: فـ 'المعرفة' مثلاً قد تعنى إما 'اعتقادٌ صادقٌ مبررٌ' وإما 'اعتقاد يقينى للغاية'. لاحظ أن هذين المعنيين مرتبطان بشكل واضح لأنه، بعيداً عن الحالة الخاصة للإيمان، كون الشيء يقينياً للغاية مترتب على كونه مبرراً.

### استجابة لا، ليس هذا صحيحاً في واقع الأمر

يرفض كثيرٌ من المتدينين فكرة أن الإيمان أمرٌ غير عقلى. وهناك ثلاثة أساليب يمكن بها تفادى، أو تخفيف، مثل هذه التهمة - أى اللاعقلانية:

(١) فقد يزعم المتدين أننا رغم ضرورة اتباعنا لمعايير التكوين العقلانى للاعتقاد فى عامة الأحوال فإنه لا يلزمنا ذلك، بل لا ينبغى، حين يكون الأمر متعلقاً بالإيمان. بذلك يتم النظر إلى الإيمان على أنه خارج عن نطاق العقل ( non-rational ) ( أو حتى فائق للعقل super-rational ) وليس لا معقولا irrational .

(٢) وقد يلفت المتدين أنظارنا إلى أن أشياء كثيرة فى كل مناحى الحياة تؤخذ 'بالإيمان' أو يُعتقد فيها 'بالثقة'. فنحن جميعاً نقبل أشياء من الأئمة الثقات لا نستطيع أن نستنتجها بأنفسنا من 'الأدلة المتاحة'. كل ذلك، فى زعمه، طبيعى ومحتوم ومعقول تماماً. (لاحظ أن هذا يفضى بنا إلى سؤالٍ تالٍ عما إذا كنا قد اتَّبَعْنَا العقلَ فى تَخْيِيرِ أَيْمُنِنَا 'الثقات').

(٣) وقد يذهب المتدين إلى أن كثيراً من المكونات الهامة للإيمان هى معقولة وفقاً للمعايير السوية. من المعقول أن نؤمن بالرب. ومن المعقول أن نؤمن بعالمٍ فائق للطبيعة. ومن المعقول أن نعتقد أن الرب حَقِيقٌ أن يُنْزِلَ وحياً لهدايتنا. ومن المعقول أن يكون 'الكتاب المقدس' هو ذلك الوحي. كل هذا يمكن أن يكون حقاً حتى لو كانت بعض

الأشياء التي يُنْبِئنا بها الكتاب المقدس (والتي نؤمن بها لأننا نؤمن بأن الكتاب المقدس هو كلام الرب) تتجاوز كل ما يمكن للعقل أن يُثَبِّته. هكذا يقودنا العقل إلى الإيمان، ويقودنا الإيمان إلى أبعد مما بِمُكْنَةِ العقل أن يقود.

## اللاهوت الطبيعي واللاهوت العقائدى

اللاهوت theology هو المبحث الخاص بالرب، وصفاته، وعلاقته بالعالم. (٢٠) (وكلمة لاهوت مشتقة من الكلمتين اليونانيتين theos وتعنى إله، و logos وتعنى كلمة أو خطاب). يطلق على كل ما يمكن إثباته بالعقل البشرى وحده بدون عون، أى العقل إذ يعمل بمعزلٍ عن أى وحى، اسم اللاهوت الطبيعي. natural theology. وبتعبير آخر يمكن القول بأن اللاهوت الطبيعي هو ذلك الجزء (إن وُجد) من اللاهوت الذى يمكن إثباته بواسطة العقل الطبيعي. ويطلق على كل ما يتطلب قبول العقائد القائمة على الوحي والخاصة بدينٍ معين اسم اللاهوت العقائدى dogmatic theology .

لا تتفق الأطراف المعنوية فيما بينها حول المكان الذى ترسم فيه الحدود الفاصلة بين اللاهوت الطبيعي واللاهوت العقائدى، إذ أن هناك خلافاً كبيراً حول مدى ما يمكن للعقل وحده أن يثبته. ثمة موقف متطرف يُعرَف بالمذهب الإيمانى fideism (مشتق من كلمة fides اللاتينية وتعنى إيمان) يرى أن العقل بمفرده لا يمكنه إثبات أى شىء عن الرب؛ أو بتعبيرٍ آخر أنه ليس هناك شىء من قبيل اللاهوت الطبيعي. على أنه من الوجهة التاريخية فإن أغلب المتدينين من الناس لم يكونوا من أصحاب المذهب الإيمانى.

يمكن توضيح كيف ترسم الخطوط الفاصلة بين اللاهوت الطبيعي والعقائدى فى الأعم كما يلى: تنتمى قضية الرب موجود إلى اللاهوت الطبيعي، أما قضية الرب ثالث (أى ثالث الأب والابن وروح القدس) فتتنمى إلى اللاهوت العقائدى.

(٢٠) اللاهوت فى الإسلام هو علم الكلام. (المراجعة)

## المعنى<sup>(٢١)</sup> فى اللغة الدينية

### الإلف والوضوح العقلى

يألف معظمنا حكايات الأشباح. فإذا ما قرأنا "دخل الشبحُ الغرفةَ وحركَ الأثاثَ هنا وهناك" فلن نجد أنفسنا فى فراغ معرفى: إن بمُكْنَتِنَا أن نفهم هذه الجملة ونجد لها معنى. كذلك يألف معظمنا القصص التى تتضمن السفر عبر الزمن. فإذا ما قرأنا هنا "دخلوا آلة الزمن وارتحلوا فى الماضى إلى عام ١٩٦٨" فسوف نجد معنى لهذه الكلمات أيضاً، بل ربما شعرنا بأننا قد فهمنا ما كان يُروى.

هاتان العيتان من الجمل هما من النوع الذى بلغ من الإلف familiarity حدًا بحيث إننا، فى الواقع السيכולوجى، لن نستشعر قلقًا تجاه الوضوح العقلى intelligibility فيهما. (يُعدُّ شىءٌ ما واضحًا عقلياً إذا كان بإمكاننا أن نفهمه، وأن نقدم عنه وصفاً مترابطاً، وأن نجد له معنى، وأن نفطن لما يجرى). غير أن بضعة تساؤلات غير خافية قد تقنعنا بأن فهمنا لما يجرى أقل سداداً بكثير مما نحتسب. مثلاً: كيف تأتى للشبح (الذى هو غير مادى) أن يحوز موضعاً مكانياً؟ كيف يمكن للشبح - الذى بوسعه، على كل حال، المروق من خلال الحوائط وغيرها من الأشياء الصلبة - أن يحرك أى شىء؟ (يبدو أننا ننسب إلى الشبح فيزياء غير متسقة مع ذاتها). فإذا تحولنا إلى الجملة الثانية فإن قليلاً من التأمل يطرح علينا الأسئلة التالية: متى تحدث رحلة الزمن؟ هل علينا أن نحدد لرحلة الزمن سرعة معينة، شيئاً من قبيل ثلاث سنوات إلى الوراء فى الدقيقة الواحدة؟ هل يختفى شخص ما ولِد عام ١٩٧٠ من الوجود حين تمضى الرحلة فى اتجاه ١٩٦٨؟ من الواضح أن الإلف النفسى لا يكفى للإجابة عن هذه الأسئلة.

(٢١) الأدق أن نقول "التحلى بالمعنى" meaningfulness، غير أننا أثّرنا التخفيف. (المترجم)

ليس القصد من هذه الأمثلة أن تومى إلى أن الدين أشبه بحكايات الأشباح أو رحلات الزمن، أى أشبه بشيء مهلهل من الناحية الفكرية. إنما هو قصد عام تماماً: أن الإلف النفسى لا يضمن الوضوح العقلى. قد تكون اللغة الدينية واضحة عقلياً ولكن ليس هذا بفضل إلفنا الشديد لها.

## المعنى المعرفى والصدق

ركز الفلاسفة الذين يبحثون مسألة الوضوح العقلى للغة الدينية على نمط واحد من المعنى: هو "المعنى المعرفى" *cognitive meaning*. وذلك لأن المعنى المعرفى هو ذلك النمط من المعنى الأكثر ارتباطاً بالصدق والكذب. غير أن اللغة الدينية، على أية حال، يجب أن نسند إليها مجالاً معقداً من الاستخدامات الأدائية و/أو الطقوسية. ومن المؤكد أن اللغة الدينية تمتلك معنى سيكولوجياً كبيراً، حيث يُعرّف المعنى السيكولوجى على أنه تلك القدرة فى اللغة الدينية على أن تثير أفكاراً ومشاعر وصوراً. ورغم ذلك يظل السؤال مفتوحاً عما إذا كان من الممكن استخدام اللغة الدينية لإقامة دعاوى صدق - أى لقول أى شيء يحتمل الصدق أو الكذب.

## المعنى سابق على الصدق

يميل الناس خارج مجال الفلسفة إلى افتراض المعنى المعرفى ثم الاهتمام بأمر الصدق وحده. فيفترضون أن قضية 'الرب موجود' ذات معنى معرفى بون نقاش. أما الأمر الذى يناقش فهو ما إذا كان ينبغى علينا أن نعتقد بها. غير أن أسئلة المعنى، فى حقيقة الأمر، سابقة على أسئلة الصدق: فانت لا يمكنك حقاً أن تنتظر فيما إذا كانت عبارة ما صادقة ما لم تعرف ما تعنيه هذه العبارة. ورغم وضوح هذا المبدأ فور ذكره فهو كثيراً جداً ما يُنسَى فى الممارسة الفعلية.

## المعنى المعرفى والاعتقاد

ثمة نقطة أكثر دقة بعض الشيء (وكثيراً ما يغفلها المرء) وهى أنه من غير الممكن أن تعتقد ما لا تفهمه. افترض أن مدرسك فى الفيزياء، والذي لديك كل الحق فى أن تأخذ ما يقوله لك مأخذ الثقة، يقول لك (  $E=mc^2$  ) (الطاقة = الكتلة  $\times$  مربع سرعة الضوء). وافترض أيضاً أنك لا تعرف شيئاً على الإطلاق عما يعنيه القول بأن الطاقة تساوى الكتلة مضروبة فى مربع سرعة الضوء. إنك إذن لا تخلص إلى الاعتقاد بأن  $E=mc^2$ ، فأنت ليس لديك اعتقاد عما تكونه الطاقة. ما تعتقده هو أن جملة مدرسك " $E=mc^2$ " هى جملة صادقة.

فنحن فى المعتاد لا نلاحظ الفرق بين الاعتقاد بأن الجملة ق صادقة وبين الاعتقاد بأن ق. ذلك لأننا انطلاقاً من فهمنا لما تعنيه الجملة نمضى دون جهد من الجملة إلى 'مضمون' الجملة؛ وقلما ندرك الفرق بين الاعتقاد بأن جملة إنها تمطر صادقة والاعتقاد بأنها تمطر. إلا أنه حيثما يكنّ الوضوح العقلى مشكلة يكنّ هذا الفارق أمراً حاسماً.

## الوضوح العقلى ومفهوم الرب

لماذا يُعنى بعض الفلاسفة بالوضوح العقلى للغة الدينية ويجعلونه قضيتهم. سنناقش هذا الأمر متمثلاً فى الجملة المفردة 'الرب موجود'، لكى يتضح لنا الشيء الذى يقلق خاطر بعض الفلاسفة؛ على ألا نعتبر ذلك مغنياً عن البحث الأكثر تفصيلاً للنطاق الكامل للغة الدينية. ورغم أن بعض الكتاب يعتبر 'الرب' اسم علم، فإن الغالبية يفسرون جملة 'الرب موجود' على أنها 'هناك على الأقل وعلى الأكثر موجود إلهى واحد'. هل يمكننا أن نكون تصويراً عن هذا الموجود الإلهى؟ هل باستطاعتنا أن نرسم تصويراً واضحاً عقلياً عن الرب؟ فى سعينا للإجابة عن هذه الأسئلة علينا أن نسترشد بما يقول المؤمنون عن طبيعة الرب. صحيح أنهم لن يقولوا جميعاً الشيء نفسه تماماً، غير أن بينهم إجماعاً يكفى لإقامة تحليل عام.

## الرب بوصفه شخصاً (٢٢)

يؤمن معظم المتدينين أن الرب شخص. هاهنا مشكلة أولى. ذلك أن فكرتنا عن الشخص يُفترض أنها تكونت لتلائم أشخاصاً مثلنا. نحن نعرف ماذا يشبه أن يكون الشيءُ شخصاً إنسانياً. فهل يمكن أن نأخذ تصورنا للشخص ونطبقه على موجودٍ مثل الرب مختلفٍ تماماً؟ هذه هي المشكلة العامة: مشكلة أخذ تصورات نشأت في منطقة (أو تصورات تخص نمطاً من الأشياء) ورؤية كم يمكن أن تُطدّون أن تفقد المعنى (تفقد الوضوح العقلي). بل إن المشكلة هنا أكثر حدة نظراً لخواص أخرى معينة جرى القول بأن الرب يحوزها. فالرب لا يُفترض أنه مجرد شخص؛ إنه كامل، لامادي، لانهائي.

مفهوم الشخص الكامل: ماذا يمكننا أن نصنع بمفهوم الشخص الكامل؟ قد تكون إحدى الإجابات أنه مادام 'الشخص' يتضمن 'مثلنا' و 'الكامل' يتضمن 'ليس مثلنا' فإن شطري فكرة الشخص الكامل ينفي أحدهما الآخر ليتركنا بلا محتوى معرفي. بهذه النظرة يكون من الجلي أن 'الشخص الكامل' مفهوم يخلو من الوضوح العقلي. (وقد نخفف حدة هذه النتيجة فنقول بأن 'الشخص الكامل' هو تصور غير مفهوم بوضوح) (٢٣)

(٢٢) يبدو أن المؤلف معدم القدرة على التجريد الضروري للخوض في رحاب الدين، وهو أيضاً جاهل تماماً بالإسلام وبالأديان عموماً وحصيلته في هذا الصدد لا تتجاوز قشور تصور شعبي عام لديانته المسيحية، وإلا فكيف يستخدم هذا التعبير الغريب الذي لا يحتمل ترجمة أخرى God as person بل ويصادر عليه!!! ببساطة، نحن المسلمين على الأقل لا نتصور الله أو الرب كشخص البتة، بل كذات منزّهة، ولسنا بحاجة إلى القول إن طرح الألوهية كشخص بجانب تماماً صحيح العقيدة، بل هو كفر وتجديف، أو بالأحرى تخريف!! (المراجعة)

(٢٣) على الرغم من أن الفلسفة التحليلية التي يتبناها المؤلف جعلت مقصدها ومبتغاها هو حذف لغو القول، فإنه من البين أن فكرة التنزيه الجوهريّة في الإسلام تطيح بهذا اللغو من القول الذي يخوض فيه المؤلف بتحليلاته التي تبدو مضجرة في بعض مواضع هذا الفصل. فمن قال إن الله تعالى أو الرب شخص مثلما نكون نحن أشخاصاً!!! سبحانه وتعالى جل وعلا عن هذا، ببساطة ليس كمثله شيء. (المراجعة)

مفهوم الشخص اللامادى : سيتراءى للبعض أن منطق هذين الزوجين من المفاهيم الشخص و اللامادى شبيه بمنطق الشخص الكامل، إلا أن هناك farkاً واحداً مهماً: ذلك أن كثيراً من الناس يتصورون الأشخاص البشريين ككيانات لامادية تبقى بعد موت الجسد. فإذا أمكن أن نفهم الروح البشرية على أنها قادرة على الوجود المستقل فليس ثمة إذن ما يبرر لماذا لا يمكننا، من حيث المبدأ، أن نفهم الرب على أنه شخص لامادى. ( رغم أن 'الروح' كلمة شائعة بالتأكيد تستخدمها أعداد هائلة من الناس بلا عناء، فليس كل الفلاسفة يرون أن بوسعنا فهم معنى الأرواح).

مفهوم الشخص اللانهائى: هل من الممكن أن يمتد تقديرنا الاستقرائى من نمط الأشخاص الذى نكوّنه نحن (البين التناهى والمحدودية والاحتياج إلى الغير والرغبة والجهل.. إلخ) إلى النمط الذى يفترض أن يكونه الرب؟ ذهب بعض الفلاسفة إلى أن اللانهائية تتجاوز فهم عقولنا المنتهية. وذهب آخرون إلى أننا مادام بإمكاننا فهم اللامتناهى فى الرياضيات فليس ما يمنع أن نفهم لانهاية الرب. ومهما يكن من شىء فإن علينا أن نذكر أنه ليست جميع أطراف النقاش ترى أن لانهاية الرب تشبه اللاتناهى الرياضى فى شىء. وحتى فهمنا للامتناهى الرياضى قد لا يكون محكماً تماماً بآية حال.

### تقييم مشكلة الوضوح العقلى

ذهب بعض الفلاسفة مذهباً متشديداً يقول بأن الشخص الكامل و الشخص اللامادى و الشخص اللامتناهى كل أولئك، شأنه شأن الدائرة المربعة، متناقض داخلياً. بل لقد فسّر بعضهم ذلك على أنه تفنيد لوجود الرب، على أساس أن المفهوم غير المتسق ذاتياً لا يمكن أن يمثّل وجودياً. ( بتعبير آخر: لا يمكن لأى شىء يحدده مفهوم الرب أن يوجد، لأن التحديد بأكمله غير متسق ذاتياً ). وللمتدين أن يرد بأن غاية ما يثبته عدم الاتساق هذا هو أن تصوراً معطى (أو منْحى من النظر) عن

الرب هو تصور غير صحيح. وبدلاً من الدعوى المغالية بأن ما يقال حول الرب هو غير متسق أو هو متناقض، فإنه أقرب إلى القبول أن ندفع بأن التعبيرات المستخدمة عن الرب (وغير ذلك من المفاهيم المرتبطة به) هي غير مفهومة بوضوح وجلاء. إنها تتطلب توسيع اللغة بوسائل قد تُعَرِّض المعنى المعرفي للخطر، وتتطلب في كل حال محاولة للتفكير فيما يقع على حواف ما يمكننا أن نفهمه.

ليس هذا بالشئ الذي يود المتدين أن ينكره. بل على العكس يؤكد المتدين أن من الصعب حقاً على البشر أن يفهموا الرب. فالفهم التام للرب، بالنظر إلى ما يُفترض أن يكونه، لا بد من أن يتجاوز قدرة عقول متناهية كعقولنا على الاستيعاب. غير أن 'لا نفهم تماماً' لا تعني 'لا نفهم مطلقاً'.

## طبيعة الرب

### مقاربتان

أى مفهوم عن الرب يُفترض أن يحلله الفيلسوف؟ هناك طريقتان للإجابة عن هذا السؤال، طريقتان تتوازيان تماماً مع التمييز بين الميتافيزيقا الوصفية والميتافيزيقا المراجعة (التنقيحية).

### المقاربة الوصفية

أما أولئك الذين يأخذون بالمدخل الوصفى فيرون أن مهمتهم هي تحليل المفهوم القياسى للرب كما يرد فعلاً في تفكير المؤمنين الدينيين. وبصفة عامة، حين يتحدث الفلاسفة الغربيون عن المفهوم القياسى للرب يكون في ذهنهم مفهوم الرب المستمد من التراث اليهودى - المسيحى.

### المقاربة المراجعة

وأما أولئك الذين يأخذون بمقاربة الميتافيزيقا المراجعة فيرون أن مهمتهم هي تشييد مفهوم سديد عن الرب، والذي قد يختلف كثيراً أو قليلاً عن المفهوم التقليدى.

## مثول المفهوم (فى الوجود) concept instantiation

عند التفكير فى طبيعة الرب يجب أن نضع باعتبارنا حقائق أولية عديدة عن المفاهيم ومثولها فى الوجود<sup>(٢٤)</sup>

(١) قد يكون لدينا مفهوم (يشمل هذا وجود كلمة فى لغتنا و/أو فكرة فى رؤوسنا) لا ينطبق على أى شىء حقيقى (أو لا يناظره أى شىء حقيقى). إن لدينا مثلاً مفهوماً عن وحيد القرن ولكن ليس هناك وحداً قرن. ينبئنا مفهوم وحيد القرن أن أى شىء يصدق فيه أنه وحيد قرن يتعين أن يكون (من بين خصائص أخرى) ذا قرن وحيد ويكون من الأحصنة. غير أنه لا يوجد حيوان حقيقى ينطبق عليه هذا التحديد. لا توجد أمثلة أو شواهد لمفهوم وحيد القرن، أو، بتعبيرٍ تكتيكى، إن مفهوم 'وحيد القرن' هو مفهوم غير متجسد أو غير ماثل فى الوجود.

إن أغلب مفاهيمنا بالطبع هى ماثلة فى الوجود. مفهوم 'كرسى'، مثلاً هو مفهوم ماثل، لأن هناك أشياء فى العالم الواقعى تناظر المفهوم - أشياء لها جميع الخواص التى يحدد مفهوم 'كرسى' أن الكراسى يجب أن تحوزها. وببساطة شديدة يمكننا القول بأن مفهوم 'كرسى' ماثل لأن هناك كراسى.

(٢٤) مرة أخرى ولعلها ليست الأخيرة، نجد المنهج التحليلى يدفع بالمؤلف إلى الخوض فى لغو القول، فهو حين يتحدث عن المثل فى الوجود إنما يعمل بشكل ما مبدأ الوضعية المنطقية فى التحقق التجريبى الذى عرضه فى الفصل الخاص بفلسفة اللغة، وطويلاً ما تعرض مبدأ التحقق للرفض الحاد والنقد العنيف خصوصاً وأنه يضطلع بالحكم حول ما إذا كان المفهوم ذا معنى أم لا، ولندع مفهوم الألوهية بجليل شأنه وعظيم قدره لنجد معظم المفاهيم ذات المعنى الجليل والتى تجعل الحياة جديرة بأن تعاش مثل الحرية والديمقراطية والوطنية والحب والسعادة والإيمان وتحقيق الذات ونشدان الهوية..... إلخ هى الأخرى لا يطولها التحقق التجريبى بحال، وليس ثمة طريق قاطع للحكم بذلك التعبير المراوغ للمؤلف : مثول المفهوم فى الوجود. (المراجعة)

(٢) من المسلّم به بعامة أن بعض المفاهيم لا يمكن أن تمثّل. هذه المفاهيم هي مفاهيم غير متسقة داخلياً، مثل الدائرة المربعة. ليس علينا أن ننظر حول العالم لنرى هل هناك دوائر مربعة أو لا. إنها مستبعدة لأنها غير ممكنة منطقياً. (ونحن هنا نستخدم المبدأ الواضح: "ما لا يمكن أن يوجد فهو غير موجود". ورغم أن بعض المفكرين قد ذهبوا إلى أن مفهوم الرب غير متسق داخلياً فإن هذا الرأي لا يحظى بإجماع).

(٣) ادّعى بعض المفكرين أن هناك مفاهيم معينة يجب أن تمثّل في الوجود. والرب، فيما يرى هؤلاء، هو ذلك المفهوم. إلا أن فكرة إمكان وجود مفهوم واجب المثل - أو ماثل بالضرورة - هي فكرة لا يقبلها الجميع. ورغم ذلك فإن هناك دليلاً من أدلة وجود الرب، يُعرف بالدليل الأنطولوجي، يقوم على هذه الفكرة<sup>(٢٥)</sup>

## الصفات الإلهية

لقد ذكرنا للتو بعض السمات الخاصة بالمفهوم التقليدي (أو القياسي أو السائد) للرب. فالرب، في المقام الأول، يُتصور كشخص. والممارسات الدينية، كالعبادة والصلاة والمواقف الدينية كالحب والحمد، لا يكون لها معنى ما لم يكن الرب شخصاً. لاحظ رغم ذلك أنه بينما يُعتبر الرب كشخص فهو لا يُتصور كمثيل للأشخاص البشريين. فالرب لامادي، لامتناه، كامل. ومن الممكن أن يؤخذ الكمال كوصف يتضمن جميع الصفات

(٢٥) يتحدث المؤلف عن مفهوم الألوهية بالبرود المعهود من فيلسوف تحليلي، لذلك لا يبدو عرضه للدليل الأنطولوجي الشهير واضحاً هنا، ولا حتى حين عاد إليه مجدداً وبالتفصيل حين الحديث عن براهين وجود الرب بعد صفحات قلائل. وخلاصة هذا الدليل الجميل أن مفهوم الألوهية هو مفهوم الكيان الكامل الحائز على سائر الكمالات، ولما كان العدم نقصاً، والوجود أحد تلك الكمالات، بل هو أول الكمالات وأبسطها، كان الله أو الرب - من حيث هو الكيان الكامل - واجب الوجود، وإلا وقع مفهومنا عن الألوهية في مغبة التناقض الذاتي. هكذا يجعل هذا الدليل من وجود الله ضرورة وجودية وضرورة منطقية في أن واحد. (المراجعة)

الإلهية ( the Divine Attributes (أو خصائص الرب). هذه الصفات تشمل : العلم الشامل، والقدرة الشاملة، والدوام، والخلود، وكلية الإحسان. وسوف نعلق على كل من هذه الصفات وفقاً للطريقة التي يتم بها تصور الرب تقليدياً.

## العلم الشامل

يقال إن الرب ذو علم شامل Omniscient، أو يعرف كل شيء. يمكن أن يصاغ علم الرب كما يلي: إذا كان ق ، إذن الرب يعرف أن ق. ويتعبير آخر: إذا كان شيء ما هو حق، إذن الرب يعرف هذا الشيء. هناك مشكلتان تتصلان بالعلم الشامل ينبغي ملاحظتهما.

(١) ليس من الواضح ما إذا كانت "المعرفة" المنسوبة إلى الرب يمكن أن تعني الشيء نفسه الذي تعنيه عندما تُنسب إلى البشر. في حالتنا نحن البشر يبدو من اللائق دائماً حين نعرف شيئاً ما أن نتساءل كيف واثقتنا المعرفة – كيف اكتشفنا، ما الدليل الذي نستند إليه. الحق أن هذا متأصل في مفهوم المعرفة البشرية. أما في حالة الرب فإنه من المشكوك فيه كثيراً أن ينسحب عليه أى شيء من هذا: فالرب يعرف فحسب. الرب يعرف على نحوٍ مُعْجَز. الرب يعرف بطريقةٍ تتجاوز فهمنا تماماً.

(٢) أحياناً ما يُثار السؤال عما إذا كان علم الرب الكلى متساوياً مع حرية الفعل البشري. إنه سؤال عما إذا كانت المعرفة الإلهية المسبقة متساوية مع الاختيار البشري.<sup>(٢٦)</sup> فإذا كان الرب مثلاً يعرف منذ الأزل أن آدم سوف يُقَدِّمُ على أكل التفاحة المحرمة، فقد يبدو من ثم أنه قد تقرر سلفاً ما سوف يفعله آدم قبل أن يقوم باختياره المصيري في جنة عدن بزمان طويل. ولكن إذا كان شيء ما مقررًا

(٢٦) طويلاً ما بحث علم الكلام هذه المشكلة تحت عنوان الجبر والاختيار، مثلما انشغل بمشكلة الصفات الإلهية تحت عنوان الذات والصفات. (المراجعة)

قبل الاختيار فليس هناك فعلاً أى اختيار على الإطلاق. وقد ذهب بعضُ المفكرين إلى أن هذه الطريقة فى النظر إلى المسألة بجانب الصواب إلى العكس: فآدم لم يأكل التفاحة لأن الرب كان يعلم أن آدم سوف يُقدم على أكل التفاحة، بل إن الرب كان يعلم أن آدم سوف يقدم على أكل التفاحة لأن هذا ما فعله آدم فى النهاية باختياره هو.

يجب أيضاً أن نذكر عديداً من السمات المدهشة بعض الشيء والخاصة بكلية القدرة. من ذلك أن الرب، من حيث هو ذو علم شامل، لا يمكن أن 'يتعلم' أى شيء أو 'يكشف' أى شيء. ومن ذلك أيضاً أن الرب لا يُتصور كعارفٍ بكل الحقائق التى يمكن التعبير عنها باللغات الطبيعية الفعلية فحسب، بل يُفترض أن يعرف كل حقيقة تستطيع أى لغة ممكنة أن تعبر عنها، بل إنه حتى لو كانت هناك أية حقائق لا يمكن التعبير عنها فإن الرب يعرفها أيضاً.

### القدرة الشاملة

يوصف الرب بأنه ذو قدرة شاملة Omnipotent أو القوة الشاملة. وكثيراً ما يعبر عن ذلك أيضاً بالقول بأن الرب يستطيع أن يفعل أى شيء. ويفسر أغلب المفكرين هذه الصفة بأنها تعنى أن الرب قادر على أن يفعل أى شيء يمكن فعله، بمعنى أى شيء ممكن منطقياً. وفى مقابل ذلك ذهبت قلة من المفكرين إلى أن الرب يمكنه أن يفعل أى شيء دون قيد، وغالوا فى ذلك حتى القول بأن الرب يمكنه أن يجعل  $5=2+2$  ( يرتبط بهذا الرأي تلك الأحجية التى تعود إلى العصور الوسطى: سؤال: هل بقدرة الرب أن يصنع حَجَراً هو من الثقل بحيث لا يستطيع رفعه؟ الجواب: نعم، ويستطيع رفعه).

وأياً ما كان الذى يصنعه البشر فإنهم يصنعونه بواسطة وسيلة محددة سواء بتدبير أو بغير تدبير. أما ما يصنعه الرب فمن المفترض أنه يصنعه بطريقة معجزة

إعجازاً مطلقاً. هكذا ينبغي أن نفهم خلق الرب للعالم. يذهب التصور السائد إلى أن الرب خلق العالم "من عدم" ex nihilo (من لا شيء). زِدْ أنه خلقه بطريقة لا يملك البشر أدنى فهم لها.

## الدوام

يوصف الرب بأنه ثابت باقٍ ، أو بأنه لا يتغير immutable . وهي صفة يصعب بشكل خاص التوفيق بينها وبين تصور الرب كشخص قادر على الفعل - على إجابة دعائنا مثلاً. وأحياناً ما يقال إن مفهوم الدوام الصارم، والمستمد من الفلسفة اليونانية، هو مفهوم غريب عن فكرة الكتاب المقدس عن الرب. غير أن هذه مسألة لا يمكن للفلسفة أن تتخذ فيها موقفاً.

## الأزلية

يوصف الرب بأنه أزلي eternal . تُفهم هذه الصفة أحياناً كنظير لصفة السرمدية omnitemporality . يعنى القول بأن الرب "سَرْمَدٌ" أنه في أية لحظة من الزمن، ن، فالرب موجودٌ في ن. كما أنه لا يُهم هنا ما إذا كانت اللحظة ماضياً أم حاضراً أم مستقبلاً. على أن الرأي الأكثر شيوعاً هو أن مجرد اللامحدودية الزمانية (أو اللاتناهي الزمني) لا تحصر ماهية أزلية الرب. فالأزلية وفقاً لهذه الوجهة من الرأي ينبغي أن تُفهم على أنها لا صلة لها بالزمن. ربما لأن الزمن والتغير مرتبطان ارتباطاً وثيقاً فإن دوام الرب (عدم تغيره) يجعله خارج الزمن. على أية حال يعتقد المتدينون أن الرب، بخلاف أقدم الأشياء من حولنا بل بخلاف العالم نفسه، لا بداية له. ليس هذا فحسب بل أنه أيضاً، بخلاف أدوم الأشياء من حولنا وبخلاف العالم نفسه على الأرجح، لا نهاية له.

تأتى الموجودات الحادثة (الممكنة) contingent beings إلى الوجود وتخرج منه شاعت ذلك أم أبت. أما إذا كان هناك موجود ضرورى necessary being، والرب هو الأجدر بأن يكونه، أى موجود لا يمكن ألا يوجد، فلن يكون هناك بالطبع أى زمن لم يكن فيه هذا الموجود موجوداً. هذا التصور عن موجود ضرورى تتضمن ماهيته (أو طبيعته) وجوده يمكن أن نجده فى كتابات الفيلسوف العربى فى العصر الوسيط ابن سينا (٩٨٠-١٠٣٧). واستخدمه جوتفريد ليبنتز Gottfried Leibnitz. (١٦٦٤ - ١٧١٦) فى دليل مهم على وجود الرب.

### الإحسان الشامل

يوصف الرب بأنه ذو إحسان شامل Omnibenevolent أو خير شامل. وهذه هى الصفة الإلهية الأوثق ارتباطاً بالعبادة والحب الدينيين. يتصور الرب ذروة كل القيم الإيجابية، خيراً تاماً لامتناهياً، وخيراً فى كل أفعاله وآثاره.

### مواقف من مسألة وجود الرب

ثمة ثلاثة مواقف قد يتخذها المرء تجاه وجود الرب، أى تجاه ما إذا كان المفهوم السائد عن الرب ماثلاً فى الوجود أم لا. هذه المواقف هى: الإيمان، والإلحاد، واللاأدرية.

### الإيمان (بالرب)

المؤمن هو الشخص الذى يعتقد أن المفهوم التقليدى للرب ماثلاً فى الوجود. وبعبارة أخرى يذهب المؤمن إلى أن هناك حقاً موجوداً له جميع الخواص أو الصفات

التي يحددها التصور التقليدي عن الرب. وببساطة شديدة، المؤمن هو الشخص الذي يرى أن عبارة 'الرب موجود' صادقة. يمكن تقسيم المؤمنين إلى المؤمنين الدينيين religious theists الذين يعتمد اعتقادهم في الرب اعتماداً أساسياً على الإيمان بالدين، والمؤمنين الطبيعيين natural theists الذين يقوم إيمانهم بالرب أساساً على الدليل العقلي أو البرهان.

## الإلحاد

الملحد هو الشخص الذي يعتقد أن المفهوم التقليدي للرب غير ماثل في الوجود. يذهب الملحد بدلاً من ذلك إلى أنه لا شيء يحوز جميع الخواص أو الصفات التي يحددها التصور التقليدي عن الرب. وببساطة شديدة، الملحد هو الشخص الذي يرى أن عبارة 'الرب موجود' كاذبة. ليس هناك بطبيعة الحال شيء من قبيل الملحد المتدين. فجميع الملحدين لا شك يفترضون، حقاً أو خطأ، أن العقل الإنساني يقدم تبريراً قاطعاً لعدم الاعتقاد في وجود الرب.

## اللاأدرية

اللاأدرى هو الشخص الذي لا يعرف ما إذا كانت عبارة 'الرب موجود' صادقة أم كاذبة. وبعبارة أخرى اللاأدرى لا يعرف ما إذا كان مفهوم الرب ماثلاً في الوجود أم لا. ( اللاأدرية agnosticism مشتقة من البادئة السلبية اليونانية a، ومن كلمة gnosis وهي كلمة من الكلمات اليونانية التي تطلق على المعرفة)

## براهين وجود الرب

عرضنا فيما سبق للمفهوم التقليدي للرب، والصفات التي تُنسب إلى الرب. وسوف نتناول الآن أهم البراهين التي قُدمت لإثبات وجود الرب، بادئين ببعض الملاحظات عن ما هو البرهان أو الدليل.

### البرهان / التفنيذ proof / disproof

أن تُقدّم برهاناً ما على عبارة، ق ، هو أن تقدم حجةً صحيحة valid تكون ق هي نتيجتها. وأن تقدم تفنيذاً لـ ق هو أن تقدم حجةً صحيحة تكون لاق هي نتيجتها. وما يمكن أن يُستخلص كنتيجة يتوقف دائماً على المقدمات التي يبدأ منها المرء. وحين يسأل الناس "هل يمكن إثبات وجود الرب؟" متوقعين إجابةً بسيطة - نعم أو لا، فإنهم يتناسون هذه السمة لجميع الحجج (أو البراهين) أيّاً ما كان موضوعها. وعلى صعيد الممارسة فإن ما نبحث عنه هو حجة تدعم نتيجةً مرغوبة، تبدأ بمقدمات يرجح أن يقبلها أولئك الذين نحاول إقناعهم. هذا هو السبب في أن حجةً مثل هذه:

ورد في الكتاب المقدس أن الرب موجود

وكل ما يقوله الكتاب المقدس صادق

إذن الرب موجود

رغم أنها حجة صحيحة (بمعنى أنه إذا صدقت مقدماتها لصدقت نتيجتها)، فإنها تخلو تقريباً من أية قدرة على الإقناع. ذلك أن أولئك الذين يعتقدون أن كل ما يقوله الكتاب المقدس هو حق إنما يرون ذلك لأنهم يؤمنون أن الكتاب المقدس موحى به من الرب، وبالتالي فإنهم مؤمنون أصلاً بأن الرب موجود وليسوا بحاجة إلى مزيد من الإقناع بواسطة هذه الحجة، وفي المقابل فإن أولئك الذين لا يؤمنون بالرب (ولذا يُرجى من هذه الحجة أن تغير اعتقاداتهم) فمن غير المرجح أن يقبلوا مقدماتها الثانية.

ويَجْمَلُ بنا أن نقدم ملاحظةً عامةً أخيرة في مسألة البرهان أو التفنيد: إن الفشل في العثور على برهان لا يشكل تفنيدياً بأيّة حال، كما أن الفشل في العثور على تفنيد لا يشكل برهاناً. فالمؤمن لا يحق له أن يقول بأن واقعة أن الملاحدة لم يظفروا بتفنيدات مقنعة (بافتراض صحة هذه الواقعة) هي واقعة 'تثبت' أن الرب موجود؛ والملاحد لا يحق له أن يقول بأن واقعة أن المؤمنين لم يظفروا ببراهين مقنعة (بافتراض صحة ذلك) هي واقعة 'تثبت' أن الرب غير موجود.

## أدلة وجود الرب

ابتكر الفلاسفة براهين كثيرة على وجود الرب. ونحن في مجال الفلسفة نقيم هذه البراهين بنفس المعايير المنطقية والعقلانية التي نطبقها على أي حجج أخرى. وسوف نعرض فيما يلي لثلاثة أصناف من الحجج على وجود الرب تواتر تقديمها أكثر من سواها، وهي: الدليل الكوني (الكوزمولوجي)، والدليل الأنطولوجي (الوجودي)، والدليل الغائي.

## الدليل الكوني (الكوزمولوجي)

ينطبق اسم 'الدليل الكوزمولوجي' في الحقيقة على فصيلة من الحجج المتقاربة، يبدأ كل منها من السمات الملاحظة (أو بالأحرى الواضحة) للعالم، أو الكون *cosmos*، وتحاول أن تثبت أن الطريقة الوحيدة لتفسير هذه السمات هو بالتسليم بوجود الرب. الحركة، والعلة والمعلول، والحدوث *contingency*<sup>(٢٧)</sup>، هي الملامح التي يكثر

(٢٧) مصطلح *contingency* يفيد ما لم يكن موجوداً ثم وجد، أي الحدث.. العرضية.. الإمكان.. الطرء.. ما هو غير ضروري الوجود من حيث أنه لم يكن موجوداً. ولما كان علماء الكلام الإسلاميون يقولون دائماً 'الحادث' كمقابل للقديم ضروري الوجود.. الله تعالى، وجدنا أن مصطلح الحادث هو أفضل مقابل لمصطلح *contingent* في هذا السياق. (المراجعة)

استخدامها فى هذا الصنف من الحجة. وفيما يلى تقدم، بشكل مكثف، ثلاث عينات من الدليل الكونى:

الأشياء تتحرك

إنها لا تحرك ذاتها

وإن محرّكيها لا يحركون ذاتهم

لا يمكن لهذه السلسلة من المحرّكين أن تمضى إلى ما لانهاية

---

إذن لا بد من أن يكون هناك محرّك أول لا يتحرك، والذي نسميه الرب

معظم الأشياء هى معلولات

وعلاها هى بدورها معلولات

لا يمكن أن تمضى سلسلة العلة - المعلول إلى ما لانهاية

---

إذن لا بد من أن يكون هناك علة أولى غير معلولة لشيء، والتي نسميها الرب

الموجودات الحادثة تحتاج إلى تفسير

والأشياء التى تفسرها تحتاج بدورها إلى تفسير

لا يمكن لهذه السلسلة من التفسير أن تمضى إلى ما لانهاية

---

إذن، لا بد من أن يكون هناك مفسرٌ غير مفسر، والذي نسميه الرب

أفرخت هذه الحجج ألوفاً مؤلفة من الصفحات تتناولها بالتعليق، المناصر والمناوى، المؤيد والمعارض. ولعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا إن هذه الحجج قلما يقبلها أحدٌ من الفلاسفة المعاصرين (وإن يكن هذا بالطبع لا ينهض بذاته برهاناً على أن الأدلة

فاسدة). ولعل السبب الرئيسى فى أن هذه الحجج هى أقل إقناعاً بصفة عامة مما كانت عليه يوماً ما هو أنه لم يعد يبدو واضحاً تماماً أن العالم نفسه يجب أن يكون متناهيًا. لماذا يستحيل أن تكون منظومة الحركة نفسها التى تُشكّل العالم لامتناهية زمنياً؟ لماذا يستحيل أن تكون سلسلة العلة/المعلول لانهاية الطول؟ لماذا يستحيل على بعض الموجودات الحادثة أن تفسر الموجودات الحادثة الأخرى بطريقة غير مغلقة أو غير منتهية؟ ليس هناك مبرر عقلى لذلك فيما يرى بعض الفلاسفة المعاصرين. ورغم ذلك فما يزال السؤال مفتوحاً فيما إذا كان حتى العالم اللانهائى والذى ليس له بداية زمنية يتطلب تفسيراً لوجوده.

## الدليل الأنطولوجى

ثمة صيغ كثيرة للدليل الأنطولوجى وردت إلينا. يكون الدليل على وجود الرب دليلاً أنطولوجياً إذا وفقط إذا كان يحاول أن يثبت أن الوجود الفعلى للرب يلزم عن مفهوم الرب، أو فكرة الرب. والصيغة التى نورد هنا شبيهة بالتى قدمها القديس أنسلم ( ١٠٢٣ - ١١٠٩ ) St. Anselm :

مفهوم الرب هو تصورٌ لوجودٍ لا يمكن تصور أعظم منه

ولكن الكائن الموجود أعظم من الكائن المتصور فقط

إذا كان الرب غير موجود فلن يكون هو الموجود الذى لا يتصور أعظم منه

إذن، الرب موجود

وقد أثارت صيغ الدليل الأنطولوجى، شأنها شأن فصيلة الحجج الكوزمولوجية، نقاشاً واسعاً. وبالمثل يرفض معظم الفلاسفة المعاصرين أى صورة من صور الدليل الأنطولوجى، رغم أن أحد الفلاسفة المعاصرين، وهو ( Alvin Plantinga b . ١٩٢٢ ) دفع بصيغة شديدة التعقيد يرى أنها ينبغى أن تقنع المنصفين من المفكرين.

إن الشيء الذى وجدته معظم المفكرين غير مقبول، أو محيراً على أقل تقدير، فى الدليل الأنطولوجى يمكن أن يصاغ كما يلى : إنه لأمر معقول بالتاكيد أن نعرف الرب بأنه : أعظم موجود يمكن تصوره، غير أن ما يستبعده هذا التعريف ليس هو عدم وجود الرب، وإنما وجود أى كائن أعظم من الرب. والآن، إن مفهوم أى شىء يحدد مجموعة الخواص التى يتعين أن تملكها الأشياء التى تجسد هذا المفهوم ( أو التى يُمثل بها فى الوجود ). ولكن الوجود ليس خاصية ( صفة )، ومن ثم لا يمكن أن يدمج فى أى مفهوم. (يُعبّر عن ذلك عادة بالقول بأن الوجود ليس 'محمولاً' predicate)(٢٨)

هذا النقد للدليل الأنطولوجى يمكن أيضاً تفسيره فى حدود 'الموجودات الضرورية'. فالرب يُعرف بأنه موجود ضرورى والموجودات الضرورية لا بد من أن تكون موجودة، ومن ثم يبدو كأن الرب لا بد من أن يوجد. ما الخلل إذن فى هذا الخط الاستدلالي؟ الخلل أن كل ما يثبتته هو أنه إذا كان ثمة كائن ضرورى سيتعين أن يكون هذا الكائن موجوداً. ولكنه لا يثبت أن هناك كائناً ضرورياً – أى موجوداً لا يمكن ألا يوجد.

## الدليل الغائى

يقوم الدليل الغائى the teleological argument، ويعرف أيضاً بـ 'الحجة المستمدة من التصميم أو التخطيط'، على فكرة أن كثيراً من الأشياء الطبيعية، كالكائنات

(٢٨) من قال إن الوجود ليس خاصية أو صفة أو محمول؟! إنها تقنية من تقنيات المنطق الرمزي الحديث الذى يتعامل مع القضايا التحليلية الفارغة من المضمون، وليس ثمة ما يلزم بتطبيقها على سائر المضامين. ببساطة، وخارج الأنساق الاستنباطية لدوال الصدق التكرارية فى المنطق الرمزي، ما دمت أستطيع أن أصف الكيان الذى يعبر عنه المفهوم بأنه موجود أو غير موجود، فلماذا لا أعتبر الوجود خاصية أو صفة؟ قال المؤلف هذا لأنه فيلسوف تحليلي يصادر بأن الوجود ليس صفة بل نتيجة للتحقق التجريبي، وهذا دوران منطقي كثيراً ما يقع فيه التحليليون الذين يحكمون إغلاق المنطقية على فلسفاتهم. (المراجعة)

الحيوانية، تبدو مُصمَّمة ( لغرض )، فأجزاؤها - مثل الأعضاء كالأعين والأذان مثلاً - مهيأة جيداً لأداء وظائف تساعد الكائن على أن يترعرع - أو يبقى على الأقل - فى بيئته الخاصة. يقول الدليل الغائى إن التفسير الوحيد لغائية الطبيعة ( أو غرضية الطبيعة ) التى نلاحظها هو أن نسلّم بمخطّط ذكى - شخص ما قد هندس كل الغرضية التى نراها فى الطبيعة (telos كلمة يونانية تعنى هدف، غرض، غاية).

كثيراً ما استعار المفكرون الأوائل أمثلة لهذه الغرضية، أو التخطيط المحكم، من علم الفلك، ولكن منذ القرن التاسع عشر فصاعداً جاءت أغلب الأمثلة الرائجة من البيولوجيا. وباستخدام الكائنات البيولوجية كأمثلة لنا يمكننا أن نصوغ الدليل الغائى كما يلى :

الكائنات العضوية لها سمات غرضية

السمات الغرضية لا بد من أن تكون نتيجةً لتخطيط

الكائنات العضوية لا تخطط نفسها

ولا يخططها البشر

إذن، هناك مخطّط غير بشرى، والذى نسميه الرب

هنا أيضاً، قلما نجد أحداً من الفلاسفة المعاصرين يقبل الدليل الغائى. ذلك أن مقدمته الثانية التى بدت يوماً 'واضحة' لأغلب الناس تبدو الآن مشكوكاً فيها كثيراً. أضف إلى ذلك أن التسليم بـ 'مخطّط أعظم' للطبيعة (له صفات العلم الشامل والقدرة الشاملة) لا يسعف فى تفسير كيف حلت الطبيعة مشكلاتها التخطيطية. إن الطبيعة، بما فيها الكائنات البيولوجية جميعاً، لا تبدو فى الحقيقة كنتاجٍ لتخطيطٍ من أعلى إلى أسفل. مما يبرر هذا الاعتقاد أن الطبيعة تبدى من الصراع قدر ما تبدى من التوافق. الفيروسات مثلاً، والتى أثبتت جدارتها كأمثلةٍ للتخطيط العبقري الشيطاني، تستغل

(١) أشرنا إلى ما أسماه جورج مور مغالطة المذهب الطبيعاني فى الهامش الخامس بالحدسية، وقلنا إن الحدسيين يرون استحالة استخلاص القيم من الوقائع أو الانتقال مما هو كائن إلى ما ينبغى أن يكون، ويرون فى هذا الانتقال مغالطة واضحة مادام عالم القيمة قائم بذاته ونسيج وحده. (المترجم)

ضعف الكائنات البيولوجية الأخرى. ولكن إذا كانت تلك الكائنات نفسها مصممة جيداً لتوقع المرء أن تكون محصنة من الفيروسات<sup>(٢٩)</sup>

## الخلق

يتضمن الدليل الكوني والغائي كلاهما الفكرة المشتركة القائلة إنه لا يمكن تفسير وجود العالم، بما يبدى من نظام وغرضية، إلا بأن الرب قد خلقه. والخلق كما أُلحنا أنفأ، ويخالف الصنع المعتاد من المواد الخام الموجودة، يفترض أنه خلق من عدم *ex nihilo* (من لا شيء). وقد بين الفلاسفة أننا نحن البشر ليس لدينا تصور عما يكونه الخلق من لا شيء. ليس يعنى هذا أن الخلق من لا شيء لا يمكن أن يكون قد حدث. غير أنه يعنى بالتأكيد أن مفهوم الخلق من لا شيء لا يجدى نفعا فى تشييد تفسيرات.

## مشكلة الشر

### المشكلة الأساسية

'مشكلة الشر' هو الاسم الذى يطلق على مشكلة فريدة تبرز فى سياق الإيمان بالرب. وهى بصفة جوهرية مشكلة تفسير كيف يمكن أن يوجد الشر إذا كان الرب موجوداً. ويمكننا أن نصوغ المشكلة باقتصاد شديد بوصفها ثلاثياً غير متسق (الثلاثى غير المتسق هو مجموعة مكونة من ثلاث عبارات، يتضمن صدق أى اثنتين منها كذب الثالثة). والثلاثى غير المتسق الذى نعنيه هنا يمكن صياغته كما يلى:

(٢٩) أبسط رد على المؤلف هو اكتشاف جهاز المناعة، على أية حال هذه مسألة يطول فيها الجدل، وغير صحيح أن الفلاسفة المعاصرين لا يأخذون بهذه الحجة، ثمة من الفلاسفة والعلماء المعاصرين من عاد إليها بحماس أشد فى ضوء مكتشفات العلم الحديث. ( المراجعة)

(١) الرب كلى القدرة

(٢) الرب كلى الخير

(٣) الشر موجود

على أن نفهم 'الشر' هنا على أنه يعنى الشيء المؤسف فى صميمه- أو أى شيء هو فى ذاته سلبى، أو أى شيء العالمُ خَلِيقٌ أن يكون أفضلَ حالاً بدونه. من المسلّم به بعامة أن الألم والمعاناة الجسديين هما مثالان للشر بهذا المعنى. ومن ثم يبدو واضحاً تماماً لماذا يرى كثيرون من الفلاسفة أن (١) و (٢) و (٣) تشكل ثالوثاً غير متسق: ذلك أن (١) و (٢) تتضمن أن الرب حرى أن يريد منع أى مثال من الشر. لذلك فإذا كانت (١) و (٢) صادقتين فإن (٣) لابد من أن تكون كاذبة.

ثمة احتمالان آخران. افترض أن (١) و (٣) صادقتان، أى افترض أنه رغم وجود إله كلى القدرة فإن الشر موجود. يبدو من ثم أن (٢) كاذبة، أى يبدو كأن من الكذب أن الرب يريد أن يمنع الشر. وافترض أخيراً أن (٢) و (٣) صادقتان، أى أن الشر موجود رغم أن الرب يريد منعه. إنه ليبدو إذن كأن الرب لا يستطيع منع الشر، مما يعنى أن (١) كاذبة.

## وجود الشر

ذهب بعض الفلاسفة بالفعل إلى أن العبارة (٣) كاذبة. وقد قُدِّمَت كثيرٌ من الحجج المعقدة والدقيقة على مر القرون لكى تفسر الوجود الظاهرى للشر وتبين أنه غير حقيقى. هل من الجائز أن شيئاً كالآلم ينبغى أن يتكشف أنه ليس شراً؟ أى حجة أمكنها أن تُثَبِّتَ ذلك؟ يحاج البعض أحياناً إما بأن الآلم يؤدى وظيفة، وإما بأن الآلم ضرورى (وبالتالى يتبين أنه ليس شراً). فكيف ينبغى أن نقيم هذه المقاربة؟

أولاً، حتى لو كان الألم يؤدي وظيفة ( تنبيه الكائنات العضوية إلى حالاتٍ سلبية لأجسامهم ) فهذا ليس يعنى أن الألم نفسه ليس مؤسفاً فى صميمه. صحيح أننا قد نميل إلى تحمل شيء ما هو فى ذاته شر إذا كان يسدى إلينا بعض الخير، غير أن الشر الذى نتحمله بهذه الطريقة لا يتحول إلى خير. وحتى لو أن الطبيعة كانت عاجزة فمن المفترض أن الرب (لكونه شامل العلم والقدرة) كان قادراً على خلق جهاز إنذار لا يتضمن الألم.

ثانياً، حتى لو كان الألم ضرورياً، فهذا ليس يعنى أن الألم ليس شراً؛ وكل ما يعنيه هو أن الألم شرٌ ضرورى ( شرٌ لا بد منه ). إن معظمنا يرى أن بعض الألم شر لا بد منه. بهذا التوجه فإننى أدع طبيب الأسنان يسبب لى الألم لأنى أعتقد أن الألم ضرورى من أجل صحة أسناني على المدى الطويل ( والذى يعنى بدوره، بين ما يعنيه، مستقبلاً أقل ألماً ). يعمد البشرُ نوايا الخير إلى محو الألم ما استطاعوا، رغم أن من الواضح أن كثيراً من الألم يظل قائماً. فهل ثمة من ألم لم يمكن للرب محوه ؟ ذاك سؤالٌ عسير، وسؤال لم يجب عنه جميع الفلاسفة على نحوٍ واحد (٣٠)

## حجة للإلحاد

من المحتمل أن مشكلة الشر تزود الملاحدة بأقوى حججهم. يحاجُّ الملحدُّ كما يلى: الرب، بحكم التعريف، موجود ينبغى أن يكون شامل القدرة وشامل الخير معاً. وحيث إن العبارة (٣) فى مثالنا السابق (الشر موجود) واضحة الصدق، فإما أن العبارة (١) وإما أن العبارة (٢) هى كاذبة بالضرورة. ولا يهم حقاً أيتهما الكاذبة، لأنه إذا كانت

(٣٠) وأيضاً يمكن أن يقال إن الألم ضرورى لى نقدر نعمة البرء منه، لماذا يتجاهل المؤلف كثيراً من الحجج المقنعة القوية فى هذا الصدد. (المراجعة)

أى منهما كاذبة لثبت أنه ليس هناك موجود شامل القدرة والخير معاً. إذن الرب غير موجود. إن الافتراض الحاسم هنا (والذى لن يقبله كثير من المؤمنين بالرب) هو عدم تساوق العبارات الثلاث. فإذا ما تكشف أن العبارات (١) و (٢) و (٣) متساوقة فإن حجة الملحد تسقط.

### دعوى الاتساق لدى المؤمنين

معظم المؤمنين الباحثين فى مشكلة الشر لم يعمدوا إلى إنكار وجود الشر، بل اعتبروا، بعامة، هذا الإنكار خطة يائسة وبعيدة عن الواقعية كل البعد. وذهبوا بدلاً من ذلك إلى أن العبارات (١) و (٢) و (٣) متسقة: أى أنها يمكن أن تكون كلها صادقة.

### الدفع بحرية الإرادة

أقوى الحجج التى يقدمها المؤمنون إقناعاً تسمى: 'دفاع حرية الإرادة': ما كان للرب شامل القدرة والخير أن يخلق أفضل العوالم الممكنة دون أن يهب بعض المخلوقات إرادة حرة. ومادامت بعض المخلوقات لديها إرادة حرة فإن بوسعها أن تستخدم هذه الحرية بطريقة تجلب الشر. وإذا عبرنا عن ذلك بقصة معروفة من الكتاب المقدس لقلنا إن الفريديوس كان ممكناً وحقيقاً أن يدوم لو لم يكن آدم قد اختار أن يأكل الفاكهة المحرمة. أما السؤال عما إذا كان الشر كله يمكن أن يُرد إلى معصية آدم (أو معاصي غيره من البشر) فليس هو بالسؤال الذى يمكن حسمه ببساطة. والحق أنه ليست هناك طريقة محايدة لوصف البيانات يمكن أن تحظى بقبول المؤمنين والملحدين على حد سواء.

## الدفع بتجاوز الفهم

يميل المؤمن إلى الاعتقاد بأن وجود الشر لا بد من أن يكون متساوياً مع وجود إله كلى الخير والقدرة حتى لو عجز البشر عن أن يفهموا كيف يمكن ذلك. هاهنا أيضاً موطن يرى المؤمنون فيه الأشياء بطريقة مختلفة عن غير المؤمنين اختلافاً بعيداً.

## خلود الروح

من المرجح أن الاعتقادات الدينية والرؤى الميتافيزيقية يؤثر كل منهما في الآخر. فصاحب النزعة الفيزيائية في الميتافيزيقا، على سبيل المثال، لا يمكن أن يكون متسقاً مع نفسه إذا اعتقد أن لديه روحاً لامادية. وستكون لمثل هذا الشخص المشكلة نفسها بصدد الرب والملائكة، مادام الرب والملائكة أرواحاً. إلا أن التأثير لدى معظم الناس هو في الاتجاه الآخر: فلأنهم يؤمنون بالرب والأرواح والملائكة فإنهم يستنتجون أن النزعة الفيزيائية غير صحيحة.

لا يملك الفلاسفة، بطبيعة الحال، أن ينبئوا الناس بما ينبغي عليهم الاعتقاد به اعتقاداً إيمانياً. إنما يقصرون جهدهم على سؤالين: (١) هل مفهوم الروح البشرية (أو أى روح خالصة بصفة عامة) هو مفهوم متسق مع ذاته؟ (٢) بمعزل عن أى شيء يستند على الإيمان أو الوحي، هل ثمة أى دليل على وجود أرواح بشرية أو موجودات روحية أخرى؟

## الاتساق

رغم أن فكرة الروح الشخصية هي فكرة مألوفة غاية الإلف، ورغم أن كثيرين من الناس يسلمون تسليماً بأن لديهم أرواحاً، فإن الفلاسفة غير مطمئنين فيما إذا كان

مفهوم الروح متسقاً داخلياً. ربما تكون الصعوبة الأساسية هي أن أغلب تفكيرنا - حتى تفكيرنا عن الأشخاص - يفترض أن ما نفكر فيه له هيئة الشيء الفيزيقي أو المادى. فالأشخاص، سواء كانوا أرواحاً بعد موتهم أم لا، هم، على الأقل فى هذه الحياة، ماديون جزئياً (جسميون). فهل بإمكان تفكيرنا إذن، وقد صُمِّمَ لكى يلائم المادى، أن يتحول إلى اللامادى؟

## الموضع والحركة

للأشخاص مواضع مكانية. فهل لأرواحهم أيضاً مواضع مكانية؟ ينطوى هذا على تساؤل عن الاتساق، لأنه يطرح مسألة هل يمكننا أن نفترض، على نحو مترابط، أن شيئاً ليس جسماً يكون على مسافة معينة من أشياء مادية مختلفة. فإذا استحال القول بأن روحاً معينة هي على مسافات مختلفة من أشياء مادية معينة لاستحالة إذن أن نُقيِّض للروح أى موضع مكانى. غير أننا عندئذ لا يمكننا (أو لا يمكن بالطريقة العادية على الأقل) أن نصور الروح على أنها رفيق جسدنا، ولا أن نقول بشكل متسق إن الروح تغادر الجسم عند الموت، رغم أن شيئاً من هذا يردده المتدينون كثيراً (ويعتقدون فيه).

مرة ثانية، رغم أن الناس تصور الأرواح (والملائكة أيضاً فى المعتاد) على أنها قادرة على الحركة، فإن هذا لا يكون له معنى إلا إذا كان من الممكن أن يكون للأرواح (والملائكة) مواضع مكانية (مادامت الحركة هي، ببساطة، تغير الموضع). ربما تزودنا الفيزياء الحديثة فى نهاية المطاف بمخطط تصورى أكثر تساوقاً مع الأرواح من تصور حسناً المشترك الحالى لأشياء ماكروسكوبية موضوعة ببساطة. غير أن هذا الحديث سابق جداً لأوانه<sup>(٢١)</sup>

(٢١) هنا خلط ولغو فى الحديث عن مفهوم الروح، شبيه بالخلط الذى خاض فيه المؤلف حين الحديث عن مفهوم الألوهية، فهو مرة أخرى يعمل مبدأ التحقق التجريبي ضمناً، ويفترض تصور كل شيء على غرار الموجودات الحسية التجريبية، فيأتى حديثه عن الروح وكأنه غير ذى علاقة بمفهوم الروح!!! (المراجعة)

## التفكير والخبرة

من المفترض أن أولئك الذين يؤمنون بالأرواح يصورونها على أنها قادرة على كل من التفكير والخبرة. ومرة ثانية تكمن الصعوبة هنا فى رسم وصف للتفكير والخبرة اللذين لا يتضمنان الجسمى بشكل أساسى. فالخبرة المعتادة كثيراً ما تتصل اتصالاً وثيقاً بالإحساسات الجسمية كالإبصار والسمع. وكذلك الأمر بالنسبة للتفكير، فكثير من تفكيرنا تثيره المنبهات الحسية ( أو هو تفكير عنها أو قائم على ذكريات لها ). فماذا يتبقى لنا عندما يؤخذ منا كل هذا؟ (من الأسئلة الشائقة هنا سؤال يتعلق بما إذا كان بالإمكان تصور الروح قادرة ما تزال، وهى منفصلة عن الجسم، على أن تعى أى شىء جديد.

## التعقيد والبساطة

ثمة اعتبار يزيد من الصعوبة التى نجدها حين نحاول فهم الكيفية التى يمكن بها لروح (أو ملاك) أن يحوز أفكاراً وخبرات: فيبدو أن الأفكار والخبرات تنطوى على تعقد داخلى معين. وهو تعقد مغاير لتعقد الآلية الفسيولوجية العصبية المتضمنة عادة (والمتضمنة بالضرورة عند صاحب النزعة الفيزيائية) فى عملية احتيازنا لأفكار وخبرات، إنما هو التعقد الداخلى للأفكار والخبرات ذاتها، تعقد مضامينها. والسؤال هو كيف ينبغى أن نتصور الروح إذ تتعامل مع هذا المضمون المعقد. هل يمكن أن تُصوّر الروح ذاتها كشىء معقد.

أحد التصورات عن الأرواح، ولعله التصور السائد، يقول بأن الأرواح ليس لديها أجزاء. ولكن كيف يمكن لشيء ليس له أجزاء أن يحوز أفكاراً غير بسيطة وخبرات غير بسيطة؟ الحق أنه إذا كان لروح فكرة أو خبرة ولكنها غير متماهية مع تلك الفكرة أو الخبرة لترتب على ذلك أن الروح لا بد من أن تكون معقدة. تكمن الصعوبة الأساسية هنا فى أن أفكارنا عن الكليات والأجزاء، وهى التى تكونت بالنظر

إلى الأشياء المادية، لا تنطبق بوضوح على الأرواح البشرية أو الأرواح بعامة. (هذه المشكلة تنسحب أيضاً على تصورنا عن الرب، الذي يُتَصَوَّر أيضاً على أنه بلا أجزاء، أى 'بسيط'). [!!!!]

## الخلود

عرضنا حتى الآن لمصاعب معينة تبرز لنا ونحن بصدد مفهوم الروح نفسها. (٣٢) وهذه هي أصعب المسائل من الوجهة الفلسفية. لأنه إذا أمكن أن تكون هناك أرواح - أى إذا كان مفهوم الروح متسقاً ذاتياً - لبدا أنه لا مانع من أن تكون هذه الأرواح خالدة. ودعوى خلود الروح هي الدعوى القائلة بأن الأرواح، رغم أنها أتت إلى الوجود فى لحظة زمانية معينة، سوف لن تغادر الوجود أبداً. قد يبدو ذلك مدهشاً لأن أغلب الأشياء المألوفة لدينا، إن لم يكن كلها، ينتهى وجودها فى نهاية المطاف. فمعظم الأشياء تتكون من أجزاء، ومن ثم فهي قابلة للتفكك، أو التفكك، أو التفتت إرباً إرباً بمعنى الكلمة. فإذا كانت الأرواح البشرية، كالأرواح كلها، هي حقاً بلا أجزاء، فلا يمكن إذن أن تعاني نفس المصير الذى يلحق بالأشياء المادية المعتادة.

وإنه ليقال فعلاً، فى بعض الأحيان، بأن الطريقة الوحيدة التى يمكن أن تكف بها الروح عن الوجود هي من خلال الفناء annihilation . والفناء هو النظير السلبي للخلق، وهو، شأنه شأن الخلق، لا يمكن أن يقوم به سوى الرب. وبما أنه أمر يقدر عليه الرب، فمعنى ذلك أنه فيما يمكن اعتبار الأرواح خالدة أو دائمة دون تناقض، فإنه لا تناقض أيضاً فى فكرة فناء الروح أو تصور روح ينتهى وجودها.

(٣٢) من الواضح أن هذه المصاعب خلقها المؤلف لنفسه بفعل استخدام منهجه التحليلي فى غير موضعه، وهى تبرز له وحده وليس من الضروري أن تلزم سواه. (المراجعة)

## الدليل

هل ثمة أدلة جديرة بإقناع أى شخص عقلاى ومنصف بأن هناك أرواحاً؟ ليس هذا بالسؤال الذى يجاب عنه جواباً شافياً للجميع على الإطلاق. يدخل فى المشكلة أن بعض الناس يعتقد أن هناك أدلة على وجود عالم فائق للطبيعة، شىء لا يشبه عالمنا المادى الاعتيادى من قريب أو بعيد. تشمل هذه الأدلة الدعاء المستجاب، والمشاعر الباطنية المبهمة، والظواهر الخارقة، والرؤى بمختلف أنواعها، وحدث المعجزات. فإذا كان هناك عالم فائق للطبيعة فقد يُرى أن ذلك يستلزم، بحسب الإطار المرجعى الدينى، وجود الرب والملائكة والأرواح.

ويعتقد آخرون أن هناك، علاوة على ذلك، حججاً فلسفية خالصة لوجود الأرواح. ( وهذه لا تعدو أن تكون حجج الثنائية الديكارتية ). ولكن قلما يعتقد أحد أن هناك حججاً فلسفية خالصة وغير معتمدة على الإيمان أو الوعى تبرهن على خلود الروح.

## الخبرة الدينية

### تعريف

تعد خبرة ما خبرةً دينية إذا وفقط إذا كانت خبرة بما هو فائق للطبيعة. قد يشمل ذلك خبرات بالرب والملائكة والأشخاص الذين هم موتى الآن كالقديسين الذين يعتبرون مرسلين من الرب. وفى بعض الديانات تأتى خبرة الفائق للطبيعة فى صورة مطلقة العنان وغير فردية. وينبغى حقاً أن نذكر أن تنوعاً هائلاً من الخبرات المتباينة قد تم وصفها على أنها خبرات دينية. وقد دأب بعض الناس على الزعم بأن خبرة التوحد مع العالم، رغم أنها لا تشتمل على الفائق للطبيعة، ينبغى أن تُعد خبرة دينية.

هامى حالة لكلمة تُستخدم فى البداية لوصف مجموعة من الحالات الشديدة التنوع ( وإن تضمنت الفائق للطبيعة كقاسم مشترك ) ثم تمضى فتنسحب على حالات أخرى شبيهة بها فى بعض الأوجه وإن لم تتضمن الفائق للطبيعة. أما الخبرات الدينية الشديدة الوهج، والتي يبدو أنها تضع صاحب الخبرة فى اتصال مباشر بالرب بحيث تنحل حدود الذات مؤقتاً، فيطلق عليها الخبرات الصوفية *mystical experiences* .

### دلالة الخبرات الدينية

لاشك أن كثيراً من الناس قد مروا بخبرات استثنائية تماماً، وتركوا لنا فى سيرهم الذاتية وصفاً مطلق الصديق لهذه الخبرات. (تتفق كلها تقريباً فى القول بأن اللغة البشرية عاجزة تماماً عن وصف هذه الخبرات). يتمثل السؤال الفلسفى الأساسى هنا فيما إذا كانت مثل هذه الخبرات الدينية تقدم دليلاً مقنعاً لكل شخص منصف وعقلانى بأن هناك عالماً فائقاً للطبيعة. وقد يبدو حقاً لأول وهلة أنه إذا كان هناك فعلاً خبرات بالفائق للطبيعة للزم عن ذلك أن يكون الفائق للطبيعة موجوداً. أليس غنياً عن القول أنه إذا لم يكن موجوداً لما أمكن أن يخبره أحد. إن المبدأ العام صحيح: فوجود خبرات عن الفيلة هو دليل على وجود الفيلة، لأنه إذا لم تكن الفيلة موجودة لما أمكن أن يخبرها أحد. ولكن عندما يقع لى وأنا فى حوض الاستحمام خبرة أولها أو أخذها على أنها خبرة بفيل، فما يزال ثمة احتمال بأن ليس هناك فيل فى حوضى، وأننى قد أكون مهلوساً على أية حال.

ولعلنا جميعاً نعرف، فى مواقف أقل درامية، أنه قد يساء تفسير الخبرات أو تأويلها أو وصفها. ليس معنى ذلك أن الخبرة التى توصف على أنها دينية (أو متصلة بالفائق للطبيعة) هى دائماً خبرة أسىء وصفها، بل تعنى ببساطة أن هذا احتمال علينا أن نضعه.

## تفسير الخبرات الدينية

أحياناً ما يقال أيضاً إن السبيل الوحيد لتفسير حدوث الخبرات الدينية هو أن نسلّم بضربٍ ما من السببية الفائقة للطبيعة. وليس من السهل أن نقيّم هذه الدعوى. فنحن، أولاً وقبل كل شيء، ليس متوافراً لدينا في الأغلب تفسير مفصل يبين لنا لماذا يفكر الناس بما يفكرون به، ويشعرون بما يشعرون به، وتكون لديهم، بعامة، تلك الحياة الباطنة التي لديهم. يتجلى ذلك في حالة الفنانين الكبار. فنحن لا نعرف لماذا بالضبط، أو كيف بالتحديد ارتأى شكسبير في عقله كل هذه الأبيات الشعرية المذهلة. ("لأنه كان عبقرياً" تبدو تفسيراً زائفاً مترهلاً). غير أن هذا لا يؤدي بنا، أو، بتعبير أدق، لا ينبغي أن يؤدي بنا إلى افتراض معجزة في حالة شكسبير، أو القول بأن الرب كان يلهمه على نحو مباشر. ليس بإمكاننا أن ننفي التفسير الطبيعي الخالص<sup>(٣٢)</sup> لا في حالة فنان عظيم مثل شكسبير ولا في حالة خبرة دينية أو خبرة يدعى أنها دينية.

## مجمل

يظل الدين، بصورة أو بأخرى، يضطلع بدور مهم في حياة الناس. ولقد ألهم التأمل الفلسفي، كما رأينا، على طول المدى في أكثر من منْحَى. (علينا أن نتذكر أن الفلسفة تركز على عدد صغير نسبياً من المفاهيم العامة، وأنها لا تهدف إلى أن تكون بديلاً عن الدراسات الأكثر تفصيلاً للأشكال الدينية). ركزت أغلب مباحث الدين داخل

(٣٢) بآى حق يفترض أن التفسير الطبيعي الخالص هو فقط التفسير الوحيد المقبول ولا ينبغي لنا أن ننفيه أو نقر بقصوره في بعض مواطن الوجود والتجربة البشرية !!! إنه بهذا يخلق أمام نفسه أبواب الخبرة الدينية، لذلك لم يكن أميناً في عرضه لها، إذ تجاهل جهود فلسفية وفيرة، ثرة وخصيبة في هذا الصدد. (المراجعة)

الفلسفة على الموضوعات التالية: (٢٤) (١) كيف ترتبط الالتزامات الدينية (القائمة بطبيعتها على الإيمان والوحي) بالعقلانية. (٢) ما إذا كانت اللغة الدينية تتحلى بمعنى معرفي. (٣) كيف ينبغي تصور الرب. (٤) ما إذا كان وجود الرب أمراً يمكن إثباته عقلياً. (٥) ما إذا كان وجود الشر يمثل مشكلة بالنسبة إلى الإيمان. (٦) ما إذا كان ممكناً أن يكون للبشر أرواح خالدة. (٧) ما المقصود بـ "الخبرة الدينية".

في بحثهم في هذه الموضوعات جميعاً، ينبغي على فلاسفة الدين أن يتجربوا من أية التزامات دينية شخصية قد تكون لديهم، حتى يتسنى لهم تمحيص اللغة الدينية بطريقة محايدة منصفة. لا يمكن للفيلسوف في مجال الدين، كما هو الحال في أى مجال آخر، أن يفترض أن اللغة المألوفة لها معنى معرفي.

ولا يمكن للفيلسوف، أخيراً، أن يفترض ابتداءً أن دعاوى الدين صادقة. فليس ما يمنع على أية حال أن يكون شيء ما محل إيمان كثير من الناس ثم يتكشف أنه كاذب. على الفيلسوف أن ينظر في أمرين معاً: هل ثمة دليل يؤيد الدعاوى المركزية للدين- وبخاصة دعاوى وجود الرب؟ وهل ثمة أية حجج كافية بإقناع ذوى العقول بأن دعاوى الدين صادقة<sup>(٢٥)</sup>؟ وعلينا دائماً، بطبيعة الحال، أن نتذكر أن دعاوى ما قد تكون صادقة حتى لو لم يكن لدينا دليل يدعمها أو حجة تثبتها.

(٢٤) كما لاحظنا فيما سبق، وكما سيرد الآن، هذه الموضوعات تتمحور أولاً حول العقل والعقلانية والمعرفية. هكذا نجد المؤلف بحكم منزعه التحليلي يفض البصر عن قطاع كبير من الفلسفة أو يعجز عن رؤيته، ألا وهو القطاع الذي يحوى الاتجاهات المتجاوزة للعقلانية كالصوفية والحدسية والرومانسية....إنها الفلسفات التي ترى أن العقل له مجاله المحدود وثمة مجالات أخرى لا ينالها العقل هي الأثرى والأخصب، إنها حالات الحدس والعاطفة والشعور والغريزة والإلهام والإرادة والوجدان.....إلخ، ومن قبل ومن بعد الوحي الدينى. هذه المجالات التي شغلت الرهط الأكبر من عمالقة الفلسفة مغلقة بسبعة أختام أمام الفلسفة التحليلية التي قامت أصلاً لتناصبها العداء... على كل هذا لا نندمش إذ أتى عرض فلسفة الدين شأنها ومبتسرها هكذا. (المراجعة)

(٢٥) وماذا عن ذوى البصائر وذوى القلوب وذوى النفوس، فكما أشرنا في الهامش السابق توأ، ليست العقلانية كل شيء ولا هي مستوعبة لسانر أبعاد الوجود، وهذه قضية مرفوعة على رؤوس الأشهاد فى الفلسفة الغربية ذاتها، كرد فعل على عصر التنوير فى القرن الثامن عشر، فما بالنّا بثقافتنا العربية الإسلامية. (المراجعة)



## الفصل التاسع

### علم الجمال

#### مدخل

يتناول علم الجمال (الإستطيقا (Aesthetics) المشكلات التصورية المتصلة سواء بالموضوعات الجميلة بطبيعتها مثل الجبال ومشاهد الغروب، أو بالأعمال الفنية مثل اللوحات التشكيلية والسيمفونيات. وهو بالتالى أشمل من فلسفة الفن التى تقتصر على الأشياء (الأشياء التى هى من صنع الإنسان). والسؤال الأول الذى يسترعى النظر هنا هو: هل الجبال ومشاهد الغروب واللوحات الفنية والسيمفونيات تشكل فئة متجانسة لها خصائص عامة ذات شأن؟ وهو سؤال يستعصى بدوره على الإجابة الشافية ما لم نتناول سؤالا آخر هو: هل الأعمال الفنية ذاتها تشكل فئة موحدة؟ بعبارة أخرى، هل تنطوى جميع الأعمال الصُنعِيّة التى تُعد أَعْمَالاً فنية على خصائص ذات مغزى؟

أما أولئك الذين يجيبون بالنفى فيرون أن مفهوم العمل الفنى هو مفهوم تشابه أسرى. ووفقا لهذه الوجهة من النظر، فإن الأعمال الفنية بتنوعها الهائل الذى يتعذر اختزاله بها أوجه تشابه وأوجه اختلاف تتقاطع مع بعضها البعض بطريقة معقدة، وإن ما يندرج تحت مقولة الفن يعتمد، جزئيا على الأقل، على أحكام متغيرة على مر التاريخ حول الطريقة التى بها ينبغى تقويم هذه التشابهات والاختلافات. وقد يحدو التطرفُ بالبعض إلى حد القول إن الأطراف ذات المصلحة فيما

يعد عملاً فنياً - وكثيراً جداً ما تكون هذه المصلحة اقتصادية صريحة - ينخرطون في نوع من التفاوض بشأن العناصر المختلفة التي تدخل في مقولة الفن أو تخرج عنها، بما يستتبعه ذلك من دعاوى ودعاوى مضادة وحلول وسطى. ويطلق اسم النظرية المؤسسية للفن institutional theory of art على تلك الفرضية القائلة إن المتاحف وصالات العرض والنقاد الرسميين وما على ذلك هي الواضع الفعلي لشروط ما يُعد عملاً فنياً.

غير أن معظم الفلاسفة يرفضون التفسير التاريخي/الاجتماعي لبحث مواصفات ما يُعد فناً. وعلى الرغم من أن الأعمال الفنية تؤلف فئة شديدة التباين والتنوع، فما تزال هناك بعض السمات العامة اللافتة التي يمكن أن تجمع بينها. وفيما يلي بعض السمات المقترحة التي سوف نبحثها في هذا الفصل:

(١) جميع الأعمال الفنية تتطلب منا أن ننظر إليها بتوجه معين: هو التقدير المنزه عن الغرض العملي، حتى أننا نهوى الأعمال الفنية على الرغم من علمنا بأنها بطبيعتها لا تخدم أي غرض عملي.

(٢) تتحلى جميع الأعمال الفنية بخصائص شكلية معينة<sup>(٣٦)</sup> ويعد الشكل الإستطقي (الجمالي) مفهوماً صعباً. وهو في الحقيقة مفهوم يتحدى أية محاولة نبذلها للتعريف اللفظي مهما بلغت؛ غير أن هذا لا ينفي أننا نتعرف في كل نمط من أنماط الفن على شواهد أو تجليات لهذا الشكل الإستطقي.

(٣) تفضي جميع الأعمال الفنية إلى خبرات معينة وخاصة، تعرف بالخبرات الإستطقية (الجمالية).

(٤) تبعث الأعمال الفنية نوعاً خاصاً من المتعة في نفس من يتذوقونها.

(٣٦) فيما سبق وضعنا صورة كمقابل لمصطلح form وبالتالي الصورية أو النزعة الصورية كمقابلة لمصطلح formalism، لأن الصورة هي المقابل للمضمون وكان ذلك هو المطلوب في ذلك السياق. أما حين الحديث عن الفن والأعمال التي تحتل الصور مكانة عظمى فيها، لا يبدو مصطلح الصورة موائماً، لذلك وضعنا هنا الشكل كترجمة لـ form والشكلانية كترجمة لـ formalism. الشكل والشكلانية أليق بالإستطيقا وفلسفة الفن. (المراجعة)

هـ) تعد جميع الأعمال الفنية مصدرا لنوع خاص من المعرفة.

ليس هناك تعارض بين هذه السمات الخمس، وليس ثمة ما يمنع فى واقع الأمر أن تكون جميعا صحيحة. والحق أنها جميعا قد تسهم فى تفسير واحد لتلك المكانة الكبيرة التى يحظى بها الفن فى حياتنا.

وعبر التاريخ طُرحت تصورات أخرى كثيرة لتفسير طبيعة الفن. فنظريات التقليد أو المحاكاة تذهب إلى أننا نقدر الأعمال الفنية لأنها طرائق ناجحة بدرجة كبيرة لمحاكاة الطبيعة. بينما تذهب النظريات التعبيرية إلى أننا نقدر الأعمال الفنية لأنها طرائق مؤثرة بدرجة كبيرة للتعبير عن أعماق مشاعرنا. \_ فكل من هذين النمطين من النظريات قد أصاب جانبا من الحقيقة بشأن وظيفة الفن).

وأخيرا هناك مسألة موضوعية التذوق الفنى. ومن الواضح أن الناس لا تتفق جميعاً على تفضيل الأعمال الفنية نفسها. فهل ثمة، رغم ذلك معيار موضوعى ما يُفترض أن يفضل المرء بمقتضاه العمل س على العمل ص؟ وهل هناك وجه لانتقاده لو أنه فضل العمل ص على العمل س؟ ليس هناك اتفاق بين فلاسفة الفن على الطريقة التى يجيبون بها على هذه الأسئلة<sup>(٣٧)</sup>

## علم الجمال وفلسفة الفن

### أصل الكلمة

يأتى مصطلح إستطيقا aesthetics (علم الجمال) من الكلمة اليونانية aistheton وتعنى 'ممكّن إدراكه بالحواس'. وهو على أية حال دخل كمصطلح فلسفى حديث فقط

(٣٧) فى هذا الفصل الأخير نسال المؤلف ما جدوى هذه العبارة التى كررها من قبل مرات عديدة، وكأن هدف الفلسفة هو الاتفاق والإجماع!! إن القيمة الحقيقية للفلسفة فى رأينا هى أن تعلمنا الرأى والرأى الآخر، لذلك تمثل الفلسفة صمام الأمان الذى يقينا مغبة التطرف والتعصب، وهذا هدف جميل من أهداف التفلسف. (المراجعة)

فى العام ١٧٥٠، حين وضعه أ. ج. باوجارتن A.G. Baumgarten (١٧١٤ - ١٧٦٢). وهو - كما استخدمه باومجارتن - العلم الخاص بالمعرفة المحصلة عن طريق الحواس (أو ما يُسمى بالمعرفة الحسية) كمقابل للمنطق أو العلم الخاص بالمعرفة المُحصلة بالفكر الخالص (أو ما يسمى بالمعرفة الفكرية). وقد ذهب باومجارتن أيضا إلى أن غاية الإستطيقا هى الجمال بينما غاية المنطق هى الحقيقة. ومن هذه الفكرة يأتى الاستخدام المميز للإستطيقا أى علم الجمال<sup>(٣٨)</sup>

أما كلمة (فن) فكانت فى الأصل تعنى: مهارة، قدرة، صنعة؛ بمعنى مماثل للكلمة اليونانية *techne* (التي نشق منها كلمات مثل تقنى *technique* أى أسلوب فنى، طريقة فنية للإنجاز، تكنيك، و *technical* أى خاص بالأساليب الفنية للعمل فى الصناعة والعلم وما إليه). وقد كان العمل الفنى فى العالم القديم يعنى ببساطة أى موضوع يتطلب فى إنتاجه مهارة وصناعة. وبداية من أواسط القرن السابع عشر، وبكثير من الأناة والتدرج، انتهى تعبير 'العمل الفنى' ليعنى 'عملاً' من أعمال الفنون الجميلة *fine art* أو الفنون الرفيعة *high art*. وكجزء من هذا التحول التاريخى نفسه، أصبح الفنان *artist* من حيث هو مبدع مستقل متميزا عن الصانع *artisan* أو الحرفى *craftsperson* الذى يمارس مهاراته لكى يرضى مطالب زبائنه لا أكثر.

## الأشياء الطبيعية والأشياء الصُنعية

إن بعض الأشياء الكائنة بالطبيعة كالصخور والبلورات وأصداف البحر، وكذلك فى مظاهر الطبيعة العظيمة الحجم كالجبال والسحب والشلالات، يجد فيها كثير من الناس متعة إدراكية، فهى فى خبرتهم موضوعات ممتعة (تسر الناظرين)، بل جليلة توحى بالرهبة، خاصة فى حالة الظواهر الكبرى. من الواضح أن هذا النوع من

(٣٨) نلاحظ أن المقابل العربى المعتمد للإستطيقا، أى علم الجمال، مباشر وأكثر تعبيرا وأشد كفاءة. (المراجعة)

التقدير والاستمتاع بالطبيعة يختلف عن تلك النظرة العملية الضيقة التي تنظر إلى الصخور بوصفها مادة ممكنة للبناء، وإلى أصداف البحر كمصدر ممكن للغذاء....إلخ. إن اهتمامنا غير العملي (التأملى المنزه عن الغرض) بالطبيعة يشبه إلى حد كبير الاهتمام الذى نوليه تلك الموضوعات الصُّنعية التى تمثل أعمالاً فنية. (لاحظ أن تعبير 'منزه عن الغرض' disinterested<sup>(٣٩)</sup> يستعمل فى علم الجمال كمصطلح تكتيكى بمعنى غير 'عملى').

ويمكن تقسيم الأشياء الصُّنعية artifacts إلى فئات عامة ثلاث:

- (١) موضوعات مفيدة عملياً لكن دون إمتاع منزه عن الغرض.
  - (٢) موضوعات مفيدة عملياً وممتعة بتنزه عن الغرض.
  - (٣) موضوعات غير مفيدة عملياً ولكنها ممتعة بتنزه عن الغرض.
- وتندرج الأعمال الفنية فى هذه الفئة الثالثة.

### الأعمال الفنية والموضوعات الطبيعية

حيث أن كثيراً من الموضوعات الطبيعية ومظاهر الطبيعة الهائلة والأعمال الفنية تلتقى فى أنها ممتعة بمعزل عن المنفعة العملية، فقد يبدو أنها جميعاً يمكن أن تنصوى تحت تصنيف واحد هو مقولة الإستطيقى أى الجمالى aest . غير أن هناك عدد من الاعتراضات تقف فى هذا السبيل:

- (١) بمقدور الأعمال الفنية أن تعبر عن أفكار ومشاعر ولكن ليس بمقدور الطبيعة شىء من ذلك.

(٣٩) من الضرورى جداً أن نفرق بين تعبير 'منزه عن الغرض' disinterested وتعبير 'غير مهتم أو غير مكترث أو غير مبال' uninterested، ومما تعبيران كثيراً ما يخلط الناس بينهما حتى الناطقون الأصليون بالإنجليزية! ومن الضرورى أيضاً الحفاظ على هذه التفرقة وعدم التسامح فيها. (المراجعة)

(٢) الأعمال الفنية - كالجمل اللغوية - بخلاف الموضوعات الطبيعية، يمكن أن تعنى شيئاً ما، أو بتعبير أوضح: الأعمال الفنية - كالجمل اللغوية - بخلاف الموضوعات الطبيعية، يمكن أن تجسد مقاصد اتصالية communicative intentions . فحين نقرأ قصيدة ما، نفترض أن من حقنا التساؤل "ماذا تريد هذه القصيدة أن تقول؟". ومن المؤكد أنه لا يجوز لنا أن نسأل هذا السؤال بعد أن ننظر إلى شلال أو سحابة.

(٣) بمقدور العمل الفني أن يحاكي الطبيعة (وأن ينال استحساناً من أجل ذلك)، لكن الطبيعة لا يمكنها أن تحاكي الطبيعة.

(٤) إن علم الجمال أو الإستطيقا من حيث هو مقولة منفردة - قد واجه اعتراضاً من خلال الاعتراض على صميم فكرة المتعة المنزهة عن الغرض. فتاريخ الفن يظهرنا على أن الفنان في كل الأحوال تقريباً كان يكلف بعمل اللوحات الفنية، وذلك لتحقيق أغراض عملية من قبيل تنمية الوازع الدينى أو دعم مكانة مالكي اللوحات أو كنوع من الاستثمار. إلا أن كل ما تثبته هذه الحجة هو أن الأعمال الفنية تقع في نطاق الفئة المهجنة التي تضم المفيد عملياً والممتع استطيقياً. وهى الفئة ذاتها التي تندرج فيها جميع تلك الأشياء الطبيعية التي يمكن أن نستعملها وأيضاً أن نستمتع بها.

## العمل الفني

### بوصفه مفهوم تشابه أسرى

#### التنوع

كثيراً ما يتهم الفلاسفة بأنهم مولعون بإضفاء الوحدة unity على الأشياء التي يتأملون فيها أكثر مما تحتمله هذه الأشياء بالفعل. ويبدو هذا الاتهام أكثر ما يكون وجاهة وقبولاً في حالة الأعمال الفنية. فهو اعتراض مفاده أنه من الضلال المبين أن

تبحث عن مفهوم موحد حين لا يكون أمامك سوى عدد ضئيل من الخصائص المشتركة. ومن الجلى الواضح أن الأعمال الفنية شديدة التنوع والتباين؛ فهناك أنماط عديدة وصنوف شتى من الأعمال الفنية مختلفة فيما بينها كل الاختلاف. وحسبك أن تنظر فى هذه القائمة من الأزواج، المختصرة غاية الاختصار: القصص والسيمفونيات، أعمال النحت وسوناتات البيانو، التصوير وقصائد الحب الغنائية، الباليه والتصوير بالألوان المائية. بل إن هناك، فضلا عن ذلك، تنوعا هائلا داخل التصنيف الواحد. خذ مثلا اللوحات الفنية: بعضها مصمم ليحكى قصصاً، وبعضها ليقدم معلومات بصرية عن موضوع مفرد، وبعضها يمثل حقائق الحياة اليومية المعيشة، وبعضها يمثل عوالم خيالية تماماً، وبعضها مولع بالألوان الحقيقية للأشياء، وبعضها يستخدم الألوان لكى يثير استجابات انفعالية - استجابات مختلفة متفاوتة. ويمكن لهذه القائمة أن تمتد إلى غير حد.

بل إن هذا الاعتراض القائم على التنوع يمضى إلى أبعد من ذلك، فيقول إنه ليس من الصحيح أن اللوحات الفنية جميعها تهدف إلى المتعة المنزهة. فعلى الرغم من أن بعض المفكرين الأوائل - جميع الكتاب الفنيين فى القرن الثامن عشر مثلاً - كانوا يسلمون تسليماً بأن الفن يجب أن يكون ممتعاً، فإن كثيراً من معاصرينا (سواء من الفنانين أو غير الفنانين) يرفضون هذه الفكرة. فربما يعمد الفنان المحدث إلى أن تكون لوحاته مزعجة واستفزازية وأن تكون موجعة مقلقة مُنغِّصة، بدلاً من أن تكون جميلة راقية تسر الناظرين. كل ذلك يؤدى بنا إلى المفارقة التالية، المعاصرة بطبيعتها: "أنا أحب لوحات الفنان س لأنها مقلقة للغاية" أو "أنا أحب روايات الكاتب ص لأنها شديدة الإزعاج".

### تقييم الحجة المستمدة من التنوع

هل علينا استنتاج أن العمل 'الفنى' هو مفهوم تشابه أسرى، يضم معا عناصر متصلة تاريخياً وإن كانت متنوعة فى التصميم؟ ليس هناك إجماع بين فلاسفة

الفن حول طريقة واحدة للإجابة عن هذا السؤال. فمن الواضح أن التنوع بالغ الأهمية، وخصوصا إذا انتبهنا إلى أننا نتحدث عن جميع الموضوعات الصنعية التي ربما تكون قد حظيت بمنزلة 'العمل الفني' أيا كان زمان إنتاجها أو مكانه. وسوف نعرض في الأقسام الخمسة التالية لمحاولات لإيجاد وحدة برغم التنوع الواضح، أو بعبارة أخرى سننظر في بعض الخصائص المقترحة بوصفها سمات مشتركة للأعمال الفنية.

## الأعمال الفنية : سمات مشتركة

### الموقف الجمالى

### الاهتمام المنزه عن الغرض

حتى لو سلمنا بأنه ليست كل الأعمال الفنية ممتعة بشكل منزه عن الغرض، فسيظل من الممكن القول إنها جميعا مثيرة للاهتمام أو شائقة بشكل منزه عن الغرض *disinterestedly interesting* . وأول ما يجب أن نقوله هنا هو أن هذا التعبير ليس تناقضا في الحدود. فإن بإمكاننا أن نميز بين الاهتمامات العملية وبين المثير للاهتمام بشكل محض. الاهتمام العملى يعنى أنتى احتاج أو أريد الموضوع 'أ' لأنتى أستطيع أن أستخدم 'أ' لكى أفعل شيئا أحتاجه أو أريد أن أفعله. ولما كان البعض يعترف بأنه يلمس غموضا فى فكرة المثير للاهتمام بشكل محض، فمن المفيد أن نسوق هذه المقارنة: إننا كثيرا ما نجد متعة فى معرفة ما لا نحتاج فى الواقع إلى معرفته. فمن ذلك أن معظمنا تروق له ترهات الصحف والمجلات حول الحياة الشخصية لنجوم السينما. ذلك مثال للمثير للاهتمام بشكل محض.

## الموقف الجمالى

لكى نُقدّر المثير للاهتمام بشكل محض بالنسبة لأي شيء من الأشياء، يجب علينا أن نتخذ الموقف الملائم فى مقاربته، وهو الموقف الذى يطلق عليه 'الموقف الجمالى أو الإستطيقى'. وهو ببساطة ذلك الموقف الذى نتخذه من شيء ما عندما نهتم به من دون باعث من المنافع العملية. إنه موقف ربما يتخذه كل إنسان فى بعض أوقاته، وإن يكن من الممكن أيضا تنميته عن قصد.

وربما يكون من الحق أيضا أن الموقف الجمالى - على الأقل فى شكله الممتد - هو ترف غير متاح إلا لأولئك الذين بسط لهم فى الرزق وتوافرت لهم ضروريات الحياة بما يتيح لهم فسحات، مختصرة على الأقل، يتحررون فيها من ربة الحاجات الأساسية. وقد يقال فى الاعتراض على هذه الطريقة فى تصوير الأمور إن الحاجة إلى ما هو شائق بتنزهه عن الغرض هى فى ذاتها حاجة إنسانية أساسية. غير أن هذه فيما يبدو دعوى يصعب التحقق منها أو اختبارها<sup>(٤٠)</sup>

## الاقتصاد فى الإدراك

من الحقائق الواضحة أننا عندما ننغمس فى نشاط عملى فنحن لا ندرك من الموضوعات التى يشملها هذا النشاط إلا ما يكفى لإنجاز الغرض العملى. وربما كان تمييز الأشخاص مثلا جيدا على ذلك. فنحن عادة ننظر إلى الأشخاص بالقدر الذى يكفى لتمييزهم. إن بعض الأزواج (الذين يُفترض أنهم يعرفون زوجاتهم) ليعجزهم أن يتذكروا لون عيونهن! (ويبدو أن ثمة اختلافا ما بين الجنسين فى هذه الصدد!). هذا

(٤٠) مرة أخرى يطل علينا التحقق فى غير موضعه، وشبيه بالبرود الذى واجهنا فى الفصل السابق، نجد المنهج التحليلى يضيف برودا غير مقبول ينال من وهج التجربة الجمالية، إن لم نقل يشوه من طبيعتها. (المراجعة)

النمط من الاقتصاد فى الإدراك (رغم أنه محرج فى الحالة المذكورة توأ) هو فى عامة الأحوال خير عميم. أما عندما نتخذ الموقف الجمالى، سواء لأن موضوعاً يفرضه أو لأننا نعلم إليه عمداً، فإننا لا نعود محكومين بالعرض العملى الذى يفرض علينا الاقتصاد فى الإدراك. ها هنا نتمتع الشئ زمناً أطول (هذا التمتع لا يتعدى فى الموقف العملى بضع ثوانٍ إضافية)، ونقلب النظر فى الملامح المعروضة ونطوق مجالها بأسره.

### المسافة الجمالية

يستخدم مصطلح 'المسافة الجمالية' aesthetic distance لى يشير إلى ما ينطوى عليه الموقف الجمالى من تعليق للانفعال بالهموم المعتادة. فعندما نتخذ الموقف الجمالى فنحن نباعد ما بيننا وبين المواقف العملية اليومية. كما أن مصطلح 'المسافة الجمالية' يستخدم فى بعض الأحيان لى يشير إلى خصائص معينة فى الأعمال الفنية تنزع بنا إلى اتخاذ الموقف الجمالى. مثال ذلك أن المسرحيات تمثل عادة على المسرح، وتبدأ برفع الستار. كما أن ضغط أماد طويلة من الزمن الواقعى فى بضع ساعات من الزمن المسرحى من شأنه أيضاً أن يولد مسافة جمالية.

### النزعة الجمالية المتطرفة

يمكن تعريف الفنانين بأنهم أولئك الصناع المهرة الذين لديهم القدرة على عمل موضوعات صناعية مثيرة للاهتمام بشكل محض منزه عن الغرض. ومن الملائم طبعاً أن نتخذ الموقف الجمالى تجاه هذه الموضوعات. وهناك دعوى تتردد فى بعض الأحيان تقول إن بإمكاننا بعد أن نتمرس بالموقف الجمالى تجاه تلك الموضوعات الصناعية غير المفيدة عملياً التى يقال لها الأعمال الفنية - أن نمد هذا الموقف ليشمل بقية الأشياء. يحدث ذلك على سبيل المثال فى عملية 'التخصيص الجمالى' aesthetic appropriation

للموضوعات الصُّنْعية المعدة أصلا لأغراض عملية خالصة ( تشمل أيضا الموضوعات المعدة لأغراض دينية). وبالمثل يحدث ذلك عندما ننظر إلى الطبيعة كما لو كانت عملا فنياً.

من المتفق عليه بعامة أن هناك حداً للامتداد الملائم للموقف الجمالى. وتُعرف النزعة الجمالية المتطرفة aestheticism بأنها الامتداد المفرط للموقف الجمالى. ويطلق لفظ aesthete (عادةً على سبيل السخرية) على الشخص الذى يتخذ الموقف الجمالى فى غير موضعه. وقد نضرب مثلاً لحالة بلغت الذروة فى هذا الاتجاه، بشخص يجلس على الشاطئ وهو يشاهد غريقاً كما لو كان يشاهد رقصة باليه ويحدث نفسه "ما أطرف تلك الأذرع وهى تلّوح فى كل اتجاه"، "ما أطرف صوت تلك الصرخات" (٤١) مثل هذا الشخص خليق بأن يدان بالنزعة الجمالية المتطرفة، كما هو خليق بأن يدان بها ذلك المهندس الذى يبنى جسراً يبدو جميل الشكل غير أنه ينهار تحت ثقل أول قطار يعبر عليه ( ذلك لأن اهتمامه بالمظهر الشكلى للجسر كان أكثر من اهتمامه بتماسكه البنائى).

## الشكل الجمالى

### البنية والهيئة

ما من شئ لنا به دراية ووعى إلا وله بنية وهيئة، حتى ما نصفه بأنه لا شكل له؛ فالواقع أن لديه بنية هى من التعقيد بحيث يعجز العقل أو الذهن عن الإحاطة الفورية بها. إن هناك أسباباً لولوعنا بالبنية تُختزل فى المجال العملى إلى سبب واحد: هو أن

(٤١) ما هذا الهراء الذى يقوله المؤلف، هل يمكن أن يحدث هذا إلا من قبل شخص مريض نفسياً، وإذا حدث ما علاقتة بالموقف الجمالى أو الخبرة الجمالية. ومتى كان الموقف الجمالى انشغالا أو انفعالا أبله ومريضاً بأشكال صماء مبتورة الصلة بمضمونها الشعورى وأبعادها الإنسانية والدلالية!!! (المراجعة)

ما نستطيع أن نفعله بالأشياء يتوقف على بنياتها. ويضطلع العلم بدراسة البنيات من الزاوية النظرية/العملية. إلا أنه من الحق أيضا أن بعض البنيات مثيرة للاهتمام بشكل محض منزّه عن الغرض. يطلق على مثل هذه البنيات مصطلح 'الشكل الجمالى aesthetic form' .

### طبيعة الشكل الجمالى

ليس هناك تعريف وافٍ للشكل الجمالى؛ أولا لأن الشكل يعنى فى الفنون المختلفة أشياء مختلفة. فى الموسيقى يقوم الشكل على كيفية اجتماع النغمات سويا. ويتطلب تحليل الشكل الموسيقى الإشارة إلى أشياء من قبيل الهارمونى والكونتربونت والإيقاع ....الخ. وفى التصوير يقوم الشكل على كيفية انتظام الألوان على سطح اللوحة. أما فى النحت فليقوم على المظهر الذى يعطى لمقدار وافر ثلاثى الأبعاد من المادة. غير أن هناك مشكلة أعقد من ذلك بكثير تتبع من تحليل الشكل الجمالى: تأمل مجموعة من اللوحات التجريدية (غير التمثيلية)<sup>(٤٢)</sup>، بعضها لوحات فائقة النجاح وبعضها الآخر بالغ الفشل. إن كل لوحة منها سواء أكانت ناجحة أم فاشلة، هى انتظام أصباغ فى أشكال أو صور معينة. لكن الشكل الجمالى لن يجسده إلا اللوحات الناجحة، فسيكون لها شكل مثير للاهتمام المحض بشكل منزّه عن الغرض، أو كما يقال أحيانا: "يُستمتع به من أجل ذاته فحسب"<sup>(٤٣)</sup>

(٤٢) اللوحة التمثيلية representation هى اللوحة التى تمثل شيئا من الطبيعة أو الواقع وتحاكيه.  
(المترجم)

(٤٣) يعرف القديس توما الإكوينى الجمال بأنه "ذلك الذى يلذ لنا مجرد النظر إليه أو إدراكه فى ذاته"  
id cuius ipsa apprehensio placet (المترجم)

## الخبرة الذوقية

قد لا يرى الأشخاص الذين لا يميزون اللوحات التجريدية أى فارق بين الأعمال الناجحة وغير الناجحة. إلا أن هذه الفروق بين جيد اللوحات ورديئها تغدو واضحة جلية لدى خبراء التذوق *connoisseurs*. والخبير أو الذواق هو ذلك الشخص الذى نما ذوقه واتسعت خبرته وأرغفت قوى التمييز عنده. غير أن الخبراء لن يمكنهم أن يبرهنوا على أن اللوحات التى يفضلونها تفوق اللوحات الأخرى. ولا يعنى هذا العجز عن البرهان أنه لا فرق بين اللوحات التى يفترض أنها مثيرة للاهتمام بشكل محض منزّه عن الغرض وبين غيرها من اللوحات.

إن تعلم التمييز الفنى والتعرف على الشكل الجمالى قد يكون عملية طويلة تتطلب الكثير من النظر المدقق والعميق والمقارن. كذلك تؤدى عملية شبيهة من القراءة العميقة المقارنة إلى بلوغ الخبرة الذوقية فى الأعمال الفنية والأدبية.

## الشكل/المضمون

هناك مقارنة أخرى لمفهوم الشكل الجمالى تقوم على التأمل فى المقابلة القياسية: الشكل/المضمون. إننا نستطيع فى الغالب، بطريقة تقريبية على الأقل، أن نميز بين الموضوع الذى يدور حوله عمل فنى ما وبين الطريقة التى يعالج بها هذا الموضوع. فإذا كنا بإزاء لوحة تمثيلية فإن بوسعنا أن نميز الشئ الذى تصورته اللوحة عن الطريقة التى صور بها هذا الشئ. كذلك إذا كنا بإزاء قصيدة من الشعر فإن بإمكاننا أن نفرق بين 'ما' تقوله القصيدة و 'كيف' تقوله.

هذا الذى تصورته اللوحة أو تقوله القصيدة أو - بصفة عامة - ذلك الموضوع الذى يدور حوله العمل الفنى، يطلق عليه اسم المضمون *content*. وكل ما عدا ذلك هو الشكل *form*. وما يزال هناك خلاف كبير فى علم الجمال حول هذه المقابلة (الشكل/المضمون) ومدى قدرتها على الصمود. أما الشئ الذى انعقد عليه الاتفاق فهو أنه من المحال

لعملين فنيين مختلفين في الشكل أن يكون لهما نفس المضمون بالضبط؛ ذلك أن الشكل والمضمون يتفاعلان فيما بينهما ويتبادلان التأثير. إلا أنه يبقى بإمكاننا التمييز بدرجة أو بأخرى بين الشكل والمضمون في كثير من الأعمال الفنية<sup>(٤٤)</sup> وبناء على هذا التمييز يمكننا أن نتبين موقفين متعارضين كلاهما يمثل مبالغة وإغراقاً، وهما نزعة الفلسطينية القديمة philistinism والنزعة الشكلية formalism .

### نزعة الفلسطينية القديمة

الفلسطيني القديم<sup>(٤٥)</sup> هو ذلك الشخص الذي لا يميز الكيفيات الخاصة بالأعمال الفنية (وهو، على وجه التقريب، نقيض الذواقة) . من شأن هذا الشخص حين يتناول عملاً فنياً أن يبدى اهتماماً زائداً بموضوع العمل أو مضمونه، مصحوباً بلا مبالاة نسبية بالخصائص الشكلية المحضة الخاصة بالوسيط الحسي medium-specific . إن شخصاً يقول: "أحب أية صورة مادامت صورة قطعة" هو شخص مدان بهذا النمط من الفلسطينية القديمة.

(٤٤) غير أن كثيراً من الاتجاهات الفنية الحديثة ترى أن الشكل هو ذاته المضمون. (المراجعة)

(٤٥) الفلسطيني القديم a philistine مصطلح أطلقه الناقد الإنجليزي ماثيو أرنولد على أولئك الذين يرون الثراء مفتاح السعادة، وهي الوصفة التي كانت التوراة تصم بها قدامى الفلسطينيين. وقد أصبح المصطلح يشمل كل من لا يكتثر بالثقافة والفنون والقيم الجمالية والروحية، ولا يعبأ بغير القيم المادية، ولا يدرك غير نعمة المال والمصلحة العملية. يقول ماثيو أرنولد في محاضراته 'العذوبة والنور Sweetness and Light' إن الثقافة هي وحدها التي تستطيع أن تأتي بذلك التطهير للنفوس والأذهان الذي هو الضمان الوحيد لعدم سيطرة الفلسطينيين القدامى على الحاضر والمستقبل. (المترجم)

ولكن هل صحيح أن الفلسطيني القديم هو الذي يهتم بالمال والمنافع العملية، أم أنهم يستتبطون مثل هذا التعبير من التوراة بطريقة "أرم خصمك بما أنت به مدان". (المراجعة)

## النزعة الشكلية (الشكلانية)

الشكلانية هي الدعوى القائلة إن قيمة العمل الفني تعتمد اعتمادا كاملا على خصائصه الشكلية، أى شكله الجمالى. إن ما يجعل سوننتات شكسبير أعمالا فنية عظيمة، فى نظر الشكلانى المتشدد، هو تلك المظاهر المتصلة ببنائها العروضى؛ أى التأثيرات الخاصة بالوسيط المادى كالتجانس الصوتى والجناس الاستهلالي. وما كانت هذه السوننتات لتفقد شيئا من قيمتها، وفقا لهذه الوجهة من النظر، لو أنها كانت تتناول مادة 'القيد المزدوج فى مسك الدفاتر' بدلا من الجمال البشرى والرغبة والحب.

وقد تلائم النزعة الشكلية بعض الأعمال الفنية، كالأعمال التجريدية، أكثر مما تلائم البعض الآخر. ولكن حتى فى مجال الموسيقى، التى تعد أكثر الفنون خلوصا وتجريدا وأقلها تمثيلا للواقع، هناك عادة بعض شىء من الإشارة إلى انفعالات العالم الواقعى. وعلى الرغم من أن الشكلانى لا يخلو موقفه من فائدة، من حيث توكيده على تلك الخصائص بعينها التى يتجاهلها الفلسطينى القديم، فإنه يكون من الخطأ أن ندعى (كما يفعل الشكلانيون المتطرفون) أن هذه الخصائص هى وحدها الجديرة بالاعتبار.

## الخبرة الجمالية

## الخبرة العادية

جرت العادة على تصنيف الخبرات وفقا للحواس التى تنتجها. فالرؤية تنتج الخبرة البصرية، والسمع ينتج الخبرات السمعية، وهكذا الشم والذوق واللمس.

وهناك ثلاث نقاط أساسية عن الخبرة تعيننا في دراستنا هذه:

(١) إن خبرتنا الكلية في أية لحظة معطاة هي عادة جماع عددٍ من الخبرات الحسية المختلفة النوع.

(٢) إن ما نخبره ونحسه لا يتوقف فقط على أى الموضوعات يوجد في بيئتنا، بل يتوقف كذلك على اهتمامنا وانتباهنا الانتقائيين<sup>(٤٦)</sup>

(٣) إن ما نخبره يعتمد على قدرتنا الفكرية - على قدرتنا على التأويل والتصنيف<sup>(٤٧)</sup>

(٤٦) كانت الفكرة السائدة قديما تقول إن الكائنات الإنسانية هي كائنات تستقبل كل المنبهات البيئية الخارجية بطريقة سلبية. ومن الثابت الآن أن هذه الفكرة قاصرة بل هي مغلوطة. فالحق أن الموقف الذى نتخذه في حياتنا بعامة وفي كل لحظة أنية بخاصة يتحكم في طريقة إدراكنا للعالم وللأشياء من حولنا. والموقف attitude هو طريقة في توجيه إدراكنا أو التحكم فيه؛ فنحن لا نرى أو نسمع كل شئ في بيئتنا من دون تمييز، وإنما نحن ننتبه attend إلى بعض الأشياء ونركز على بعض السمات على حين نتجاهل غيرها ولا ندركها إلا بطريقة غائمة وبامته أو لا ندركها على الإطلاق. من خصائص الانتباه at-tention إذن أنه انتقائي selective يجتنب ما يعنيه من المنبهات وينصرف عن غيرها، بل ينفىها عن ساحة الوعي بطريقة قاطعة وآليات نشطة. إن الأغراض التى نضمهرها لحظة الإدراك هي التى تتحكم في تحديد ما نختاره وننتبه إليه، فأفعالنا هي دائما غرضية تتجه نحو هدف ما. لذا فإنه عندما تكون للأفراد أغراض مختلفة فإنهم يدركون العالم على أنحاء مختلفة، بحيث يثبت أحدهم أمورا معينة يتجاهلها غيره أو ينفىها. الاهتمام أو الموقف هو الذى يرشد الانتباه إلى اتجاهات ذات صلة، ويهيئ الكائن إلى أن يسلك بطريقة فعالة، ويحجب في الوقت نفسه تلك المنبهات التى لا تتصل بغرضه أو ربما تشتت جهوده وتبددها. فالطالب الذى يستغرق في حل مسألة رياضية على سبيل المثال يولى كل انتباهه إلى العناصر المتصلة بهذه المسألة ويصرف انتباهه بشكل حاسم نشط عن كل منبهات البيئة ولا يكاد يدرك منها شيئا. بل إن الموقف الفكرى والأيدىولوجى ليتدخل في طريقة الإصغاء إلى الأشياء وهيئتها المدركة، ويشحن الانتباه في اتجاهات معينة ويصرفه عن المضى في اتجاهات أخرى. (المترجم) وجدير بالذكر أن علم النفس السلوكى كان يقوم على فكرة التلقى السلبي لمؤثرات البيئة الخارجية، بينما يقوم علم النفس المعرفى بالأحدث والاكثرتقدا على هذه النظرة المعروضة أنفا، أى على أساس أن المعرفة وعمليات التفكير تتحكم فيما نستقبله من مؤثرات البيئة الخارجية، ومن ثم صاغ علم النفس المعرفى فكرة الانتباه الانتقائي المذكورة. (المراجعة)

(٤٧) انظر ما قيل عن 'أنظمة التصنيف' في فصل 'الميتافيزيقا' متضمنا الحاشية الخاصة بـ 'فرضية سابير/ ورف' والنسبوية اللغوية. (المترجم)

وحيث أن الموضوعات أو الأشياء تدخل بينتنا وتغادرها بطريقة مختلطة عشوائية، فإن خبرتنا العادية هي بطبيعتها متشظية مفتتة، مكونة من خبرات غير مكتملة تعترضها خبرات جديدة على نحو مستمر. إن أخطرا كبيرة من حياتنا تتألف من خبرات مفككة قاصرة في الصميم، لا تطرأ عليها خبرات المتعة الشديدة والمتعة العالية إلا كفتات هين وكسرات ضئيلة داخل هذا الخليط العام.

## الخبرة الفنية

الأعمال الفنية هي أعمال مصممة لإنتاج خبرات مُشبعة، فالرسام إذ يرسم<sup>(٤٨)</sup> إنما يصمم، في حقيقة الأمر آلة لإنتاج خبرات بصرية<sup>(٤٩)</sup> وهو بالطبع في حاجة إلى مشاركة مُشاهدٍ قادر على اتخاذ الموقف الجمالي والاستجابة الملائمة لما قام به الرسام. فإذا افترضنا أن شخصين تتساوى لديهما حدة الإبصار، وينظران على لوحة واحدة من الزاوية نفسها تقريبا، فسوف يكون لهما الخبرات البصرية نفسها تقريبا. غير أن أحدهما قد تقع له الخبرة الجمالية بون الآخر. أو بعبارة أخرى، تلك الأصباغ المتشكلة قد يراها أحدهما كشكل جمالي بينما لا يراها الآخر أكثر من أصباغ متشكلة.

ويصدق الشيء نفسه في الفنون الأخرى. فلو جلس شخصان في قاعة استماع فسوف يسمعان التتابع نفسه من الأصوات، غير أن أحدهما قد تنتظم له هذه الأصوات في بناءات موسيقية مدركة تماما وباعثة على الإعجاب، بينما هي لدى الآخر لا تعدو أن تكون ضوضاء ممتعة على نحو غامض أو ربما تكون مزعجة.

(٤٨) أجل مصطلح التصوير وفن التصوير والمصور الآن أكثر قبولا وشيوعا من الرسام والرسم، ولكن أحيانا يبدو هذا الأخير أكثر دلالة وتحديدًا في كتاب هو مدخل للمبتدئ؛

(٤٩) تعبير فظ ومؤلم حقا عن طبيعة الإبداع الفني! (المراجعة)

## عزل الفن

بطبيعة الحال، تحدث إدراكاتنا للأعمال الفنية في الحياة العادية وتجرى في العالم المعتاد، على خلفية من الضوضاء الخارجة عن الموضوع. لماذا إذن لا نتعثر إدراكاتنا الجمالية بالضوضاء المحيطة وتصير جزءا من الخليط العام للخبرة المعتادة؟ في المقام الأول، يجب أن نسلم بأن العالم أحيانا ما يكون من الجلبة والضجيج بحيث تستحيل أية خبرة جمالية. إلا أن هناك عوامل معينة، منفصلة غير أنها متكاملة، تعيننا على أن نظفر بالخبرات الجمالية :

(١) إننا غالبا ما نصرب حواجز مادية حول الأماكن التي تُعرض فيها الأعمال الفنية، من شأنها أن تحجب عنها الضوضاء الخارجية. وأوضح مثال لتلك الحواجز هو ذلك العزل الصوتي الذي نزود به قاعات الاستماع ضد الضوضاء الخارجية.

(٢) جرت العادة على بضعة وسائل لعزل الأعمال الفنية عن المدركات المحيطة بها. ولعل أوضح مثال هنا هو الإطار الذي يحيط بلوحة ومن ثم يعيننا على أن نركز انتباهنا البصري ويمنعه أن يتسرب إلى الجدار المجاور.

(٣) من شأن أى شيء يثير الاهتمام المحض المنزه عن الغرض أن يحظى بانتباهنا من دون الأشياء المثيرة للاهتمام العادى أو غير المثيرة للاهتمام على الإطلاق. يُستثنى من ذلك فئة الخبرات الجنسية؛ ذلك أن الخبرة الجنسية لها من القدرة على جذبنا وفتنتنا ما ليس لأية خبرة أخرى، اللهم إلا الخبرات الدينية الغامرة التي تعرف بالخبرات الصوفية. إلا أن العالم الواقعي - لحسن الحظ أو لسوءه - قلما يضع الخبرات الجمالية والجنسية في موضع منافسة صريحة.

## المتعة الجمالية

كلنا يشعر بالسرور حالما يتم إرضاء إحدى رغباته، كأن يتم إنجاز مشروع أو تحقيق هدف. ولكن يجب أن نميز بين هذا السرور (وهو شيء متأصل في وعينا الخاص

بالنجاح) وبين الشعور بالمتعة أو المتعة pleasure . ذلك أن الشعور بالمتعة كامن بخبرة المتعة ملتحم بها وليس شيئاً ناتجاً عن الخبرة منفصلاً عنها. التهام قطعة من الحلوى الثلجة، ومشاهدة لوحة، والمشي على مرج أخضر في نهار مشرق، هي أمثلة من الخبرات التي تنطوي (لدى بعض الناس في بعض الأوقات) على متعة كامنة فيها مدمجة بها. بعبارة أخرى، ينبغي ألا ننظر إلى المتعة باعتبارها نتيجة منفصلة عن هذه الخبرات. ورغم أن الناس يقولون أحياناً أنهم "يريدون المتعة"، وأن فكرة تصعيد المتعة إلى أقصاها هي جزء لا يتجزأ من بعض صور المذهب النفعي، فإن ما يريده الناس بالفعل هو 'المتع' - أي تلك المتع المحددة التي لا يمكن أن تتفصل عن الخبرات العينية الملموسة التي تجسدها.

كم نوعاً من المتعة هنالك؟ يبدو أن الجواب الوحيد المعقول هو أن هناك أنواعاً من المتع بقدر ما هناك من أنواع الخبرات الممتعة المتنوعة. متعة تناول قمع من حلوى الشيكولاته الثلجة غير متعة التهام قمع من حلوى الفراولة الثلجة، ومتعة مشاهدة لوحة لرفائيل غير متعة مشاهدة لوحة لفيرونيزي، بل إن متعة مشاهدة عمل لرفائيل مثل بروتريه Baldassare Castiglione تغاير متعة مشاهدة عمل آخر لرفائيل مثل لوحة Sistine Madonna .

## مفهوم المتعة الجمالية

ربما يتوجب أن ننظر إلى مفهوم المتعة الجمالية بوصفه مفهوم تشابه أسرى. ذلك أن فئة المتع الجمالية تضم جميع المتع المتباينة التي نجدها في تلقى الأعمال الفنية (وفى الطبيعة التي ندركها كما لو كانت عملاً فنياً).

وبعض فلاسفة الفن، خصوصاً أولئك الذين يعتقدون في الشكلانية formalism بدرجة أو بأخرى، يُضيقون من تعريف المتعة الجمالية فيقصرونها على المتعة المستمدة من إدراك الشكل الجمالي aesthetic form . ولا ريب أن التوكيد على متعة الشكل

الجمالى بوصفه أخص ما يميز خبرتنا بالأعمال الفنية هو توكيد صائب. ولكن ما ينبغى ألا يفوتنا هو أن تلك المتعة الشكلية لا تأتى وحدها فى واقع الحال، بل تأتى مصحوبة بمتع أخرى تتصل بالموضوع أو المضمون. إن هذه النزعة الفنية الخالصة purism التى تحاول عزل هذه المتع عن بعضها البعض ربنا تكون مستحيلة. وهى بالتأكيد غير ضرورية<sup>(٥٠)</sup>

## المعرفة الجمالية

### التعلم من الفن

قبل عهد التصوير الفوتوغرافى كنا نستمد من اللوحات والرسوم كثيراً من معلوماتنا عن الأشياء وكيف تبدو فى البقاع القصية فى المكان والزمان. كذلك كانت القصائد والمسرحيات والروايات وما تزال مصدراً ثرياً للمعرفة عن أفكار العصور التى أنتجت فيها ومشاعرها. وربما تكون أيضاً هى المصدر الرئيسى للمعرفة السيكولوجية خارج التقائنا المباشر بغيرنا من الناس (على الرغم من وجود علم النفس). ومن ذلك نتبين أن جزءاً من المتعة التى نستمدّها من الأعمال الفنية هو ببساطة متعة التعلم - متعة إشباع حبنا للاستطلاع. على نه من إساءة الفهم (بل ومن إتباع نزعة الفلسطيني

(٥٠) بائى حق يؤكد المؤلف أنها غير ضرورية ومستحيلة!!! إن النزعة الشكلانية احتلت مكانتها فى الاتجاهات الفنية المستحدثة، وهى فى صلبها تذهب إلى أن الفن الصحيح هو عالم قائم بذاته وليس من شأنه أن يكرر الحياة ويحاكى التجارب المعتادة. إن الرسام ديكا معاصر بول سيزان كان يعتبر موضوع اللوحة مجرد ذريعة من أجل الرسم. ويقول ليجيه إن السؤال: ما الذى تمثله هذه اللوحة؟ سؤال لا معنى له. ففاية الأمر هى خلق تصميم شكلى يتميز فى صميمه بأنه يجذب العين ويأسرها. ويصل هذا الاتجاه إلى نهايته المنطقية فى الفن اللا موضوعى، حيث لا يوجد موضوع للتصوير على الإطلاق، وتكون اللوحة مجرد تشكيل من الخطوط الملونة والأقواس وغير ذلك من الأشكال. وبذلك تم إقصاء المحاكاة لصالح الخلق. ومن هنا يعتبر بعضهم أن الموسيقى هى الفن الخالص بالمعنى الصحيح، ومن يحاول أن يربطها بالانفعالات البشرية أو يبحث فيها عن مضمون فهو بتعبير كلايف بل يتهاوى من القمم العليا للنشوة الجمالية إلى السفوح الراكدة المأمونة والدافنة للحياة البشرية. (المراجعة)

القديم حقاً<sup>(٥١)</sup> الظن أن مبرر وجود الفن هو أن يكون مصدراً من مصادر المعرفة. ويتجلى هذا الخطأ بصفة خاصة عندما تكون هذه المعرفة من النوع الذي كان يمكن أن نحصل عليه من مصادر أخرى غير الخبرة الفنية، وهذا هو ما نفعله غالباً.

## المعرفة المعتمدة على الفن

هل هناك نوع من المعرفة لا يمكن أن نكتسبه إلا من خلال خبرتنا بالأعمال الفنية؟ إن لدينا على الأقل بعض الأدلة على أن الفن يمدنا بمعرفة ما عن العالم ما كان لنا أن نكتسبها من أى طريق آخر. إن لوحة البورتريه العظيمة على سبيل المثال، تمنحنا منفذاً إلى الحياة الداخلية لصاحب الوجه لم يكن بمقدورنا أن نحصل عليه من تفحص عارض للشخص الحى. فمهمة البورتريه، إذا جاز التعبير، هو أن يكون نوعاً من تكثيف البصيرة النفسية فى شكل مرئى. إن الرسامين ليعلموننا أن نرى العالم - أن نلاحظه بدقة وتنزهه - بحيث أنه حتى لو صح أننا أصبحنا الآن قادرين على اكتساب أشكال معينة من المعرفة البصرية المرهفة والدقيقة من خلال الملاحظة المباشرة، فقد كان من الممكن ألا نكتسب قوة الملاحظة تلك لو لم تكن اللوحات الفنية قد وجدت على الإطلاق.

## المعرفة بالأعمال الفنية

بعض ما نتعلمه من الأعمال الفنية كان يمكن أن نتعلمه من طرق أخرى. وبعض ما نتعلمه من الأعمال الفنية لم يكن ممكناً أن نتعلمه من أى طريق آخر. وبعد، هناك نمط آخر من المعرفة يستحق أن نسميه 'المعرفة الجمالية' aesthetic knowledge بالمعنى الدقيق للكلمة: المعرفة بالأعمال الفنية ذاته. ولنأخذ مثلاً بلوحة رفائيل بروتريه

(٥١) راجع الهامش ٢٧

Baldassare Castiglione، فبدون هذه اللوحة ربما ما كان بإمكاننا على الإطلاق أن نعرف كيف كان يبدو صاحب النزعة الإنسانية في عصر النهضة، وأيضاً بدونها كان يمكن أن تتضاءل معارفنا البصرية العامة عن أنماط عصر النهضة. غير أن بروتريه Baldassare Castiglione لرفائيل هو في ذاته موضوع يمكن إدراكه، هو في ذاته إضافة إلى العالم، هو في ذاته جدير بأن نعرفه معرفة بالالتقاء المباشر (أو على الأقل يعتقد ذلك على نطاق واسع). قد يؤكد الشكلاونيون أن غايتنا هي معرفة الخصائص الشكلية للوحة، ولكن مهما تكن أسبابهم فإن المجموعة الكلية من الخصائص التي للوحة بوصفها موضوعاً قائماً بذاته هي ما نظفر بمعرفته من خلال خبرتنا الإدراكية والجمالية.

أن نحظى بمعرفة عمل من الأعمال الفنية يشبه إلى حد كبير لأن نحظى بمعرفة شخص جذاب جدير بالحب: إننا نزداد ثراءً وغنى وخصوصية كلما تعمقت معرفتنا بالشخص أو بالعمل الفني، غنى أو ثراء لا علاقة له بالمصالح العملية. وعلى حد قول جون ديوي J. Dewey ( ١٨٥٩ - ١٩٥٢ ) ، يكون اهتمامنا بالأشخاص أو بالأعمال الفنية، في أفضل حالاته اهتمام استغراقى لا أدواتى، أى هو مسألة غبطة واستمتاع لا منفعة وفوائد.

## وظيفة الفن

### لِمَ الفن

لِمَ الفن؟ ليست هناك إجابة واحدة على هذا السؤال. فليس هناك اتفاق معقود بين الجميع حول وظيفة الفن أو ما يُفترض أن يكون وظيفته. ومع ذلك يمكننا أن نكون إجابة مقبولة على نطاق كبير بأن نضم الموضوعات الخمسة التي فرغنا من عرضها، السمات المشتركة للفن، في وصف تفسيري واحد.

## الموقف الجمالى

بمقدور كثير من الناس أن يناؤا بأنفسهم عن المشاغل والهموم المعتادة، لكى يصدر عنهم اهتماما منزها عن الغرض إما بمظاهر معينة من بينتهم وإما بأشياء معينة. وسواء أكان ذلك يحدث لجميع بنى الإنسان بحكم طبيعة البشر أو كان شيئاً يتعلمه بعض الناس من حيث هم أعضاء فى ثقافات معينة، فالذى لا شك فيه هو أن بعض الناس يتخذون 'الموقف الجمالى'. والموقف الجمالى - أى موقف الاهتمام المنزه عن الغرض العملى - هو الموقف الملائم تجاه الأعمال الفنية، من حيث أن الأعمال الفنية هى بعينها تلك الأشياء الصنعية الشائقة بشكل منزه عن الغرض. لاحظ أن مقولة الأعمال الفنية وفق هذا التعريف سوف تشمل كلا من الأشياء الصنعية المصممة خصيصاً لتكون شائقة بتنزه عن الغرض، وبعض الأشياء الصنعية الخالصة أيا كانت أغراضها الأصلية، والتي نقدرها الآن ونجلها من أجل ذاتها فحسب.

إثارة الاهتمام المحض interestingness : حين نقول عن شىء ما إنه مثير للاهتمام يُعتبر هذا فى العادة بمثابة الذم عن طريق المدح الفاتر. ذلك أن مثير للاهتمام هو النعت الذى يكثر استعماله عندما لا يفكر الناس بإطراء أقوى أو أكثر تحديداً. لهذا لا ينبغى علينا فى حقيقة الأمر أن نفكر فى أهمية لأن يكون الشىء مثيراً للاهتمام. ربما يتجلى ذلك إذا تأملنا فى العكس، أى فى 'الملل'. فلا شىء أسوأ من الملل. وإذا كان كل شىء مملاً ولم يكن ثمة أى شىء مثير للاهتمام، لكانت الحياة غير جذيرة بأن نحيها. فأحد الأشياء التى تجعل الحياة ذات قيمة وشأن وتمنحها معناها هو وجود الأشياء المثيرة للاهتمام المحض. ومن ثم فالأعمال الفنية مهمة، لأنها شائقة ومثيرة للاهتمام المحض الخالص والغير مشروط بأغراض خاصة.

## الشكل الجمالى والخبرة الفنية

تستحوذ الأعمال الفنية على اهتمامنا لعدة أسباب. فبعضها يمكن أن يشتري ويباع ويحقق ربحاً. وبعضها يمكن أن نعرضه فى ديارنا لنخلب الناس بثرائنا ومكانتنا الاجتماعية. وبعض الأعمال الفنية الجليلة يمكن أن ندرسه من أجل ما يقدمه لنا من معلومات عن العصور الماضية، بينما يمكن أن نتفحص أعمالاً معاصرة لأنها تفسر لنا بعض ما استغلق علينا من معانى الحياة فى زمننا المعاصر.

على أن كل هذه الأمور لا تعدو أن تكون اعتبارات ثانوية من وجهة النظر الجمالية. أما الاعتبار الأولى ( وإن لم يكن وحده المهم ) فهو الخبرة المباشرة بالأعمال الفنية ذاتها. وأحد الأشياء التى تمر بخبرتنا ونجدها فى أنفسنا عندما تكون بإزاء عمل من الأعمال الفنية هو شكله الجمالى aesthetic form ذاته، أى تلك الأوجه ذات الصلة الجمالية والجوانب القابلة للإدراك الجمالى من بنية ذلك العمل.

## المتعة الجمالية والمعرفة الجمالية

إن خبرتنا بالأعمال الصُّنعية ذات الاهتمام المحض بتنزهه عن الغرض ( أو الموضوعات الجميلة بطبيعتها ) هى خبرة ممتعة لاذة. إنها ذلك النمط من الخبرة الذى نلتمسه من أجل ذاته فحسب. وإذا كانت كثير من لذات الحياة هى إما قصيرة الأمد أو شاذة فى نهاية المطاف ( أو الاثنان معا )، فإن المتعة الجمالية هى متعة أطول زمناً ولا تستتبع نتائج ضارة. الأعمال الفنية بهذه الصفة هى شىء له قيمته وقدره حتى ولو لم تكن تعلمنا أى شىء. فما بالك إذا كانت خبرتنا بها تعلمنا أشياء عن العالم، وكانت هى ذاتها فضلاً عن ذلك مادة لنوع هام من أنواع المعرفة بالاتصال المباشر.

## أهمية الأعمال الفنية

ليست جميع الأعمال الفنية على الدرجة نفسها من الأهمية. غير أن بعضها يلعب دوراً عظيماً فى الحياة الإنسانية، ويقدم للقادرين على اتخاذ الموقف الجمالى تجارب

تجمع بين المتعة الصميمة والدلالة المعرفية. فالعمل الفني هو عمل مصمم لكي يُدرك في شكله الجمالي باهتمام منزّه ومتعة وفائدة معرفية. والفن من أجل ذلك شيء هام. يصدق هذا على جميع الأعمال الفنية وإن تفاوتت الدرجات. غير أن فلاسفة الفن قد ذكروا إضافة إلى ذلك سمتين أخريين تلعبان دورا كبيرا في تقديرنا لأعمال فنية معينة، وهما: المحاكاة والقدرة التعبيرية.

## المحاكاة

الآن أصبح المصطلح الإغريقي *mimēsis* جزءاً من اللغة الإنجليزية، وهو يعنى محاكاة *imitation* أو تمثيل *representation*. وجاء أرسطو في كتابه العظيم الأثر 'الشعر' *Poetics* ليُعرّف التراجيديا بأنها محاكاة لأفعال بشرية معينة أو شخصيات معينة. ومنذ ذلك العهد ساد الاعتقاد بأن الوظيفة الرئيسية للأعمال الفنية هي محاكاة الواقع وأصبح تصور الفنان هو ذلك الشخص الذي لديه مهارة محاكاة الواقع، أي صنع نسخ معقولة للواقع. ويبلغ الفن ذروته إذا استطاع أن يوهمنا أنه واقع. ويذكرنا ذلك بملاحظة الكاتب الروماني بليني عن المصور زيوكسيس الذي رسم صورة لعناقيد كروم بلغت من الحدق في التمثيل مبلغاً جعل العصافير تسف لكي تأكل من كروم اللوحة. (بطبيعة الحال ليس بمقدور العصافير أن تتخذ الموقف الجمالي). وما زال الناس يطرون اللوحات، وغيرها من الأعمال الفنية، لكونها شبيهة بالحياة أو واقعية.

أهمية المحاكاة : لم يعد أحد من فلاسفة الفن المعاصرين يعتقد أن المحاكاة، أو خلق إيهاام ناجح، هو شرط ضروري أو كاف لفهوم العمل الفني. فقد يكون شيء صناعي ما، كالصورة الفوتوغرافية مثلاً، محاكياً دون أن يعد عملاً فنياً. وقد يكون شيء صناعي آخر، كاللوحة التجريدية، عملاً فنياً دون أن يحاكي شيئاً. وعلى الرغم من أن تعريف العمل الفني في حدود المحاكاة أو التمثيل يعد خطأً، فمن الخطأ أيضاً أن

ننكر كل قيمة للمحاكاة. فالناس، كما لاحظ أرسطو، يمتعها أن تقلد وأن تشاهد تقليدات ناجحة. كما أن الموضوعات الصُّنعية المحاكية قد تنطوى على شكل جمالى يمكن إدراكه. ( وفى الحقيقة، يصدق هذا على جميع اللوحات التمثيلية العظيمة فى العصور الماضية ). زد على هذا أن الأعمال الفنية التى تمثل أشياء وتحاكيها من شأنها بطبيعة الحال أن تقدم نوعا من المعرفة لا يتسنى للأعمال غير التمثيلية تقديم شىء منها.

### السمة التعبيرية

فى بعض الأحيان، تُعرف الأعمال الفنية بأنها الأعمال التى تتمتع بقوة خاصة على التعبير عن المشاعر أو الأفكار.

التعبير عن المشاعر: ربما شعر أحدنا بالحزن ولكنه، لافتقاره إلى المواهب الخاصة، لا يملك أن يعبر عن حزنه إلا بأن يتقوه بالجملة المبتذلة: "أنا حزين". والحق أن بعض الكتاب يفصل هذا التقرير المحض ( أو الجملة ) عن التعبير. وبمقتضى هذه الوجهة من النظر تُعد "أنا حزين" تقريراً للحزن لا تعبيراً عنه. أما لكى تحظى الجملة بمرتبة التعبير فلا بد أن تكون قد بلورت الحزن المحسوس بطريقة ما ناشطة رشيقة تستحوذ على الانتباه استحواذاً غير عادى. هكذا يكون الشعر وفقاً لهذه النظرية الانطباعية Impressionistic ذا قيمة لا لأنه يبتكر مشاعر جديدة بل لأنه يبتكر طرائق جديدة للتعبير عن مشاعر معينة نعرفها جميعاً. إننا نستشعر متعة ( وأيضاً نوعاً من الوضوح ) إذ نرى ما نحسه وقد تم التعبير عنه فى لفظ دقيق وقوة أخاذة.

وبطبيعة الحال ليس هناك ما يوجب أن يكون التعبير بالكلمات: بإمكان اللوحات مثلاً أن تعبر عن مشاعر نعرفها جميعاً ونميزها ولكن يعجزنا التعبير عنها بالألفاظ. وكذلك الشأن بالنسبة للموسيقى.

التعبير عن الأفكار: معظم الأفكار يمكن ذكرها بصورة مباشرة صريحة. مثلاً، فكرة أن البشر واقعون في قبضة القدر يمكن ببساطة توصيلها بأن نقول: "بنو الإنسان واقعون في قبضة القدر". غير أن روائياً مثل توماس هاردى، بين غيره من الروائيين، كان يعبر عن نفس الفكرة من خلال خلق حكايات روائية عبقرية تصور النمو التدريجي، والمحتوم زغم ذلك، للأحداث المقدورة. ومن الخطأ طبعاً الظن بأن الفكرة التي تعبر عنها قصيدة أو مسرحية أو رواية هي رسالة قابلة للاستخلاص والعزل (أى من الممكن ذكرها على حدة). صحيح أن هاردى يعبر عن فكرة أننا واقعون تحت قبضة القدر، إلا أن فكرته عن القدر وكيف يمسكنا بقبضته هي فكرة معقدة تعقد الروايات ذاتها.

إذن يمكن القول إن الأعمال الفنية، من حيث هي معبرة عن أفكار، إنما تعنى شيئاً ما وتقصد إلى شيء ما. والمعنى كما يحتاج أحياناً، هو بالتحديد ما تغفله النظريات الشكلية المتشددة في إجاباتها عن السؤال: لم الفن.

**تقييم نظرية التعبير:** تفيد النظرية التعبيرية إن كل غاية الفن هو أن يعبر عن مشاعر وأفكار. ومما لا شك فيه أن كثيراً من الفنانين، سواء الأدباء أو غيرهم، يسامون بأنهم يعبرون عن مشاعر وأفكار. فهذا بالتأكيد شيء يقوم به الفن ويؤديه، وواحد من أهم الأسباب التي تجعلنا نقدره ونجمله. إلا أنه من الخطأ أن نجعل من التعبير خاصية تحصر الفن وتعرفه. فصرخة استغاثة يطلقها شخص حقيقى فى خطر حقيقى، هي على خاصيتها التعبيرية ليست عملاً فنياً وليست من الفن فى شيء. بعبارة أخرى، يمكن القول إن التعبير ليس 'شرطاً كافياً' لكون الفعل التعبيرى عملاً فنياً.

هل ثم إذن أمثلة لأعمال فنية ليست تعبيرية، أى لا تهدف إلى التعبير؟ بعبارة أخرى، هل التعبير 'شرط ضرورى' للعمل الفنى؟ ربما يقال بمعنى فضفاض جداً إن الفنان دائماً يعمد إلى التعبير عن نوقه - عن حسه فى انسجام الألوان وفكرته

عن نوعية اللوحة التي يجدر به أن ينجزها الآن، وما إلى ذلك. بيد أنك إذا عنيت أن تسأل الفنان: "أى شعور تريد لوحتك معبرة عنه؟" أو: "أية فكرة تريد لوحتك أن تترجمها؟" فربما جاء جوابه: "لا شىء، لا شىء تعبر عنه اللوحة، لا شعور، ولا فكرة" (وقد يكون الفنان على حق). صفوة القول إنه من الصواب أن التعبير والسمة التعبيرية والقدرة على التعبير يمكن أن يكون لها شأن وقيمة، لكن من الخطأ أن نحسب التعبير هو الفن كله، وألا نرى الفن غير تعبير. فالنظرة الضيقة التي لا تعرف إلا أهمية عامل واحد فقط هي نظرة يغلب عليها الخطأ والتهافت، هنا كما فى أى موطن آخر.

## موضوعية الذوق

### تعدد الأذواق

يبدو أن هناك تنوعاً هائلاً بين الناس فيما يحبونه ويستمتعون به ويقدرونه. بعض الناس يحبون الموسيقى الكلاسيكية وبعضهم لا يميل إليها. وبعض الناس ينفق مبالغ ضخمة من المال لحضور الأوبرا/ وبعضهم لا يسهل استدراجه إلى هناك. وبعض الناس يقرأ الشعر بحماس وشغف عظيمين وبعضهم يقول "لا أحب الشعر".

ترى ما هي الاستجابة النظرية الملائمة بإزاء هذا التعدد فى تقييم الفن وتقديره؟ لم يثر سؤال فى علم الجمال قدر ما أثار هذا السؤال من أجوبة متباينة. من بين هذه الاستجابات استجابة تعتمد إلى حل المشكلة بإنكارها - أى إنكار التعدد ذاته، وترى أن الفروق الظاهرية فى الذوق إنما تعكس فروقاً فى إلف الناس للأعمال الفنية المختلفة وفروقاً فى القدرة على تناولها وإدراكها. إنها دعوى لا تخلو من صدق: فأنت على أية حال لا يسعك أن تحب الأوبرا إذا لم تكن قد سمعت أو رأيت واحدة منها فى حياتك، ولا يسعك أن تقرأ الشعر باستمتاع ولذة إذا كنت تجهل القراءة.

## التربية الجمالية

لماذا تفرض المدارس (ولماذا ينبغي أن تفرض) فى بلاد مثل بلادنا فصولاً دراسية فى الفن والتذوق والموسيقى؟ هناك رأى يفيد بأن المدارس إذ تفعل ذلك فإنها تفرض أنواق الصفوة والمؤسسة على جموع الناس. وهناك رأى آخر أكثر ترففاً وتفاؤلاً يرى أنها بذلك تعدد مصادر الخبرة والمتعة الجمالية وتوسع مجال اختيارها. ومن المؤسف أن التربية الجمالية كثيراً ما تأخذ شكل 'هذا ما ينبغي أن تحبه' - هذا ما يفترض أن تقدره. ولكن فى مجال الفن ليس هناك 'ينبغي' أو 'يفترض أن'؛ فليس على أحد واجب، أخلاقى أو غيره، بأن يجب أن يحب أى شىء أو يلتذ ويستمتع به.

ومع هذا يبقى من المعقول أن نحاول زيادة قدراتنا على الحب والاستمتاع. إن متعة السكر (الذى لا يتطلب معرفة خاصة) قد ترجح على متعة الاستماع إلى سيمفونية. غير أننا قد نخلص إلى تفضيل متعة الاستماع إلى سيمفونية لأسباب وجيهة جداً: فهي تليق بحياة منسجمة؛ وهي تعزز قوانا المعرفية (لسبب بسيط هو أن الاستماع إليها بانتباه يتطلب معطيات معقدة)، وهي أخيراً لا تحمل معها خطر الإصابة بعطب عاجل أو آجل.

## الوقائع والأخطاء

يرى كثير من الناس أن شكسبير هو أعظم كاتب مسرحى؟ فهل لو حدث أن اعتقدت أن شخصاً آخر هو أعظم كاتب مسرحى تكون قد ارتكبت خطأ واقعياً؟ إن السؤال الفلسفى المطروح هنا شبيه إلى حد كبير بسؤال المذهب المعرفى أو الواقعى فى الأخلاق - وهو السؤال عما إذا كان هناك حقائق أخلاقية أم لا. حينما تصادفنا دعوى عن حقيقة من حقائق الأشياء، فنحن بشكل عام نتوقع أن تقدم لنا بعض التعليمات التى ترشدنا أين ننظر وماذا نلتمس لكى نتبين ما تكونه الوقائع. وفى حالة

الحكم على شكسبير، ربما أمكنك أن تقرأ كل مسرحية تقع عليها يدك كتبها كاتب آخر في حياته، ثم تقرأ جميع المسرحيات التي كتبها شكسبير، وقد 'ترى' عندئذٍ أن شكسبير هو حقاً أعظم كاتب مسرحي. إلا أن الأمور قد تصير إلى غير ذلك؛ فقد تقرر بعد قراءتك أن راسين هو أعظم كاتب مسرحي.

هل بإمكان أى شخص حقا أن يبرهن بطريقة مقبولة على أنك أخطأت النظر، فبحثت عن أشياء غير الأشياء الصحيحة أو بحثت عنها في غير مظاهرها؟ ربما يكون كل ما بوسع فلاسفة الفن أن يقولوه نون تهافت هو أنه إذا كانت هناك حقائق واقعة عن القيمة الجمالية (وبخاصة عن القيمة المقارنة) فعندئذٍ يمكن أن يكون الناس على خطأ. بعبارة أخرى، إذا أمكن لسؤال أن يجاب خطأ (لأن إجابته لا تجرى على الوجه الصحيح) فهو إذن سؤال موضوعي. فهل الأسئلة الجمالية أسئلة موضوعية؟ تلك مسألة تبقى دائما محل خلاف.

## الأحكام والمشاعر

سيقول بعض الناس إنهم رغم تسليمهم بأن الفنان س أفضل من الفنان ص، فهم يفضلون الفنان ص على الفنان س. فإذا كان الذوق الجيد مجرد صواب معرفي لوجب أن يعد هذا النمط من الناس أصحاب ذوق جيد. إلا أن هذا ليس من الذوق الجيد. فالذوق الجيد يستلزم أن نفضل س على ص إذا كان س حقا أفضل من ص.

لنفترض أننا استطعنا أن نصنف الموضوعات الصُّنعية، بشكل قريب من الصحة، على أساس قدرتها على توليد خبرات جمالية ممتعة. ورغم أنه لا سبيل هنا إلى التقدير الكمي، إذ لا سبيل إلى إخضاع المتع المميّزة كيفيا لتلك الخبرات المختلفة التي تثيرها الموضوعات الصُّنعية لأي مقياس عام، إلا أنه من الممكن أن تنتظم الموضوعات

الصُّنعية في منازل ورتب وفق مواصفات معينة للخبرات الممتعة المتولدة عنها . من هذه المواصفات المقترحة: الشدة والتعقيد وإثارة الاهتمام المعرفى والدوام. عندئذٍ يمكننا أن ننعت شخصا ما بأنه ذو ذوق جيد إذا كانت اختياراته ومتعته في معظمها متمشية مع هذا التنظيم التراتبى.

على أية حال، فإن إمكان قيام تنظيم تراتبى له بعض المكانة الموضوعية سيبقى دائما مسألة خلافية. ونعنى بالموضوعية هنا أن يكون التراتب أكثر من مجرد انعكاس للتحيزات الثقافية العامة أو الميل الشخصية لواضعه.

## مجمال

رغم أن كلمة إستطيقا أو علم الجمال تغطى جميع المسائل التصورية المتعلقة بكل من الموضوعات الجميلة بطبيعتها والأعمال الفنية، فقد حازت الأعمال الفنية على الجانب الأكبر من الاهتمام الإستطيقى فى العصر الحديث. ومن المتعين على أية نظرية جمالية بالمعنى المعاصر أن تفسر لنا لماذا تتمتع أشياء صُنعية معينة بأهمية خاصة هى بحق أهمية فريدة فى نوعها - نسيج وحدها *sui generis* . ويشمل هذا أن تجيب تلك النظرية عن سؤالين: ما الذى يجعل من موضوع صُنعى ما عملاً فنياً؟ ولماذا تعد الأعمال الفنية شيئاً هاماً وحيوياً؟ إن فلاسفة الفن إذ يشرعون فى الإجابة عن هذين السؤالين لا يمشون فى الطريق نفسه. إلا أن أية نظرية شافية (و مستصوية) عن 'العمل الفنى' عليها كما أوضحنا أن تتناول بشكل أو بآخر كلاً من العوامل الخمسة التالية:

(١) بمقدور البشر أن يهتموا بأشياء أو موضوعات لا يحتاجون إليها ولا يريدونها لأغراضهم العملية المعتادة، أو لنقل باصطلاح علم الجمال إن الناس لديهم القدرة على اتخاذ 'الموقف الإستطيقى'.

(٢) الأعمال الفنية لها سمات شكلية معينة صممت خصيصاً لتكون مثيرة للاهتمام

المحض بتنزهه عن الغرض. من ذلك أننا نجد أنفسنا مشغوفين بالنظر إلى لوحة معينة رغم أن موضوعها لا يهمننا كثيراً ولا يعنيننا بشكل خاص.

(٣) بمقدورنا في الظروف المواتية أن نخبر الأعمال الفنية بطريقة تتطوى على رضا أو إشباع معين. هذه الخبرة هي ما يقال له 'الخبرة الجمالية'.

(٤) الخبرة الجمالية خبرة ممتعة، ولها لذتها الخاصة شأن كل الخبرات الممتعة. لذا فإن وجود الأعمال الفنية يتيح لنا مجالا هائلاً من المتع الشديدة التميز.

(٥) لخبرتنا بالأعمال الفنية مردود معرفي. وهو ما يميزها عن مجرد التسلية (لا نعننى بذلك أن التسلية شىء زميم ولا أن الفن لا يمكن أن يكون مسلياً)، فنحن نتعلم من خلال الفن أشياء عن العالم، ونجنى أيضاً معرفة بالاتصال المباشر بالأعمال الفنية ذاتها. (وقد شبهنا ذلك بتعرفنا بشخصيات جديدة نجد لها جاذبية وطرافة).

وهناك سمتان أخريان جرى العرف على أن توسم بهما بعض الأعمال الفنية أو كلها، وهما المحاكاة والتعبير. فمن الفلاسفة من زعم أن ماهية الفن هي محاكاة الطبيعة. وعلى الرغم من خطأ هذا الزعم فإن التقدير الكبير الذى يحظى به كثير من الأعمال الفنية يرجع فى جانب منه إلى نجاحها فى تمثيل الواقع. كما أننا لا نجد بالتأكيد أى سبب يمنعنا أن نعجب بالفنانين القادرين على المحاكاة الناجحة.

وأيضا زعم البعض أن ماهية الأعمال الفنية هي أن تعبر عن المشاعر و/أو الأفكار. ولا يمارى أحد فى أن العمل الفنى لا مندوحة له عن أن يكون، بمعنى ما، تعبيراً عن كل من الفنان الذى صنعه والثقافة التى صنع فى كنفها. ومع ذلك من الخطأ أن نقول مع النظريات التعبيرية إن الهدف الرئيسى لكل عمل فنى هو أن يعبر عن شىء ما.

إن الأعمال الفنية تشكل فئة ضخمة من المفردات الشديدة التنوع والتباين، ونحن حين ننظر إلى هذا التنوع الهائل ونأخذه بعين الاعتبار، نستبعد أى وصف أحادى يتناول كيفية عمل الفن ومعيار النجاح الفنى فيرد كل شيء إلى عامل واحد مفرد. وبعد، فليس كل عمل فنى يروق لشخص يتعين أن يروق لغيره. فإذا كانت أنواق الناس تختلف، فهل يترتب على ذلك أن بعضهم مخطئ بالضرورة؟ هذه واحدة من أصعب المشكلات فى علم الجمال. ولم ينعقد، لسوء الحظ، أى اتفاق بين علماء الجمال حول الطريقة التى يتناولون بها هذه المشكلة ويعمدون إلى حلها.



## معجم فلسفى مختصر

### - العنى . القصدية aboutness

خاصية أساسية للحالات الذهنية من حيث احتيازها على مضمون (محتوى) أو تمثيلها لشيء ما. تُعرف أيضاً بـ "القصدية" intentionality .

### - مطلق absolute

مصطلح يستخدم فى الأغلب الأعم ليعنى "دون قيد"، غير نسبى، غير مُقارن. ويستخدم بعض الفلاسفة لفظة "المطلق" كاسم لـ "الواقع النهائى" أو "الكل".

### - مجرد abstract

لا يحوز موضعاً مكانياً- زمانياً كالذى تحوزه الأشياء المادية العادية. وتعتبر الأعداد والخواص والقضايا، فى بعض الأحيان، كيانات مجردة.

### - الجزئيات المجردة abstract particulars

مثول جزئى لصفات مثل الأحمر والمربع، يعتقد بعض الميتافيزيقيين أنها اللبّات القصوى للواقع. تُسمى أيضاً tropes .

### - عبث . ممتنع . مُحال absurd

لا معنى له على الإطلاق. ترى الوجودية أن الحياة عبث، وأن الإنسان هو انفعال لا طائل منه.

### - عَرَض accident

– انكشافى alethic

متعلق بالحقيقة(\*)

– الحساب الرمزى، الخوارزميات... algorithm

قاعدة، كقاعدة الجمع مثلاً، يمكن تطبيقها دون حكم على طائفة من المسائل، فتنتج فى كل مسألة الحل الصحيح الوحيد لها.

– اغتراب alienation

مصطلح استخدمه ماركس ليصف به حال العامل الذى لا يملك وسائل الإنتاج، ولا هو يملك نتاج عمله ذاته. استخدم الوجوديون هذا اللفظ فيما بعد ليشير إلى اغتراب عام عن واقع الحياة اليومية. (\*) (\*)

– إيثار . غيرية altruism

إحسان منزّه عن الغرض. حالة يكون فيها المرء مهتماً بصالح الآخرين دون أنانية. يرى البعض أنها أساس الأخلاقية.

– التباس ambiguity

حالة كون الشيء ملتبساً. يُعد اللفظ أو التعبير ملتبساً إذا كان له أكثر من معنى معرفى محدد. مثال ذلك: bank فهو يعنى "ضفة" ويعنى "مصرف" .. ، و cardinal

(\*) أليثيا باليونانية تعنى اللاتحجب، الانكشاف، التجلى، وقد استعملها هيدجر بمعنى الحقيقة والكشف عنها. (المراجعة)

... نلاحظ أن هذا المصطلح فى صيغته الأوربية، مشتق من اسم عالم الرياضيات العربى فى القرن التاسع الميلادى محمد بن موسى الخوارزمى، مؤسس علم الجبر. (المراجعة)

(\*\*) ويات هذا المصطلح واسع الانتشار، متعدد الاستخدامات فى الفلسفة المعاصرة والفكر المعاصر. (المراجعة)

فهو يعنى "صاحب المنصب الكنسى المعروف" ويعنى "رئيسى" ويعنى "أصلى" ويعنى "العدد أصلى" .. (أمثلة عربية: عين، فصل، أمر، ضرب..)

#### - خارج عن الأخلاق amoral

لفظة تصف حالة كون المرء (أو الشيء) خارج نطاق الأخلاقية أو غير واعٍ بها. (لاحظ أن معظم الأشخاص "الخارجين على الأخلاق" immoral ليسوا "خارجين عن الأخلاق" amoral).

#### - الالتباس الدلالى أو النحوى amphiboly

تُعد جملة ما ملتبسةً دلاليًا أو نحويًا إذا كانت قابلة، بسبب تركيبها، لأكثر من تفسير واحد (حمالة أوجه).

#### - مماثلة analogy

تنعقد مماثلة بين أ ، ب إذا كان لكل من أ و ب ، على اختلافهما، سمات مشتركة مهمة.

#### - تحليل analysis

يشتمل أى تحليل على "المحلل" (المطلوب تحليله) analysandum أى العبارة أو المفهوم المطلوب تحليله، و "المحلل" analysans (مفردات التحليل) أى مجموعة العبارات التى تقدم التحليل.

#### - العبارة التحليلية analytic statement

عبارة تصدق من جراء تعريف حدودها المكوّنة. مثال ذلك: "كل العزاب غير متزوجين".

#### - فوضوية، لاسلطوية anarchism

موقف فلسفى يرى أن جميع الحكومات وجميع القوانين هى شرور لا لزوم لها.

– الإحيائية. المذهب الإحيائي animism

مذهب مفاده أن كل ما فى الطبيعة هو حى.

– اللانظامية anomie

حالة ذاتية من الضياع والاقتلاع والقلق. وهى شبيهة بالاغتراب بمعناه الوجودى.

– مُقَدِّم antecedent

انظر conditional (العبارة الشرطية).

– أنثروبوسنتريزم ، مركزية الإنسان anthropocentrism

النظر إلى البشر على أنهم مركز كل شىء. تُوجَّه عادةً كتهمة يلقى بها أحد الفلاسفة على الآخر.

– أنثروبومورفيزم . أنسنة anthropomorphism

هو أن تنظر إلى كل شىء على أن له تكويناً بشرياً (إضفاء الصفة البشرية على ما ليس بشرياً). عادة ما يستخدم هذا المصطلح فى سياق لاهوتى ليشير إلى رأى القائل بأن الإله (أو الآلهة) شبيهة بالبشر. وقد كانت الديانات اليونانية القديمة تتسم بالشرك (تزخر بآلهة عديدة) وبالأنسنة أيضاً.

– المذهب المضاد للأسس antifoundationalism

اسمٌ ينسحب على جميع المواقف الفلسفية التى تنكر أن المعرفة البشرية تتأسس على مجموعة صغيرة من الحقائق اليقينية.

– نقيضة antinomy

عبارتان غير متساوقتين تستند كل منهما على حججٍ سديدةٍ ظاهرياً. أى أن لدينا فى كلتا العبارتين ما يبرر الاعتقاد بأنها صادقة.

– المذهب المضاد للواقعية antirealism

واحد من عدد من الآراء التي تنكر وجود واقع محدد تحديداً تاماً وتعكسه عباراتنا الصادقة. أى رأى ينكر مبدأ "ثنائية القيم" ( bivalence /انظر "ثنائية القيمة"). من ذلك أن المذهب الدلالي المضاد للواقعية ينكر جدوى نظريات "شروط الصدق" كتعريفٍ لمعنى العبارة.

– ضرورى apodictic

مصطلح يستخدم بمعنى "مثبت"، "صادق بالضرورة"، و/أو "ذو يقين مطلق".

– معضلة aporia

موقف إشكالى لا حل له (أو على الأقل لا يُعرف له حل). واللفظة مشتقة من الكلمة اليونانية aporia وتعنى "طريق مسدود".

– بَعْدَى a posteriori

باللاتينية ويعنى: بعد التجربة. لاحق على الخبرة. وأغلب الوقائع لا تمكن معرفتها إلا بعدياً.

– قَبْلَى ، سَبْقَى ، أَوْلَانَى a priori

باللاتينية ويعنى: سابق للتجربة. بعض الحقائق مثل "كل المثلثات لها ثلاثة أضلاع"، تمكن معرفتها "قَبْلِيّاً".

– أرخى arche

تعنى باليونانية المصدر أو المبدأ الأول. ومنها تُشتق كلمة ( archeology (علم الآثار)، وكلمة architecture (فن العمارة). وبإضافة بادئة سلبية تصبح anarchy (فوضى).

– حُجَّة argument

مجموعة من العبارات تحتوى على "مقدمة" premise أو مقدمات من شأنها أن تقدم مبررات لقبول "نتيجة" conclusion معينة.

– جدارة التقرير assertibility

صفة للعبارات بمقتضاها تكون العبارة مصوغة على نحو صحيح أو لها ما يُسوِّغها أو يبررها.

– تقرير . حكم assertion

واحد من "أفعال الكلام" الرئيسية، به نقول إن شيئاً ما هو حق. (كثيراً ما تستخدم اللفظة كمرادف لكلمة "عبارة" statement )

– المذهب الترابطى . الترابطية . مذهب التداعى associationism

نظرية سيكولوجية ترى أن الأفكار البسيطة (الانطباعات الحسية) تترابط فى العقل على أساس التشابه، والتباين، والتجاور، والعلية...إلخ

– افتراض assumption

نقطة بداية مُسلَّم بها دون نقاش. إن ما بوسعك أن تثبته خلال نقاش و/أو حجة سيعتمد دائماً على الافتراضات التى تبدأ بها.

– غير متماثل asymmetrical

تُعَد العلاقات (على سبيل المثال "أطول من" أو "أصغر من") غير متماثلة حين يكون من المحال إذا افترضنا صحتها بين أ و ب، أن تصح بين ب و أ. (انظر "متماثل" symmetrical ) .

– واقعة ذرية atomic fact

واقعة بسيطة بساطة مطلقاً. يرى بعض المفكرين أن الوقائع المعقدة، مثل واقعة أن س أطول من ص، يمكن تحليلها إلى وقائع ذرية: مثلاً أن س طوله ستة أقدام وواقعة أن ص طوله خمسة أقدام. وكلمة "ذرة" atom (باللاتينية تعنى غير قابلة للانقسام) تُعرّف الآن بوصفها ذلك الشيء الذى لا يمكن تقسيمه إلى أجزاء تكون هى ذاتها ذرات.

– المذهب الذرى atomism

هو الرأى القائل بأن المكونات الأساسية للواقع هى ذرات أو قطع دقيقة من مادة غير قابلة للانقسام.

– صفة attribute

سمة أو خصيصة أو ملمح أو خاصية أى شىء. وأن تنسب الخاصة ب إلى الشىء أ هو ببساطة أن تقول إن أ لديه ب.

– استقلال ذاتى autonomy

هى حالة كون الشىء "مستقلاً" autonomous . يقال للشىء إنه مستقل إذا كان يعمل وفقاً لقوانينه ومبادئه المستقلة الخاصة. الضد: إكراه heteronomy .

– مبحث القيم axiology

النظرية العامة للقيم أو علم القيمة، يشمل كلاً من القيم الأخلاقية والجمالية.

– بديهية axiom

مبدأ أساسى مفترض افتراضاً أو واضح بذاته. منه يبدأ جزء ما من الاستدلال أو موضع ما من البحث.

– أکسمة . نسق استنباطی axiomatization

بناء معرفى منظم كمجموعة من القضايا المشتقة من (أو المترتبة استنباطياً على) عدد صغير من البديهيات أو التعريفات. وتعد الهندسة الإقليدية خير الأمثلة المعروفة للنسق الاستنباطی.

– فعل أساسی . قاعدی basic action

هو الفعل الجسدى (للإنسان) الذى لا يتم بواسطة أداء شىء آخر. فى الظروف العادية يعد رفع ذراعى فعلاً أساسياً أو قاعدياً .

– قاعدية . أساسية basicness

هى صفة كون الشىء أساسياً.

– المصادرة على المطلوب begging the question

هو أن تأتى فى سياقٍ معطى فتفترض عينَ الشىء الذى عليك إثباته (أو الذى تتظاهر بأنك تثبته). يقال له أيضاً "المجادلة الدائرية" *arguing in a circle*.

– السلوكية . المذهب السلوكی behaviorism

فى فلسفة العقل هى وجهة النظر القائلة بأن جميع الحدود الذهنية أو السيكولوجية يمكن تعريفها فى حدود السلوك الملاحظ.

– اعتقاد belief

هو "الموقف القضوى" *propositional attitude* للقبول. "اعتقاد أن ق" هو التزام انكرى بأن ق صادقة.

– شرطية مزدوجة biconditional

مصطلح فنى يصف عبارة صيغتها "ق إذا وفقط إذا ك". سُمِّيت كذلك لأنها مكافئة لتضام عبارتين شرطيتين: "إذا ق إذن ك و إذا ك إذن ق". إذا كانت ق و ك عبارتين مترادفتين فإن "ق إذا وفقط إذا ك" ستكون دائماً حقيقة ضرورية.

– البيوأخلاقيات. علم الأخلاق الحيوى (الطبي) bioethics

فرع من علم الأخلاق يتناول جميع المسائل الأخلاقية التى تنشأ من ممارسة الطب أو من البحث الطبى.

– ثنائية القيم bivalence

تعنى حرفياً حالة امتلاك قيمتين. كثيراً ما تستخدم فى السياق الذى يرى أن أى عبارة مصوغة بشكل قويم هى إما صادقة وإما كاذبة.

– الشك الديكارتى Cartesian doubt

تعليق الاعتقاد. يتعلق بالشك المنهجى الخاص بديكارت (أو محاولة الشك فى كل شئ ليس يقينياً يقيناً مطلقاً).

– الديكارتية Cartesianism

اسم يطلق على فلسفة رينيه ديكارت، مع التوكيد، فى العادة، على الثنائية الديكارتية (أى ثنائية النفس/الجسم).

– مقولى categorial

متعلق بـ "مقولة" category ما أو متعلق بالمقولات.

– مطلق categorial

مطلق، غير مشروط، غير نسبى. تُعد الواجبات الأخلاقية شيئاً مطلقاً لدى بعض الفلاسفة.

– الأمر المطلق categorical imperative

اسم يطلق على المبدأ التالى الذى قدمه إمانويل كانت: "أفعل بحيث يمكنك أن تريد لمبدأ فعملك أن يكون قانوناً عاماً ملزماً لكل شخص عاقل آخر".

– مقولة category

فئة، جنس، عائلة، نمط، نوع .. إلخ. مصطلح يستخدم ليدل على شريحة أساسية فى تصنيف الواقع.

– خطأ مقول category mistake

أن ترتكب خطأ مقولاً هو أن تقرر أشياء من تصنيفات مختلفة لا يجوز عقلاً أن تجتمع. مثال ذلك أن تقول: أعداد حمراء، فضائل بدينة، قضايا غير قابلة للأكل.

– تطهر catharsis, katharsis

هو عملية التطهر أو الإبراء التى تصحب مشاهدة المسرحيات التراجيدية فيما يرى أرسطو.

– علئية . سببية causality, causation

علاقة بين حدثين يحدث أولهما الثانى.

– علته ذاته causa sui

باللاتينية ويعنى: علة نفسه. يرى بعض اللاهوتيين أن الرب هو "علة ذاته".

– يقين certainty

ثقة معرفية قصوى. مصطلح يطلق على أيما شىء (إن وُجد) يكون للشخص مبرر تام للوثوق منه.

– خصيصة characteristic

لفظة تستخدم فى الأغلب الأعم كمرادف لـ "خاصة" أو "لمح" أو "سمة".

## – الأنطولوجيا الرخيصة cheap ontology

مصطلح حديث نسبياً يستخدم ليصف أى موقف فلسفى يتبنى وجهة نظر تضائل من الالتزام الأنطولوجى.

## – اختيار choice

قرار يتخذ لانتقاء بديل معطى من بين خيارين أو أكثر. يرى بعض الفلاسفة أنه مادام كل شىء محتملاً علياً، وبالتالي لا يسع الأمور أن تمضى إلا فى طريق واحد، فليس هناك إذن بدائل حقيقية، ومن ثم فإن البشر لا يقومون باختيارات (غير مخيرين).

## – وضوح clarity

خاصة كون الشىء واضحاً. ومن المتفق عليه أن تحقيق الوضوح (الإضاءة، التوضيح eluciation) هو أحد الأهداف الكبرى للفلسفة.

## – الأفكار الواضحة والمتميزة clear and distinct ideas

تعبير ديكارتى. يدعى ديكارت أنه إذا كانت أفكارنا عن شىء ما واضحة (فى ذاتها) ومتميزة (عن سواها) فنحن بمنجاةٍ من الخطأ.

## – أنا أفكر إذن أنا موجود. الكوجيتو cogito ergo sum

عبارة استخدمها ديكارت بوصفها اليقين الأساسى الذى يقوم عليه كل فكر لاحق.

## – معرفى cognitive

مصطلح يستخدم فى الأغلب الأعم ليعنى: متعلق بالمعرفة و/أو الحقيقة. المواقف، والاهتمامات، والمعانى – يمكن أن تكون جميعاً معرفية (أو ألا تبلغ أن تكون معرفية).

## – المذهب المعرفى (فى الأخلاق) cognitivism

هو الرأى القائل بأن الجمل الأخلاقية مثل "السرقه خطأ" هى عبارات حقيقية.

– التساوق coherence

مصطلح يستخدم بأكثر من طريقة. أحياناً يعنى خاصةً كونِ الشيء متسقاً منطقياً. ولكن الأكثر شيوعاً هو أن يستخدم ليعنى هذه الخاصة بالإضافة إلى صورة أقوى من الانسجام المتبادل، مثل الدعم التفسيري المتبادل.

– الحس المشترك common sense

اسم عام لما يعتقد به كل شخص عاقل. يرى بعض الفلاسفة أنه صحيح بالضرورة، بينما يرى آخرون أنه مستودع الأخطاء القديمة.

– الفلسفة المقارنة comparative philosophy

هى الدراسة المقارنة للفلاسفة الغربيين وغير الغربيين. وهى مصوغة على غرار "الدين المقارن".

– متوافقة compatible

قادرة على التعايش، أو الصدق المشترك (أى أن تكون صادقة فى الوقت نفسه).

– مكمل ، متمم complement

المتمم لفئة ما هو كل ما ليس فى هذه الفئة. مثال ذلك أن متمم فئة الشجر يشمل كل ما ليس بشجرة.

– نزوع conation

سعى. يقال للرغبات والحاجات إنها نزوعية، من حيث إن امتلاكها يرتبط منطقياً – وإن يكن بطريقة غير مباشرة – بالسعى إلى إشباعها أو تحقيقها.

– إمكان التصور conceivability

هو كون الشيء ممكنًا تصويره أو إدراكه ذهنيًا. يُعتَقَد بصفة عامة أن أى شيء لا ينطوى على تناقض هو شيء يمكن تصويره (وذلك يعنى إمكان إدراكه ذهنيًا أكثر من إمكان تخيله).

- تصور . مفهوم concept

فكرة، رأى. يعنى الناسُ المفاهيم، والكلمات تعبر عن المفاهيم، والأشياء تجسد المفاهيم. وبصدد هذه الأخيرة يقال إن المفاهيم تنطبق على الأشياء التى تجسدها.

- تحليل تصوري (مفاهيمي) conceptual analysis

توضيح المفاهيم (التصورات) بعرض الشروط الدقيقة لاستخدامها.

- عياني . عيني concrete

مصطلح يستخدم ليعنى ذلك الذى له موضع مكاني- زمني محدد، شأن الأشياء المادية العادية. وعكسه "المجرد" abstract .

- شرطية conditional

مصطلح فني يعنى العبارات ذات الصيغة: "إذا ق إذن ك". تستخدم العبارات الشرطية لتعبر عن عدد من العلاقات المختلفة بين ق (تسمى "المقدم" antecedent) و ك (تسمى "التالي" consequent)

- إقرار، تأييد confirmation

هو العلاقة التى تنعقد بين الدليل (البينة) وذلك الذى يثبتته الدليل. ومن المجمع عليه أن الدليل لا يؤيد أى تعميم من صيغة "كل أ هو ب" إلا تأييداً جزئياً.

- الاقتران أو الوصل conjunction

مصطلح فني يعنى العبارات التى لها الصيغة: "ق أو ك". تصدق عبارة الاقتران إذا وفقط إذا كان كلا مكوئيهما صادقاً.

- التضمن connotation

أيما شيء ليس جزءاً من المعنى الأولي أو المعرفي للفظ. يشمل ذلك أي انفعالات إيجابية أو سلبية (يطلق عليها المعنى الانفعالي الإيجابي أو السلبي) مرتبطة باللفظة.

- قال consequent

انظر "شرطية" conditional.

- مذهب النتائج consequentialism

هو الرأي القائل بأن ما يحدد ما إذا كان فعلٌ ما مباحاً أو غير مباح أو واجباً ملزماً إنما هو نتائجه المتوقعة. ويعد "مذهب المنفعة" utilitarianism هو الصيغة الأكثر شيوعاً من صور مذهب النتائج.

- اتساق consistency

هو عدم وجود تناقض منطقي. تكون عبارتان متسقيتين إذا لم يكن بينهما تناقض منطقي. وتكون مجموعة من العبارات متسقة إذا كان ممكناً أن تصدق جميع أعضائها في آنٍ معاً.

- البنائية . المذهب البنائي constructivism

هي وجهة الرأي التي تدعى أن شيئاً ما قد درَجْنَا على اعتباره مستقلاً عن التفكير البشري (كالطبيعة أو الواقع الرياضي...) إنما هو في الحقيقة نتاج للتفكير البشري، أو غير مستقل تماماً عنه على أقل تقدير.

- محتوى . مضمون content

تعد الحالات الذهنية ذات محتوى بقدر ما تعمل كتمثيلات. وعليه فإن حالة ذهنية غير تمثيلية، مثل الشعور بالألم، هي حالة ذهنية بلا محتوى.

- سياق context

حرفياً: كلمات أخرى مع. وبصفة عامة، أن تلتفت إلى السياق هو أن تأخذ بالاعتبار جميع العوامل الظرفية ذات الصلة بالفهم والتأويل. يعتمد معنى أى كلمة أو قول أو فعل أو إيماء على سياقه الذى تم فيه.

- إمكان . حدوث . عَرَضِيَّة contingency

صفة كون الشيء غير ضرورى. بذلك يقال لأى شىء غير ضرورى إنه "ممکن" (حادث، عارض، طارئ) contingent . يعد الحدث الذى لم يكن لازماً عليه أن يحدث هو حدث ممکن (عارض، طارئ). وتعد الخاصة التى ليس لازماً على الشىء أن يتحلى بها هى خاصة ممكنة (عارضة، طارئة). ويعد الوجود الذى ليس وجوده ضرورياً هو موجود ممکن (حادث، عارض، طارئ).

- صلة عرضية contingent connection

مصطلح يستخدم لوصف العلاقة بين خاصيتين يحدثان معاً دائماً (أو على الأقل يحدثان فى أحيان كثيرة) غير أنهما غير مرتبطتين تصورياً.

- نقيض contradictory

تعد العبارتان ق ، ك نقيضتين إذا تعين أن يكون لهما قيم صدق متضادة. مثال ذلك العبارتان: "جميع السويديين بروتستنتيون" و "بعض السويديين ليسوا بروتستنتيين". أو العبارتان "لا أحد من السويديين بروتستنتى" و "بعض السويديين بروتستنتيون".

- تقابل contraposition

تحويل العبارة الشرطية "إذا ق إذن ك" إلى "إذا لاك إذن لاق". إذا كانت العبارة الأصلية صادقة فإن مقابلتها ستكون أيضاً صادقة.

- ضد contrary

تعد العبارتان ق ، ك ضدين إذا أمكن كذبهما معاً ولكن استحال صدقهما معاً. مثال ذلك العبارتان: "جميع السويديين بروتستنتيون" و "لا أحد من السويديين بروتستنتي" (٥٢)

#### - مذهب المواضعة . المذهب الاصطلاحي conventionalism

وجهة رأى تدعى أن شيئاً ما إنما هو "مسألة مواضعة واتفاق لا أكثر". قد يكون المرء مواضعاً (اصطلاحياً) فى مسألة الأخلاقية أو القيمة الجمالية، أو حتى فى مسألة الحقيقة (الصدق).

#### - الإضمار الحواري conversational implicature

أى شىء غير مترتب منطقياً على ما يقال ويؤخذ رغم ذلك على أنه مترتب عليه؛ يقال لهذا الشىء إنه يترتب كمسألة إضمار حواري.

#### - متضاييف correlative

بالمعنى الصارم، هو المكمل الضرورى منطقياً لعلاقة ما - مثلاً: الشراء بالنسبة إلى البيع، أو كون الشىء "أقصر من" بالنسبة إلى كون الشىء الآخر "أطول من" ذلك الشىء. وبالمعنى الفضفاض هو أى علاقة تالية مرتبطة بعلاقة أولى أو متضمنة فيها.

#### - قابل للتصويب corrigible

قابل للتصحيح. تُعدّ التعميمات الإمبيريقية قابلة للتصويب على أساس الخبرة التالية.

#### - تعزيز corroboration

أى دعم مستقل لشيء ما.

(٥٢) نلاحظ أنه إذا كان بعض السويديين بروتستانتين كانت هاتان العبارتان كاذبتين، لكن يستحيل على أية حال أن يصدقا معاً. لذلك هما ضدان. (المراجعة)

– الحجة الكوزمولوجية . الدليل الكوني cosmological argument

دليل من أدلة وجود الرب، يريد أن يبين أن وجود الرب يترتب على سمات العالم الملاحظ (الكون)، مثل الحركة، العلة والمعلول، والإمكان أو الحدوث contingency .

– الصدق المصاحب co-truth

حالة كون الشيء (أو العبارة) صادقاً في الوقت نفسه.

– التكوين اللاتكيفي للخيارات counteradaptive preference formation

طريقة غير عقلانية لتغيير الخيارات حيث لا يعود الشخص يريد ما هو ملك يده بالفعل. يقال لها أحياناً مغالطة "العشب دائماً أكثر خضرة على الجانب الآخر من السياج .

– مثال مضاد counterexample

مثال أو حالة خاصة تبين أن تعميماً ما أو مبدأ عاماً هو كاذب. من ذلك أن غراباً أبيض سيُعدّ مثلاً مضاداً للتعميم القائل بأن جميع الغربان سود.

– شرطية غير وقائعية counterfactual conditional

عبارة شرطية ذات مقدّم كاذب، مثال ذلك: "إذا لم يكن روبرت كندي قد اغتيل، لكان قد أصبح يوماً ما رئيساً". يعد تحديد قيم صدق العبارات غير الوقائعية مشكلة كبرى في الفلسفة المعاصرة.

– مضاد للحدس counterintuitive

يمضي ضد الحدس المشترك أو الحدوس قبل الفلسفية المعتادة. يعتبر بعض الفلاسفة أن مضادة الحدس علامة على البطلان، بينما ينصرف فلاسفة آخرون عنه كشئ لا صلة له بالبتة بالبحث المعرفي.

- نموذج القانون الشامل covering law model

هو الرأي القائل بأن تفسير الوقائع التاريخية يتطلب إظهار أنها تجسّدات لقانون عام ما.

- خَلْق من عَدَم creatio ex nihilo

باللاتينية ويعنى: إيجاد من لا شيء. يُعتَقَد بعامة أن الرب خلق العالم بهذه الطريقة. إن بإمكاننا نحن البشر أن نفهم مختلفَ ضروب الصنع، إذ يتضمن كل ضرب منها تحويلاً لمادة خام. غير أن الخلق "من عدم" يتجاوز فهمنا. وربما، إذا استطعنا فهمه، نستطيع أن نفعله (كذا).

- معيار، محك criterion

الجمع criteria . هو عامل ذو صلة بالمعنى، وهو ليس بشرط ضرورى necessary condition ولا بشرط كافٍ sufficient condition .

- الكليون cynics

أتباع ديوجين من سينوب Diogenes of Sinope (٤٠٠ - ٣٢٥ ق.م.). كانوا متقشفين يدعون إلى إشباع الحد الأدنى من الرغبات البيولوجية وبأبسط الطرق، وينظرون إلى أى جهد فوق ذلك نظرة احتقار وازدراء.

- القورنائون Cyrenaics

أعضاء مدرسة فلسفية ازدهرت فى القرن الرابع قبل الميلاد. كانوا يرون أن الشيء الوحيد الذى يهم هو الاستمتاع، هنا والآن، باللذة الجسمية.

- معطيات data

المفرد: datum . ما هو معطى فى بداية مسألة ما. ما هو مطلوبُ تفسيره. يقال لها أيضاً "the given" (المعطيات).

- **قولى. كلامى** de dicto

باللاتينية وتعنى: عن ما يُقال. يستخدم على سبيل المثال للتعبير عن الرأى القائل بأن الضرورة كلها هى قولية كلامية خاصة بالكلام - "de dicto" أى صفة للعبارات وليس للأشياء ذاتها. تقابل "de re" (شيئى خاص بالشيء).

- **حجة استنباطية** deductive argument

حجة يتعين أن تكون نتيجتها صادقة إذا كانت مقدماتها صادقة، كمقابل الحجة الاستقرائية Inductive التى يمكن أن تكون نتيجتها كاذبة حتى إذا كانت جميع مقدماتها صادقة.

- **قابل للإبطال، قابل للنقض** defeasible

حرفياً: قابل للانتهزام أو الإسقاط. يطلق أحياناً على شيء ما (واجب أو حق أو دعوى) يفترض أنه صائب ما لم يُنقض باعتباره أعلى. ضده: مطلق. مرادفه: prima facie (صائب للوهلة الأولى، ما لم يُنقض بدليل).

- **المطلوب تعريفه** definiendum، والمعرف. التعريف definiens

اسمان يطلقان على شطرى التعريف: أما الـ defineindum فهو ذلك الذى يراد تعريفه، وأما الـ definiens فهو ذلك الذى يقوم بفعل التعريف.

- **خاصة تعريفية** defining property

خاصة يتعين أن يمتلكها الشيء لكى يكون ما هو.

- **العَمْد** deliberation

هو عملية التفكير حول ما ينبغى فعله والتى غالباً (وإن لم يكن دائماً) ما تسبق الفعل.

- **إنكار** denial

نفى. "إنها لا تمطر" و "ليست الحقيقة الواقعة أنها تمطر" هما طريقتان للتعبير عن إنكار أو نفى "إنها تمطر".

#### – الماصدق . المعنى الحقيقى (الإشارى) denotation

مجموعة الأشياء التى ينطبق عليها اللفظ على نحو صحيح. هكذا فإن ما صدق كلمة "تفاح" (معناها الإشارى) هو جميع التفاحات.

#### – خاص بالشئ de re

باللاتينية وتعنى: عن الشئ. أن تقول بأن بعض الحقائق الضرورية هي "de re" هو أن تقول إن الصدق هو شأن خاص بالأشياء نفسها وليس بالعبارات. تقابل بـ "de dic-to" (خاص بالكلام أو القول).

#### – الحتمية determinism

عادةً هي اختصار لـ "الحتمية العلية التامة": وهى الرأى القائل بأن ما يحدث الآن هو الشئ الوحيد الممكن علياً، باعتبار القوانين الطبيعية وحالة العالم السابقة مباشرة.

#### – الرب أو الطبيعة Deus seve Natura

تعبير لاتينى استخدمه باروخ سبينوزا ليصف الواقع الشامل الواحد الذى يؤلف العالم.

#### – جدلى . دياكتيكى dialectical

تعبير كثيراً ما يستخدم ليصف أى حركة للفكر الذى يتقدم عن طريق تمييز الاعتراضات والتغلب عليها. وقد كان فى الأصل وثيق الصلة بـ "الحوار".(\*)

(\*) الأصل اللغوى أى الإيتمولوجى لمصطلح هو dia أى اثنان، و lectus أى حد أو طرف، لذلك فهو يعنى الذى ينتقل بين طرفين أو حدين، كالجدل الأفلاطونى الذى ينتقل بين عالم المادة وعالم المثال، والجدل الهيجلى و الماركسى الذى ينتقل من القضية إلى نقيضها إلى المركب الشامل. والمصطلح يغطى أيضاً الحوار لأنه يدور بين طرفين على الأقل. (المراجعة)

- الفروق الخاصة . الفروق النوعية differentia

مصطلح فنى يستخدم لى يشير إلى تلك الخصائص التى تفرق (أو تميز) أعضاء فئة تحتية (يقال لها أحياناً "النوع" species ) عن أعضاء الفئة الأكبر (يقال لها أحياناً "الجنس" genus ) . ويقال إن تعريف أرسطو للإنسان كحيوان عاقل هو تعريف بواسطة الجنس والفرق الخاص (أو الفروق النوعية).

- الإحراج dilemma

موقف اختيار يكون فيه كلا البديلين غير مقبول. ونحن فى مواقف الجدل قد نُستدرَج إلى "ق أو ك" حيث لا هذه ولا تلك مقبولة.

- رفع الالتباس Disambiguation

عملية لا يعود بها اللفظ الملتبس ( بالقوة ) ملتبساً فى الحدث ( الفعلى ) . ويعد السياق والظرف المحيط اعتبارين كافيين لرفع اللبس عن معظم الألفاظ الملتبسة.

- وساد المبحث disciplinary matrix

مصطلح استخدمه توماس كون ليشير إلى مجموع الالتزامات المشتركة التى تميز مبحثاً معرفياً معيناً.

- خطابى discursive<sup>(٥٢)</sup>

خاص، أو متعلق، بـ "الخطاب" discourse .

- نقض disconfirmation

(٥٢) يستخدم هذا المصطلح أيضاً بمعنى مفارق عن الخطاب وذلك للدلالة على التفكير المنطقى أو الاستدلالي الذى يسير عبر مراحل وخطوات، كمقابل للتفكير الحدسى الذى يأتى بغتة وفى ومضة واحدة. (المراجعة)

واقعة تمثل دليلاً مضاداً. وعادة يكون من الأسهل كثيراً أن تفند من أن تثبت: إن بجعة واحدة غير بيضاء لتكفي لتفنيد القضية "كل البجع أبيض" (٥٤)

#### - فصل (بين القضايا) disjunction

مصطلح تكتيكي يشير إلى أى عبارة من صيغة "ق أو ك". وفى المنطق تفسر عبارات الفصل دائماً كعبارات فصل اشتمالية inclusive، أى إنها تعتبر صادقة إذا كان أحد مكوئيهما أو كلاهما صادقاً، وتعتبر كاذبة فقط إذا كان كلا مكوئيهما كاذبين.

#### - الخواص النزوعية dispositional properties

خواص، من قبيل الذوبانية أو الهشاشة، يتم تعريفها وفقاً لما هو حقيق أن يحدث فى ظروف معينة (سواء توافرت هذه الظروف أو لم تتوافر قط). تعد كثير من الخواص السيكلوجية خواص نزوعية.

#### - عدالة التوزيع distributive justice

ذلك الشطر من العدالة، سواء القانونية أو الأخلاقية، المعنى بالتوزيع العادل للمنافع والمضار.

#### - نظرية الوجهين double-aspect theory

هى وجهة الرأى الميتافيزيقية التى ترى العقل والجسم وجهين لواقع تحتى واحد.

#### - تبرير الدوكسا (الظن) doxastic justification

تبرير الدوكسا، فى مجال الإبستمولوجيا، هو عملية إثبات أن اعتقاداً معيناً له ما يبرره.

(٥٤) بينما نجد أن مليون بجعة بيضاء ليست إثباتاً لهذه القضية فمن أدراكنا أنه لا توجد بجعة غير بيضاء لم نرها أو لم تمر بخبرتنا. من هنا كانت كل القضايا التجريبية احتمالية ولا سبيل البتة لجعلها يقينية.

– ثنائية dualism

هى وجهة النظر الميتافيزيقية القائلة بأن الواقع مكون من نوعين من المادة الخام مختلفين اختلافاً جوهرياً: المادى (أو الجسمى) والذهنى (أو الروحى). تُعرَف أيضاً بالثنائية السيكوفيزيقية psychophysical dualism .

– واجب duty

الواجب هو ما ينبغى أن يفعله الشخص من الوجهة الأخلاقية أو القانونية.

– زوجى ، ثنائى dyadic

مصطلح يستخدم لتصنيف العلاقات: "يساوى" و "يحب" كلاهما علاقة ثنائية، بينما "يقع بين كذا وكذا" علاقة ثلاثية.

– تلفيقية ، توفيقية eclecticism

كلمة تستخدم، عادة بدرجة ما من عدم الموافقة، لتصف أى موقف يجمع بين نَتَفٍ أو أجزاء من عدة آراء منفصلة.

– تفسير اقتصادى economic explanation

تفسير يقوم على عوامل اقتصادية من قبيل العرض والطلب، الأجور، الأسعار، التكلفة، المنفعة الحدية...إلخ.

– معلول ، مُسبَّب effect

نتاج سببٍ ما أو معلولٌ علَّةٍ. وإنه لحقيقة ضرورية أن لكل معلول علة، ولكن ليس بالحقيقة الضرورية أن لكل حدث سبباً.

– المساواة egalitarianism

هى وجهة الرأى القائلة بأن البشر يجب أن يكونوا سواسية، أو أن الأمور ينبغى تغييرها بحيث يصير البشر سواسية. هناك أنواع كثيرة من المساواة بقدر ما هناك

من طرائق يمكن أن يكون الناس بها سواسية أو غير سواسية: في الدخول مثلاً، وفي الثروة، والفرص، والحقوق السياسية..إلخ.

#### – الأنا ego

كلمة لاتينية تعني أنا، نفسى. تستخدم في مصطلحات مثل egocentrism (مركزية الذات) و egoism (أنوية). ويشير مصطلح "مأزق التمرکز على الذات" egocentric predicament إلى المشكلة الإبستمولوجية التي مفادها: كيف أتجاوز "أنا" خبرتي الذاتية إلى معرفة عالم مستقل (قائم بمعزلٍ عنى).

#### – صورة . مثال eidos

تعنى كلمة "eidos اليونانية "صورة"، وبخاصة "صورة مرئية". وهى الكلمة الرئيسية التى يستخدمها أفلاطون ليشير إلى الأفكار (المُثُل) الثابتة وغير المادية. هناك على سبيل المثال صورة (مثال) للشجرية تعكسها الأشجار الحقيقية على نحوٍ غير كامل.

#### – المادية الحذفية eliminative materialism

اسم يطلق على تلك الآراء الميتافيزيقية التى تريد أن تستغنى عن (أو ترد أو تتخلص من) ما هو غير فيزيقى أو غير مادي؛ وبخاصة تلك الآراء التى تنكر إمكان وجود مستوى مستقل للتفسير السيكولوجى (أى لا يُردُّ إلى كيانات فيزيقية).

#### – إضامة . توضيح elucidation

عملية توضيح شىء ما. وهى تقوم، شأنها شأن كلمة clarify (يوضح)، على استعارة الضوء. ترى الفلسفة التحليلية أن توضيح المفاهيم هو الوظيفة الرئيسية، إن لم تكن الوحيدة، للفلسفة.

#### – خاصة انبثاقية emergent property

هى الخاصة التى يمكن تحليلها أو ردُّها إلى خاصة أكثر أساسية (قاعدية).  
الصلابة مثلاً هى خاصة انبثاقية بالنسبة إلى الخواص الجزيئية الأكثر قاعدية والتى  
تفسر صلابة الأشياء الصلبة(\*) .

– المذهب الانفعالى (فى الأخلاق) emotivism

هو النظرة القائلة بأن العبارات الأخلاقية من قبيل "السرقه خطأ" ليست أكثر من  
التعبير عن انفعال أو شعور.

– المذهب التجريبي empiricism

فى الإبستمولوجيا، هو الرأى القائل بأن الخبرة (التجربة)، وبخاصة الخبرة الحسية،  
هى المصدر الوحيد، أو الرئيسى على أقل تقدير، للمعرفة.

– تَعَقُّفٌ ، إِتْقَافٌ enculturation

هو العملية التى يصير بها المرء، من خلال التعليم، جزءاً مندمجاً وعاملاً فى مجتمع  
بشرى ما .

– لزوم منطقى entailment

علاقة موضوعية بين القضايا لا شأن لها بالعلاقات التى نلاحظها أو الحجج التى  
نقدمها. أ تلزم عنها ب إذا فقط إذا كانت أ لا يمكن أن تكون صادقة دون أن تكون  
ب أيضاً صادقة.

– قياس مضمر enthymeme

(\*) انظر فصل "فلسفة العلم"، تحت العنوان الفرعى: "الخواص الانبثاقية"، من أجل فهم أدق لهذا المصطلح  
الهام.

حجة ذات مقدمة غير مذكورة. مثال ذلك: "سقراط إنسان، إذن سقراط فان". والتي تفترض، وإن لم تنص على ذلك، أن "جميع البشر فانون" (هذا قياس مضمر لا ضير فيه، ولكن ليست كذلك كل الأقيسة المضمرة).

#### - كيان entity

مصطلح شبيه بـ "شيء" thing حين يستخدم هذا الأخير بأوسع معانيه. يميز أحياناً بين الكيانات وبين "الأحداث" events و "العمليات" processes . ويميز دائماً بينها وبين اللاكيانات non-entities .

#### - مذهب الظاهرة المصاحبة epiphenomenalism

حل لمشكلة "العقل/الجسم" يذهب إلى أن الوعي معلولٌ للجسم ولكنه لا يتفاعل علياً مع الجسم.

#### - إبستمولوجيا epistemology

فرع من الفلسفة يتناول سؤالاً: "ما هي المعرفة؟" و "كيف يكتسب البشر المعرفة؟". يسمى أيضاً "نظرية المعرفة" theory of knowledge .

#### - إبوخيه epoche

باليونانية: تعليق. يستخدم ليشير إلى صرف النظر عن أي تساؤل عن المصدر أو عن وجود العالم الواقعي عندما يكون المرء بصدد محاولة الوصف الدقيق للظواهر الذاتية.

#### - اشتراك equivocation

خاصة امتلاك معنيين. أن تقع في الاشتراك - غلطاً أو مغالطة - هو أن تستعمل ألفاظاً بها اشتراك.

#### - خاص بالأسئلة erotetic

متعلق بالأسئلة "erotic logic" . (منطق الأسئلة) هو المنطق المتعلق بالأسئلة.

- وجود الشيء هو كونه مدركاً *esse est percipi*

باللاتينية: أن يوجد (الشيء) هو أن يكون مدركاً. مبدأ ينسحب على كل شيء عند أولئك الفلاسفة الذين يرون أن الواقع كله هو في العقل. وهذا المبدأ قد يكون حقاً في أشياء معينة مثل مشاعر الألم.

- ماهية *essence*

طبيعة. ماهية أى شيء أو طبيعته هي ما يتعين أن يكون عليه الشيء ليكون ما هو أو ليكون من النوع الذي هو منه. ومن ثم فإن الخواص الماهوية هي خواص ضرورية.

- مذهب الماهية . الماهوية *essentialism*

هو الرأي القائل بأن للأشياء خواص ماهوية خاصة بها *de re essential properties* أى خواص ضرورية بمعزل عن تصنيفاتنا وتعريفاتنا.

- مذهب النسبية الأخلاقية *ethical relativism*

هو الرأي القائل بأن الاعتقادات الأخلاقية هي نتاج إثقاف عشائري (تطويع اجتماعي) وأنه ليس ثمة أساس عقلاني للمفاضلة بين الاعتقادات الأخلاقية المتنافرة للعشائر المختلفة.

- مركزية العرق . المركزية الإثنية *ethnocentrism*

اسم يطلق على أى نظرة تعزو أهمية خاصة، نظرياً أو عملياً، لأعضاء عشيرة المرء أو أعضاء جماعته. (مشتقة من الكلمة اللاتينية *ethnos* وتعنى قبيلة).

- مذهب السعادة *eudimonia*

باليونانية وتعنى: السعادة. أى منظومة أخلاقية تجعل السعادة هي الخير الوحيد أو الرئيسي هي فلسفة أخلاق يوديمونية.

- حدث event

هو ذلك الذى يجرى أو يحدث. أى هو أى تغير فى الخواص يعترى شيئاً ما.

- دليل ، بَيِّنَةٌ evidence

هو ذلك الذى يسدِّد دعماً لاعتقادٍ ما. بيِّنَةٌ ق تتكون من جميع المبررات العقلية للاعتقاد بأن ق صادقة. وكثيراً ما تكون البيِّنَة جزئية أو غير كاملة.

- الوجودية existentialism

تيار من الفلاسفة، وبخاصة فى فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية. والاسم "وجودية" مشتق من دعواهم بأن "الوجود سابق على الماهية"، وهى طريقة فى قول إن البشر لا طبيعة لهم، وإنهم أحرار حرية مطلقة، وإنهم قد أنعم عليهم (أو لعنوا) "بالسجية الهولية للوعى". يعتقد الوجوديون أن الحرية المطلقة تورث قلقاً مطلق العنان وتولد احتياجاً لخلق معنى من خلال التزام عشوائى (أى بلا قاعدة و بدون ضمانات).

- لا وجود من العدم ex nihilo nihil fit

أى لا شئ يأتى من لا شئ. تُعد أحياناً حقيقة ميتافيزيقية أساسية.

- مذهب التجربة experimentalism

هى وجهة الرأى التى تؤكد أهمية الدور الذى تلعبه التجربة أو، بتعميم أكبر، الخبرة، فى إنتاج المعرفة.

- تفسير explanation

توسم المبررات العقلية التى تجيب عن أسئلة "لماذا؟". هناك كثرة من صنوف التفسيرات بقدر ما هناك من صنوف المبررات العقلية أو أسئلة "لماذا؟".

- تبيان ، استيضاح explication

إجلاء أو توضيح ما يقوله نصٌّ ما.

- ماصِدَق extension

المعنى الإشارى. ماصِدَقُ حَدِّ ما هو مجموعة الأشياء التى ينطبق أو يصادق عليها هذا الحد. ومقابله هو "المفهوم" intension .

- بَرَانِي extrinsic

ليس "جُؤَانِيًا" intrinsic . ليس جزءاً من طبيعة الشيء ذاتها أو طبيعة الموقف أو المفهوم أو ما شابه.

- علم نفس الملكات faculty psychology

نظرية ترى أن عقل الإنسان يمكن تقسيمه إلى عدد صغير من القوى (القدرات، الاستعدادات) العقلية أو الملكات.

- مغالطة . أغلوطة fallacy

بالمعنى الصارم هى أية حجة زائفة. وبالمعنى الفضفاض هى أى خطأ فى التفكير.

- غير معصوم fallible

عرضة للوقوع فى الخطأ.

- مفهوم التشابه العائلى family-resemblance concept

مفهوم يسرى على جَمْعٍ من الأشياء لا لأن لها سمة مشتركة واحدة بل لأن بينها تشابهات عديدة متداخلة جزئياً. (يسمى أيضاً مفهوم تعدد النمط polytypic concept .

- جبرية fatalism

هى وجهة الرأى القائلة بأن كل ما يحدث إنما يحدث بالضرورة، وبأن الجهد البشرى لا يمكن أن يؤثر أدنى تأثير على حصائل مقدرة سلفاً.

- المذهب الإيماني fideism

هو الرأى القائل بأن كل الاعتقادات الدينية، بما فيها الاعتقاد بوجود الرب، لا يمكن أن تتأسس إلا على الإيمان، ولا تتأسس مطلقاً على الحجة أو الدليل.

- مذهب التناهي finitism

هو وجهة من الرأى، تنطبق فى الأغلب على الرياضيات، تذهب إلى أن البشر لا يمكن لهم فهم اللامتناهى ولا امتلاك أى معرفة حقيقية به.

- الفلسفة الأولى first philosophy

اسم قديم للميتافيزيقا.

- المذهب الصورى أو الشكلى. الصورية. الشكلانية formalism

هو الرأى الذى يؤكد أهمية الصفات الشكلية أو الصورية لموضوع ما من البحث.

- مذهب الأسس foundationalism

اسم ينطبق على جميع المواقف الفلسفية التى ترى المعرفة ترتكز على مجموعة صغيرة من الحقائق المحددة.

- حرية . حرية الإرادة freedom; free will

تعنى، فى أبسط معانيها، أن بوسعنا القول بأن البشر لديهم حرية أو حرية إرادة إذا وفقط إذا كانت حياتهم تتضمن لحظات من الاختيار الحقيقى.

- المذهب الوظيفى functionalism

هو مذهب فى فلسفة العقل (الذهن) يرى أن الحالات الذهنية يجب أن تُعرّف وفقاً لوظائفها السببية التى تصب فى النهاية، مع وظائف الحالات الذهنية الأخرى، فى السلوك.

- روح Geist

بالألمانية وتعني: روح، عقل.

- عام general

متعلق بفئة أكبر أو بتصنيف أكثر شمولاً. وإن شئنا الدقة فإن "عام" لا تفيد معنى إلا بالمقارنة، مثال ذلك أن "الكلب" أعم من "الكولي"، ولكنه أقل عمومية من "الثدي".

- مغالطة المنشأ genetic fallacy

هي محاولة استنباط الطبيعة أو القيمة الحالية لشيء ما من وقائع عن منشأ ذلك الشيء. مثال ذلك أنه حتى لو كان الدين قد بدأ كخرافة بدائية فإنه لا يترتب على ذلك أن الدين خرافة بدائية.

- جشطالت Gestalt

بالألمانية وتعني: بنية، صورة. شكل. يذهب علم نفس الجشطالت إلى أننا نرى العالم كبنيات كلية منظمة، لا كأجزاء أو قطع.

- مبدأ "أكبر قدر من السعادة" greatest happiness principle

تعبير مرتبط بمذهب المنفعة بصفة عامة، ويجون ستيوارت مل بصفة خاصة؛ مفاده أنه ينبغي للأفعال - سواء الفردية أو السياسية/التشريعية - أن يكون هدفها أن تؤدي إلى أكبر قدر من السعادة، بغض النظر عن ستنالهم هذه السعادة(\*).

- مذهب اللذة hedonism

هو الرأي القائل بأن اللذة هي الخير الوحيد، أو الخير الرئيسي على أقل تقدير. وتعكس الصور المختلفة لمذهب اللذة وجهات النظر المختلفة عما تكونه اللذة.

(\*) أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس، باعتبار الناس سواسيةً.

– الدائرة الهرمنيوطيقية hermeneutic circle

مشكلة مزعومة في عملية التفسير تقوم على فكرة أن المرء لا يمكنه أن يفهم جزءاً من نصٍّ ما بدون أن يفهم النص الكلى، غير أنه لا يملك أن يفهم النص الكلى بدون فهم أجزائه. ويتعميم هذا التصور يُعتقد أنه يسرى على العلاقة بين العمل الواحد للمؤلف وبين مجموع أعماله، ويسرى على العلاقة بين الشيء الثقافى وبين الثقافة الكلية التى تشكل سياق ذلك الشيء.

– الهرمنيوطيقا . علم التأويل hermeneutics

هى علم تأويل (تفسير) النصوص. يقال أحياناً إن العلوم الإنسانية، كمقابل للعلوم الطبيعية، هى فى صميمها هرمنيوطيقية.

– فرض عمل . كشفى . مساعد على الكشف . مُوجِّهٌ بحثى heuristics

مبدأ تقريبي؛ فرضية مؤقتة (تجريبية، اختبارية). هو إجراء تقريبي غير صائب صواباً مطلقاً إلا أنه يساعد على حل مشكلة ما أو على تقدم العلم.

– عادة hexis

كلمة يونانية تعنى "عادة". تعتبر الفضيلة عند أرسطو وكثير من المفكرين اللاحقين ضرباً من "الهكسس" أو الاعتياد.

– التراتب الهرمى للوجود hierarchy of being

هو الرأى القائل بأن هناك نظاماً رتبياً واحداً للموجودات، ينتظم (من أسفل إلى أعلى) كما يلي: الأشياء غير الحية (الجمادات)، النباتات، الحيوانات العادية، الحيوانات العاقلة (أى البشر)، الملائكة، الرب.

– التاريخانية historicism

اسم يطلق على نطاق من الآراء تشترك جميعاً فى توكيدها على ضرورة، أو أهمية، فهم النظريات والأعمال الفنية والنظم (المؤسسات) والأفعال والعبارات وما شابه-

داخل حدود حقبتها التاريخية. وقد يعنى بالإضافة إلى ذلك الدعوى بأن المقارنة بين الحقب التاريخية غير ممكنة<sup>(٥٥)</sup>

- المذهب الكلى ، النزعة الكلية holism

هى وجهة الرأى القائلة بأن الأجزاء لا يمكن أن تُفهم إلا داخل الكل الذى تنتمى إليه، وأن الكُلَّات Wholes، أو على الأقل بعضها، هى أكثر من مجموع أجزائها.

- تفسير كلى holistic explanation

بمعنى عام، هو أى تفسير يؤكد الكل لا الأجزاء. ويتحدد أكثر هو تفسير الأجزاء بحسب إسهاماتها الوظيفية فى الكل.

- مذهب المادة والصورة hylomorphism

مذهب يرتبط فى الأغلب بأرسطو، يرى أن الأشياء المعتادة هى اتحاد لمادة (باليونانية: hylo) وصورة (باليونانية: morphe .)

- تشييء hypostatization

مصطلح يستخدم على التعاوض مع كلمة reification (تشيؤ) ليعنى معاملة المجردات أو العلاقات كما لو كانت كيانات أو كائنات عينية.

- فرضية hypothesis

مصطلح يستخدم ليشير إلى أى اقتراح مؤقت أو نظرية أو افتراض لم يتم اختبارُه بعد، أو لم يتم إثباته بشكل نهائى.

(٥٥) التعريف الذى وضعه المؤلف ينطبق على المذهب التاريخى historism وليس على التاريخانية histori-cism. وهذه الأخيرة لها استعمالات عديدة، أشهرها أن تعنى افتراض مفاده أن التاريخ يسير فى مراحل محتومة أو حقب أو إيقاعات أو خطوات... إلخ، وقد يزيد على هذا بأنها يمكن الكشف عنها مسبقا، أو الوصول إلى القانون الذى يحكمها ويحددها وبالتالي يمكن التنبؤ بها. وكما هو معروف شن كارل بوير حملة شعواء على التاريخانية. (المراجعة)

- أمر شرطي hypothetical imperative

أى شىء له صيغة "إذا أردت س فإن عليك أن تفعل ص". إن واجبنا فى فعل ص طارئ على رغبتنا فى س؛ على خلاف "الأمر المطلق" categorical imperative الذى يلزم بلا شرط.

- المثالية idealism

فى أشد صيغه تطرفاً هو المذهب القائل بأن الواقع كله علقى أو فى العقل. وفى صيغ أقل تطرفاً هو كل مذهب يؤكد على الدور المبدع للعقل والصانع للعالم؛ أو الذى ينكر وجود واقع منفصل عن العقل تمام الانفصال.

- هوية identity

هناك مفهومان للهوية: الأول كون الشئين متماثلين بفضل امتلاكهما الخصائص نفسها ورغم تميز كل منهما إحصائياً. والثانى كون الشىء فى هوية (مع نفسه) بكونه هو نفس الشىء أو الشخص عبر الزمن.

- هوية اللامتمايزات Identity of indiscernibles

مبدأ مفاده أن الشئين المتميزين إحصائياً (أى أنهما حقاً شيئان اثنان) لا يمكن أن يشتركا فى جميع الخصائص. يقال له أحياناً "قانون ليبنتز" Leibniz's law .

- أيديولوجيا ideology

مصطلح يستخدم أحياناً بطريقة محايدة أو وصفية خالصة ليشير إلى أية منظومة من الأفكار المترابطة بعضها مع بعض؛ ويستخدم فى أغلب الأحيان بطريقة ازدرائية ليشير إلى منظومة ما من الأفكار الزائفة أو المتحيزة فى صميمها.

- إذا وفقط إذا IFF

IFF هو اختزال لـ if and only if (إذا وفقط إذا) ، ويعنى فقط فى حالة كذا أو فقط عندما يكون كذا.

- (فعل كلامي) إنجازي illocutionary

منجَز بواسطة نطق كلمات معينة. عندما أقول مثلاً "ذلك على وشك السقوط" فقد أكون إذاً أؤدى بهذا القول فعل التحذير أو التهديد.

- وهم illusion

خطأ في الإدراك الحسى، أو اعتقاد زائف(\*).

- مذهب الأمر imperativism

هو الرأى القائل بأن العبارات الأخلاقية هي قواعد مُقنَّعة. مثال ذلك أن "السرقعة خطأ!" تؤوَل على أنها "لا تسرق!".

- التضمُّن implication

علاقة موضوعية بين عبارتين أ و ب والتي لا صلة لها بالاستدلالات التى يقوم بها البشر فعلاً. أ تتضمن ب فقط إذا كانت أ لا يمكن أن تكون صادقة دون أن تكون ب أيضاً صادقة.

- انطباع Impression

مصطلح يستخدم عادة ليشير إلى التأثير المباشر للتنبيه الحسى على الوعى.

- نزعة . ميل inclination

- عدم تساق incoherence

" انعدام الاتساق الداخلى " internal inconsistency

- اللامقايسة incommensurability

(\*) جدير بالذكر أن المصطلح الطبئفسى يقصر لفظة illusion على أخطاء الإدراك الحسى، ويفرد للاعتقاد الزائف لفظة delusion (ضلال). (المترجم)

لا يمكن عرضها على معيارٍ ما مشترك أو وضعها تحت مقياس مشترك. يدعى البعض أن النظريات العلمية المتعاقبة غير قابلة للمقايضة incommensurable .

– غير قابل للتصويب incorrigible

غير عرضة للتصحيح القائم على مزيد من الخبرة أو المعلومات أو التجربة. يقال أحياناً إن بعض الأحكام الحسية البسيطة من مثل "هذا أحمر" وبعض الحقائق الضرورية من مثل "كل مربع له أربعة أضلاع" هي غير قابلة للتصويب.

– عدم التحديد في الترجمة indeterminacy of translation

هو الرأي القائل بأنه ليس ثمة شيء من قبيل الترجمة الصحيحة من لغة إلى لغة – أى أن الترجمة غير محدّدة بمعطياتها اللغوية.

– فهرسى indexical

محدّد بواسطة، أو مفهرس وفقاً لـ ، موقع المتحدث، وزمن القول، وهوية المتحدث. مثال ذلك كلمات من قبيل: هنا، والآن، وأنا.

– فرد individual

شخص أو شيء مفرد. ورغم أن اللفظة تستخدم في الأغلب للإشارة إلى الجزئيات المكانية – الزمانية، فإن التجريدات أيضاً، من قبيل الحمرة أو التسطح، والموضوعات الرياضية، يتم تصورها أحياناً كأفراد.

– إفراد individuation(\*)

عملية نستطيع بها، بإتباع مبادئ ومعايير، أن نتعرف على فرد واحد من مجموعة معطاة.

(\*) للفظ معان أخرى كثيرة: منها "التشخُّص" كما أورده ابن سينا، ومنها عملية "التفرد" كما بينها كارل يونج في علم النفس التحليلي. (المترجم)

- وثوق indubitability

خاصة كون الشيء لا يقبل الشك. وهو قد يفسر، شأنه شأن مرادفه "اليقين" certainty إما على نحو سيكولوجي وإما على نحو غير سيكولوجي.

- حجة استقرائية inductive argument

هي الحجة التي تقوم على ملاحظة، أو دراسة، بعض أعضاء مجموعة ما فتخلص إلى نتيجة تخص جميع أعضاء تلك المجموعة.

- استدلال inference

العملية الفعلية لاستخلاص نتائج. إذا كانت أ تتضمن ب يستطيع المرء أن يستدل على ب من أ استدلالاً صحيحاً. وأحياناً ما تستخدم كلمة استدلال لتشير إلى الحكم الذي ينتج عن عملية استخلاص نتيجة.

- تراجع لانهاى . ارتداد لانهاى infinite regress

خطأ مزعوم، إما فى سلسلة حجج لها صيغة: أ تلزم عن ب ، ب تلزم عن ج ، ج تلزم عن د... وهكذا إلى غير نهاية؛ وإما فى سلسلة تفسيرات لها صيغة: أ لأن ب ، ب لأن ج ، ج لأن د... وهكذا إلى غير نهاية.

- فكرى ، فى الفكر in intellectu

باللاتينية وتعنى: يوجد فى الفكر (أو العقل).

- فطرى innate

طبيعى أو موروث inborn . من الممكن ترتيب الفلاسفة بحسب القدر (من المعارف .. إلخ) الذى يروونه فطرياً.

- واقعى . فى الواقع in res; in rebus

مصطلح باللاتينية يعنى: موجود فى الواقع (أو فى الأشياء ذاتها)؛ يستخدم ليشير إلى وجود مستقل عن العقل.

#### - الأدوات instrumentalism

هى وجهة النظر القائلة بأن النظريات العلمية ليست صوراً صادقة للواقع بل هى مجرد أدوات مفيدة لوضع حسابات وتنبؤات.

#### - قابلية الفهم . معقولة intelligibility

خاصة كون الشئ مفهوماً أو مستوعباً بالعقل.

#### - مفهوم intension

مجموعة من الخواص التعريفية الخاصة بمصطلح معطى. تلك الخواص التى يتعين أن يمتلكها كل عضو من أعضاء "ما صدق" extension هذا المصطلح.

#### - قصدية intentionality

خاصة أساسية للحالات الذهنية من حيث امتلاكها "محتوى" (مضموناً) أو من حيث هى "تمثل" شيئاً ما أو هى "عن" شئ ما.

#### - مذهب التفاعل (التأثير المتبادل) interactionism

حل لمشكلة العقل - الجسم، يصور العقل والجسم فى تفاعل متبادل (أو عرضة لتأثير سببى يمتضى فى كلا الاتجاهين).

#### - بينذاتى intersubjective

قابل لأن يُكتشف أو يوصف أو يقيم بواسطة كثرة من الأشخاص.

#### - جوانى intrinsic

غير "برانى" extrinsic . جزء من طبيعة الشئ نفسها أو طبيعة الموقف أو المفهوم .. إلخ.

- استبطان introspection

وعى شخص ما أو درايتُهُ بحالاته الذهنية. ومن الأمور الخلافية مسألة الاستبطان وما إذا كان يقدم مقارنة ذات امتياز إلى الوعي الخاص بالشخص (أو حتى ما إذا كان ينبغي أن يُعدّ لوئاً من الملاحظة).

- حدس intuition

ضرب من المعرفة المباشرة، أن تعرف فحسب أن شيئاً ما هو كذا. وبينما يحتكم إليه بعض الفلاسفة بوصفه أساس معرفتنا الأخلاقية، يرفضه كثير من الفلاسفة الآخرين على أنه معرفة زائفة.

- المذهب الحدسي intuitionism

في الأخلاق، هو الرأي القائل بأن معرفة الأخلاقية تقوم على الحدس. والمذهب الحدسي في الرياضيات هو الرأي القائل بأن المعرفة الرياضية قائمة على الحدس.

- بطلان invalidity

بالمعنى الأشد صرامةً هو الخطأ "الاستنباطي" deductive . وبمعنى أقل صرامة فإن الحجج غير الاستنباطية الزائفة، بل كل عبارة كاذبة، قد توصف بأنها باطلة . invalid

- بحكم طبيعة الحالة نفسها، بطبيعة الحال ipso facto

باللاتينية ويعنى: بهذه الواقعة نفسها. إن المائدة هي، بطبيعة حالها، قطعة من الأثاث؛ والكلب، بطبيعة الحال، حيوانٌ ثديي.

- لامعقول irrational

غير مساير لمبادئ العقل والمنطق. وهو يتميز عن "غير العقلي" أو "الخارج عن نطاق العقل" non-rational والذي يعنى: مستقل عن العقل والمنطق.

- "يكون" التي تفيد الهوية "is" of identity

هو وقوع اللفظة "يكون"، كما في جملة "نجم الصباح يكون" هو نجم المساء، الذي يمكن أن يُستبدل به تعبير "هو في هوية مع" دون أن يتغير المعنى.

- "يكون" التي تفيد الحمل "is" of predication

هو وقوع اللفظة "يكون"، كما في جملة "الكرة تكون حمراء"، الذي يستخدم ليصف خاصة لشيء ما. (٥٦)

- مغالطة "يكون/ينبغي" is/ought fallacy

هي فيما يزعم البعض مغالطة استنتاج نتيجة تتضمن "ينبغي" من مقدمات وصفية خالصة (\*). توصف أيضاً في بعض الأحيان كمغالطة "استنباط قيم من وقائع".

- عدالة justice

هي تلك الصفة المرغوبة للأفعال والقوانين والنظم، والتي تعطى بمقتضاها كل شخص ما له فيه دعوى مشروعة أو حق مشروع. وهي مرادف وثيق لكلمة fairness .

- تبرير justification

يقال إن لدى الشخص ما يبرر اعتقاده أو سلوكه، في الأحوال الحقيقية، إذا لم يكن ثمة وجه لانتقاده في ما ذهب إليه من اعتقاد أو في مسلكه بطريقة معينة.

- ثورة كانط الكوبرنيكية Kant's Copernican revolution

(٥٦) في اللغة الإنجليزية لابد أن تحتوى الجملة على فعل، وفي العلاقة الحملية فإن الفعل هو يكون. ونلاحظ أن الجملة في اللغة العربية قد تكون فعلية وقد تكون اسمية لا تحتوى على فعل. الشكل الشائع للعلاقة الحملية هو الجملة الاسمية من مبتدأ وخبر، موضوع ومحمول، من هنا قد تأتي "يكون" التي تفيد الحملة مضمرة في اللغة العربية. (المراجعة).

(\*) استنباط "ما ينبغي أن يكون" من "ما هو كائن".

هى دعوى جذرية لإمانويل كانط I.Kant (١٧٢٤ - ١٨٠٤) بمقتضاها تكون صور حساسيتنا (جهازنا الحسى) ومقولات (تصنيفات) فهمنا هى التى تحدد طبيعة خبرتنا. وهذه الوجهة من الرأى تخالف الآراء الأكثر تقليدية والتى ترى أن طبيعة خبرتنا تحدها الأشياء الكائنة فى العالم والتى لدينا بها خبرة أو تجربة.

- نوع ، صنف kind

مرادف لكلمة "نمط" type . كم صنفًا من الأشياء يوجد هناك؟ ذاك أمرٌ يتوقف على مخططنا التصنيفى الذى نستخدمه.

- المعرفة بالاتصال المباشر knowledge by acquaintance

هى معرفة شىء ما على أساس الوعى الحسى المباشر بذلك الشىء. وهى تقابل "المعرفة بالوصف" <sup>(٥٧)</sup> knowledge by description (المعرفة بالنقل والوساطة second-hand knowledge) .

- لعبة اللغة language game

مصطلح استخدمه فجنشتين ليشير إلى المنطقة المحددة للاستخدام اللغوى التى لها وجهتها الخاصة وتتبع نحوها المنطقى الخاص (أجروميته المنطقية).

- قانون الثالث المرفوع law of excluded middle

مبدأ يفيد أن ق (عبارة سليمة الصياغة) هى إما صادقة وإما كاذبة. وقد يعبر عنه كمبدأ يفيد أنه حيث أ هو "محمول" predicate سليم الصياغة فإن أى "موضوع" object هو إما أ وإما لا.

- قانون الذاتى (الهوية) law of identity

(٥٧) من المعروف أن برتراند رسل فى كتابه "مشكلات الفلسفة - ١٩١٢" قدم أوفى معالجة فى فصل يحمل عنوان "المعرفة بالوصف والمعرفة بالاتصال المباشر". (المراجعة)

هو المبدأ القائل بأنه "إذا ق إذن ق": كل شيء هو ما هو، وليس هو شيئاً آخر. إنه الحقيقة النافذة القائلة بأن كل شيء هو قائم في علاقة هوية مع نفسه.

#### – مفارقة التعلم learning paradox

مفارقة مدعاة، ربما يكون أفلاطون هو أول من دفع بها؛ تقوم على فكرة أنك لا يمكن أن "تتعلم" إلا ما لا تعرفه، غير أنك أيضاً لا يمكن أن تتعلم ما لا تعرفه لأنك لن تعرف إذن ماذا عليك أن تتعلم<sup>(\*)</sup>.

#### – مفارقة الكذاب liar paradox

مفارقة قديمة مفادها أن عبارة "أنا كذاب" تصدق فقط إذا كانت كاذبة، وتكذب فقط إذا كانت صادقة! تستخدم هذه المفارقة أحياناً لتبين أن بعض العبارات الصحيحة نحويًا (لغويًا) هي هراء (لا معنى لها).

#### – قولى locutionary

متعلق بالفعل الكلامي الأساسي من نطق عبارة ذات معنى معين.

#### – الوضعية المنطقية logical positivism

مذهب يرتبط بخاصة بفلاسفة يُعرفون معاً باسم "حلقة فيينا" Vienna Circle التي ازدهرت في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين. يذهب هؤلاء إلى أن جميع العبارات ذات المعنى هي إما حقائق "تحليلية" analytic (منطقية)، وإما حقائق "تركيبية" synthetic قابلة للتحقق التجريبي. تدعى الوضعية المنطقية أن كثيراً من العبارات الميتافيزيقية ليست من هذه ولا من تلك، وبالتالي فهي عبارات غير ذات معنى.

(\*) بمعنى أننا إذا كنا لا نفقه شيئاً على الإطلاق فلن يمكننا أن نبدأ في تعلم هذا الشيء؛ مادامنا لا نعرف ما يكفى لأن نعرف كيف نبدأ! (المترجم)

- إمكان منطقي logical possibility

صفة الخلو من التناقض. من الواضح أن السياسى الصادق ممكن منطقيًا، وأن الدوائر المربعة ليست ممكنة منطقيًا؛ وأن "تغيير الماضى" postvention يبدو غير ممكن منطقيًا، رغم أن بعض المفكرين يدعون أن الرب يستطيع أن يغير الماضى.

- المادية . المذهب المادى materialism

صورة من صور الواحدة monism الميتافيزيقية التى تذهب إلى أن جميع الأشياء ذات طبيعة مادية.

- المذهب الآلى mechanism

بالمعنى الأكثر شيوعاً هو الرأى القائل بأن كل شىء يمكن أن يفسر بالمبادئ نفسها التى تفسر عمل الآلات أو الأجهزة الميكانيكية. وهو الرأى الذى كان رائجاً يوماً ما والذى يقول بأن الطبيعة هى آلة عملاقة.

- مذهب التحسن amelioration

كلمة melior لاتينية وتعنى "أفضل" أو "أحسن" better .

ومذهب التحسن هو الرأى القائل بأن الأشياء تسير بالضرورة إلى الأفضل. أو - بصيغة أكثر اعتدالاً - أن من الممكن أن تسير الأشياء إلى الأفضل. بهذه الصيغة الأخيرة (والأكثر قبولاً) يرتبط مذهب التحسن كثيراً بفكرة أن الفعل البشرى يمكن أن يحدث فرقاً.

- المذهب الذهنى mentalism

موقف ميتافيزيقى يرى أنه لا يوجد ثمة غير العقول ومحتوياتها. يستخدم هذا المصطلح أحياناً كمرادف لكلمة "مثالية" idealism .

- ذكر mention

إشارة إلى كلمة ما بحد ذاتها لا إلى ما تُستخدم عادةً لتسميه. مثال ذلك أن "كلب" لها ثلاثة أحرف. تستخدم علامات التنصيص، كما في هذا المثال، لكي "تذكر" كلمة ما. غير أننا قد نستخدم أيضاً الأحرف المائلة لكي نشير إلى الكلمة ككلمة، أي لكي "نذكرها".

#### - ميتا . مابعد . ماوراء meta

كلمة يونانية تعنى: بعد، ماوراء. في الاستخدام الفلسفي المعاصر تُستعمل هذه الكلمة في أغلب الأحيان لتعنى "خطاب عن خطاب" (قول على قول). هكذا فإن "الميتاأخلاق" metaethics هي خطاب عن الخطاب الأخلاقي، و "الميتالغة" meta-language هي لغة تستخدم للحديث عن لغة (كثيراً ما يطلق على هذه اللغة التي تتناولها الميتالغة بالحديث اسم "لغة الدرجة الأولى" first-order language أو "اللغة الموضوع" object language).

#### - استعاري metaphorical

خاصية تصف كلمة ليست تستخدم عادة في مقام معين والتي تُستخدم رغم ذلك لكي تنتقل وجه شبه ما. الاستخدام الاستعاري للغة يقابل الاستخدام الحرفي literal. هكذا فإن اللون مثلاً، وهو لا يمكن طبعاً أن يكون دافئاً بالمعنى الحرفي، قد يوصف رغم ذلك كلونٍ "دافئ" على سبيل الاستعارة.

#### - ميتافيزيقا metaphysics

فرع من الفلسفة يتناول السؤال: "ماذا يوجد؟".

#### - السلوكية المنهجية methodological behaviorism

وجهة من الرأي في فلسفة علم النفس تذهب إلى أن دراسة السلوك فقط (وليس أبداً الاستبطان) هي ما يمكن أن يستخدم كأساس تقوم عليه سيكولوجيا علمية. وهي تقابل "المذهب الاستبطاني" introspectionism.

## - الفردية المنهجية methodological individualism

وجهة من الرأى فى الفلسفة والعلوم الاجتماعية تذهب إلى أن العبارات أو النظريات التى تتحدث عن الجماعات أو المؤسسات ينبغى أن تُفهم فى النهاية فى حدود الكائنات الإنسانية الفردية (أو تُرد إلى عبارات أو نظريات عن الأفراد). وهى تقابل "الكلية المنهجية" methodological holism، وهى وجهة النظر القائلة بأن بعض العبارات أو النظريات، على الأقل، التى تتحدث عن الكلات الاجتماعية لا يمكن ردها إلى عبارات أو نظريات عن الأفراد.

## - محاكاة mimesis

تقليد الواقع. مصطلح يستخدم فى الأغلب بصدد الأعمال الفنية.

## - مشكلة الذهن/الجسم mind-body problem

اسم يستخدم للتعبير عن مجموعة من الأسئلة المتعاقبة حول ما إذا كان هناك أجسام من جهة وعقول من جهة أخرى، وفى حالة البشر بخاصة عما ينبغى أن نتصور عليه العلاقات القائمة بينهما.

## - جهة modality

فى الاستخدام الأكثر شيوعاً هى صفة للعبارات التى تشيىو إما إلى أن شيئاً ما هو "ممكناً" possible وإما إلى أن شيئاً ما هو "ضرورى" necessary، و "المنطق الجهوى" modal logic هو منطق العبارات المحددة الجهة. فى هذا المنطق فإن "ممكناً" و "ضرورى" يُعرَّف أحدهما الآخر: يمكن أن يُعرَّف "الممكناً" على أنه ما ليس بالضرورة غير ذلك، ويعرف "الضرورى" بأنه ما ليس من الممكن أن يكون غير ذلك.

## - العوامل الجهوية modal operators

أكثر العوامل الجهوية شيوعاً هى necessarily، وتعنى "بالضرورة" و possibly، وتعنى "بالإمكان".

- موندات monads

فى ميتافيزيقا ليبنتز Leibniz هى الوحدات الأساسية للواقع. وتصوّر الموندات كمراكز نفسية ليس بينها علاقات علّية، غير أن كل واحدة منها تعكس الواقع كله.

- الواحدة monism

هى وجهة النظر الميتافيزيقية التى تذهب إلى أنه ليس ثمة غير مقولة أساسية واحدة (أو صنف واحد فقط من الخامة يتكون منها الواقع كله).

- توحيد monotheism

الرأى القائل بأن هناك إلهاً واحداً بالتحديد.

- أسطورة . خرافة myth

فى الاستخدام الجديد هى قصة كاذبة وإن تكن ذات دلالة ثقافية.

- تفكير أسطورى (خرافى) mythical thinking

مصطلح يستخدم ليشير إلى تفكير قبل - عقلى، يشتمل على تحولات سحرية أو تحولات لا يمكن استيضاحها سببياً، وغير ذلك مما ينتهك التفكير العقلى أو الحس المشترك. وقد كان يُعتَقَد يوماً على نطاقٍ عريض أن الأقوام "البدائيين" يوجدون عند هذا المستوى.

- الواقعية السانجة naïve realism

هى وجهة الرأى (المرفوضة بعامة) التى تذهب إلى أن العالم هو بالضبط كما يبدو عليه لحواسنا (أو للحس المشترك).

- مغالطة المذهب الطبيعى naturalistic fallacy

مغالطة مزعومة تتضمن، فى صورتها الأكثر شيوعاً، محاولة تعريف "الخير" بخاصةٍ ما طبيعية (أى اعتيادية أو وصفية).

- اللاهوت الطبيعي natural theology

حشد من المعرفة، إن صح القول، يمكن للعقل البشرى أن يحصلها عن الرب، والتي تستند إلى العقل وليس إلى الوحي.

- الوجود الضروري necessary being

هو الوجود الذى لا يمكن ألا يوجد، أى الذى عدمه مستحيل. وقد جرى العرف على أن الرب هو المرشح الرئيسى لهذا الوصف، أى الوجود الضرورى.

- شرط ضرورى necessary condition

شرط يتعين توافره فى شيء ما إذا كان لهذا الشيء أن ينسلك فى فئةٍ ما أو يندرج تحت مفهومٍ ما. كون المرء ذكراً، على سبيل المثال، هو شرط ضرورى لانضمامه إلى فئة العزاب.

- حقيقة ضرورية . صدق ضرورى necessary truth

هى الحقيقة (الصدق) التى لا يمكن أن تكون كاذبة. تعد الحقائق الصادقة بحكم التعريف مثل "جميع العزاب غير متزوجين" حقائق ضرورية. وتعد مسألة وجود أى أصناف أخرى من الحقائق الضرورية من الأمور الخلافية.

- نفى negation

إنكار. نفى عبارة ما هو تلك العبارة التى يتعين أن يكون لها قيمة صدق عكسية. مثل "إنها لا تمطر" بالنسبة إلى "إنها تمطر".

- الواحدية المحايدة neutral monism

هى وجهة الرأى الميتافيزيقية التى تفيد أن العقل والمادة هما وجهان لخامة "محايدة" واحدة ليست هى بالعقل ولا بالمادة.

- عدمية nihilism

الرأى القائل بأن ليس ثمة قيم ولا معان ولا حقائق. وعلى الغارق فى العدمية ألا يعير اهتماماً حتى بذكر موقفه الخاص.

#### - ناموسى nomic

متعلق بالناموس. يستخدم عادة بصدد نواميس أو قوانين الطبيعة، كما فى التعبير "ضرورة ناموسية أو قانونية" nomic necessity بمعنى ضرورى بالنظر إلى نواميس أو قوانين الطبيعة. ومن ثم فالشئ الممكن منطقياً قد يكون غير ممكن ناموسياً.

#### - التعريف الاسمى nominal definition

تعريف لا يزعم أنه أكثر من تعريف كلمة ما. وبالتالي لا يزعم أنه يلقي ضوءاً على طبيعة الشئ الذى تشير إليه الكلمة.

#### - المذهب الاسمى . الاسمية nominalism

هو المذهب القائل بأن الجزئيات فقط هى الواقعية، وأن الألفاظ الكلية تسرى على الجزئيات على أساس تشابهها المتبادل. مثال ذلك أن ليس ثمة شئ من قبيل "الحمرة" - ثمة فقط أشياء جزئية معينة حمراء...

#### - المذهب اللامعرفى (فى الأخلاق) non-cognitivism

واحد من عدة آراء (أخصها "المذهب الانفعالى" فليراجع) تنكر أن العبارات الأخلاقية عبارات حقيقية، وتنكر أن هناك حقائق أخلاقية وأكاذيب أخلاقية.

#### - خاصة غير طبيعية non-natural property

خاصة للشئ تختلف اختلافاً أساسياً عن المحمولات الوصفية المعتادة. أهم مثال يستشهد به على هذه الحالة هو خاصة "الخيرية" goodness .

#### - استنتاج خلفى non sequitur

باللاتينية ويعنى: إنه لا يلزم (عن ما قيل) أو لا يترتب (على سابقه). إنه ملاحظة نقدية مفادها أن النتيجة المزعومة لا تلزم عن المقدمات المطروحة.

– غير تماثل **non-symmetrical**

مصطلح يصف تلك العلاقات، من مثل علاقة الحب، التي إن صحت بين أ و ب فقد تصح وقد لا تصح بين ب و أ. (انظر "تماثل" **symmetrical**)

– معيارى **normative**

له قوة المعيار (المحك). عادة ما يقابل "الوصف" **description** . ليس يشير المعيار إلى ما هو كائن أو إلى ما يتم عمله وإنما إلى ما ينبغى أن يكون أو ما ينبغى عمله.

– النومين . الشيء فى ذاته **noumen**

مصطلح استخدمه إمانويل كانط ليشير إلى عالم يتجاوز الحس ويقع وراء خبرتنا. يقف عالم النومين أو عالم الأشياء فى ذاتها كمقابل لعالم "الفينومين" أى العالم الذى يمكننا أن نخبره وأن نظفر بالتالى بمعرفة عنه.

– النوس . العقل **nous**

كلمة يونانية تعنى عقل، روح.

– فئة فارغة **null set; empty class**

تعبير رياضى يشير إلى فئة لا أعضاء لها.

– الخبرة المقدس **numinous experience**

هى الخبرة الخاصة بما هو مقدس علوى. مرادف تقريباً للخبرة الدينية.

– إلزام . واجب **obligation**

ما ينبغى أن يُفعل، وبخاصة ما يحق لشخص ما أن يتوقع منا فعله بوصفه شأناً قانونياً أو أخلاقياً.

#### – بيان الملاحظات observation report

فى بعض البناءات الصورية للعلم هو العبارات الأساسية المشتركة بين- الذوات لما نراه أو ندركه على نحو مباشر. تساعد هذه العبارات فى تأكيد أو تفنيد الفرضيات والنظريات.

#### – مذهب المناسبة occasionalism

وجهة من الرأى فى مسألة العقل والجسم تذهب إلى أن التفاعل المتبادل بينهما هو تفاعل ظاهرى فحسب. ذلك أنه من خلال الفعل التنسيقي للرب فإن أى تغير فى العقل أو فى الجسم هو "مناسبة" occasion، ولكنه ليس "علة" cause، لتغير فى الآخر<sup>(٥٨)</sup>

#### – حالة جارية occurrent state

حالة الدراية الواعية فى لحظة معطاة. يعد الأكم وغيره من المشاعر أمثلة على الحالات الجارية. وهى تقابل "الحالات النزوعية" dispositional states كالاقتقادات والرغبات.

#### – نصل أوكام Ockham's razor

اسم يُطلق على مبدأ "لا تُكثِرْ من الكيانات دون ضرورة". ويستخدم فى الأعم الأغلب ليشير إلى مطلب الاقتصاد الفكرى. ويطلق عليه أيضاً "مبدأ الاقتصاد" law of parsimony .

#### – التزام أنطولوجى ontological commitment

اعتقاد فى وجود شىء ما. وبمقتضى استخدامه فى الفلسفة المعاصرة قد يتساءل المرء عما إذا كان تقبُّل الفيزياء المعاصرة يتضمن التزاماً أنطولوجياً بوجود

(٥٨) يرتبط مذهب المناسبة باسم الفيلسوف الفرنسى الأب نيقولا مالبرانش (١٦٢٨-١٧١٥)، وقد وضعه لى ينتهى إلى أن الرب هو فقط العلة الفاعلة فى الكون وما يبدو أمامنا من ارتباط بين علة ومعلول لا يدر أن يكون مناسبة لحدثهما معا على النحو الموضح عالىه. (المراجعة)

الإلكترونيات، وعما إذا كان قول "يرحمكم الله" للعاطس يتضمن التزاماً أنطولوجياً بوجود الله.

#### - أنطولوجيا ontology

علم الوجود. يستخدم أحياناً على التعاوض مع "الميتافيزيقا". غير أنه يقتصر غالباً على المقاربات الصورية للمسائل الميتافيزيقية.

#### - سياق معتم opaque content

هو سياق يتسم بأنه لا يمكن فيه استبدال كلمات تشير إلى الشيء نفسه مع بقاء الصدق (دون تغيير). إذا أنا رأيتك مثلاً تدخل الغرفة، وإذا كنت (فى الحقيقة) سجيناً هارباً، فأنا إذن "أرى" سجيناً هارباً يدخل الغرفة (كلمة "يرى" لا تؤسس سياقاً معتماً). ولكن، إذا كنت "أعتقد" أنك دخلت الغرفة وحسب (حتى إذا كنت سجيناً هارباً) فأنا بذلك "لا أعتقد" أن سجيناً هارباً قد دخل إلى الغرفة (كلمة "يعتقد" تؤسس بالفعل سياقاً معتماً).

#### - حجة السؤال المفتوح open-question argument

حجة تستخدم فى الأغلب لتفنيد الدعوى القائلة بأن الخير مماثل لأى خاصية أخرى. مثال ذلك: إذا كان "خير" فى هوية مع "نافع" فإن عبارة "إنه نافع ولكن هل هو خير؟" لن تكون سؤالاً مفتوحاً، بينما هو فى الحقيقة سؤال مفتوح (لم يتم حسمه).

#### - تعريف إجرائى operational definition

هو تعريف قائم على سلسلة من العمليات. قد يعرف الطول مثلاً تعريفاً إجرائياً وفقاً لإجراءات القياس. يطلق على رأى القائل بأن كل التعريفات العلمية المعتمدة يجب أن تكون إجرائية اسم "المذهب الإجرائى" أو النزعة الإجرائية . operationalism

– رأى opinion

كلمة تستخدم أحياناً كمرادف لكلمة "اعتقاد" belief . غير أنها تستخدم بالأكثر على نحو مماثل للكلمة اليونانية دوكسا doxa (مجرد الرأى أو الظن)، أى الرأى الذى لا يبلغ مبلغ المعرفة.

– اللغة العادية ordinary language

اللغة المستخدمة خارج مجال الفلسفة ذاتها. تأخذ فلسفة اللغة العادية على نفسها مهمة تحليل اللغة العادية، معتبرة ذلك أجدى من تشييد أنساق فلسفية أو إدخال مفاهيم جديدة<sup>(٥٩)</sup>

– التعريف الإشارى ostensive definition

هو التعريف الذى يعمل عن طريق الإشارة، باليد أو بأية طريقة أخرى، إلى نموذج للشئ المراد تعريفه أو مثال أو عينة منه. تعرف ألفاظ الألوان بصفة عامة بطريق الإشارة.

– مذهب شمول النفس panpsychism

صورة من صور الواحدية الميتافيزيقية تذهب إلى أن كل شئ فى الوجود هو عقلى فى طبيعته.

– مذهب شمول الألوهية (وحدة الوجود) pantheism

هو المذهب القائل بأن كل شئ هو الرب أو جزء من الرب.

– نموذج إرشادى . باراداييم paradigm

(٥٩) وهذه هى مدرسة أكسفورد فى التحليل اللغوى. (المراجعة)

نموذج، نموذج يُحتذى، مثال قياسي. تقوم حجة حالة النموذج الإرشادي (الباراديم) على أنه مادام معنى اللفظة يتم تعلمه من خلال نماذجها الإرشادية، فلا معنى إذن لادعاء أنه ليس هناك مفردات في ماصدق هذه اللفظة.

#### - مفارقة paradox

بالمعنى الفصفاض هي كل عبارة أو نتيجة مغربة. تنشأ المفارقة عندما تؤدي حجتان ذواتا مقدمات صادقة ظاهرياً إلى نتيجتين تناقض إحداهما الأخرى.

#### - اقتصاد parsimony

اقتصاد فكري. من المعتقد به بصفة عامة أنه بين أي رأيين أو نظريتين، ومع افتراض تساوي بقية الأمور، يجب أن تُعطى الأفضلية لأكثرهما اقتصاداً.

#### - الجزئيات particulars

هي الأشياء المفردة. أوضح الأمثلة لذلك الأشياء المادية العيانية الكائنة في موضع مكاني - زمني. على أن بعض الفلاسفة يعتقدون أن المجردات abstracts من قبيل الكليات والأعداد تُعد أيضاً جزئيات.

#### - بالمصادفة per accidens

تعبير لاتيني يعنى : by accident (بطريق المصادفة). كلمة تشير إلى كل ما هو ممكن (حادث، عارض، طارئ) contingent أو غير ضروري. الأعزب مثلاً هو "بالضرورة" necessarily غير متزوج، غير أنه إذا كان قصيراً فهو قصير "بالمصادفة" per accidens .

#### - مدرك حسي percept

هو ذلك المعطى مباشرة في الإدراك الحسي perception . والمدركات percepts ، بخلاف "الإحساسات" sensations هي مدركات لأشياء مكتملة وليست مجرد بقع من اللون أو ما شابه.

## – أدائي performative

لفظ يصف ذلك الجانب من العبارة الذي يتمثل في ما يتم فعله عن طريق ما يتم قوله. من ذلك عبارات صيغة المتكلم المفرد في المضارع مثل "أنا أَعِدُّ" (والتي يمكن على نحو معقول أن نضيف إليها "بموجب ذلك") فهي تعد عبارات أدائية.

## – (فعل كلامي) إيعازي perlocutionary

مصطلح، في نظرية أفعال الكلام، ينطبق على الفعل الكلامي منظوراً إليه من حيث تأثيراته. إن القول أو العبارة (locution) ذلك على وشك السقوط قد يكون، في ظروف معينة، هو الفعل الكلامي "الإنجازي" illocutionary للتحذير، والفعل الكلامي "الإيعازي" perlocutionary للترويع.

## – في ذاته per se

باللاتينية وتعني: في ذاته وبذاته، جوائياً. هكذا قد يقول المرء إن اللذة هي خير "في ذاتها" وإن الألم هو "في ذاته" شر.

## – شخص person

موجود (إنسان أو غيره) يمكن للبشر أن يتواصلوا معه على نحو مكتمل نسبياً. بهذا المعنى يُتصورُ الرب والملائكة كأشخاص. وربما تكون حيوانات معينة، الدلافين فيما يقترح البعض، هي أيضاً أشخاص. و "الشخص" في النظرية القانونية هو حامل (ممارس) الحقوق.

## – الهوية الشخصية personal identity

هي أيما صفة تجعلني ما أنا وتجعلك ما أنت، وتصمد في وجه كل التغيرات التي تعتري الأشخاص في مجرى حياتهم.

## – المنظورية perspectivism

هو الرأى القائل بأنه ليس ثمة حقائق خارج منظورات معينة (أو طرق النظر إلى الأشياء).

– مصادرة على المطلوب      petitio principii

مغالطة المصادرة على المطلوب begging the question أو أن نفترض كمقدمة الشئ نفسه الذى نريد إثباته أو البرهنة عليه.

– الظاهرية      phenomenalism

هى وجهة النظر القائلة بأن الأشياء الفيزيكية العادية يجب تحليلها وفقاً لأنماط الإحساسات أو الإدراكات الحسية.

– النزعة الفيزيائية      physicalism

صورة من صور الواحدية الميتافيزيقية ترى أن كل الموجودات هى ذات طبيعة فيزيقية، أى هى من الصنف الذى تبحثه العلوم الفيزيائية.

– الصور الأفلاطونية      Platonic forms

أفكار (مثل) يتصور أن لها وجوداً أبدياً بمعزل عن العقول (التي قد تفهمها) وعن الأشياء (التي قد تجسدها).

– الأفلاطونية      Platonism

مصطلح يستخدم لى يشير باختصار إلى فلسفة أفلاطون؛ غير أنه فى العادة يركز على الواقعية الأفلاطونية – أى الرأى القائل بأن هناك صوراً أو مثلاً، أبدية ثابتة، توجد بمعزل عن المعرفة البشرية؛ والتي تُعد الأشياء الفيزيكية العادية مجرد نسخ غير كاملة لها أو مجرد أشياء تُذكر بها.

– مذهب الكثرة      pluralism

فى الميتافيزيقا، هو الرأى القائل بأن هناك عدداً - وليس مجرد واحد أو اثنين - من الأصناف الأساسية من المادة الخام للوجود. وفى الفلسفة السياسية هو مبدأ التسامح مع مختلف أساليب الحياة، ومختلف الأديان ومنظومات القيم.

- سجالى polemical

ما هو ناشئ بواسطة الحجة والخلاف. النقطة الجدلية هى النقطة التى توجه ضد خصم محدد.

- مذهب تعدد الآلهة polytheism

هو الرأى القائل بأن هناك آلهة كثيرة. ويقابل "التوحيد" monotheism .

- مفهوم تعدد النمط polytypic concept

انظر "مفهوم التشابه العائلى" family-resemblance concept .

- الوضعية positivism

مصطلح يستخدم على نطاق عريض جداً وغامض للغاية، وبمقيدات متعددة. ويبدو أن القاسم المشترك بين مختلف الوضعيات هو الالتزام تجاه العلوم الطبيعية بوصفها الوسيلة الأفضل، إن لم تكن الوحيدة، لبلوغ معرفة حقيقية.

- إمكان possibility

هناك ضروب عديدة من الإمكان، أهمها "الإمكان الناموسى" nomic possibility أو التساوق مع قوانين الطبيعة؛ و"الإمكان المنطقى" logical possibility أو الخلو من التناقض. وهناك أيضاً "الإمكان التقنى" technical possibility أو الذى بالإمكان عمله بالنظر إلى المصادر التقنية المتاحة.

- بعد هذا إذن بسبب هذا post hoc ergo propter hoc

باللاتينية ويعنى: بعد هذا، إذن، بسبب هذا. وهى مغالطة فى الاستدلال السببى تخلط بين "الحدث قبل" و "الحدث بسبب".

– بالقوة potential

قادر على أن يصبح كذا. س بالقوة هي أى شيء ليس هو س الآن غير أنه يمكن أن يصبح س وربما لديه ميل إلى أن يصبح س. الجوز بهذا المعنى هو شجر بلوط بالقوة. يقابله: "بالفعل" actual .

– العقل العملى practical reason

جزء من التعقل البشرى مكرس لاكتشاف المسارات الفضلى، أو على الأقل الرُضوية، للفعل. تقابل "العقل النظرى" theoretical reason الذى يرمى إلى اكتشاف الحقائق التى لا يلزم أن ترتبط أى ارتباط بالفعل.

– الممارسة العملية practice

بالمعنى الأعم هي مجموعة الأفعال البشرية المنظمة من أجل تحقيق غرض معين.

– التداولية . البراجماتيقا pragmatics

جزء من نظرية اللغة يتناول استخدام العلامات اللغوية.

– المذهب البراجماتى (العملى) pragmatism

نظرية فى الصدق ترى أن الصدق يجب أن يفهم فى حدود النفع العملى أو الفائدة. وتُفهم فائدة الاعتقاد الصادق على أنها شبيهة بفائدة الخريطة الصحيحة.

– البراكسس . العمل praxis

رغم أنه كثيراً ما يستخدم على التعاوض مع practice ( الممارسة العملية ) فإن هذا المصطلح قد استخدمه كارل ماركس ليعنى مركباً من النظرية والتطبيق، وقد احتفظ منذ ذلك الحين ببعض الصلة بهذه الفكرة عن الممارسة المُنظَّرة أو العمل المُنظَّر.

– محمول predicate

فى الفلسفة يُستخدَم هذا المصطلح ليعنى إما خاصة أو علاقة. المحمول بهذا المعنى هو أى شىء يمكن أن يُحمل على - أو يقال إنه حقٌ عن - شىء ما أو مجموعة ما من الأشياء.

- تنبؤ prediction

عبارة تتحدث عما سوف يحدث. بعض التنبؤات هى مجرد تخمينات لا سند لها على الإطلاق. وبعضها قائم على اطرادات طبيعية مفهومة جيداً وذات احتمال كبير بأن تكون صحيحة. مثال ذلك التنبؤات الفلكية.

- الانسجام المقدّر pre-established harmony

وجهة من النظر فى مسألة العقل والجسم ترى أن تفاعلها المتبادل هو ظاهرى فقط. ولكن بخلاف مذهب المناسبة الذى يعتقد فى سلسلة توافقات جزئية بين العقل والجسم، فإن نظريات الانسجام المقدّر تتصور أن الرب يضبط العقل والجسم فى مسارات متوازية مرة وإلى الأبد.

- مقدمات premises

هى تلك الجمل التى تقدم دعماً، حاسماً أو احتمالياً، لنتيجة الحجة. ويطلق عليها أحياناً الافتراضات assumption .

- فرض مسبق presupposition

هو أى شىء يتعين أن يكون صادقاً لكى يصدق شىء آخر.

- ظاهر الوجاهة (يؤخذ به ما لم يُنقَضْ بدليل) prima facie

باللاتينية ويعنى: للنظرة الأولى، لأول وهلة. قد تستخدم التعبير بهذا المعنى، غير أنها تستخدم بالأكثر للدلالة على أن شيئاً ما - واجباً أو دليلاً أو حقاً - له قوة مفترضة تظل قائمة ما لم تُنقَضْ باعتبار أعلى.

– الصفات الأولية . الكيفيات الأولية primary quality

هي خواص الأشياء نفسها، والتي ستظل تحوزها الأشياء حتى لو لم تكن هناك عقول تدركها.

– مادة أولية (أصلية) primary matter

مادة في حالة قابلية (قوة) محضة؛ مادة كما هي حقيقة أن تكون بدون صورة.

– معضلة السجين prisoner's dilemma

تعبير يستخدم الآن بعامة في نظرية اللعب وفي نظرية القرار ليعبر عن حالات تضم شخصين عليهما الاختيار بين فعل أ أو فعل ب، حيث يكون الأفضل لكل منهما لو اختار الاثنان أن يفعلا أ وليس ب، ولكن يكون أفضل لكل منهما لو أنه فعل ب بمفرده.

– لغة خاصة private language

لغة لا يمكن أن يتحدث بها سوى شخص واحد، لأن بعض ألفاظها تُعرَّف تعريفاً إشارياً خاصاً أو بطريقة أخرى بحيث لا يمكن أن يتعلم هذه الألفاظ سوى شخص واحد وحيد. وقد عبر كثير من الفلاسفة عن شكوكهم حيال إمكان مثل هذه اللغة.

– منفذ نو امتياز privileged access

حالة من الاستثنائية والعصمة تتعلق بالحالات الذهنية الخاصة بفرد ما. يتمثل جزء من هذا الامتياز في "الحَصْرِيَّة" (أنا فقط من يمكنه أن يعرف ما هو في عقلي الخاص). ويتمثل الجزء الثاني في العصمة (لا يمكن أن أكون مخطئاً فيما يتعلق بعقلي الخاص). على أن وجود، ومجال، هذين الجانبين من المنفذ ذي الامتياز يبقى محل خلاف.

– احتمال probability

ثمة درجات من الاحتمال تتدرج صعوداً حتى اليقين دون أن تشمله. يفسر الاحتمال أحياناً كصفة موضوعية للأحداث تقوم على تواترها النسبي في سلسلة من الأحداث، وأحياناً كتقدير ذاتي أو شخصي للرجحان باعتبار البيئة التي يمتلكها شخص معين.

#### - عملية process

سلسلة متعاقبة من الأحداث. تذهب ميتافيزيقا العملية إلى أن "العمليات" *processe* أكثر أساسية من "الجواهر" *substances*.

#### - برهان proof

هو عملية استدلال عقلي تثبت نتيجة ما على نحو حاسم وبدون أن تسمح بأي منفذ للشك. وقليلة هي الحجج التي تبلغ مبلغ البرهان، مادامت الحجج تقوم على مقدمات قلما تكون واضحة بذاتها (أو مثبتة من مقدمات واضحة بذاتها).

#### - خاصية property

هي في الأعم مرادف لـ : خصيصة، سمة، ملمح، أو أيما صفة تصدق على فرد أو جزئية.

#### - نسبية بروتاجوراس Protagorean relativism

وجهة من الرأي تقول بأن الأشياء هي كما تدرك من قبل مدرك معين. يقول بروتاجوراس: "الإنسان هو مقياس الأشياء؛ مقياس للحكم على ما يوجد بأنه يوجد وما لا يوجد بأنه لا يوجد".

#### - جملة البروتوكول protocol sentence

تستخدم في البناءات الصورية للعلم كمرادف لـ "بيان الملاحظة" *observation re-*  
port

- ثنائية سيكوفيزيكية (نفسجسمية) psychophysical dualism

وجهة نظر ميتافيزيكية ترى أن الواقع مكون من مكونين مختلفين اختلافًا جوهريًا: العقلي، والجسمي. يطلق عليها أيضًا "الثنائية" dualism، و "الثنائية الديكارتية" Cartesian dualism.

- وهو المطلوب إثباته Q.E.D

اختصار للتعبير اللاتيني: quod erat demonstratum ويعنى: ذلك الذى كان يراد إثباته أو البرهنة عليه. يستخدم ليبرز نتيجة حجة أو برهان.

- بما هو Qua

باللاتينية وتعنى: بما هو أو من حيث هو as . مثال ذلك أن أرسطو يعرف الميتافيزيقا بأنها البحث فى "الموجود بما هو موجود" being qua being.

- كيفيات qualia

صفة أو صفات، وبخاصة المدركة حسيًا على نحو مباشر، مثل حمرة الكرز.

- عقلى ، عقلانى rational

متعلق بالعقل. عرف أرسطو البشر كحيوانات عاقلة - حيوانات لها عقل. ورغم أنه من الواضح بمعنى ما كيف نختلف عن الحيوانات غير العاقلة فإن الفلاسفة لم يتفقوا على توصيف دقيق للعقلانية.

- المذهب العقلى rationalism

فى نظرية المعرفة، هو الرأى القائل بأن العقل أو الفكر، وليس الحواس، هو المصدر الوحيد أو الرئيسى للمعرفة.

- التعريف الحقيقى . الشئى real definition

تعريف يدعى أنه يحصر طبيعة أو ماهية ما تسميه كلمة معينة. التعريف الحقيقي للألوان مثلاً حقيق أن يخبرنا ما تكونه الألوان وليس ما تعنيه كلمة "لون".

– خلاف حقيقي real dispute

خلاف يتجاوز الألفاظ (أكثر من مجرد خلاف لفظي). بمعنى أى خلاف خليق بأن يظل قائماً بعد التوضيح الكامل للمصطلحات.

– الواقعية . المذهب الواقعي realism

بالمعنى الأعم والأكثر شيوعاً هو الرأي القائل بأن هناك عالماً مستقلاً عن العقل، تناظره عباراتنا الصادقة. ويمعان أكثر تخصيصاً يمكن للمرء أن يكون واقعياً بإزاء صنف معين من الأشياء: كالمجموعات أو الفئات، أو الأعداد، أو القيم.

– قياس الخلف reductio ad absurdum

باللاتينية ويعنى: رد إلى المحال. تعبير يطلق على عملية دحض موقف ما عن طريق إظهار أنه يلزم عنه أو يترتب عليه شيء ما محال أو باطل (أو غير ممكن بشكل واضح).

– النزعة الرديئة ( الاختزالية ) reductionism

دعوى لها صيغة: كل ما هو إلا ب ، والمرفوضة على أساس أن شيئاً ما فى طبيعة أ قد تم إغفاله. بذلك فإن الدعوى بأن البشر ما هم إلا متعضيات بيوفيزيائية معقدة ستؤخذ على أنها تنطوى على رديئة، أو لا تنطوى، وسيتوقف ذلك على ما إذا كنا نرى أى شيء حق عن البشر قد تم إغفاله فى هذا التوصيف.

– توازن انعكاسى (تأملى) reflective equilibrium

حالة تنتج عن التوفيق المتبادل بين مبادئ أو أحكام متصارعة.

– دحض . تفنيد refutation

استدلال يوضح أن رأياً معيناً (أو موقفاً أو نظرية) لا يمكن أن يؤخذ به.

– مبدأ تنظيمي regulative principle

يطلق عادة على عبارات من قبيل "كل حدث له سبب"، والتي تفسر على أنها معايير ترشد الممارسة ("فتش دائماً عن الأسباب!") وليس كعبارات تتصف بالصدق أو الكذب.

– تشييء reification

انظر hypostatization .

– علاقة relation

تنقسم المحمولات إلى: محمولات أحادية monadic (غير علائقية) ومحمولات تعددية polyadic (أو علائقية). يُعد "سمين" محمولاً أحادياً. و "أطول من" محمولاً علائقياً ثنائياً، و "يقع بين كذا وكذا" محمولاً علائقياً ثلاثياً. أما المفردات المرتبطة بعلاقات فيطلق عليها "متعلقات" relata .

– تعريف تقريرى reportive definition

تعريف وصفي صرف، يصف كيف تستخدم كلمة ما بالفعل عند أعضاء جماعة لغوية معينة.

– العدل الجزائي retributive justice

جانب من العدالة يتعلق بتصنيف العقوبة وفقاً للاستحقاق. يبرر بعض المفكرين العقاب على أساس جزائي صرف، بينما ينظر آخرون إلى النتائج الفعلية المترتبة على العقاب، مثل الردع أو الإصلاح.

– الخطابة rhetoric

فن الخطاب المؤثر. وقد كان سقراط وأفلاطون وكثيرون غيرهما من القدماء (وإن استثنينا أرسطو) يعتبرون الخطابة فناً زائفاً لا يقدم أكثر من مظهر الحقيقة.

## – حقوق rights

تلك الأشياء التي هي حق الشخص. ثمة حقوق قانونية يفرضها القانون. ويرى الكثيرون أن هناك حقوقاً طبيعية (أو حقوقاً أخلاقية) سابقة على أية نظم قانونية ومستقلة عنها أيضاً.

## – وازع . رادع sanction

أيما شيء يدعو إلى الإذعان والطاعة. يَرِدُ في سياق القوانين في الأغلب. الأمر الذي يفسر لماذا يُطْلَق على كل من السلطة والعقاب كلمة "sanction"

## – صفات ثانوية . كيفيات ثانوية secondary qualities

صفات ليست في الأشياء ذاتها بل في استجابات العقل أو استجابات الذاتية للأشياء. تسمى أيضاً "الصفات الذاتية" subjective qualities . بعض الفلاسفة، ولاسيما جون لوك، يعتبرون الألوان صفات ثانوية. وهي تقابل "الصفات الأولية" pri-mary qualities (٦٠)

## – تناقض ذاتي self-contradiction

عبارة مركبة أو مجموعة عبارات لا يمكن أن تصدق ككل؛ ذلك لأن جزءاً من صدقيتها يستلزم كذب جزء آخر. مثال ذلك: "إنها تمطر وإنها لا تمطر".

## – واضح بذاته self-evident

واضح جليٌّ ولا يحتاج إلى برهان. يختلف الفلاسفة فيما بينهم حول أي الحقائق، إن وُجِدَتْ، هي واضحة بذاتها.

(٦٠) بشكل عام، رأى المحدثون أن الصفات المدركة بالحواس كالألوان والطعوم والروائح صفات ثانوية، بينما الصفات الكمية المدركة بالعقل كالوزن والحجم والطول والعرض هي صفات أولية. (المراجعة)

– مصلحة ذاتية self-interest

اهتمام يديه الفرد تجاه صالحه الخاص ورفاهيته. والمصلحة الذاتية ليست بالضرورة أنانية.

– أنانية selfishness

تستخدم الكلمة عادة لتعني ذلك الاهتمام من جانب الفرد تجاه نفسه ومصالحه أو منفعتة، والذي يُرى زائداً عن الحد أو غير مقبول أخلاقياً.

– يحيل إلى ذاته self-referential

مصطلح يصف عبارة من قبيل "جميع التعميمات كاذبة". فهي تفضي إلى "مفارقة الإحالة الذاتية" paradox of self-reference حيث إنها إذا صدقت تكون كاذبة! (٦١)

– الصعود السيمانتى semantic ascent

هو المضيُّ من مستوى إلى مستوى شارح meta-level. فإذا اعتبرنا عبارة "إنها تمطر" هي من مستوى معين (حديث مباشر عن العالم) فإننا نصعد دلاليًا (إلى مستوى الحديث عن الحديث) عندما نقول "عبارة "إنها تمطر" هي عبارة صادقة".

– علم دلالة الألفاظ semantics

هو دراسة العلاقات بين اللغة والعالم.

– سيميوطيقا semiotics

علم العلامات.

– المعطيات الحسية sense data

(٦١) شبيه بهذا مفارقة الكذاب المشار إليها آنفًا. (المراجعة)

مصطلح يستخدم ليشير إلى ما هو معطى لنا مباشرة عن طريق حواسنا. أى ما نعيه مباشرة فى عملية الإحساس.

- حسى . معقول      sensible

كلمة تعنى إما "متعلق بالحواس" وبالمعطيات التى تقدمها، وإما "معقول".

- مجموعة      set

مصطلح رياضى على الأكثر، يعنى فئة أو مجموعة.

- تدليل . دلالة      signification

هى بالمعنى الفضفاض مرادفة لـ "معنى" أو حتى لـ "أهمية". وبالمعنى الضيق هى العلاقة بين العلامة - الطبيعية أو الاتفاقية، اللفظية أو غير اللفظية - وما تدل عليه العلامة أو تشير إليه.

- الموضعة السانجة      simple location

مصطلح استخدمه ألفرد نورث هويتهد ليشير إلى ما اعتبره اعتقاداً خاطئاً وهو أن الواقع يتكون من أشياء منفصلة يمكن أن يُقيَض لها موقع مكانى زمانى معين فريد.

- مطلق . غير مقيد      simpliciter

باللاتينية: ببساطة، فترة، نون أى إضافة، بدون مقيد أو محدد أو إضافة.

- بساطة      simplicity

صفة قِيَمَة (فى معظم الآراء) للتفسيرات والنظريات. فمن بين نظريتين، ومع تساوى كل شىء آخر، تعد النظرية الأقل تعقيداً (أو المتضمنة أقل عدد من الكيانات أو أنماط الكيانات) هى النظرية الأفضل.

- مذهب الشك      skepticism

إنكار أن البشر يمتلكون معرفة. يذهب مذهب الشك الكلى إلى أن البشر لا يعرفون أى شيء. أما مذاهب الشك الجزئى المختلفة فتتكر معرفة مسائل محددة، مثل الأخلاقية أو الفائق للطبيعة.

#### - نظرية العقد الاجتماعى social contract theory

الرأى القائل بأن البشر يتركون حالة الطبيعة بالاتفاق الضمنى على عقد يؤسس المجتمع المدنى بقوانينه وواجباته وإلزاماته. ويُنظر إلى هذه النظرية بعامة لا على أنها وصف لحدث تاريخى بل على أنها تبرير افتراضى لقيام الدولة (الحكومة).

#### - المنهج السقراطى Socratic method

هو طريقة التساؤل المتواصل المرتبطة بسقراط، والتي يحاول المرء بواسطتها أن يوضح أساس، ومعنى ومتضمنات، موقفٍ مبدئى ما.

#### - أناوحدية solipsism

وجهة من الرأى، يتمسك بها البعض جدياً، تقول بأن الشخص الذى يطرحها هو الشيء الوحيد الموجود. تقتزن عادة بالرأى القائل بأن كل شيء آخر هو مجرد فُتاتٍ ونُتف من خبرة الشخص الواحد والوحيد.

#### - سفسطة sophism; sophistry

جدل زائف أو مضلل أو مخادع.

#### - تصنيفى . تبوييى sorai

مصطلح تصنيفى يجيب عن السؤال: "ما هذا (الشيء)؟". تعد ألفاظ مثل: كلب، كرسي، هاتف - ألفاظاً تصنيفية، بخلاف ألفاظ مثل: أحمر، سمين، كسول.

#### - صحة soundness

صفة الحجة الاستنباطية الصائبة (المنتجة) valid التى تحوز، بالإضافة إلى ذلك، مقدمات صادقة جميعاً.

- نوع species

فئة فرعية (تحتية) بالنسبة إلى فئة أكبر أو "جنس" . genus الكولى مثلاً "نوع" species من الكلاب، بينما الكلاب "نوع" من الثدييات، والثدييات "نوع" من الحيوانات.

- فعل كلامى speech act

مصطلح يُستخدم ليدل على ما يفعله قول ما، مثل: أن يصوغ عبارة، أو يسأل سؤالاً، أو يصدر أمراً.

- حالة الطبيعة state of nature

هى حالة البشر خارج المجتمع المنظم أو المدنى حيث الحياة (كما تُصور لنا حالة الطبيعة عادةً) بغيضة ووحشية وقصيرة. أو بعبارة أخرى هى حرب الجميع ضد الجميع.

- الرواقية . المذهب الرواقى stoicism

هى وجهة النظر القائلة بأن العالم هو كلٌ معقول، وكل ما يجرى فيه يتغياً الخير. ويفضى ذلك إلى المبدأ القائل بأن الشخص الحكيم هو من يتعلم كيف يتقبل كل ما يحدث له برباطة جأش ورضا، حتى تلك الأشياء التى تدهم غير الحكيم كأشياء سلبية.

- حجة رجل القش straw-man argument

هى الحجة التى تحاول أن تدعم موقفاً ما بأن تهاجم موقفاً آخر لم يقل به أحد.

- البنوية structuralism

هى وجهة الرأى القائلة بأن معنى الجزء (علامة، رمز، لفظة لغوية) يحدده بوره الفارق داخل بنية أو منظومة أكبر.

- قضيتان متضادتان جزئياً subcontraries

عبارتان يمكن أن تصدقا معاً ولكن لا يمكن أن تكذبا معاً. مثال ذلك: "بعض السويديين بروتستنتيون" و "بعض السويديين غير بروتستنتيين".

– فئة فرعية (تحتية) subset

جزء من مجموعة أو فئة.

– دائم subsistent

له كينونة أو وجود. لفظ يستخدم أحياناً كمقابل لـ "موجود" existent، ليشمل كل ما له وجود خارج المكان والزمان (إن وُجد).

– من منظور الأزلية sub specie aeternitatis

باللاتينية ويعنى: بوصفه أزلياً as eternal . يعتقد بعض الفلاسفة، أشهرهم سبينوزا، أن غاية الميتافيزيقا هي أن ترى أو تضم كل شيء في آن معاً "من منظور الأزلية".

– جوهر substance

يعرّف في الأغلب بأنه الشيء الذي يحمل الخواص ويعتريه التغير. ويعرّف أحياناً على أنه ذلك الذي بمكنته أن يوجد وجوداً مستقلاً.

– استبدالية substitutivity

خاصة كون الكلمة قابلة للتبديل ( قابلة لأن يستبدل بها كلمة أخرى )، وتؤخذ عادة بمعنى قابلة لأن يستبدل بها كلمة أخرى "تكون تغير في قيمة الصدق" .salve veritate

– أساس ، قوام substratum

حرفياً: ذلك الذي يقع تحت... كثيراً ما يستخدم ليشير إلى ذلك الذي يحمل الخواص أو يتعرض للتغير.

- شرط كافٍ sufficient condition

شرط إذا استوفاه الشيء ضمن له أن يكون عضواً في فئة ما، أو أن يندرج تحت مفهوم ما.

- سبب كافٍ sufficient condition

السبب الكافي لـ "س" هو أى شيء كفيلاً بحد ذاته أن يسبب س أو يفسر وجود س. يفيد مبدأ السبب الكافي الذي يرتبط بالفيلسوف ليبنتز أن لكل شيء هناك سبب يفسر لماذا هو هكذا وليس أى شيء آخر.

- الخير الأسمى Summum Bonum

باللاتينية وتعنى: الخير الأعظم. اختلفت نظريات القيمة حول ما هو الخير الأسمى.

- العارضية . التبعية supervenience

حالة كون الخاصية (الصفة) عارضة أو تابعة. وتكون الخاصية عارضة إذا كانت تعتمد على خواص أخرى وتتوقف عليها ولا يمكن أن تتغير ما لم تتغير تلك الخواص. تعد خاصية اللون مثلاً عارضة أو تابعة لأنها تعتمد على خواص فيزيائية أكثر أساسية.

- فرض . افتراض supposition

فرض قائم عادة من أجل حجة أو تفسير أو استقصاء.

- تعليق الحكم suspension of judgement

حالة تجاه قضية معينة لا يحكم فيها المرء بإثبات ولا بنفى. وهو الموقف اللائق حيث لا يكون هناك مبرر أو دليل يرجح الإثبات على النفى أو يرجح النفى على الإثبات.

- قياس syllogism

نمط تقليدي من الحجة يتكون من "مقدمة كبرى" *major premise* و "مقدمة صغرى" *minor premise* و "نتيجة" *conclusion* . مثال ذلك: جميع الكلاب من الثدييات، وجميع الثدييات من نوات الدم الحار، إذن، جميع الكلاب من نوات الدم الحار.

- تماثلي *symmetrical*

كلمة تصف علاقة إذا صحت بين الطرفين الأول والثاني فلا بد من أن تصح بين الطرفين الثاني والأول. تعد "علاقة التساوي" أهم الأمثلة على علاقة التماثل.

- علم نظم الجملة (التركيبيية) *syntactics*

جزء من نظرية اللغة يتناول علاقة العلامات اللغوية بعضها مع بعض.

- تركيبي قبلي *synthetic a priori*

تعبير يصف تلك الحقائق (إن وجدت) من العالم الواقعي التي يمكن رغم ذلك أن تُعرف بالعقل باستقلالٍ عن الخبرة (التجربة).

- عبارة تركيبيية *synthetic statement*

عبارة ليست من حيث معناها صادقة بالضرورة أو كاذبة بالضرورة. فإذا كانت عبارة "كل معلول له علة" عبارة تحليلية (غير تركيبيية)، فإن عبارة "كل حدث له سبب" هي عبارة تركيبيية (غير تحليلية).

- نسق ، منظومة *system*

مجموعة متعلقة من الدعاوى أو العبارات.

- صفحة بيضاء *tabula rasa*

باللاتينية وتعني: لوح اربوازي غُفْل (خالٍ من الكتابة) . استعارة يستخدمها التجريبيون من مثل جون لوك ليصفوا العقل لحظة الميلاد، وقبل أن تخط عليه الخبرة أي شيء.

– تحصيل حاصل      tautology

عبارة صادقة بالضرورة بسبب صورتها المنطقية. مثال ذلك: "إنها تمطر أو لا تمطر". وتُعدّ تحصيلات الحاصل بصفة عامة خلُوءاً من المعلومات.

– تفسير غائي      teleological explanation

تفسير يقوم على تبيان الأداء الموجه إلى هدف.

– غاية      telos

غاية، هدف، غرض.

– زمنية . تَزْمُن      temporality

صفة الوجود في الزمن. تؤكد "ميتافيزيقا الصيرورة" process metaphysics على الزمانية.

– حد ، مصطلح      term

كلمة أو تعبير.

– القابلية للاختبار      testability

إمكان الخضوع للاختبار. يعتبر بعض فلاسفة العلم أن قابلية الاختبار سمة ضرورية لأية عبارة أو نظرية إمبريقية أصيلة.

– مَبْرَهَنَة      theorem

المبرهنة في نسقٍ صوري ما – مثل البناء الصوري للهندسة الإقليدية – هي عبارة يمكن أن تُشتق من بديهيات النسق.

– تحميل نظري      theory-ladenness

صفة للألفاظ والملاحظات وبيانات الملاحظة، من حيث هي غير قابلة للفهم خارج الإطار المرجعي لنظرية معينة.

- تمييز المَعْلَم/النمط token/type distinction

تمييز بين الحدوث الفيزيائي (سواء المنطوق أو المكتوب) للكلمات، ويُسمى إذاً "المعالم" tokens وبين مختلف الكلمات التي تجسدها هذه النماذج فيزيائياً، وتسمى "الأنماط" types. ثمة كلمات معالِم في هذه الجملة أكثر من الكلمات الأنماط، لأن بعض الكلمات الأنماط تستخدم، أو تُتداول، أكثر من مرة.

- حياد نموذجي token neutrality

صفة كون الحال يسرى على جميع الموضوعات. تعد قوانين المنطق ذات حياد موضوعي، حيث إنها تسرى على كل ما يفكر به أو يناقش حوله.

- ترانسندنتالي . شارط transcendental

واقع خارج نطاق الخبرة أو المعرفة العادية.

- مُتَعَدّ transitive

كلمة تصف علاقة إذا صحت بين طرف أول وطرف ثان، وأيضاً بين ذلك الثاني وطرف ثالث، فلا بد من أن تصدق بين الطرف الأول والطرف الثالث. وتعد علاقة التساوي أهم الأمثلة على علاقة التعدى.

- حقيقة تافهة . نافلة trivial truth

تعبير يفيد النفور والنبذ ويسرى على كل ما هو "حقيقة بحكم التعريف" أو ما هو "من نوافل القول" platitude .

- سيمانتيات شروط الصدق truth-conditional semantics

هي علم الدلالة أو نظرية المعنى التي تذهب إلى أن معنى عبارة ما يمكن أن يفسر بشكل تام ووافٍ من خلال شروط صدقها.

- قيمة الصدق truth-value

هى فى المنطق التقليدى إما قيمة الصدق وإما قيمة الكذب. وهناك أيضاً ضروب من المنطق ثلاثية القيم تستخدم: الصدق، والكذب، وعدم التحديد.

– التحديد الناقص underdetermination

وضع لا تحدد فيه الوقائع أو البيانات ناتجاً واحداً فريداً. يستخدم فى الأغلب ليسم العلاقة بين البيئة (الأدلة) والنظرية، وبين المعطيات اللغوية والترجمة.

– اطراد الطبيعة uniformity of nature

رأى، يُعد أحياناً مبدأً أساسياً للعلم، يقول بأن العالم الطبيعى يخضع للقوانين ذاتها فى كل مكان وكل زمان.

– الكليات قبل الأشياء universalia ante res

مصطلح يستخدم ليصف الوضع الأنطولوجى الذى تسبغه الواقعية الأفلاطونية على الكليات، أو الوضع الذى مؤداه أن الكليات توجد باستقلال عن العقل وعن المثل فى الزمان والمكان.

– الكليات فى الأشياء universalia in rebus

مصطلح يستخدم ليصف الوضع الأنطولوجى الذى يسبغه على الكليات مفكرون من أمثال أرسطو، الذى ذهب إلى أن الكليات توجد باستقلال عن العقل ولكن ليس باستقلال عن الجزئيات التى تسميها.

– الكليات بعد الأشياء universalia post res

مصطلح يستخدم ليصف الوضع الأنطولوجى الذى يسبغه "المذهب الاسمى" nominalism على الكليات، أو الوضع الذى مفاده أن الكليات لا وجود لها إلا كأسماء كلية.

– القابلية للتعميم universalizability

صفة لقاعدة أو مبدأ يسرى على جميع الأشخاص. كثيراً ما تُعدّ القابلية للتعميم بهذا المعنى شرطاً ضرورياً للقاعدة الأصلية أو المبدأ الأخلاقي الأصيل.

#### - الكليات universals

أفكار مجردة مثل: الحمرة، المثلث، العدالة. ويعد الوضع الأنطولوجي للكليات أمراً محل خلاف.

#### - أحادي المعنى univocal

له معنى واحد. يقال للكلمة "أحادية" إذا كانت تعنى الشيء نفسه فى كل استخداماتها.

#### - استخدام . استعمال (الكلمة) use

عندما لا تكون الكلمة هى نفسها تحت النقاش، وعندما تقوم بإسهامها المعتاد فى معنى الجملة، يقال إنها "تُستخدم" used. هذا "الاستخدام" use يقابل "الذكر" mention حيث تكون الكلمة نفسها موضوع الحديث.

#### - مذهب المنفعة utilitarianism

هو النظرية التى تذهب إلى أن ما هو مباح أخلاقياً وما هو غير مباح وما هو واجب ملزم فى الأفعال يتوقف على نتائجها من حيث اللذة/السعادة أو الألم/الشقاء الذى تورثه هذه الأفعال. وهناك صورتان من مذهب المنفعة: منفعة الفعل ويعنى بنتائج كل فعل على حدة، ومنفعة القاعدة ويعنى بالنتائج العامة لتبنى قواعد معينة والالتزام بها.

#### - حساب المنفعة utility calculus

هو، فى صناعة القرار وفقاً لمذهب النتائج، محاولة التنبؤ والحساب المقارن بين التكلفة والفوائد الناتجة عن مسار معين للفعل. يوصف أيضاً كحساب للمنافع والمضار المتوقعة.

- يوتوبيا utopia

حرفياً: لا مكان (حيث لا أين). كلمة تستخدم لتشير إلى عالم مثالي متخيل. وعادة ما تستخدم كلمة "يوتوبى" لتعنى غير واقعى.

- غموض vagueness

تتصف الكلمة بالغموض إذا وفقط إذا كان بين الحالات القاطعة بانطباقها والحالات القاطعة بعدم انطباقها توجد حالات بينية أو متشابهة. من أمثلة الألفاظ الغامضة "rich", "old", "bald"

- صواب، صحة validity

بالمعنى الصارم: النجاح "الاستنباطى" deductive. وبمعنى أقل صرامة قد توصف الحجج غير الاستنباطية الوجيهية وحتى العبارات الصادقة بكلمة "validity".

- قيمة value

صفة إيجابية لأى شىء، بها يكون مرغوباً أو نافعاً أو شائناً أو خيراً أو مهماً - أو ما شئت مما لا يحصى من الكلمات المتاحة للتعبير عن القيم الإيجابية. هل القيم جزء من الطبيعة الجوانية للأشياء، أو أنها تعود ببساطة إلى كيفية استجابة البشر للأشياء؟ تلك مسألة محل خلاف.

- نظرية القيمة value theory; axiology

البحث المنظم فى أصل، أو طبيعة، أو ارتباطات، القيم من أى نوع.

- خلاف لفظى verbal dispute

خلاف أو نزاع فلسفى يمكن تسويته عن طريق التعريف الدقيق والصريح للألفاظ. يقابل "الخلاف الحقيقى" real dispute.

- غير موهوم veridical

حرفياً: حقيقى، صادق. تكون الخبرة غير موهومة إذا كانت خبرة بما يبدو أنها خبرة به. وضدها: "موهوم" nonveridical .

#### - القابلية للتحقق verifiability

صفة كون القضية قابلة للتحقق (منها). يعتقد الوضعيون المناطق أن جميع العبارات غير التحليلية وغير القابلة للتحقق هي عبارات لا معنى لها معرفياً.

#### - تحقق verification

مجموعة من الإجراءات، بالنسبة لعبارة معينة، تستخدم لتقرير قيمة صدقها.

#### - افتراضى . خائلى virtual

كلمة تُستخدم أكثر ما تستخدم ( أو يساء استخدامها ) كمرادف لكلمة "تقريباً" almost. أما بالمعنى الصارم فإن س الخائلى هو شىء ما له تأثير س دون أن يكون س.

#### - فضيلة virtue

خصيصة إيجابية، أو امتياز، لشيء ما أو شخص ما. تُعرف فضيلة ما أحياناً تعريفاً أضيق بوصفها عادة حسنة.

#### - المذهب الحيوى vitalism

هو الرأى القائل بأن هناك فرقاً أساسياً (أو ميتافيزيقياً) بين الأشياء الحية وغير الحية.<sup>(٦٢)</sup> وقد كان الحيويون يعتقدون ذات يوم أن المواد الكيميائية العضوية لا يمكن تخليقها خارج كائن عضوى حى. وقد تبين بالطبع أنهم على خطأ.

(٦٢) وهذا الفرق أساساً فى أن الشىء الحى أو بالأحرى الكائن الحى يمثل كلا متكاملًا غير قابل للتجزئة بحال، لذلك مثل عائقا أمام تطور التشريح وعلم وظائف الأعضاء. وكان التخلص منه حصيلة جهود رعىل ورواد على رأسهم كلود برنار (١٨١٣-١٨٧٨). (المراجعة)

## - مذهب الإرادة voluntarism

هى وجهة الرأى التى تؤكد أهمية الإرادة. مثال ذلك أن صاحب مذهب الإرادة حقيق أن يرى الأفعال المضادة لإرادة الرب أفعالاً خاطئة، وأن مناوئ مذهب الإرادة سيرى أن الأفعال الخاطئة (أى المستقلة عن إرادة الرب) مضادة لإرادة الرب.

## - التقريرية المسوغة (جدارة التقرير) warranted assertibility

تعد عبارة ما مسوغة التقرير إذا وفقط إذا كان لدينا أسباب للاعتقاد بصدقها وجيهة بحيث تعفى تقريرنا من النقد العقلانى.

## - رؤية العالم . النظرة إلى العالم Weltanschauung

بالألمانية وتعنى: النظرة إلى العالم. طريقة شاملة فى فهم الواقع، قد تكون مصوغة على نحو صريح، وقد تكون مضمرة.

## - إرادة الاعتقاد will to believe

تعبير ابتكره وليم جيمس ليؤكد عنصر القرار أو الالتزام فى تبني اعتقاد ما.

## - الحكمة wisdom

هى فى معناها الأسمى هدف الفلسفة. ويتمتع الشخص الحكيم نظرياً برؤية صحيحة لطبيعة الأشياء، أما الحكيم عملياً فيعرف كيف يعيش.

## - روح العصر Zeitgeist

بالألمانية: روح الزمن.

## - مفارقات زينون Zeno's paradoxes

حاول زينون الإيلى (Zeno of Elea (c. 490 B.C.) أن يبين استحالة الحركة بابتكار عدة مفارقات، أمثلها هى مفارقة الاستديوم، والتى تدعى أن لا أحد يستطيع أن يعبر الاستديوم؛ ذلك أن عليه أن يعبر نصفه الأول، ثم نصف النصف المتبقى، ونصف ذلك النصف، وهكذا إلى ما لانهاية . ad infinitum

المؤلف في سطور:

وليم جيمس إيرل

أستاذ الفلسفة بجامعة باروخ منذ العام ١٩٨٣، وأستاذ بمركز الدراسات العليا في جامعة نيويورك.

حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة كولومبيا عن رسالة بعنوان "تيار الفكر عند وليم جيمس كنقطة انطلاق للميتافيزيقا".

تخصص في الميتافيزيقا المعاصرة، سواء من منظور القارة الأوربية أو من المنظور التحليلي، وإن كان قد أولى التحليل عناية أكبر. له العديد من الدراسات والمقالات المنشورة.

رئيس تحرير المجلة الفصلية الدولية 'منبر الفلسفة' The Philosophical Forum .

المترجم فى سطور:

عادل مصطفى

من مواليد القاهرة ، وتخرج فى كلية الطب جامعة القاهرة.

درس الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة حتى نال درجة الليسانس الممتازة، وحصل من جامعة القاهرة على جائزة أندريه لالاند فى الفلسفة.

استشارى الأمراض النفسية والعصبية بدار الاستشفاء للصحة النفسية، ومعار حاليا لدولة الكويت كطبيب للأمراض النفسية.

له العديد من الأعمال الفلسفية والسيكولوجية المنشورة فى دار الفارابى ودار النهضة العربية ببيروت، ودار الآفاق العربية بالقاهرة، ودار المنار الإسلامية بالكويت.

من كتبه المؤلفة: دلالة الشكل، كارل بوبر، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، صوت الأعماق، نغم الأفكار.

من كتبه المترجمة: الفن لكلايف بل، العلاج المعرفى لأرون بك، علم النفس الثقافى لمايكل كول، العلاج الوجودى لرولو ماى، الدليل التشخيصى والإحصائى الرابع (الرابعة الأمريكية للطب النفسى).

المراجعة فى سطور:

يمنى طريف الخولي

أستاذ فلسفة العلوم ومناهج البحث، بكلية الآداب - جامعة القاهرة.

عضو اللجنة القومية لتاريخ وفلسفة العلوم بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا  
ولجنة الفلسفة بالمجلس الأعلى للثقافة، بجمهورية مصر العربية.

نشرت العديد من الكتب تأليفا وترجمة.

من مؤلفاتها: "فلسفة العلم من الحتمية إلى الاحتمية" ١٩٨٧ - ط ٢ ٢٠٠٠،  
"فلسفة كارل بوبر: منهج العلم.. منطق العلم" ١٩٨٩ - ط ٢ ٢٠٠٣، "مشكلة العلوم  
الإنسانية" ١٩٩٠ - ط ٦ ٢٠٠٢؛ "الحرية الإنسانية والعلم: مشكلة فلسفية" ١٩٩٠،  
"الوجودية الدينية" و ١٩٩٨ - ط ٢ ٢٠٠٥، "الطبيعيات فى علم الكلام: من الماضى  
إلى المستقبل" ١٩٩٥ - ط ٢ ١٩٩٨، "بحوث فى تاريخ العلوم عند العرب - ١٩٩٨،  
"الزمان فى الفلسفة والعلم" ١٩٩٩، "أمين الخولى والأبعاد الفلسفية للتجديد"، "فلسفة  
العلم فى القرن العشرين: الأصول .. الحصاد .. الآفاق المستقبلية"، سلسلة عالم  
المعرفة، الكويت ديسمبر ٢٠٠٠

من كتبها المترجمة: ج.ج. كرواثر، قصة العلم (بالاشتراك مع آخر) ١٩٩٨، وهو  
العدد ٢٠ من المشروع القومى للترجمة (فاز بجائزة أحسن كتاب فى الثقافة العلمية فى  
معرض القاهرة الدولى للكتاب عام ٢٠٠٠). كارل بوبر، أسطورة الإطار: فى دفاع عن  
العلم والعقلانية، عالم المعرفة، الكويت مايو ٢٠٠٣، ليندا جين شيفرد، أنثوية العلم:  
العلم من منظور الفلسفة النسوية، عالم المعرفة، الكويت، أغسطس ٢٠٠٤ كما راجعت  
فى السلسلة نفسها ترجمة كتاب: أخلاقيات العلم، العدد ٣١٦، يونيو ٢٠٠٥

هذا بخلاف فصول شاركت بها فى كتب، وأوراق تقدمت بها إلى مؤتمرات دولية  
وندوات متخصصة، وبحوث منشورة فى دوريات محكمة، ودراسات فى مجلات ثقافية،  
والعشرات من المقالات فى القضايا الفكرية بالجرائد الكبرى.

أشرفت على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه في فلسفة العلوم والفلسفة المعاصرة.

حصلت على العديد من الجوائز العلمية من مصر والعالم العربي، آخرها جائزة باسراحيل للإبداع الثقافي العربي في مجال الدراسات الإنسانية والمستقبلية، في دورتها الأولى العام ٢٠٠٤

## المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وميمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

## المشروع القومي للترجمة

١- اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢- الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادغو بانيكار	أحمد فؤاد بليغ
٣- التراث المسروق	جورج جيمس	شوقي جلال
٤- كيف تتم كتابة السيناريو	إنجا كاريتتيكوفا	أحمد الحضري
٥- ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦- اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إلتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧- العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكي
٨- مشعل الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩- التغيرات البيئية	أندرو. س. جودي	محمود محمد عاشور
١٠- خطاب الحكاية	جيرار جينيت	محمد معنم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي
١١- مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢- طريق الحرير	ديفيد براونستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣- ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤- التحليل النفسي للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥- الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لومسي سميث	أشرف رفيق عفيفي
١٦- أثينة السوداء (ج١)	مارتن برنال	بإشراف أحمد عثمان
١٧- مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوي
١٨- الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩- الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠- قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يعني طريف الخولي وبدوي عبد الفتاح
٢١- خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجي	ماجدة العناني
٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد علي الناصري
٢٣- تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤- ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥- مثنوى (٦ أجزاء)	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦- دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧- التنوع البشري الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨- رسالة في التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩- الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادغو بانيكار	أحمد فؤاد بليغ
٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الطوجي وعبد الوهاب علوب
٣٢- الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣- التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بليغ
٣٤- الرواية العربية	روجر آلن	حصه إبراهيم المنيف
٣٥- الأسطورة والحداثة	بول ب. ديكسون	خليل كلفت
٣٦- نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

جمال عبد الرحيم	بريجيت شيفر	واحة سيوة وموسيقاها	٢٧-
أنور مغيث	ألن تورين	نقد الحداثة	٢٨-
منيرة كروان	بيتر والكوت	الحسد والإغريق	٢٩-
محمد عبد إبراهيم	آن سكستون	قصائد حب	٤٠-
عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد	بيتر جران	ما بعد المركزية الأوروبية	٤١-
أحمد محمود	بنجامين باربر	عالم ماك	٤٢-
المهدى أخريف	أوكتايفو پاث	اللهب المزوج	٤٣-
مارلين تادرس	ألدوس هكسلى	بعد عدة أصياف	٤٤-
أحمد محمود	روبرت دين وچون فاين	التراث المغنور	٤٥-
محمود السيد على	بابلو نيرودا	عشرون قصيدة حب	٤٦-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج١)	٤٧-
ماهر جويجاتى	فرانسوا بوما	حضارة مصر الفرعونية	٤٨-
عبد الوهاب علوب	هـ . ت . نوريس	الإسلام فى البلقان	٤٩-
محمد براءة وعثمانى الميود ويوسف الأنطكى	جمال الدين بن الشيخ	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	٥٠-
محمد أبو العطا	داريو بيانوبيا وخ . م . بينياليستى	مسار الرواية الإسبانية أمريكية	٥١-
لطفي قطيم وعادل دمرداش	ب. نرفاليس رس . روجسيفيتز وروجر بيل	العلاج النفسى التدعيمى	٥٢-
مرسى سعد الدين	أ . ف . ألنجتون	الدراما والتعليم	٥٣-
محسن مصيلحى	ج . مايكل والتون	المفهوم الإغريقى للمسرح	٥٤-
على يوسف على	جون بولكنجهوم	ما وراء العلم	٥٥-
محمود على مكى	فديريكو غرسية لوركا	الأعمال الشعرية الكاملة (ج١)	٥٦-
محمود السيد و ماهر البطوطى	فديريكو غرسية لوركا	الأعمال الشعرية الكاملة (ج٢)	٥٧-
محمد أبو العطا	فديريكو غرسية لوركا	مسرحيتان	٥٨-
السيد السيد سهيم	كارلوس مونييث	المحبرة (مسرحية)	٥٩-
صبرى محمد عبد الفتى	جوهانز إيتين	التصميم والشكل	٦٠-
باشراف : محمد الجوهري	شارلوت سيمور - سميث	موسوعة علم الإنسان	٦١-
محمد خير البقاعى	رولان بارت	لذة النص	٦٢-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٢)	٦٣-
رمسيس عوض	ألان وود	برتراند راسل (سيرة حياة)	٦٤-
رمسيس عوض	برتراند راسل	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	٦٥-
عبد اللطيف عبد الحليم	أنطونيو جالا	خمس مسرحيات أندلسية	٦٦-
المهدى أخريف	فرناندو بيسوا	١ مختارات شعرية	٦٧-
أشرف الصباغ	فالنتين راسبوتين	نتاشا العجوز وقصص أخرى	٦٨-
أحمد فؤاد متولى وهريدا محمد فهمى	عبد الرشيد إبراهيم	العالم الإسلامى فى أولئ القرن العشرين	٦٩-
عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد	أوخينيو تشانج رودريجت	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	٧٠-
حسين محمود	داريو فو	السيدة لا تصلح إلا للرمى	٧١-
فؤاد مجلى	ت . س . إليوت	السياسى العجوز	٧٢-
حسن ناظم وعلى حاكم	چين ب . تومبكنز	نقد استجابة القارئ	٧٣-
حسن بيومى	ل . ا . سيمينوفا	صلاح الدين والمماليك فى مصر	٧٤-

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	چاك لاكان وإغواء التطيل النفسى	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسپنسكى	سعيد الفانمى وناصر حلاوى
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمرى
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوى
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	محمود السيد على
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالى
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (ج١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقى	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العنانى
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتونى جيننز	أحمد زايد ومحمد محبى الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وأخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	لسانك ومضامين المسرح الإمبراطوريى المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوى
٩٥-	مختارات من المسرح الإشباني	أنطونيو بويزو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعى
٩٨-	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مسألة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحى
١٠١-	النص الروائى: تقنيات ومناهج	بيرتار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبى	عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣-	قبر ابن عربى يليه آياه (شعر)	عبد الوهاب المزدب	محمد بنيس
١٠٤-	أويرا ماهوجنى (مسرحية)	برتوات بريشت	عبد الغفار مكارى
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	عبد العزيز شبيب
١٠٦-	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	أشرف على دعور
١٠٧-	صرخة الفنان فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من المؤلفين	محمود على مكى
١٠٩-	حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء فى العالم النامى	حسنه بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسيس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف

- ١١٣- راية التمرد سادى پلانت أحمد حسان
- ١١٤- مسرحيتا حماد كونجى وسكان المستقع وول شوينكا نسيم مجلى
- ١١٥- غرفة تخص المرء وحده فرچينيا وولف سمىة رمضان
- ١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون نهاد أحمد سالم
- ١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام لىلى أحمد منى إبراهيم وهالة كمال
- ١١٨- النهضة النسائية فى مصر بىث بارون لميس النقاش
- ١١٩- اتساء والاسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى أميرة الأزهرى سنبل بإشراف: روف عباس
- ١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط لىلى أبو لغد مجموعة من المترجمين
- ١٢١- الليل الصغير فى كتابة المرأة العربية فاطمة موسى محمد الجندى وإيزابيل كمال
- ١٢٢- نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان جوزيف فوجت منيرة كروان
- ١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية أنيل ألكسندرو فنادولينا أنور محمد إبراهيم
- ١٢٤- الفجر الكائب: أوهام الرأسمالية العالمية جون جراى أحمد فؤاد بليغ
- ١٢٥- التحليل الموسيقى سيدرك ثورپ ديفى سمحة الخولى
- ١٢٦- فعل القراءة فولفانج إيسر عبد الوهاب علوب
- ١٢٧- إرهاب (مسرحية) صفاء فتحى بشير السباعى
- ١٢٨- الأدب المقارن سوزان باسنيت أميرة حسن نويرة
- ١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا دولورس أسيس جاروته محمد أبو العطا وآخرون
- ١٣٠- الشرق يصعد ثانية أندريه جوندز فرانك شوقى جلال
- ١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى مجموعة من المؤلفين لويس بقطر
- ١٣٢- ثقافة العولة مايك فيذرستون عبد الوهاب علوب
- ١٣٣- الخوف من المرايا (رواية) طارق على طلعت الشايب
- ١٣٤- تشريع حضارة بارى ج. كيمب أحمد محمود
- ١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت ت. س. إليوت ماهر شفيق فريد
- ١٣٦- فلاحو الباشا كينيث كونو سحر توفيق
- ١٣٧- مذكرات ضابط فى العملة الفرنسية على مصر جوزيف مارى مواريه كاميليا صبحى
- ١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف أندريه جلوكسمان وجيه سمعان عبد المسيح
- ١٣٩- پارسيفال (مسرحية) ريتشارد فاچنر مصطفى ماهر
- ١٤٠- حيث تلتقى الأنهار هيربرت ميسن أمل الجبورى
- ١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين نعيم عطية
- ١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر حسن بيومى
- ١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى ديرك لايدر عدلى السمري
- ١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية) كارلو جولدوني سلامة محمد سليمان
- ١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية) كارلوس فوينتس أحمد حسان
- ١٤٦- الورقة الحمراء (رواية) ميجيل دى لىيس على عبدالرحوف البعبى
- ١٤٧- مسرحيتان تانكريد بورست عبدالغفار مكارى
- ١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية إنريكي أندرسون إميرت على إبراهيم منوفى
- ١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس عاطف فضول أسامة إسبر
- ١٥٠- التجربة الإغريقية روبرت ج. ليتمان منيرة كروان

١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
١٥٢-	عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابي
١٥٣-	غرام الفراغة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥-	الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦-	المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال والان وأديت فيرمو	مى التلمساني
١٥٧-	خسرو وشيرين	النظامى الكتجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨-	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	بشير السباعي
١٥٩-	الأيديولوجية	ديفيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠-	آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١-	مسرحيتان من المسرح الإسباني	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢-	تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيرى	صلاح عبدالعزیز محجوب
١٦٣-	موسوعة علم الاجتماع (ج ١)	جوردون مارشال	باشراف: محمد الجوهري
١٦٤-	شامبوليون (حياة من نور)	جان لوكوتير	نبيل سعد
١٦٥-	حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦-	العلاقات بين المتنبيين والطمانيين في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧-	في عالم طاغور	رابندرناث طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨-	دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩-	إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠-	الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١-	وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢-	حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابي
١٧٣-	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤-	صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥-	التليفزيون في الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦-	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧-	أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	حصه إبراهيم المنيف
١٧٨-	مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدي إبراهيم
١٧٩-	حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠-	قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١-	الله اللى الأمريكى من الثلاثين إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢-	العنف والنبوة (شعر)	و.ب. بيتس	ياسين طه حافظ
١٨٣-	جان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤-	القاهرة: حالة لا تنام	هانز إيندورفر	دسوقي سعيد
١٨٥-	أسفار العهد القديم في التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦-	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧-	الأرض (رواية)	بُرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨-	موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

سعيد الفانمى	بول دى مان	المرى والبصرة: مقالات فى ثلاثة القديس العاصر	١٨٩-
محسن سيد فرجاني	كونفوشيوس	محاوالت كونفوشيوس	١٩٠-
مصطفى حجازى السيد	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	الكلام رأسمال وقصص أخرى	١٩١-
محمود علاوى	زين العابدين المراهى	سياحت نامه إبراهيم بك (ج١)	١٩٢-
محمد عبد الواحد محمد	بيتر أبراهامز	عامل المنجم (رواية)	١٩٣-
ماهر شفيق فريد	مجموعة من التقاد	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	١٩٤-
محمد علاء الدين منصور	إسماعيل قصيح	شتاء ٨٤ (رواية)	١٩٥-
أشرف الصباغ	قالتين راسبوتين	المهلة الأخيرة (رواية)	١٩٦-
جلال السعيد الحفناوى	شمس العلماء شبلى النعمانى	سيرة الفاروق	١٩٧-
إبراهيم سلامة إبراهيم	إدوين إمري وآخرون	الاتصال الجماهيرى	١٩٨-
جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد الطيف حماد	يعقوب لاندوا	تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	١٩٩-
فخرى لبيب	جيرمى سيبروك	ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	٢٠٠-
أحمد الأنصارى	جوزايا روس	الجانب الدينى للفلسفة	٢٠١-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج١)	٢٠٢-
جلال السعيد الحفناوى	الطاف حسين حالى	الشعر والشاعرية	٢٠٣-
أحمد هويدى	زالمان شازار	تاريخ نقد العهد القديم	٢٠٤-
أحمد مستجير	لويجى لوقا كافاللى - سفورزا	الجينات والشعوب واللغات	٢٠٥-
على يوسف على	جيمس جلايك	الهيولية تصنع علماً جديداً	٢٠٦-
محمد أبو العطا	رامون خوتاسنديز	ليل أفريقى (رواية)	٢٠٧-
محمد أحمد صالح	دان أوربان	شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	٢٠٨-
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	السرد والمسرح	٢٠٩-
يوسف عبد الفتاح فرج	سنائى الفزنوى	مثنويات حكيم سنائى (شعر)	٢١٠-
محمود حمدى عبد الفنى	جوناثان كلر	فريديان بوسوسير	٢١١-
يوسف عبد الفتاح فرج	مرزيان بن رستم بن شروين	قصص الأمير مرزيان على لسان الحيوان	٢١٢-
سيد أحمد على الناصرى	ريمون فلاور	مصر منذ قدم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	٢١٣-
محمد محبى الدين	أنتونى جيندز	قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	٢١٤-
محمود علاوى	زين العابدين المراهى	سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)	٢١٥-
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	جوانب أخرى من حياتهم	٢١٦-
نادية البنهاوى	صمويل بيكيت وهارولد بيتتر	مسرحيتان طبيعيتان	٢١٧-
على إبراهيم منوفى	خوليو كورتاتان	لعبة الحجلة (رواية)	٢١٨-
طلعت الشايب	كازو إيشجورو	بقايا اليوم (رواية)	٢١٩-
على يوسف على	يارى پاركر	الهيولية فى الكون	٢٢٠-
رفعت سلام	جريجورى جوزدانيس	شعرية كفافى	٢٢١-
نسيم مجلى	رونالد جراى	فرانز كافكا	٢٢٢-
السيد محمد نقادى	يارل فيرابند	العلم فى مجتمع حر	٢٢٣-
منى عبدالظاهر إبراهيم	برانكا ماجاس	نمار يوغسلافيا	٢٢٤-
السيد عبدالظاهر السيد	جابريل جارشيا ماركيث	حكاية غريق (رواية)	٢٢٥-
طاهر محمد على البربرى	ديفيد هربت لورانس	أرض المساء وقصائد أخرى	٢٢٦-

السيد عبدالظاهر عبدالله	المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	خوسيه ماريّا ديث بوركي	٢٢٧-
ماري تيريز عبدالمسيح وخاله حسن	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	٢٢٨-
أمير إبراهيم العمري	مازق البطل الوحيد	نورمان كيجان	٢٢٩-
مصطفى إبراهيم فهمي	عن الذباب والفنّان والبشر	فرانسواز چاكوب	٢٣٠-
جمال عبدالرحمن	البرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمي سالوم بيدال	٢٣١-
مصطفى إبراهيم فهمي	ما بعد المعلومات	توم ستونير	٢٣٢-
طلعت الشايب	فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي	آرثر هيرمان	٢٣٣-
فؤاد محمد عكود	الإسلام في السودان	ج. سبنسر تريمينجهام	٢٣٤-
إبراهيم الدسوقي شتا	ديوان شمس تبريزي (ج١)	مولانا جلال الدين الرومي	٢٣٥-
أحمد الطيب	الولاية	ميشيل شويكفيتش	٢٣٦-
عنايات حسين طلعت	مصر أرض الوادي	روين فيدين	٢٣٧-
ياسر محمد جادالله وعربي مديولي أحمد	العولة والتحرير	تقرير لمنظمة الانكتاد	٢٣٨-
نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق	العربي في الأدب الإسرائيلي	جيلا راماز - رايوخ	٢٣٩-
صلاح محجوب إدريس	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاي حافظ	٢٤٠-
ابتهسام عبدالله	في انتظار البرابرة (رواية)	ج. م. كوتزي	٢٤١-
صبري محمد حسن	سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	٢٤٢-
بإشراف: صلاح فضل	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفي بروفنسال	٢٤٣-
نادية جمال الدين محمد	الفلان (رواية)	لورا إسكيبيل	٢٤٤-
توفيق علي منصور	نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس وآخرون	٢٤٥-
علي إبراهيم منوفي	مختارات قصصية	جابريل جارثيا ماركيث	٢٤٦-
محمد طارق الشرقاوي	الثقافة الجماهيرية والحداثة في مصر	والتر أرمبرست	٢٤٧-
عبداللطيف عبدالحليم	حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	٢٤٨-
رفعت سلام	لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	٢٤٩-
ماجدة محسن أباطة	علم اجتماع العلوم	بومنيك فينك	٢٥٠-
بإشراف: محمد الجوهري	موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	جورديون مارشال	٢٥١-
علي بدران	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	٢٥٢-
حسن بيومي	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	٢٥٣-
إمام عبد الفتاح إمام	أقدم لك: الفلسفة	ديف روينسون وجودي جروفز	٢٥٤-
إمام عبد الفتاح إمام	أقدم لك: أفلاطون	ديف روينسون وجودي جروفز	٢٥٥-
إمام عبد الفتاح إمام	أقدم لك: ديكارت	ديف روينسون وكريس جارات	٢٥٦-
محمود سيد أحمد	تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلي رايت	٢٥٧-
عبادة كُحيلة	الفجر	سير أنجوس فريزر	٢٥٨-
فاروجان كازانجيان	مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور	نخبة	٢٥٩-
بإشراف: محمد الجوهري	موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	جورديون مارشال	٢٦٠-
إمام عبد الفتاح إمام	رحلة في فكر زكي نجيب محمود	زكي نجيب محمود	٢٦١-
محمد أبو العطا	مدينة المعجزات (رواية)	إنواريو مندوتا	٢٦٢-
علي يوسف علي	الكشف عن حافة الزمن	جون جرين	٢٦٣-
لويس عوض	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلي	٢٦٤-

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبد المنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عروكي
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزي (ج٢)	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج١)	وليم جيفور بالجريف	صبري محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج٢)	وليم جيفور بالجريف	صبري محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى، باترسون	شوقي جلال
٢٧٢-	الأدب الأثري في مصر	سى، سى، والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لمصر في مصر	جوان كول	عنان الشهاوي
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومولو جاييجوس	محمود على مكي
٢٧٥-	ث. س. إليوت شاعرًا وثالثًا وكاتبًا مسرحيًا	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبد القادر التلمساني
٢٧٧-	الجيئات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزي
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف. س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوي
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الرحمن البمبي
٢٨٤-	هرقل مجنونًا (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عثمان
٢٨٥-	رحلة خواجه حسن نظامي الدهلوي	حسن نظامي الدهلوي	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)	زين العابدين المراغي	محمود علاوي
٢٨٧-	الثقافة والعولة والنظام العالمي	أنتوني كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائي	ديفيد لودج	ماهر البطوطي
٢٨٩-	ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبد المنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مورنان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (ج١)	فرانشيسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (ج٢)	فرانشيسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربي	روجر آلن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وويل موريز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوي
٢٩٧-	فن النحويين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثواكس ويوسف الأهوازي	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازي السيد
٢٩٩-	ثورة في التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة هيركليس في الأساطير الإنجليزية والفرنسية (ج١)	لويس عوض	جمال الجزيري وبهاء جاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة هيركليس في الأساطير الإنجليزية والفرنسية (ج٢)	لويس عوض	جمال الجزيري و محمد الجندي
٣٠٢-	أقدم لك: فنجنشتين	جون هيتون وجودي جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٢٠٣-	أقدم لك: بوذا	جين هوب ويورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٢٠٤-	أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٢٠٥-	الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٢٠٦-	الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٢٠٧-	أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكي
٢٠٨-	أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز ويورن فان لو	ممدوح عبد المنعم
٢٠٩-	أقدم لك: الذهن والمنح	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	جمال الجزيري
٢١٠-	أقدم لك: يونج	ماجي هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٢١١-	مقال فى المنهج الفلسفى	روج كرونجود	فاطمة إسماعيل
٢١٢-	روح الشعب الأسود	وليم ديبريس	أسعد حليم
٢١٣-	أمثال فلسطينية (شعر)	خاير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٢١٤-	مارسيل دوشامب: الفن كعدم	چانيس مينيك	هويدا السباعى
٢١٥-	جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحى
٢١٦-	محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسيم مجلى
٢١٧-	بلا غد	س. شير لايموثا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٢١٨-	الأب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٩-	صور دريدا	جايترى سبيثاك وكريستوفر نوريس	حسام نايل
٢٢٠-	لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٢٢١-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ١)	ليثى برو فنسال	ياشراف: صلاح فضل
٢٢٢-	وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو يوجين كلينپاور	خالد مفلح حمزة
٢٢٣-	فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٢٢٤-	اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٢٢٥-	عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كريستين يوسف
٢٢٦-	المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٢٢٧-	مختارات شعرية مترجمة (ج ١)	نخبة	توفيق على منصور
٢٢٨-	يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٢٢٩-	رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٢٣٠-	كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٢٣١-	عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٢٣٢-	شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٢٣٣-	الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٢٣٤-	لقطات من المستقبل	أرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٥-	عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحي العشرى
٢٣٦-	متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٢٣٧-	فلسفة الولاء	چوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٣٨-	نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٢٣٩-	تاريخ الأدب فى إيران (ج ٢)	إيوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٤٠-	اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

- ٢٤١- قصائد من رلكه (شعر) راينر ماريا ريلكه  
٢٤٢- سلامان وأبسال (شعر) نور الدين عبدالرحمن الجامي  
٢٤٣- العالم البرجوازي الزائل (رواية) نايمين جورديمر  
٢٤٤- الموت في الشمس (رواية) بيتر بالانجيو  
٢٤٥- الركض خلف الزمان (شعر) پونه نداني  
٢٤٦- سحر مصر رشاد رشدي  
٢٤٧- الصبية الطائشون (رواية) چان كوكتو  
٢٤٨- المتصوفة الأولون في الأدب التركي (ج١) محمد فؤاد كوبريلي  
٢٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة آرثر والدهورن وآخرون  
٢٥٠- بانوراما الحياة السياحية مجموعة من المؤلفين  
٢٥١- مبادئ المنطق جوزايا رويس  
٢٥٢- قصائد من كفافيس قسطنطين كفافيس  
٢٥٣- الفن الإسلامي في الأندلس: الزخرفة الهندسية باسيليو بابون مالدونانو  
٢٥٤- الفن الإسلامي في الأندلس: الزخرفة النباتية باسيليو بابون مالدونانو  
٢٥٥- التيارات السياسية في إيران المعاصرة حجت مرتجى  
٢٥٦- الميراث المر بول سالم  
٢٥٧- متون هرمس تيموثي فريك وبيتر غاندي  
٢٥٨- أمثال الهوسا العامية نخبة  
٢٥٩- محاوره بارمنيدس أفلاطون  
٢٦٠- أنثروبولوجيا اللغة أندريه چاكوب ونويلا باركان  
٢٦١- التصحر: التهديد والمجابهة آلان جرينجر  
٢٦٢- تلميذ بابنبرج (رواية) هاينرش شبورل  
٢٦٣- حركات التحرير الأفريقية ريتشارد چيبسون  
٢٦٤- حداثه شكسبير إسماعيل سراج الدين  
٢٦٥- سام باريس (شعر) شارل بودلير  
٢٦٦- نساء يركضن مع الذئاب كلاريسا بنكولا  
٢٦٧- القلم الجريء مجموعة من المؤلفين  
٢٦٨- المصطلح السردى: معجم مصطلحات جيرالد پرنس  
٢٦٩- المرأة في أدب نجيب محفوظ فوزية العشماوى  
٢٧٠- الفن والحياة في مصر الفرعونية كليلا لويت  
٢٧١- المتصوفة الأولون في الأدب التركي (ج٢) محمد فؤاد كوبريلي  
٢٧٢- عاش الشباب (رواية) وانغ مينغ  
٢٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه أومبرتو إيكو  
٢٧٤- اليوم السادس (رواية) أندريه شديد  
٢٧٥- الخلود (رواية) ميلان كونديرا  
٢٧٦- الغضب وأحلام السنين (مسرحيات) چان أنوى وآخرون  
٢٧٧- تاريخ الأدب في إيران (ج٤) إدوارد براون  
٢٧٨- المسافر (شعر) محمد إقبال  
حسن حلمي  
عبد العزيز بقوش  
سمير عبد ربه  
سمير عبد ربه  
يوسف عبد الفتاح فرج  
جمال الجزيري  
بكر الحلو  
عبدالله أحمد إبراهيم  
أحمد عمر شاهين  
عطية شحاته  
أحمد الانصارى  
نعيم عطية  
على إبراهيم منوفى  
على إبراهيم منوفى  
محمود علاوى  
بدر الرقاعى  
عمر الفاروق عمر  
مصطفى حجازى السيد  
حبيب الشارونى  
ليلى الشريينى  
عاطف معتمد وآمال شاور  
سيد أحمد فتح الله  
صبرى محمد حسن  
نجلاء أبو عجاج  
محمد أحمد حمد  
مصطفى محمود محمد  
البراق عبدالهادى رضا  
عابد خزندار  
فوزية العشماوى  
فاطمة عبدالله محمود  
عبدالله أحمد إبراهيم  
وحيد السعيد عبدالحميد  
على إبراهيم منوفى  
حمادة إبراهيم  
خالد أبو اليزيد  
إيوار الخراط  
محمد علاء الدين منصور  
يوسف عبدالفتاح فرج

جمال عبدالرحمن	سنيل بات	٢٧٩- ملك في الحديقة (رواية)
شيرين عبدالسلام	جونتر جراس	٢٨٠- حديث عن الخسارة
رائيا إبراهيم يوسف	ر. ل. تراسك	٢٨١- أساسيات اللغة
أحمد محمد نادي	بهاء الدين محمد اسفنديار	٢٨٢- تاريخ طبرستان
سمير عبدالحميد إبراهيم	محمد إقبال	٢٨٣- هدية الحجاز (شعر)
إيزابيل كمال	سوزان إنجيل	٢٨٤- القصص التي يحكيها الأطفال
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد علي بهزادراد	٢٨٥- مشتري العشق (رواية)
ريهام حسين إبراهيم	جانيت تود	٢٨٦- دفاعاً عن التاريخ الأدبي النسوي
بهاء جاهين	جون دن	٢٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)
محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازي	٢٨٨- مواعد سعدى الشيرازي (شعر)
سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	٢٨٩- تفاهم وقصص أخرى
عثمان مصطفى عثمان	إم. في. روبرتس	٢٩٠- الأرشيقات والمدن الكبرى
منى الدروبي	مايف بينشي	٢٩١- الحافلة الليكية (رواية)
عبداللطيف عبدالحليم	فرناندو دي لاجرانجا	٢٩٢- مقامات ورسائل أندلسية
زينب محمود الخضيري	ندوة لويس ماسينيون	٢٩٣- في قلب الشرق
هاشم أحمد محمد	بول ديفيز	٢٩٤- القوى الأربع الأساسية في الكون
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	٢٩٥- آلام سياوش (رواية)
محمود علاوي	تقي نجاري راد	٢٩٦- السافاك
إمام عبدالفتاح إمام	لورانس جين وكيثي شين	٢٩٧- أقدم لك: نيتشه
إمام عبدالفتاح إمام	فيليب تودي وهوارد ريد	٢٩٨- أقدم لك: سارتر
إمام عبدالفتاح إمام	ديفيد ميروفيتش وآلن كوركس	٢٩٩- أقدم لك: كامى
باهر الجوهري	ميشائيل إنده	٤٠٠- مومو (رواية)
ممدوح عبد المنعم	زياودن ساردر وآخرون	٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات
ممدوح عبد المنعم	ج. ب. ماك إيفوي وأوسكار زاريت	٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج
عماد حسن بكر	تودور شتورم وجوتفرد كولر	٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)
ظبية خميس	ديفيد إبرام	٤٠٤- تعويذة الحسى
حمادة إبراهيم	أندريه جيد	٤٠٥- إيزابيل (رواية)
جمال عبد الرحمن	مانويلا مانتاناريس	٤٠٦- المستعربون الإسبان في القرن ١٩
طلعت شاهين	مجموعة من المؤلفين	٤٠٧- الأدب الإسباني المعاصر بأقلام كتابه
عنان الشهاوى	جوان فوتشركنج	٤٠٨- معجم تاريخ مصر
إلهامى عمارة	برتراند راسل	٤٠٩- انتصار السعادة
الزواوى بغفورة	كارل بوير	٤١٠- خلاصة القرن
أحمد مستجير	جينيفر أكرمان	٤١١- همس من الماضي
بإشراف: صلاح فضل	ليفى بروئنسال	٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ٢)
محمد البخارى	ناظم حكمت	٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)
أمل الصبان	باسكال كازانوفا	٤١٤- الجمهورية العالمية للأدب
أحمد كامل عبدالرحيم	فريدريش دورينمات	٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)
محمد مصطفى بدوى	أ. أ. رتشاردز	٤١٦- مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية	چين هاثواي	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبي للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميچاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي الأول	روى متحدة	أشرف كيلاني
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامي	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨-	الخرانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سينسر وأندرجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندرجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكياثلى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدي الجابري
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وچودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	ترجمات ما بعد الحداثة	نيكولاس زبرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كويلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندي في بلاد الشرق العربي	شبلى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بييرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى (رواية)	صدر الدين عيني	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروسناد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أروداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	الله العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستينغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز نائل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	ملحمة السيد	تراث شعبى إسباني	الطاهر أحمد مكى
٤٤٨-	الفلاحون (ميراث الترجمة)	الاب عيروط	محي الدين اللبان ووليم داوود مرقس
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبىكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن ويورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فردريك كويلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء فى الفكر السياسى العربى	سوزان مولر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	موثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	أقدم لك: لكأن	داريان ليدر وجوى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوريين	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية للقلّة	مايكل بارتنى	حصّة إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧-	التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين بيلو	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد الفنة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيكوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثريانتس سايدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيكوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثريانتس سايدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحباب بعيدة: بيرم التونسي	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج ولى شى تونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩-	المقهى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠-	تساي ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١-	بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير چاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة چامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبييرت يابوس	رشيد بنحدو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحميد عبدالغنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آيادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسْرُل: الفلسفة علماً دقيقاً	إدموند هُسْرُل	محمود رجب
٤٩٠-	أسعار البيغاء	محمد قانبرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأثريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارچيت	محمد رفعت عواد

خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع	٤٩٣-
كتاب الموتى: الخروج في النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفي	٤٩٤-
اللوبي	إيوارد تيفان	حسن عبد ربه المصري	٤٩٥-
الحكم والسياسة في أفريقيا (ج١)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين	٤٩٦-
العلمانية والنوع والنوثة في الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض	٤٩٧-
النساء والنوع في الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى	٤٩٨-
تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	قيصل بن خضراء	٤٩٩-
في طفولتي: دراسة في السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكي	طلعت الشايب	٥٠٠-
تاريخ النساء في الغرب (ج١)	أرثر جولد هامر	سحر فراج	٥٠١-
أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال	٥٠٢-
مختارات من الشعر الفارسي الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبد المنعم	٥٠٣-
كتابات أساسية (ج١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق	٥٠٤-
كتابات أساسية (ج٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق	٥٠٥-
ريما كان قديساً (رواية)	أن تيلر	عبد الحميد فهمي الجمال	٥٠٦-
سيدة الماضي الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقي فهمي	٥٠٧-
المولوية بعد جلال الدين الرومي	عبد الباقي جلبناولي	عبد الله أحمد إبراهيم	٥٠٨-
الفقر والإحسان في عصر سلاطين المماليك	أدم صبرة	قاسم عبده قاسم	٥٠٩-
الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدوني	عبد الرزاق عيد	٥١٠-
كوكب مرقع (رواية)	أن تيلر	عبد الحميد فهمي الجمال	٥١١-
كتابة النقد السينمائي	ثيموثي كوريغان	جمال عبد الناصر	٥١٢-
العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمي	٥١٣-
مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومي عبد السلام	٥١٤-
من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالتى دوجلاس	فدوى مالتى دوجلاس	٥١٥-
إرادة الإنسان في علاج الإدمان	أرنولد واشنطن ودونا باوندى	صبرى محمد حسن	٥١٦-
نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم	٥١٧-
استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد	٥١٨-
محاضرات في المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى	٥١٩-
الولع الفرنسي بمصر من العلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان	٥٢٠-
قاموس تراجم مصر الحديثة	أرثر جولد سميث	عبد الوهاب بكر	٥٢١-
إسبانيا في تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى	٥٢٢-
الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى	٥٢٣-
الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى	٥٢٤-
موسم صيد في بيروت وقصص أخرى	دنيس چونسون	نادية رفعت	٥٢٥-
أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد	٥٢٦-
أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى	٥٢٧-
أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وفل إيفانز	جمال الجزيرى	٥٢٨-
بدائع العلامة إقبال في شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ	٥٢٩-
مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر	٥٣٠-

٥٣١-	ما الذي حَدَّثَ في «حَدَّث» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	صفاء فتحي
٥٣٢-	المغامرُ والمستشرق	هنري لورنس	بشير السباعي
٥٣٣-	تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوي
٥٣٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيفرين لوبا	حمادة إبراهيم
٥٣٥-	مخزن الأسرار (شعر)	نظامي الكنجوي	عبدالعزیز بقوش
٥٣٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل منتجيتون ولورانس هاريزون	شوقي جلال
٥٣٧-	للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوي
٥٣٨-	النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني	كيت دانييلز	محمد الحبيدي
٥٣٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحي
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	النسير رونالد ستورس	رؤف عباس
٥٤١-	في تتخيل وهالوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤-	أقدم لك: ميلاني كلاين	روبرت هنتشل وآخرون	حمدي الجابري
٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق علي منصور
٥٤٧-	أقدم لك: بارت	فيليب تودي وأن كورس	جمال الجزيري
٥٤٨-	أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزيرن ويون فان لون	حمدي الجابري
٥٤٩-	أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلي وليتاجانز	جمال الجزيري
٥٥٠-	أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وييرو	حمدي الجابري
٥٥١-	الموسيقى والعولة	سايمون ماندي	سمحة الخولي
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دي ثريانتس	علي عبد الرؤف البمبي
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر في عهد محمد علي	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن العاشر والعشرين	أناتولي أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي
٥٥٦-	أقدم لك: جان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدي الجابري
٥٥٧-	أقدم لك: الماركيز دي ساد	ستوارت هود وجراهام كرولي	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيو دين سارداروبورين فان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجي	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦١-	جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف (مسرحية)	خاشينتو بينابيتتي	صبرى محمدى التهامي
٥٦٤-	عُش الغريب (مسرحية)	خاشينتو بينابيتتي	صبرى محمدى التهامي
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	موريس بيشوب	علي السيد علي
٥٦٧-	الوطن المقتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الاصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩-	موقع الثقافة	هومي بابا	ثائر ديب
٥٧٠-	دول الخليج الفارسي	سير روبرت هاي	يوسف الشاروني
٥٧١-	تاريخ النقد الإسباني المعاصر	إيميليا دي ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب في زمن الفراعنة	برونو ألبرا	كمال السيد
٥٧٣-	أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتي	جمال الجزيري
٥٧٤-	مصر القديمة في عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعي
٥٧٥-	الاقتصاد السياسي للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثريانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشري محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودي	محمد قدرى عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومي ميزوكوشي	محمد إبراهيم وعصام عبد الرزاق
٥٧٩-	أقدم لك: تشومسكي	جون ماهر وجودي جرونز	محيي الدين مزيد
٥٨٠-	دائرة المعارف الدولية (مج ١)	جون فيز وپول سترجز	بإشراف: محمد فتحي عبدالهادي
٥٨١-	الحققي بموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢-	مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣-	الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤-	سفر (رواية)	محمود بولت آبادي	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥-	الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦-	السينما العربية والأفريقية	ليزيث مالكموس وروى أرمن	سهام عبد السلام
٥٨٧-	تاريخ تطور الفكر الصيني	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزیز حمدي
٥٨٨-	أمنحوتب الثالث	أنيس كابرول	ماهر جويجاتي
٥٨٩-	تمبكت العجيبة	فيلكس ديوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠-	أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدي عبدالله
٥٩١-	الشاعر والفكر	هوراتيوس	على عبدالنواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢-	الثورة المصرية (ج ١)	محمد صبري السوربوني	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣-	قصائد ساحرة	بول فاليري	بكر الحلو
٥٩٤-	القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزي
٥٩٥-	الحكم والسياسة في أفريقيا (ج ٢)	إكوانو بانولي	مجموعة من المترجمين
٥٩٦-	الصحة العقلية في العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧-	مسلمو غرناطة	خوليو كاروياروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨-	مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومي على قنديل
٥٩٩-	فلسفة الشرق	هرداد مهري	محمود علاوي
٦٠٠-	الإسلام في التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١-	النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلي
٦٠٢-	ليوتار: نحو فلسفة ما بعد حداثة	جيمس وليامز	إيمان عبدالعزیز
٦٠٣-	النقد الثقافي	أرثر أيزنبرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاوي
٦٠٤-	الكوارث الطبيعية (مج ١)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥-	مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكي (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمي
٦٠٦-	قصة البردي اليوناني في مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدني

٦٠٧-	قلب الجزيرة العربية (ج١)	هارى سينت فيليبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨-	قلب الجزيرة العربية (ج٢)	هارى سينت فيليبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩-	الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠-	العمارة المبدعة	رفائيل لويث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١-	النقد والأيدولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢-	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير (رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩١٧ إلى ١٩١٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨-	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيليبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠-	السلام الصليبي	توماس ماستاك	بشير السباعى
٦٢١-	رباعيات الخيام (ميراث الترجمة)	عمر الخيام	محمد السباعى
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينج	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣-	نواير جحا الإيرانية	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	شعر المرأة الأفريقية	نخبة	غادة الطوانى
٦٢٥-	الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧-	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨-	أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩-	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠-	سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	لوارس برامون	رانيا محمد
٦٣٣-	الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	روى مكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنسارى
٦٣٥-	التبثيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦-	حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتز	بدر الرفاعى
٦٣٨-	النيمقراطية والشعر	روبرت بن وارين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠-	أكسياد	الأميرة أناكومتينا	حسن حبشى
٦٤١-	برتراند رسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢-	أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر ويورين فان لون	ممنوح عبد المنعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدرايادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤-	العلوم عند المسلمين	هوارد د. تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومسابرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سپهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	چون نينه	فتحي العشري
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	چى دى موياسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة في الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	بيليسبس الذي لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطفلة (مسرحية)	إيريش كسترن	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (ج١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسي
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساستري	ممدوح البستاي
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامي
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامي
٦٦٢-	رحلة إلى الجنور	داسو سالدنيار	صبرى التهامي
٦٦٣-	امراة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعي
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كلين	جمال عبد الناصر ومدحت الجبار وجمال جاد الرب
٦٦٧-	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي	ألغن جولدنر	على ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولة	فريدريك جيمسون وماساو ميوشي	ليلي الجبالي
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطي
٦٧١-	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدين	على عبد الأمير صالح
٦٧٢-	مختارات من الشعر الفرنسي للأطفال	نخبة	إيتهاال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
٦٧٤-	ديوان الإمام الخميني	آية الله العظمى الخميني	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (ج٢، مج١)	مارتن برنال	باشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦-	أثينا السوداء (ج٢، مج٢)	مارتن برنال	باشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧-	تاريخ الأدب في إيران (ج١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمي
٦٧٨-	تاريخ الأدب في إيران (ج١ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمي
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠-	المدينة الفاضلة (ميراث الترجمة)	كارل ل. بيكر	محمد شفيق غربال
٦٨١-	هل يوجد نص في هذا الفصل؟	ستاتلى فاش	أحمد الشيمي
٦٨٢-	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكري	صبرى محمد حسن

صبرى محمد حسن	تى. م. ألوكو	سكين واحد لكل رجل (رواية)	٦٨٣-
رزق أحمد بهنسى	أوراثيو كيروجا	الأممال القصصية الكاملة (أنا كندا) (ج١)	٦٨٤-
رزق أحمد بهنسى	أوراثيو كيروجا	الأممال القصصية الكاملة (المصحراء) (ج٢)	٦٨٥-
سحر توفيق	ماكسين هونج كنجستون	امراة محاربة (رواية)	٦٨٦-
ماجدة العناني	فتانة حاج سيد جوادى	محبوبة (رواية)	٦٨٧-
فتح الله الشيخ وأحمد السماحى	فيليب م. دوير وريتشارد أ. موار	الانفجارات الثلاثة العظمى	٦٨٨-
هناء عبد الفتاح	تادوش روجيفيتش	الملف (مسرحية)	٦٨٩-
رمسيس عوض	(مختارات)	محاكم التفتيش فى فرنسا	٦٩٠-
رمسيس عوض	(مختارات)	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	٦٩١-
حمدى الجابرى	ريتشارد أيجانسى وأوسكار زاريت	أقدم لك: الوجودية	٦٩٢-
جمال الجزيرى	حائيم برشيت وآخرون	أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	٦٩٣-
حمدى الجابرى	جيف كولينز وبيل ماييلين	أقدم لك: بريدا	٦٩٤-
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روينسون وجودى جروف	أقدم لك: رسل	٦٩٥-
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روينسون وأوسكار زاريت	أقدم لك: روسو	٦٩٦-
إمام عبدالفتاح إمام	روبرت ودفين وجودى جروف	أقدم لك: أرسطو	٦٩٧-
إمام عبدالفتاح إمام	ليود سبنسر وأندريجى كروز	أقدم لك: عصر التنوير	٦٩٨-
جمال الجزيرى	إيفان وارد وأوسكار زاريت	أقدم لك: التحليل النفسى	٦٩٩-
بسمة عبدالرحمن	ماريو بارجاس يوسا	الكاتب وواقعه	٧٠٠-
منى البرنس	وليم رود فيثيان	الذاكرة والحدائث	٧٠١-
عبد العزيز فهمى	جوستينيان	مدونة جوستيان فى اللغة الرومانى (ميراث الترجمة)	٧٠٢-
أمين الشواربى	إدوارد جرانتيل براون	تاريخ الأدب فى إيران (ج٢)	٧٠٣-
محمد علاء الدين منصور وآخرون	مولانا جلال الدين الرومى	فيه ما فيه	٧٠٤-
عبدالحميد مذكور	الإمام الغزالى	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	٧٠٥-
عزت عامر	جونسون ف. يان	الشجرة الوراثية وكتاب التحولات	٧٠٦-
وفاء عبدالقادر	هوارد كاليجل وآخرون	أقدم لك: فالتر بنيامين	٧٠٧-
رعوف عباس	دونالد مالكولم ريد	فراغة من؟	٧٠٨-
عادل نجيب بشرى	ألفريد أدلر	معنى الحياة	٧٠٩-
دعاء محمد الخطيب	إيان هاتشباى وجوموران - إليس	الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	٧١٠-
هناء عبد الفتاح	ميرزا محمد هادى رسوا	برة التاج	٧١١-
سليمان البستانى	هوميروس	الإلياذة (ج١) (ميراث الترجمة)	٧١٢-
سليمان البستانى	هوميروس	الإلياذة (ج٢) (ميراث الترجمة)	٧١٣-
حنا صاوه	لامنيه	حديث القلوب (ميراث الترجمة)	٧١٤-
أحمد فتحى زغلول	إدمون ديمولان	سر تقدم الإنكليز السكسونيين (ميراث الترجمة)	٧١٥-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٢)	٧١٦-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٢)	٧١٧-
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	جامعة كل المعارف (ج٥)	٧١٨-
جميلة كامل	م. جولدبرج	مسرح الأطفال: فلسفة وطريقة	٧١٩-
على شعبان وأحمد الخطيب	دونام چونسون	مداخل إلى البحث فى تعلم اللغة الثانية	٧٢٠-

مصطفى لبيب عبد الفتى	هـ. أ. والفنون	٧٢١- فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج ١)
الصفصافى أحمد القطورى	بشار كمال	٧٢٢- الصفيحة وقصص أخرى
أحمد ثابت	إفرايم نيمنى	٧٢٣- تحديات ما بعد الصهيونية
عبد الريس	بول روينسون	٧٢٤- اليسار الفرويدى
مى مقلد	جون فيتكس	٧٢٥- الاضطراب النفسى
مروة محمد إبراهيم	غيرمو غوثالبيس بوستو	٧٢٦- الموريسكيون فى المغرب
وحيد السعيد	باچين	٧٢٧- حلم البحر (رواية)
أميرة جمعة	موريس أليه	٧٢٨- العولة: تدمير العمالة والنمو
هويدا عزت	صائق زيبا كلام	٧٢٩- الثورة الإسلامية فى إيران
عزت عامر	أن جاتى	٧٣٠- حكايات من السهول الأفريقية
محمد قدرى عمارة	مجموعة من المؤلفين	٧٣١- التفرع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف
سمير جريس	إنجو شولتسه	٧٣٢- قصص بسيطة (رواية)
محمد مصطفى بدوى	وليم شيكسبير	٧٣٣- مأساة عطيل (مسرحية)
أمل الصبان	أحمد يوسف	٧٣٤- يونابرت فى الشرق الإسلامى
محمود محمد مكى	مايكل كوبرسون	٧٣٥- فن السيرة فى العربية
شعبان مكوى	هوارد زن	٧٣٦- التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (ج ١)
توفيق على منصور	باتريك ل. أبوت	٧٣٧- الكوارث الطبيعية (مج ٢)
محمد عواد	جيرار دى جورج	٧٣٨- بحث من عصر ما قبل التاريخ إلى الثورة الملوكية
محمد عواد	جيرار دى جورج	٧٣٩- بحث من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر
مرفت ياقوت	بارى هندس	٧٤٠- خطابات السلطة
أحمد هيكل	برنارد لويس	٧٤١- الإسلام وأزمة العصر
رزق بهنسى	خوسيه لاكودرا	٧٤٢- أرض حارة
شوقى جلال	روبرت أونجر	٧٤٣- الثقافة: منظور داروينى
سمير عبد الحميد	محمد إقبال	٧٤٤- ديوان الأسرار والرموز (شعر)
محمد أبو زيد	بيك النبلى	٧٤٥- المآثر السلطانية
حسن النعيمى	جوزيف أ. شومبيتر	٧٤٦- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج ١)
إيمان عبد العزيز	تريثور وايتوك	٧٤٧- الاستعارة فى لغة السينما
سمير كريم	فرانسيس بويل	٧٤٨- تدمير النظام العالمى
باتسى جمال الدين	ل.ج. كالفيه	٧٤٩- إيكولوجيا لغات العالم
باشراف: أحمد عثمان	هوميروس	٧٥٠- الإلياذة
علاء السباعى	نخبة	٧٥١- الإسراء والمراج فى تراث الشعر الفارسى
نمر عارورى	جمال قارصلى	٧٥٢- ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف
محسن يوسف	إسماعيل سراج الدين وآخرون	٧٥٣- التنمية والقيم
عبد السلام حيدر	أنا مارى شيمبل	٧٥٤- الشرق والغرب
على إبراهيم منوفى	أندرو ب. ديبكى	٧٥٥- تاريخ الشعر الإسباني خلال القرن العشرين
خالد محمد عباس	إنريكي خاردييل بونثيلا	٧٥٦- ذات العيون الساحرة
أمال الروبى	باتريشيا كرون	٧٥٧- تجارة مكة
عاطف عبد الحميد	بروس روينز	٧٥٨- الإحساس بالعولة

جلال الحفناوى	مولوى سيد محمد	النثر الأردى	٧٥٩-
السيد الأسود	السيد الأسود	الدين والتصور الشعبى للكون	٧٦٠-
فاطمة ناعوت	فيرجينيا وولف	جيوب مثقلة بالحجارة (رواية)	٧٦١-
عبدالعال صالح	ماريا سوليداد	المسلم عدواً و صديقاً	٧٦٢-
نجوى عمر	أنريكو بيا	الحياة فى مصر	٧٦٣-
حازم محفوظ	غالب الدهلوى	ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	٧٦٤-
حازم محفوظ	خواجه مير درد الدهلوى	ديوان خواجه الدهلوى (شعر تصوف)	٧٦٥-
غازى برو و خليل أحمد خليل	تيرى هنتش	الشرق المتخيل	٧٦٦-
غازى برو	نسب سمير الحسينى	الغرب المتخيل	٧٦٧-
محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى	حوار الثقافات	٧٦٨-
رندا النشار و ضياء زاهر	فريدريك هتمان	أدباء أحياء	٧٦٩-
صبرى التهامى	بينيتو بيريث جالدوس	السيدة بيرفيكتا	٧٧٠-
صبرى التهامى	ريكارىو جويرالديس	السيد سيجوننو سومبرا	٧٧١-
محسن مصيلحى	إليزابيث رايت	بريخت ما بعد الحداثة	٧٧٢-
بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى	جون فيزر و پول ستيرجز	دائرة المعارف الدولية (ج٢)	٧٧٣-
حسن عبد ربه المصرى	مجموعة من المؤلفين	الديمقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات	٧٧٤-
جلال الحفناوى	نذير أحمد الدهلوى	مرأة العروس	٧٧٥-
محمد محمد يونس	فريد الدين العطار	منظومة مصيبت نامه (مج ١)	٧٧٦-
عزت عامر	جيمس إ. ليدسى	الانفجار الأعظم	٧٧٧-
حازم محفوظ	مولانا محمد أحمد و رضا القادري	صفوة المديح	٧٧٨-
سمير عبد الحميد إبراهيم وسارة ناكاهاشى	نخبة	خيوط العنكبوت وقصص أخرى	٧٧٩-
سمير عبد الحميد إبراهيم	غلام رسول مهر	من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠	٧٨٠-
نبيلة بدران	هدى بدران	الطريق إلى بكين	٧٨١-
جمال عبد المقصود	مارفن كارلسون	المسرح المسكون	٧٨٢-
طلعت السروجى	شيك جورج و پول ويلدينج	العولة والرعاية الإنسانية	٧٨٣-
جمعة سيد يوسف	ديفيد أ. وولف	الإساءة للطفل	٧٨٤-
سمير حنا صادق	كارل ساجان	تأملات عن تطور ذكاء الإنسان	٧٨٥-
سحر توفيق	مارجريت أتوود	المنثبة (رواية)	٧٨٦-
إيناس صادق	جوزيه بوفيه	العودة من فلسطين	٧٨٧-
خالد أبو اليزيد البلتاجى	ميروسلاف فرنر	سر الأهرامات	٧٨٨-
منى الدروبي	هاچين	الانتظار (رواية)	٧٨٩-
جيهان العيسوى	مونيك بونتو	الفرانكفونية العربية	٧٩٠-
ماهر جويجاتى	محمد الشيمى	العطور ومعامل العطور فى مصر القديمة	٧٩١-
منى إبراهيم	منى ميخائيل	برلسات حول الشمس القصيرة: درس ومحفوظ	٧٩٢-
رؤف وصفى	جون جريفيس	ثلاث رؤى للمستقبل	٧٩٣-
شعبان مكوى	هوارد زن	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (ج٢)	٧٩٤-
على عبد الرؤف البمبى	نخبة	مختارات من الشعر الإسباني (ج١)	٧٩٥-
حمزة المزينى	نعوم تشومسكى	أفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن	٧٩٦-

طلعت شاهين	نخبة	الرؤية فى ليلة معتمة (شعر)	٧٩٧-
سميرة أبو الحسن	كاترين جيلدرود ودافيد جيلدرود	الإرشاد النفسى للأطفال	٧٩٨-
عبد الحميد فهمى الجمال	آن تيلر	سلم السنوات	٧٩٩-
عبد الجواد توفيق	ميشيل ماكارثى	قضايا فى علم اللغة التطبيقى	٨٠٠-
باشراف: محسن يوسف	تقرير دولى	نحو مستقبل أفضل	٨٠١-
شرين محمود الرفاعى	ماريا سوليداد	مسلمو غرناطة فى الآداب الأوروبية	٨٠٢-
عزة الخميسى	توماس پاترسون	التغيير والتنمية فى القرن العشرين	٨٠٣-
درويش الحلوجى	دانيل ميرفيه-ليجيه وجان بول ويلام	سوسيولوجيا الدين	٨٠٤-
طاهر البربرى	كازو إيشيجورو	من لا عزاء لهم (رواية)	٨٠٥-
محمود ماجد	ماجدة بركة	الطبقة العليا المصرية	٨٠٦-
خيرى دومة	ميريام كوك	يحي حقن: تشريح مفكر مصرى	٨٠٧-
أحمد محمود	بيفيد دابليو ليش	الشرق الأوسط والولايات المتحدة	٨٠٨-
محمود سيد أحمد	ليو شتراوس وجوزيف كروپسى	تاريخ الفلسفة السياسية (ج١)	٨٠٩-
محمود سيد أحمد	ليو شتراوس وجوزيف كروپسى	تاريخ الفلسفة السياسية (ج٢)	٨١٠-
حسن النعمى	جوزيف آشومبيتر	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج٢)	٨١١-
فريد الزاهى	ميشيل مافيزولى	نمل العالم: الصورة والأطرب فى الحياة الاجتماعية	٨١٢-
نورا أمين	أنى إرنو	لم أخرج من ليلى (رواية)	٨١٣-
أمال الروبى	نافتال لويس	الحياة اليومية فى مصر الرومانية	٨١٤-
مصطفى لييب عبدالغنى	ه. أ. ولفسون	فلسفة المتكلمين (مج٢)	٨١٥-
بدر الدين عرويكى	فيليب روجيه	العدو الأمريكى	٨١٦-
محمد لطفى جمعة	أفلاطون	مائدة أفلاطون: كلام فى الحب	٨١٧-
ناصر أحمد وياتسى جمال الدين	أندريه ريمون	الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (ج١)	٨١٨-
ناصر أحمد وياتسى جمال الدين	أندريه ريمون	الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (ج٢)	٨١٩-
طانيوس أفندى	وليم شكسبير	همكت (مسرحية) (ميراث الترجمة)	٨٢٠-
عبد العزيز بقوش	نور الدين عبد الرحمن الجامى	هفت بيكر (شعر)	٨٢١-
محمد نور الدين عبد المنعم	نخبة	فن الرباعى (شعر)	٨٢٢-
أحمد شافعى	نخبة	وجه أمريكا الأسود (شعر)	٨٢٣-
ربيع مفتاح	دافيد برتش	لغة الدراما	٨٢٤-
عبد العزيز توفيق جاويد	ياكوب يوكهارت	مصر النهضة فى إيطاليا (ج١) (ميراث الترجمة)	٨٢٥-
عبد العزيز توفيق جاويد	ياكوب يوكهارت	مصر النهضة فى إيطاليا (ج١) (ميراث الترجمة)	٨٢٦-
محمد على فرج	دونالد پ. كول وثريا تركى	أهل مطروح: البدو والمستوطنون والذين يقسمون المملكات	٨٢٧-
رمسيس شحاتة	ألبرت أينشتين	النظرية النسبية (ميراث الترجمة)	٨٢٨-
مجدى عبد الحافظ	إرنست رينان وجمال الدين الأفغانى	مناظرة حول الإسلام والعلم	٨٢٩-
محمد علاء الدين منصور	حسن كريم بور	رق العشق	٨٣٠-
محمد النادى وعطية عاشور	ألبرت أينشتين وليوبولد إنفلد	تطور علم الطبيعة (ميراث الترجمة)	٨٣١-
حسن النعمى	جوزيف آشومبيتر	تاريخ التحليل الاقتصادى (ج٢)	٨٣٢-
محسن الدمرداش	فرنر شميدرس	الفلسفة الألمانية	٨٣٣-
محمد علاء الدين منصور	ذبيح الله صفا	كنز الشعر	٨٣٤-

علاء عزمى	بيتر أوربان	٨٢٥- تشيخوف: حياة فى صور
ممدوح البستاوى	مرثيدس غارثيا	٨٢٦- بين الإسلام والغرب
على فهمى عبدالسلام	ناتاليا شيكو	٨٢٧- عناكب فى المصيدة
لبنى صبرى	نعوم تشومسكى	٨٢٨- فى تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى
جمال الجزيرى	ستيوارت سين ويورين فان لون	٨٢٩- أقدم لك: النظرية النقدية
فوزية حسن	جوتنهولد ليسينج	٨٤٠- الخواتم الثلاثة
محمد مصطفى بدوى	وليم شكسبير	٨٤١- هملت: أمير الدانمارك
محمد محمد يونس	فريد الدين العطار	٨٤٢- منظومة مصيبت نامه (مج ٢)
محمد علاء الدين منصور	نخبة	٨٤٣- من روائع القصيد الفارسي
سمير كريم	كريمة كريم	٨٤٤- دراسات فى الفقر والعولة
طلعت الشايب	نيكولاس جويات	٨٤٥- غياب السلام
عادل نجيب بشرى	ألفريد أدلر	٨٤٦- الطبيعة البشرية
أحمد محمود	مايكل ألبرت	٨٤٧- الحياة بعد الرأسمالية
عبد الهادى أبو ريده	يوليوس فلهاوزن	٨٤٨- تاريخ الدولة العربية (ميراث الترجمة)
بدر توفيق	وليم شكسبير	٨٤٩- سونيئات شكسبير
جابر عصفور	مقالات مختارة	٨٥٠- الخيال، الأسلوب، الحداثة
يوسف مراد	كلود برنار	٨٥١- الطب التجريبي (ميراث الترجمة)
مصطفى إبراهيم فهمى	ريتشارد دوكنز	٨٥٢- العلم والحقيقة
على إبراهيم منوفى	باسيليو بايون مالتونانو	٨٥٣- المسارة فى الأندلس: مسارة الفن والعصن (مج ١)
على إبراهيم منوفى	باسيليو بايون مالتونانو	٨٥٤- المسارة فى الأندلس: مسارة الفن والعصن (مج ٢)
محمد أحمد حمد	جيرارد ستيم	٨٥٥- فهم الاستعارة فى الأدب
عائشة سويلم	فرانثيسكو ماركيث يانو بيانويا	٨٥٦- القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى
كامل عويد العامرى	أندريه بريتون	٨٥٧- نادجا (رواية)
بيومى قنديل	ثيو هومانز	٨٥٨- جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية
مصطفى ماهر	إيث شيميل	٨٥٩- السياسة فى الشرق القديم
عادل صبحى تكلا	فان بملن	٨٦٠- مصر وأوروبا
محمد الخولى	چين سميث	٨٦١- الإسلام والمسلمون فى أمريكا
محسن الدمرداش	أرتور شنييتسلر	٨٦٢- بيفاء الكاكادو
محمد علاء الدين منصور	على أكبر دلقى	٨٦٣- لقاء بالشعراء
عبد الرحيم الرفاعى	دورين إنجرامز	٨٦٤- أوراق فلسطينية
شوقى جلال	تيرى إيجلتون	٨٦٥- فكرة الثقافة
محمد علاء الدين منصور	مجموعة من المؤلفين	٨٦٦- رسائل خمس فى الأفاق والأنفس
صبرى محمد حسن	ديفيد مايلو	٨٦٧- المهمة الاستوائية (رواية)
محمد علاء الدين منصور	ساعد باقرى ومحمد رضا محمدى	٨٦٨- الشعر الفارسي المعاصر
شوقى جلال	روبن دونبار وآخرون	٨٦٩- تطور الثقافة
حمادة إبراهيم	نخبة	٨٧٠- عشر مسرحيات (ج ١)
حمادة إبراهيم	نخبة	٨٧١- عشر مسرحيات (ج ٢)
محسن فرجاني	لاوتسو	٨٧٢- كتاب الطار

٨٧٣-	معلمون لمدارس المستقبل	تقرير صادر عن اليونسكو	بهاء شاهين
٨٧٤-	النهر الخالد (مج ١)	جاويد إقبال	ظهور أحمد
٨٧٥-	النهر الخالد (مج ٢)	جاويد إقبال	ظهور أحمد
٨٧٦-	دراسات في الموسيقى الشرقية (ج١)	هنري جورج فارمر	أماني المنيارى
٨٧٧-	أدب الجدل والدفاع في العربية	موريتس شتينثيدر	صلاح محجوب
٨٧٨-	ترحال في صحراء الجزيرة العربية (ج١، مج١)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٨٧٩-	ترحال في صحراء الجزيرة العربية (ج١، مج٢)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٨٨٠-	الواحات المفقودة	أحمد حسنين بك	عبد الرحمن حجازى وأمير نبيه
٨٨١-	المستغيرون : خدمة وخيانة	جلال آل أحمد	سلوى عباس
٨٨٢-	أغاني شيراز (ج١) (ميراث الترجمة)	حافظ الشيرازى	إبراهيم الشواربى
٨٨٣-	أغاني شيراز (ج٢) (ميراث الترجمة)	حافظ الشيرازى	إبراهيم الشواربى
٨٨٤-	تعلم الأطفال الصغار	ياريرا تيزار ومارتن هيوز	محمد رشدى سالم
٨٨٥-	روح الإرهاب	جان بودريار	بدر عرويكى
٨٨٦-	الترجمة والإمبراطورية	دوجلاس روبنسون	ثائر ديب
٨٨٧-	غزليات سعدى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٨٨٨-	أزهار مسلك الليل (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت
٨٨٩-	سارتورس (ميراث الترجمة)	وليم فوكنر	ميخائيل رومان
٨٩٠-	منتخبات أشعار فراغى	مخدومقلى فراغى	الصفصافى أحمد القطورى
٨٩١-	مفاوضات مع الموتى	مارجريت أتوود	عزة مازن
٨٩٢-	تاريخ المسيحية الشرقية	عزيز سوريال عطية	إسحاق عبيد
٨٩٣-	عبادة الإنسان الحر	برتراند راسل	محمد قدرى عمارة
٨٩٤-	الطريق إلى مكة	محمد أسد	رفعت السيد على
٨٩٥-	وادی الفوضى (رواية)	فريدريش دورينمات	يسرى خميس
٨٩٦-	شعر الضفاف الأخرى	نخبة	زين العابدين فؤاد
٨٩٧-	اختراق الجزيرة العربية	ديفيد جورج هوجارث	صبرى محمد حسن
٨٩٨-	الإسلام والعلم	برويز أمير على	محمود خيال
٨٩٩-	الدبلوماسية الفاعلة	بيتر مارشال	أحمد مختار الجمال
٩٠٠-	تيارات نقدية محدثة	مقالات مختارة	جابر عصفور
٩٠١-	مختارات من شعر لى جاو شينج	لى جاو شينج	عبد العزيز حمدي
٩٠٢-	آلهة مصر القديمة وأساطيرها	روبرت أرنولد	مروة الفقى
٩٠٣-	أفلام ومناهج (مج ١)	بيل نيكولز	حسين بيومى
٩٠٤-	أفلام ومناهج (مج ٢)	بيل نيكولز	حسين بيومى
٩٠٥-	تراث الهند	ج. ت. جارات	جلال السعيد الحفناوى
٩٠٦-	أسس الحوار في القرآن	هيربرت بوسه	أحمد هويدى
٩٠٧-	أرثر.. متعة الحياة (رواية)	فرانسواز جيرو	فاطمة خليل
٩٠٨-	الحلقة النقدية	ديفيد كوزنز هوى	خالدة حامد
٩٠٩-	الفنون والآداب تحت ضغط العولمة	چووست سمايرز	طلعت الشايب
٩١٠-	بروميثيوس بلا قيود	دافيد س. ليندس	مى رفعت سلطان

غبار النجوم	جون جريين	عزت عامر	٩١١-
ترجمات يحيى حقى (ج١) (ميراث الترجمة)	روايات مختارة	يحيى حقى	٩١٢-
ترجمات يحيى حقى (ج٢) (ميراث الترجمة)	مسرحيات مختارة	يحيى حقى	٩١٣-
ترجمات يحيى حقى (ج٣) (ميراث الترجمة)	ديزموند ستيوارت	يحيى حقى	٩١٤-
المرأة فى أثينا: الواقع والقانون	روجر چست	منيرة كروان	٩١٥-
الجدلية الاجتماعية	أنور عبد الملك	سامية الجندى وعبدالعظيم حماد	٩١٦-
موسوعة كمبيريدج (ج١)	نخبة	إشراف: أحمد عثمان	٩١٧-
موسوعة كمبيريدج (ج٢)	نخبة	إشراف: فاطمة موسى	٩١٨-
موسوعة كمبيريدج (ج٣)	نخبة	إشراف: رضوى عاشور	٩١٩-
خليل جبران: حياته وعمله	چين جبران و خليل جبران	فاطمة قنديل	٩٢٠-
لله الأمر (رواية)	أحمدو كوروما	ثرثا إقبال	٩٢١-
الموريسكيون فى إسبانيا وفى المنفى	ميكيل دى إيبالثا	جمال عبد الرحمن	٩٢٢-
ملحمة حرب الاستقلال (شعر)	ناظم حكمت	محمد حرب	٩٢٣-
حتشيسوت: عظمة وسحر وغموض	كريستيان دى روش نويلكور	فاطمة عبد الله	٩٢٤-
رمسيس الثانى: فرعون المعجزات	كريستيان دى روش نويلكور	فاطمة عبد الله	٩٢٥-
ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (ج١، ج٢، ج٣)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن	٩٢٦-
ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (ج١، ج٢، ج٣)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن	٩٢٧-
سجون الضوء	كىتى فرجسون	عزت عامر	٩٢٨-
نشأة الإنسان (مج١)	تشارلس داروين	مجدى المليجى	٩٢٩-
نشأة الإنسان (مج٢)	تشارلس داروين	مجدى المليجى	٩٣٠-
نشأة الإنسان (مج٣)	تشارلس داروين	مجدى المليجى	٩٣١-
حلق السحر فى نطق الشعر (ميراث الترجمة)	رشيد الدين العمري	إبراهيم الشواربى	٩٣٢-
اللاعقلانية الشعرية	كارلوس بوسونيو	على منوفى	٩٣٣-
محنة الكاتب الأفريقى	تشارلز لارسون	طلعت الشايب	٩٣٤-
تاريخ الفن الألمانى	فولكر جيبهارت	علا عادل	٩٣٥-
بيولوجيا الجحيم	إد ريجيس	أحمد فوزى عبد الحميد	٩٣٦-
هيا نحكى (قصص أطفال)	أحمد ندالو	عبدالحى سالم	٩٣٧-
الأنطولوجيا السياسية عند مارتى هيجر	بيير بورديو	سعيد العليمى	٩٣٨-
سجن العقل	ستيفن چونسون	أحمد مستجير	٩٣٩-
اليابان الحديثة: قضايا وآراء	مجموعة مقالات	علاء على زين العابدين	٩٤٠-
الجماليات لم يولدن بعد	أى كوينى أرماء	صبرى محمد حسن	٩٤١-
القرن الجديد	إريك هويسبوم	وجيه سمعان عبد المسيح	٩٤٢-
لقاء فى الظلام	مختارات من القصص الأفريقية	محمد عبد الواحد	٩٤٣-
الكونتراباص	باتريك زوسكيند	سمير جريس	٩٤٤-
أحلام يقظة جوال منفرد (ميراث الترجمة)	چان چاك روسو	ثرثا توفيق	٩٤٥-
الزار ومظاهره المسرحية فى إثيوبيا	ميشيل ليريس	محمد مهدى قناوى	٩٤٦-
ما وراء المعنى والحقيقة	برتراند راسل	محمد قبرى عمارة	٩٤٧-
أفريقيا منذ عام ١٨٠٠	رونالد أوليفر وأنتونى أتمور	فريد چورچ بورى	٩٤٨-
مقبرة الصدا	أندريه فيش	نافع معلا	٩٤٩-

منى طلبة وأنور مغيث	چاك بيريدا	٩٥٠- فى علم الكتابة
عماد حسن بكر	فريدريش دورينمات	٩٥١- الاتهام (رواية)
تعيمة عبد الجواد	أميرى بركة	٩٥٢- العبد ومسرحيات أخرى
على عبد الرعوف البمبى	نخبة من الشعراء	٩٥٣- مختارات من الشعر الإسباني (ج٢)
عتان الشهاوى	فرد لوسون	٩٥٤- الأصول الاجتماعية لسلسلة التوسعة لى عبد محمد على
ماجدة أباطة	سيلفيا شيفولو	٩٥٥- الطب والأطباء
سمير حنا صادق	أ. ك. ديونى	٩٥٦- نعم، ليست لدينا نيوترونات
ربيع وهبة	تشارلز تلى	٩٥٧- المركبات الاجتماعية: (١٧٦٨-٢٠٠٤)
صلاح حزين	مريام كوك	٩٥٨- أصوات على هامش الحرب
وسام محمد جزر	ميفيل أنخيل بونيس	٩٥٩- الموريسكيون فى الفكر التاريخى
هدى كشروء	الامير عثمان إبراهيم وكارولين ولى كورخان	٩٦٠- محمد على الكبير
محمد صقر خفاجة	مختارات من الأدب اليونانى	٩٦١- شعر الرعاة (ميراث الترجمة)
عادل مصطفى	وليام جيمس إيرل	٩٦٢- مدخل إلى الفلسفة

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

---

رقم الإيداع ٢٠٣١٩ / ٢٠٠٥